الاجوبة الفقهية

١

ابن تيمية

جر ٢١٧ ت الأجوبة الأصولية والأجوبة الفقهية ، (فتاوى ابن تيمية) ،
تأليف احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن
ابى القاسم ، الخضر النميرى الحرانى الدمشقى الحنبلى ،
٨٧٤ ابو العباس تقى الدين (٦٦١-٧٢٨هـ) . بخط محمد
ابن حسن بن احمد بن حسن المرزوقى الحنبلى ١٣١٣هـ .
٢جـ (٢٣١ ، ٢٦٨ق) ، مختلف المسطرة ، مختلف
الحجم .
نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد ، مطبوع .
الاعلام ١ : ١٤٠
(التكملة في البطاقة الثانية)

الأجوبة الأصولية والأجوبة . . . ، تأليف احمد بن عبد
الحليم . . . سنة ١٣١٣هـ (البطاقة رقم ٢)
٨٧٤ ١- المذهب الحنبلى ٢- أصول الدين أ- ابن
تيمية ، احمد بن عبد الحليم (٦٦١-٧٢٨هـ) ب-
الناسخ جـ- تاريخ النسخ د - فتاوى ابن تيمية .

خفوطات العقيلي

٢٢٥ جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله جهدت الانفس وهلكت الاموال وجاع العيال فاستسق لنا ربك فانا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه فقال ويحك ان الله لا يستشفع به على احد من خلقه شان الله اعظم من ذلك انه فوق سمواته هكذا وقال بيده مثل القبة وانه ليئط به اطيط الرحل الجديد براكبه

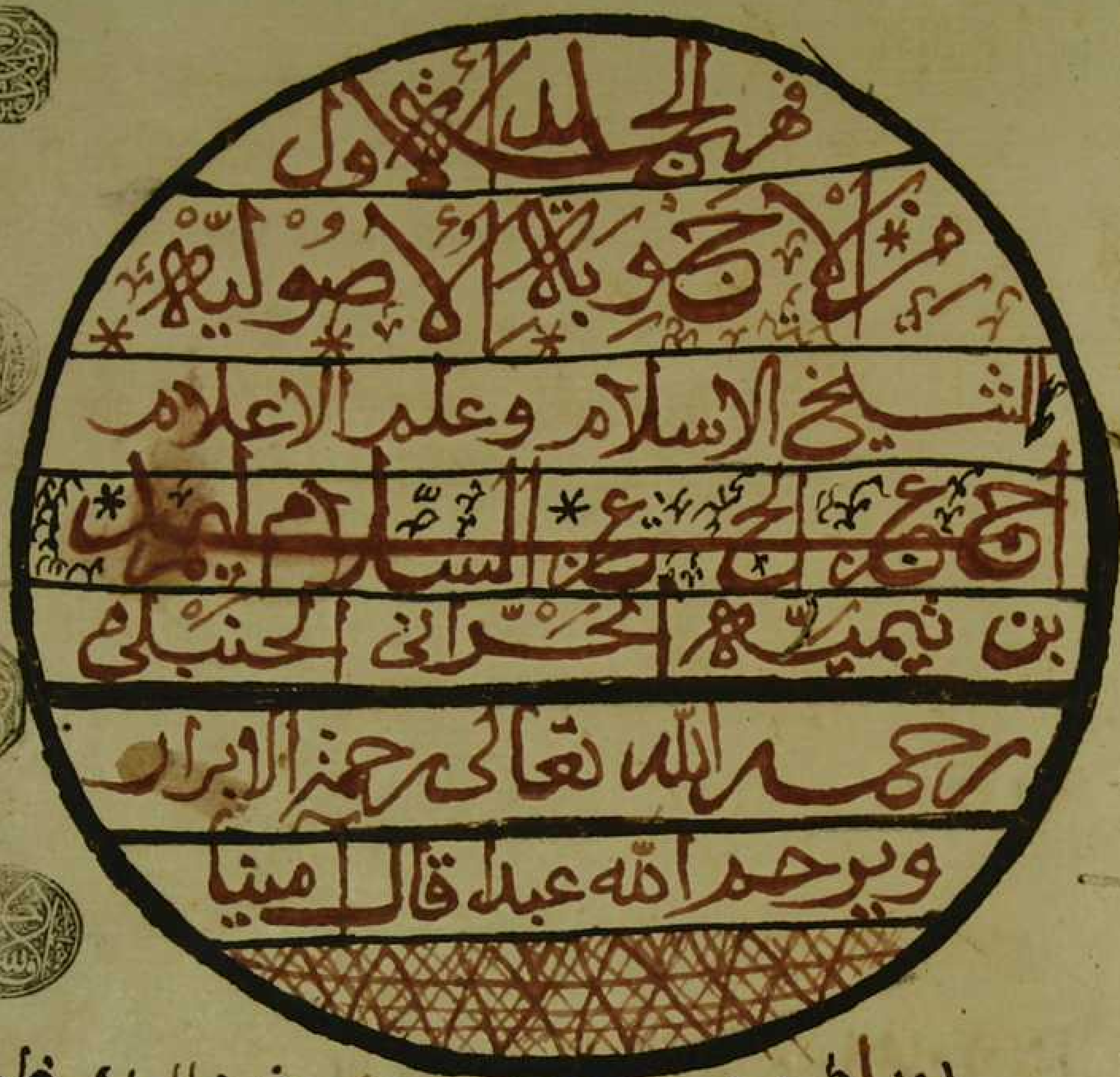
١٨ بسط واثبات لفظ الجسم ونفيه بدعة لم يتكلم به احد من السلف الا انه كذلك لفظ التحيز والجهة ٢٠ فتح على نفيه عن السلف ايضا وان الائمة الكبار انكروا على المتكلمين بها ٢٣ في قول الكلابية والاشعرية والكرامية انه ليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز

٢٣ جواب فتنبه على قول اهل الاستفسار والجهة والجسم والجوهر ونحو ذلك وهم الذين يقولون لفظ التحيز كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا قاله احد من الصحابة في حق الله لا نفيا ولا اثباتا اهـ ليس لها اصل في لسلف الامة ولا ائمتها

في عدم التكفير قبل اقامة الحجة ٢٩٣

٢٦٥ افضل الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر رض كما ورد ذلك موقوفا ومرفوعا عن علي رض

٢٧٨ مناظرة الامام احمد والكناني مع الجهمية في خلق القرآن



مسئلة ١٠٠ يا سادة العلماء افتونا بما ٭ يشفي العليل فما صبري بآس
عن قول ناظم عقد اصل عقيدة ٭ في حق حق الحق ليس بداهن
الخ الابيات

مسئلة ٣٠ في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا هل الاستوى حقيقة ام لا وما معنى كونه حقيقة وما يلزم من كون ايات الصفات حقيقة وهل لازم المذهب مذهب الخ

مسئلة ٤٠ هل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله احيا له ابويه حتى اسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك ام لا

مسئلة ٤٢ في جندي له اقطاع ونسخ بيده صحيح مسلم والبخاري والقران العظيم وشرى بالف درهم اقلام واوراق الخ واي التفاسير اقرب الى الكتاب والسنة الزمخشري او القرطبي او البغوي او غيرهم الخ

١/٤٨٨ ف
١٢٩٩/١/٤ هـ

مسئلة ٤٥ هل يتناسلون اهل الجنة وقوله تعالى الولدان هل هم اولاد اهل
الجنة الخ وما حكم ولد الزنا اذا مات الخ وما الصحيح في اولاد المشركين
الخ وهل تسمى الايام في الاخرة كالدنيا
مسئلة ٤٦ في رجل سمع كتب الحديث والتفسير واذا قرئ كتاب عليه لم يسمعه
مسئلة ٤٨ ما قولكم في صفة تعبد النبي صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه افتونا ماجورين مسئلة ٤٩ في هذه الاحاديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم راى موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره وراه وهو
يطوف بالبيت وراه في السماء وكذلك بعض الانبياء وهل اذا مات
الانسان ينقطع عمل والحديث انه ينقطع الخ
مسئلة ٥٠ هل صح عن احد من اهل العلم والحديث ان امير المؤمنين
علي بن ابي طالب قال اذا انا مت ركبوني فوق ناقتي الخ وهل عرف احد
من اهل العلم اين دفن الخ ومن قتل الحسين وما سبب قتله
وهل

وهل صح ان اهل البيت سبوا وانهم ركبوا على الابل عراة الخ
فخلق الله لهم الابل البخاتي وان الحسين لما قطعوا راسه دار وابه في جميع البلاد
وانه حمل الى دمشق الخ وهل قائل هذه المقالات مبتدع في دين الله
مسئلة ٦٦ فيمن يقول ان النقط والشكل من كلام الله تعالى الخ
مسئلة ٦٧ في قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وقد اباح العلماء الخ
مسئلة ٦٩ ط في رجل قال لرجل يا فلان ما مذهبك قال شافعي المذهب
فقال له ذلك الرجل بل انت حنبلي وتعتقد ان القران كلام الله قال فكلام
من هذا القران فقال نصلح ان يكون كلام جبرئيل الخ وقال ومن زعم ان
هذا القران الذي بين الناس كلام الله فهو حلولي يقول بقول النصارى الخ
مسئلة ٧٩ ط في قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا
ومن اتبعني هل الدعوة عامة في حق كل مسلم املا وهل الامر بالمعروف
داخل فيه وهل ذلك فرض على كل فرد واذا كان واجبا فهل يجمع
وجود المشقة املا وهل للامر بالمعروف ان يقبض من الجاني عليه
مسئلة ٩٠ سئل رجل عن قوله تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما
ورحمة فقال ما سمعنا بنص القران والحديث ان ما قبل كتابنا الا الانجيل
فقال الاخر عيسى انما كان يتبع موسى والانجيل ما فيه الا توسع في احكام
يسيرة مما في التوراة وانكر عليه فقال كان لعيسى شرع غير شرع موسى الخ
مسئلة ٩٢ في رفع الصوت في الجنازة وما يتعلق بالتعزية
وزيارة القبور وغير ذلك من المسائل مسئلة ٩٦ ط فيما احدثه
الفقراء في هذا الزمان من صحبة المردان ومواخاة النسوان وحط
روسهم بين يدي الشيخ ووقوفهم منحنين مكشوفين الروس والنعال
على روسهم هل سبقوا الى مثل هذه القبائح وغيرها املا وهل يكونوا
مسئلة ١٠٧ ط فيمن يزعم انه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر ويعتقدون ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
علي بن ابي طالب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على امامته وان الصحابة ظلموه

ثم دعا ما نقص من عمره زاد في عمره ونقص العمر وصلاة الرغايب وليلة النصف والصلاة فيها وهجر تارك الصلاة ثم المطهر من البدعة وهي التعزير والنذر وتقبيل الجمادات والركن اليماني

* هذه مسئلة عظيمة فوائدها عجيب في آخر الجواب الكلام على لبس الصوف والتسبيح بالاصابع والحرز والمراد بالقراض والتواقيه والصلاة على السجادة والصلاة على التخذة الصوف والشعر وعلى الحشيشة المسكرة

مسئلة ١٢٥ في رجل منقطع في بيته لا يخرج ولا يدخل ويصلي في بيته
ولا يشهد الجماعة واذا خرج الى الجمعة يخرج مغطى الوجه ثم انه يصيح
ويرفع صوته من غير سبب ويجمع عنده الرجال والنساء فهل الخ
فصل ١٢٩ التشبه بالبهائم في الامور المذمومة في الشرع منهي عنه
مسئلة ١٣٢ في اسلام معاوية بن ابي سفيان متى كان
وهل كان ايمانه كايمان غيره املا وما قيل فيه غير ذلك
مسئلة ١٤٦ في صفة سماع الصالحين ما هو وهل هو سماع القصائد
الملحنة بالالات المطربة ام غير ذلك افيدونا رحمكم الله تعالى
مسئلة ١٨٧ في الرزق هل يزيد وينقص وهل هو ما اكله او ملكه العبد
مسئلة ١٧٩ عن العبد هل يقدر ان يفعل الطاعة اذا اراد املا واذا اراد
ان يترك المعصية يكون قادرا على تركها املا واذا فعل الخير نسبه الى الله
واذا فعل الشر نسبه الى نفسه مسئلة ١٨٤ هل يتعين على مسلم ان
يعتقد ان ربه فوق عرشه وفوق كل شيء وليس كمثله شيء الخ واشتغاله
بالعبادة الخ والايمان بصفة العلو الخ وهل مسئلة العلو ثابتة بالكتاب
والسنة وهل صفات الله من الغضب الخ مسئلة ١٨٦ في قول
الامام ابي بكر محمد بن الحسين بن فورك في الارشاد تفسير القدري انه هو الذي
يقدر الخ وتفسير الجبري هو الذي يزعم ان لا استطاعة للانسان الخ
مسئلة ١٨٩ في الاقضية هل هي مقتضية للحكمة املا فاذا كانت
مقتضية للحكمة هل اراد من الناس ما هم فاعلوه املا واذا كانت الارادة
قد تقدمت ما يمنع وجوب للعذر والحالة هذه مسئلة ١٩٠ في
ايات الصفات هل فيها ناسخ ومنسوخ املا وهل ياثم الرجل اذا تكلم فيها
مسئلة ١٩١ فيمن يقول ان ما ثم الا الله فقال شخص كل من قال هذا
الكلام فقد كفر مسئلة ١٩٢ عن رجل قال ان جميع الفواحش
التي يعملها الانسان وغيرها مكتوبة على جبينه مسئلة ١٩٣
ان قال قائل هل يجوز الخوض فيما تكلم الناس من مسائل اصول الدين
وهل ذلك من باب ما لا يطاق افيدونا رحمكم الله الخ

مسئلة

هذا من كلام علي رضه
٣

مسئلة ٢٦٧ في قوله صلى الله عليه وسلم لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن
عبد الا ذنبه فما معنى لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه
مسئلة ٢٢٣ هل الميت يسمع كلام زائره الخ وهل يعاد روحه الخ
وهل يصل اليه القران والصدقة الخ وهل يجتمع روحه مع ارواح اهله الخ
وهل تنتقل روحه الجسد الخ وهل يتاذى ببكاء اهله الخ
مسئلة ٢٣٠ ما الذي يجب على المكلف اعتقاده وما الذي يجب عليه علمه
وما هو العلم المرغب فيه وما هو اليقين وكيف يعلم وما العلم بالله
مسئلة ٢٣٦ في قوله ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم والليلة
سبعين مرة هل المراد به ذكر الاستغفار الخ وهل اذا تاب من الذنب الخ
وهل التائب من شرب الخمر ولبس الحرير يشربه في الاخرة الخ
وقال ٢٣٧ رحمه الله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الخ
مسئلة ٢٤٩ فيمن يعتقد ان الخير من الله وان الشر من الشيطان وان
الشر هو بين العبد الخ وان عقيدته هذا الكلام المذكور الخ
مسئلة ٢٥٢ في النهوض الذي يعده الناس من الاكرام والاحترام الخ
واذا كان يغلب على ظن المتقاعد الخ وهذه الالقاب بين الناس في
المكاتبات الخ وكذلك تحريك الرقاب الى جهة الارض الخ وهل يجوز
ذلك في حق الاشراف مسئلة ٢٥٤ هل الملائكة الموكلون بالعبد
هل هما موكلان دائما الخ وهل موكل بالعبد ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار وقوله عز وجل مسئلة ٢٥٥ في الحديث الذي ورد ان الله
قبض قبضتين فقال هذه للجنة ولا ابالي الخ والحديث الاخر في ان الله
لما خلق ادم اراه ذريته عن اليمين والشمال مسئلة ٢٦٢ في
اهل الصفة كم كانوا وهل كانوا بالمدينة او بمكة الخ وفيمن يعتقد
ان اهل الصفة افضل من الخلفاء الاربعة الخ وفي قوله تعالى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم الخ وهذا الحديث ما من جماعة يجتمعون
الا وفيهم ولي الله الخ وما الفقراء الذين يسبقون الاغنياء الى الجنة الخ
وعن هؤلاء القلندرية الخ وهل يحل لمن يؤمن بالله واليوم الاخر الخ

مسئلة ٢٧١ هل ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء عليهم السلام
اجمعين ليلة الاسرى الخ هل كانت الصلاة وجبت وهل هي الصلاة
اللغوية او المعنوية وهل الاسرى مرة او مرتين الخ وهل رأى ربه املاء
مسئلة ٢٧٢ في قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون الخ وفي قوله صلى الله عليه وسلم جف القلم الخ وفي قوله من فسر القران
برأيه فليتبوأ مقعده الخ وفي قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وهل اللام لام الصيرورة الخ مسئلة ٢٨٢
في الفروق التي يتبين بها كون الحسنة من الله والسيئة من النفس
وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله قل انما حرم ربي الفواحش
مسئلة ٣٠٣ في تعريف العباده وتعريف توحيد العباده وتعريف
الاخلاص الخ وتعريف الطاغوت) هذا لعبد الرحمن حسن والجواب من ابا بطين
مسئلة ٣١٠ فيمن يعتقد الجهة هل هو مبتدع او كافر مسئلة ٣١١
في اقوام يقولون المشيئة مشيئة الله مسئلة ٣١١ في كمال الايمان
بالله ورسوله هل فوقه الخ وهل يكون صفة الايمان الخ وهل يكون
لا اول لحصوله سبب الخ فان كان لا اول لحصوله سبب الخ مسئلة ٣١٨
ما الحكمة في ان المشتغلين بالذكر والفكر والرياضة الخ يفتح عليهم من
الكشوفات والكرامات الخ حتى ان كثيرا من المتعبدين يؤثر العباده
على طلب العلم مسئلة ٣٢٠ في قول اهل التقاويم في ان الرابع
عشر من هذا الشهر يخسف القمر وفي التاسع والعشرين تكسف الشمس
فهل يصدقوا في ذلك الخ مسئلة ٣٢٤ في رجلين تنازعا
في كيفية السماء والارض هل هما جسمان كريان فقال احدهما الخ
مسئلة ٣٢٧ في آدم لما خلقه الله ونفخ فيه من روحه واسجد له
ملائكته هل سجدت ملائكة السماء والارض الخ وهل كان جبرئيل
وميكائيل مع من سجد وهل كانت الجنة التي سكنها هي جنة الخلد
الموعوده الخ ولما هبط هل هبط من السماء الى الارض الخ

مسئلة

مسئلة ٣٢٩ ما عمل اهل الجنة وما عمل اهل النار مسئلة ٣٣١ في قوله تعالى واما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى
يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب مسئلة ١٣١ في حديث نقل عن الشيخ
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء الخ
مسئلة ١٣١ في قوله الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله اني لاجد
نفس الرحمن من جهة اليمين وقوله استوى على العرش فصل ٣٣٤
في ابطال التاويل من اوجه مسئلة ٣٣٧ في الايام والليالي مثل ان
يقال السفر يكره يوم الاربعا والخميس والسبت او يكره التفصيل والخياطة
او الغزل في هذه الايام وما اشبه ذلك مسئلة ٣٣٧ في اقوام يرقصون
على الغنا بالدف ثم يسجد بعضهم لبعض هل يجوز ام لا
مسئلة ٣٣٩ فيما ذكر الاستاذ القشيري في باب الرضا عن الشيخ
ابي سليمان انه قال الرضا ان لا يسئل الله الجنة ولا يستعيذ من
النار فهل هذا الكلام صحيح مسئلة ٣٦٤ في قوله تعالى وان احد
من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فسماه هنا
كلام الله وقال في مكان آخر وانه لقول رسول كريم فما معنى ذلك
فان طائفة ممن يقول بالعبارة يدعون ان هذا حجة لهم ثم يقولون انتم
تعتقدون ان موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه افضل الصلاة
انه سمع كلام الله حقيقة وتسمعونه من وسائط باصوات مختلفة
فما الفرق بين ذلك ويقولون ان القران صفة لله وان صفات الله
قديمة فان قلتم ان هذا نفس كلام الله فقد قلتم بالحلول وانتم
تكفرون الحلولية وان قلتم غير ذلك قلتم بمقالتنا ونحن نطلب
منكم جوابا نعتمد عليه ان شا الله تعالى مسئلة ٣٨٨
ما يقول السادة العلماء ائمة الدين وعلماء المسلمين رضي الله عنهم
اجمعين فيمن يزور القبور ويستنجد بالقبور في مرض له

اوفي فرسه اوبعيره يطلب ازالت الالم الذي بهم ويقول ياسيدي
انا في حسبك انا في جيرتك فلان ظلمني فلان قصد اذيتي ويقول
ان المقبورين يكونون واسطة بينه وبين الله وفيمن ينذر
للمساجد والزوايا والمشائخ حيهم وميتهم بالدراهم والابل والغنم
والشمع والزيت وغير ذلك يقول ان سلم ولدي للشيخ علي
كذا وكذا وامثال ذلك وفيمن يستغيث بشيخه اذا اصابته نائبه
اوعثر اوسمع حسا خلفه ازعجه استغاث بشيخه يطلب
تثبيت قلبه وفيمن يجيئ الى شيخه ويستلم القبر ويمرغ
وجهه عليه ويمسح القبر بيديه ويمسح بهما وجهه
واشباه ذلك وفيمن يقصد حاجة فيقول ياشيخ فلان
بركتك فيقول قضيت حاجتي بركة الله وبركة الشيخ
وفيمن يعمل السماع فيجي الى القبر ويكشفه وينحط بين يدي
شيخه ساجدا على الارض نحوه وفيمن قال ان
ثم قطبا غوثا فردا جامعا في الوجود افتونا
ماجورين وابسطوا القول فصلا فصلا

٤١٤ مسئلة في وصيته لابي قاسم المغربي بموجب
ما اراده ان يوصيه بما فيه صلاح دينه ودنياه
ويرشده الى كتاب يكون عليه اعتماده ويشبه
على افضل الاعمال بعد الواجبات ويبين له
ارجح المكاسب على قصد الايجاز والاختصار

مسئلة فيمن اراد ان

مسئلة ٤١٩ فيمن اراد ان يعمل على قبره قربة وان يعمل قراءة
سبع ويهديه للنبي صلى الله عليه وسلم واراد ان يخص نفسه بقارئين
يقرؤون القران ويكون ثوابه له مسئلة ٤٢١ فيمن وصى
زوجته ان تدفنه في تربة اهلها لاجل كلام وقع بينه وبيني والدته
ثم راها والدته في النوم وسئلها الرضى وان تنقله الى تربة ابيه فرضيت
عنه هل يجوز نقله ام لا ٤٢٢ مسئل جملة اسئلة في التفضيل
منها تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر ومنها عن عشر
ذي الحجه والعشر الاواخر من رمضان ومنها عن ليلة القدر وليلة
الاسرى ايهما افضل ومنها عن يوم الجمعة ويوم النحر
ومنها عن خديجه وعائشه ايهما افضل ومنها عن صالحي
بني آدم والملائكه ومنها في فضل فاطمه وعائشه لابن القيم
مسئلة ٤٢٤ في قوم يقولون كلام الناس وغيرهم قديم سواء
كان الكلام صدقا او كذبا الخ وقال قوم منهم بل اكثرهم اصوات
الحمير والكلاب كذلك وقالوا ان احمد انما قال ذلك خوفا من
الناس فهل هولاء مخطئون او مصيبون فاذا كانوا مخطئين الخ
مسئلة ٤٤١ ما قول العلماء في فضل الايام وهل التهنئة
في العيد وما يجري على السنة الناس عيد مبارك وما اشبهه
مسئلة ٤٤١ في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا واحشرني في زمرت المساكين ٥ ٥ ٥
مسئلة ٤٤٣ في الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل
وما اقسام التقوى والصبر الذي عليه الناس ٥ ٥

مسئلة ٤٤٨ ما صورته عن ابي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى انه

قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا
تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم
يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني
اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم
يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب
جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا
ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي
لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على
اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي
لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد
منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسئلوني فاعطيت كل
انسان منهم مسئلته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص
المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها
لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن
وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ٥٥٥٥

تمت الاجوبة الاصولية المهذبة

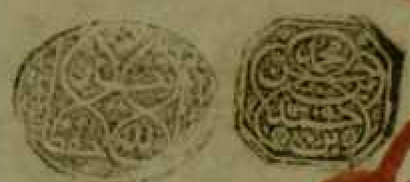
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد
وعلى اله وصحبه وسلم اجمعين

عدد ٧٥

٦

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المجلد الاول من الاجوبة الاصولية لشيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله



وهو في ملك
الفقير الى الله الراجي
من الله غفران الذنوب محمد
بن حسن بن احمد بن حسن المرزوقي
نسبا والسلفي مذهبا ومعتقدا اللهم
اغفر له ولوالديه ومشائخه
واخوانه من الموحدين
وصلى الله على محمد وعلى
آله وصحبه
اجمعين

جزى الله خيرا من تأمل صنعتي
وقابل ما فيها من السهو بالعفو
واصلح ما اخطأت فيه بفضله
وفطنته واستغفر الله من سهوي

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ اللهم يسر وأعن يا كريم

نقلت هذه المسئلة والجواب عنها من نسخة منقولة من نسخة منقولة من خط الشيخ الامام العالم برهان الدين ابراهيم بن الشيخ الامام العلامة الورع الزاهد العابد ابي العباس احمد بن مجد الدين عبد الله ابن احمد بن محمد المقدسي رحمه الله

الحمد لله المنزه عن الحلول والاتحاد بمخلوقاته ۝ المتعالي عن التعطيل والالحاد والتمثيل في صفاته ۝ واشهد ان لا اله الا الله العلي بذاته ۝ المستوي على عرشه فوق سمواته ۝ واشهد ان محمدا عبده ورسوله الهادي بايات اياته ۝ المبين لمباينة باريه عن بريته ۝ عليه افضل صلواته وتحياته ۝ وعلى آله وصحبه التابعين له في حياته ومماته ۝ وبعد يقول كاتبها لما لم يجب احد عن ابياته وحق للمحق ان تبين هداته من عداته عرضت على امام ائمة المسلمين ۝ وعالم علما العالمين ۝ شيخ الامة الاسلامية ۝ ابي العباس احمد بن تيميه ۝ فبين بما خصه الله واهداه اليه من هديه ۝ واوضح المسئلة واقسامها ۝ واحكام الابيات واحكامها ۝ وبحج جواب للنفات والزامها ۝ وبهج اصحاب الاثبات وابرامها ۝ لا زال مؤيد الملة ۝ ومؤيد المدد وهي هذه ۝

۝ يا سادة العلما أفتونا بما … يشفي العليل فما صبري آسن ۝
عن قول ناظم عقد اصل عقيدة … في حق حق الحق ليس يداهن
يا منكر ان الاله مباين … للخلق يا مفتون بل يا فاتن
هب قد ضللت فاين انت فان يكن … انت المباين فهو ايضا باين
او قلت لست مباينا قلنا اذا … بالاتحاد وبالحلول تشاحن
او قلت يلزم منه شيء قد خلا … قلنا نعم ما الرب فينا ساكن
او قلت يلزم انه في حيز … او صار في جهة فعقلك واهن
فلقد كذبت فانه لا حيز … الا مكان وهو عنه بائن
وكذا الجهات فانها عدمية … في حقه والحق في ذا بائن

ادليس

اذ ليس فوق الخلق ذات غيره … حتى يقدر وهو فيها قاطن
او قلت ما هو داخل او خارج … هذا يدل بان ما هو كائن
اذ قد جمعت نقائضا ووصفته … عدما بها هل انت عنها ظاعن
ما قال ما هو ظاهر او باطن … لكنه هو ظاهر هو باطن
فارجع وتب من قال مثلك انه … لمعطل والكفر فيه كامن
وتفضلوا بجوابه من نظمكم … هل صادق فيما ادعى ام مائن
فصلا بفصل ظاهر فالله للمفتي المصيب بخير اجر ضامن

اجاب رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين جواب المنازع عن مثل هذا الكلام انهم يقولون هذا الكلام يتضمن شيئين احدهما الاستدلال على ان الرب تعالى مباين للعالم خارج عنه والثاني الجواب عن حجة من نفى ذلك واستدل بان ذلك يستلزم القول بالتحيز والجهة وهما باطلان وبطلان اللازم يقتضي بطلان الملزوم فاما استدلاله فان مضمونه انك ان تكون مباينا للخلق واما ان لا تكون مباينا له فان قلت انك مباين لزم ايضا ان يكون مباينا لك لان المباينة من باب المفاعلة التي يلزم من ثبوتها من احد الجانبين ثبوتها من الجانب الاخر عقلا وكذلك هو في اللغة الا في مواضع قيل انها مستثنات بل مناوله مثل قولهم عاقبت اللص وطارقت النعل وعافاك الله ونحو ذلك فان قلت لست مباينا له لزمك القول بالحلول والاتحاد فان ما لم يكن مباينا لغيره متميزا عنه كان مجامعا له مداخلا له بحيث هو فيه حايثه ويجامعه ويداخله كما يحايث الصفة محلها الذي قامت به والصفة المشاركة لها في القيام به فان التفاحة مثلا طعمها ولونها ليس بمباين لها بل هو محايث لها ومجامع لها وكذلك الطعم محايث اللون والمباينة هي المفارقة وهي ضد المجامعة فلما كانت الصفة التي تسمى العرض يحايث محلها الذي يسمى الجسم ويحايث عرضا اخر كان من المعلوم ان مثل هذا منتف عن الله سبحانه وتعالى فانه ليس بعرض ولا صفة من الصفات بل هو قائم بنفسه مستغن عن محل يقوم به فلا يجوز عليه محايثة المخلوقات والحلول فيها وكذلك الاتحاد فان الله فان الاتحاد ان كان مع بقاء الاثنين على ما كانا عليه فلا اتحاد بل هما اثنان باقيان على صفتهما كما كانا وان عني به الاستحالة الى نوع ثالث كما يتحد الماء واللبن والماء والخمر فيصيران نوعا ثالثا لا هو ماء محض ولا لبن محض

فهذا لا يكون الا بعد استحالة احدهما وفساد يعرض لذاته والله تعالى منزه عن
ذلك فانه واجب الوجود بنفسه قديم بذاته وصفاته لا يجوز عليه عدم شيء من
صفاته فتمتنع في حقه الاستحالة والفساد فمضمون الدليل ان المخلوق
اما ان يكون مباينا للخالق او الخالق مباينا له واما ان يلزم الحلول والاتحاد
وهما باطلان فتعين الاول واعتراض المنازع على هذا يكون بعد بيان
معنى المباينة فان اهل الكلام والنظر يطلقون المباينة بازاء ثلاثة معان يطلقون
بل اربعة احدها المباينة المقابلة للمماثلة والمشابهة والمقاربة والثاني
المباينة المقابلة المحايثة والمجامعة والمداخلة والممازجة والمخالطة والثالث
المباينة المقابلة للمماسة والملاصقة فهذه المباينة اخص من التي قبلها
فان ما باين الشيء فلم يداخله قد يكون مماسا له متصلا به وقد يكون منفصلا
عنه غير مجاور له وهذه المباينة الثالثة ومقابلها تستعمل فيما يقوم
بنفسه خاصة كالاجسام فيقال لهذه العين اما ان تكون مماسة لهذه واما
ان تكون مباينة لها واما المباينة التي قبلها ومقابلها فانها تعم ما يقوم
بنفسه وما يقوم بغيره فالعرض القائم بغيره ليس مباينا له ولا يقال انه
مماس له فيقال هذا اللون اما ان يكون مباينا لهذه العين او لهذا الطعم
واما ان يكون محايثا له مجامعا له حالا ونحو ذلك من العبارات وان استعمل
مستعمل لفظ المماسة والملاصقة في قيام الصفة بموصوفها كان ذلك
نزاعا لفظيا واما النوع الاول فكما روي عن الحسن البصري انه قال رأيناهم
متقاربين في العافية واذا جاء البلاء تباينوا تباينا عظيما اي تفاضلوا
وتفاوتوا ويقال هذا بان عن نظرائه اي خرج عن مشابهتهم ومقاربتهم
بما امتاز به من الفضائل ويقال بين هذا وهذا بون بعيد وبين بعيد
والنوع الثاني كقول عبد الله بن المبارك لما قيل له بماذا نعرف ربنا قال بانه فوق
سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية انه ها هنا وكذلك
قال احمد بن حنبل واسحق بن راهويه والبخاري وابن خزيمة وعثمان بن سعيد
وخلق كثير من ائمة السلف ولم ينقل عن احد من السلف خلاف ذلك وحبس
هشام بن عبيد الله الرازي رجلا حتى يقول الرحمن على العرش استوى ثم اخرجه
وقد اقر بذلك فقال اتقول انه مباين قال لا قال ردوه فانه جهمي

فالمباينة

فالمباينة في كلام هؤلاء الائمة وامثالهم لم يريدوا بها عدم المماثلة فان هذا لم
ينازع فيه احد ولا الزموا الناس بان يقروا بالمباينة الخاصة فانهم قالوا بائن
من خلقه ولم يقولوا بائن من العرش وحده فجعلوا المباينة بين المخلوقات عموما
ودخل في ذلك العرش وغيره فانه من المخلوقات فعلم انهم لم يتعرضوا في هذه المباينة
لاثبات ملاصقة ولا نفيها ولكن قد يقول بعض النفاة انا اريد بالمباينة عدم
المحايثة والمداخلة فقط من غير ان ادخل في ذلك معنى الخروج وقد يوصف
المعدوم بمثل هذه المباينة فنقول ان المعدوم مباين الموجود
بهذا الاعتبار وهذا معنى رابع من معنى المباينة واذا عرف ان المباينة قد يريد
بها الناس هذا وهذا فلا ريب ان المعنى الاول ثابت باتفاق الناس فانهم
متفقون على ان الله ليس له مثل من الموجودات وان مباينته للمخلوقين في صفاتهم
اعظم من مباينة كل مخلوق لمخلوق وانه اعظم واكبر من ان يكون مماثلا لشيء
من المخلوقات او مقاربا له في صفاته لكن هذا المعنى ليس هو الذي قصده الناظم
ولا قصد ايضا المعنى الثالث لانه جعل نفي المباينة يستلزم الحلول والاتحاد
وهذا انما هو المعنى الثاني والا فالمعنى الثالث يستلزم الملاصقة والمماسة
والناظم لم يذكر ذلك وهذا المعنى الثالث يستلزم الثاني من غير عكس
فان المباينة الخاصة المقابلة للملاصقة صفة تستلزم المباينة العامة
المقابلة للمداخلة والمحايثة من غير عكس واذا عرف ان الناظم اراد هذه
المباينة العامة وهي المباينة المشهورة في اللغة وكلام الناس وكلام العلماء
فان المنازعين يقولون لا نسلم انه اذا لم يكن مباينا لزم الحلول والاتحاد
فان هذا مثل قول القائل اذا لم يكن خارجا عن العالم كان داخلا
فيه وقد علم ان المخالف له يقول لا هو داخل العالم ولا خارجه فكذلك
يقول لا مباين ولا محايث ولا مجامع ولا مفارق ويقول انما نفيت المباينة
والمحايثة جميعا والحلول والاتحاد داخلان في المحايثة فلا اسلم اذا لم يكن
مباينا للخالق ان يكون حالا او متحدا به وهذا معلوم من قول النفاة
فان النفاة يقولون ان الخالق ليس فوق العالم ولا خارجا عنه مباينا

لهم فمنهم من يقول انه حال فيه او خارج متحد به وانه في كل مكان بذاته كما يقول
ذلك طوائف من عبادهم ومتكلميهم وصوفيتهم وعامتهم ومنهم من يقول
ليس هو داخلا فيه ولا خارجا عنه ولا حالا فيه وليس في مكان من الامكنة
فهولاء ينفون عنه الوصفين المتقابلين جميعا وهذا قول طوائف من
متكلميهم ونظارهم فالاول هو الغالب على عامتهم وعبادهم واهل المعرفة والتحقيق
فيهم والثاني هو الغالب على نظارهم ومتكلميهم واهل البحث منهم والقياس منهم
وكثير منهم يجمع بين القولين ففي حال نظره وبحثه يقول بسلب الوصفين
المتقابلين كليهما فيقول لا هو داخل العالم ولا خارجه وفي حال تعبده وتألهه
يقول بانه في كل مكان ولا يخلو منه شيء حتى يصرحون بالحلول في كل موجود
من البهائم وغيرها بل بالاتحاد بكل شيء بل يقولون بالوحدة التي معناها انه
عين وجود الموجودات وسبب ذلك ان الدعا والعبادة والقصد والارادة
والتوجه يطلب موجودا بخلاف مجرد النظر والبحث والكلام فان العلم
والكلام والبحث والقياس والنظر يتعلق بالموجود والمعدوم فاذا لم يكن القلب
في عبادة وتوجه ودعاء سهل عليه النفي والسلب واعرض عن الاثبات بخلاف
ما اذا كان في حال الدعاء والعبادة فانه يطلب موجودا يقصده ويسأله ويعبده
والسلب لا يقتضي الا النفي والعدم فلا يبقى في السلب ما يكون مقصودا
معبودا فالمخالف لهذا الناظم اذا كان من النفاة للمتقابلين يقول انا اقول
لا هو مباين ولا اقول بالحلول والاتحاد ~~[illegible]~~ فاذا لم اقل بالمباينة
يلزمني القول بالحلول والاتحاد وهذا هو الذي يقول ائمة النفاة لمثل
هذا الناظم وحينئذ فيقول المثبتة القائلون بالمباينة والخروج ولمن قال
من النفاة انه في كل مكان وهو الظاهر من قولهم وقول محققيهم وعامتهم نحن
نعلم بالضرورة ان الموجود اما ان يكون مباينا لغيره واما ان يكون محايثا
ونعلم بالضرورة ان من اثبت موجودين ليس احدهما داخلا في الاخر ولا
محايثا له ولا خارجا عنه مباينا له فقد خالف ضرورة العقل وهذا العلم
مركوز في فطر جميع الناس الا من يقلد قول النفاة ونفي هذين جميعا هو
من اقوال القرامطة الباطنية الذين هم ائمة الجهمية فان جمعا مع القرامطة
وغلاة المتفلسفة يقولون لا نقول هو شيء ولا ليس بشيء كما يقولون لا نقول هو

موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا قديم ولا محدث وامثال
ذلك وهذه المقالات فسادها معلوم بالضرورة العقلية وان كان قد تواطأ
عليها جماعة كثيرة فان الجماعة الذين تقلدوا مذهبا تلقاه بعضهم عن بعض
يجوز اتفاقهم على جحد الضروريات كما يجوز الاتفاق على الكذب مع المواطاة
والاتفاق ولهذا يوجد في اهل المذاهب الباطلة كالنصارى والرافضة و[illegible]
المتفلسفة من يصر على القول الذي يعلم فساده بالضرورة وانما الممتنع ما يمتنع
على اهل التواتر وهو اتفاق الجماعة العظيمة على الكذب من غير مواطاة ولا اتفاق
فيمتنع عليهم جحد ما يعلم ثبوته بالاضطرار واهل التواتر لا يتصور منهم
الكذب فاما اذا لقنوا قولا بشبهة وحجج واعتقدوا صحته جاز ان يصروا
على اعتقاده وان كان مخالفا لضرورة العقل وان كانوا جماعة عظيمة ولهذا
يطبع الله على قلوب الكافرين فلا يعرفون قال الله تعالى ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة وقال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال تعالى
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وانما تؤخذ الضروريات من القلوب
السليمة والعقول المستقيمة التي لم تمرض بما تقلدته من العقائد وتعودته
من المقاصد والمثبتة يقولون من ذكر له قول النفاة من اجناس بني
آدم السليمة الفطرة علم بالضرورة فساده وكلما كان ازكى واحد ذهنا
كان علمه بفساده اشد بل هم يقولون ان العلم بالقضية المعينة المطلوب
اثباتها وهو علو الله على العالم معلوم بالفطرة والضرورة ويعلمون بطلان
نقيضها بالفطرة والضرورة فيعلمون ان الخالق فوق العالم ويعلمون امتناع
وجود موجودين ليس احدهما مباينا للآخر ولا مداخلا له ويعلمون انه اذا
لم يكن مباينا كان مداخلا محايثا فيلزم الحلول والاتحاد ولا ريب ان هذا
هو الذي عليه جماهير الامم من بني آدم اما من اثبت العلو والمباينة فقوله ظاهر
واما الذين لا يقرون بالعلو والمباينة فجمهورهم لا يعلمون ضد ذلك الا انه
في كل مكان ولو عرض عليهم نفي هذا وهذا لم يتصوروه ولم يعقلوه وبهذا
احتج اهل الحلول والاتحاد من محققيهم كالصدر القونوي وامثاله على نفاة
ذلك منهم فقال قد سلمتم لنا انه ليس خارج العالم ولا مباينا له وما لم يكن
كذلك لم يعقل الا ان يكون وجود الممكنات او في وجود الممكنات

اذلا يعقل الا هذا وهذا ثم هذا وامثاله يقولون هو الوجود المطلق وان فرق
بينه وبين الاشياء فرقا ما بين المطلق والمعين وهذا يشبه الفرق بين جنس
الانسان واعيان الناس وجنس الحيوان واعيان الحيوان فكيف يكون الرب
مثل الجنس او العرض العام لسائر الموجودات ومعلوم ان هذا لا يكون له
وجود متميز بنفسه مباين للمخلوقات اذ الكليات كالجنس والنوع والفصل والخاصة
والعرض العام لا يوجد في الخارج منفصلة عن الاعيان الموجودة وهذا معلوم
بالضرورة ومتفق عليه بين العقلاء وانما يحكى الخلاف في ذلك عن شيعة افلا
وطون الذين يقولون باثبات المثل الافلاطونية وهي الكليات المجردة عن
الاعيان خارج الذهن وعن شيعة فيثاغورس من اثبات العدد
المطلق خارج الذهن والمعلم الاول ارسطو واتباعه متفقون على بطلان
هولاء وهولاء فلو ظنوا ان الباري هو الوجود المطلق بهذا الاعتبار لوقعوا
فيما فروا ان هذا يستلزم مباينته لوجود المخلوقات وانفصاله عنها
مع ان عاقلا لا يقول ان الصفة تكون مبدعة للموصوف ولا ان الكليات
هي المبدعة لمعيناتها والمقصود هنا ان جماهير الخلائق من مثبتة علو الله
على خلقه ومن نفاة ذلك على اختلاف اصنافهم يقولون باثبات هذا
التقسيم والحصر وهو ان الشيء اما ان يكون مباينا لغيره واما ان يكون
محايثا مداخلا له فاذا انتفى احدهما ثبت الاخر ويقولون ان هذا معلوم
بالضرورة قال النفاة لا نسلم ان هذه القضية ضرورية بدليل انا نعقل
الانسانية المشتركة بين الاناسي وغيرها من الكليات المعقولة وغيرها
وليست داخل العالم ولا خارجه وايضا فان ارسطو واتباعه من الفلاسفة
وطائفة من اهل الكلام اثبتوا ان النفس الناطقة كذلك والعقول والنفوس
ولم يكونوا قائلين ما يعلم فساده بالضرورة وايضا فان العقل الصريح
يعلم تقسيم الشيء الى مباين ومحايث وما ليس بمباين ولا محايث وتقسيمه
الى داخل وخارج واما ليس بداخل ولا خارج وتقسيمه الى متحيز وقائم
بالمتحيز وما ليس بمتحيز ولا قائم بمتحيز ولا يعلم فساد هذا التقسيم
بالاضطرار كما يعلم ان الواحد نصف الاثنين . وايضا فهذا

الذي

الذي ذكرتموه من لزوم المباينة او المحايثة والدخول او الخروج انما يعقل
فيما هو جسم متحيز فاذا قدرنا متحيزين لزم ان يكون احدهما اما داخلا في الاخر او خارجا
منه فاذا قدرنا موجودا ليس بجسم ولا متحيز لم يمتنع ان لا يكون مباينا لغيره ولا
محايثا له ولا داخلا فيه ولا خارجا عنه بل ينتفي عنه القسمان وحينئذ فهذا
التقسيم والحصر يستلزم كون الباري جسما متحيزا وذلك باطل ولا نريد بالمتحيز
ان يكون قد احاط به حيز وجودي كما اجاب عنه الناظم بل نريد المتحيز الذي
في جهة بحيث يشار اليه بالحس انه ها هنا او هناك ولا ريب ان ما فوق العالم
فلا بد ان يشار اليه بانه هناك وهذا هو القول بالتحيز والجهة عندنا واذا
كان التقسيم مستلزما لاثبات الجهة والتحيز لم يكن هذا التقسيم صحيحا
الا يكون القول بالجهة والتحيز صحيحا والناظم لم يذكر دليلا على صحة القول
بالتحيز والجهة والجسم ثم نقول الادلة النظرية الدالة على نفي التحيز والجهة
والجسم تنفي صحة هذا التقسيم والحصر فانه اذا قدر موجود ليس بجسم
ولا متحيز ولا في جهة امكن ان يعقل انه ليس مباينا لغيره ولا محايثا له واذا كان
كذلك فكلما ينفي القول بالتجسيم يبطل هذا الاستدلال اذ القول بنفي
التجسيم مع اثبات هذا التقسيم تناقض بين واذا كان هذا القول مستلزما
للتجسيم لزمه ما يلزم القائلين بالتجسيم وقد خاطب نفاة ذلك بانهم مفتونون
وفاتنون وادعى ان من قال ذلك فانه معطل وان الكفر في قوله كامن
وهذا يستلزم تكفير من نفى التجسيم وقد علم ما في هذا القول من الوبال العظيم
قالت المثبتة نحن نجيبكم بجوابين اجمالي وتفصيلي اما الجواب الاجمالي
فانا نقول قولكم لا نسلم ان هذه القضية ضرورية منع غير مقبول فان
المقدمات الضرورية لا يجوز منعها . ولو جاز منع الضروريات لم يمكن
الاستدلال ولا اقامة حجة على منكر فان الاستدلال غايته ان يستدل
بدليل معلوم من مقدمات ضرورية فلو جاز منع الضرورية لم يمكن
الاستدلال بحال وكذلك ما ذكره من الاستدلال على انها ليست
بضرورية او ليست بصحيحة لا يقبل ايضا فان الضروريات هي الاصل
للنظريات فلو جاز القدح في الضروريات بالنظريات لكان ذلك قدحا

في الاصل فرعه وذلك يستلزم بطلان الفرع والاصل جميعا فان الفرع ان كان
فاسدا لم تجز المعارضة به وان كان صحيحا لزم ان يكون اصله صحيح
فلا يجوز ان يكون قادحا في الاصل فثبت انه على التقديرين لا يجوز معارضة
الضروريات بالنظريات **فان قيل** فهب انه لا يجوز في المقدمات الضرورية
ان تمانع ولا ان تعارض بالنظريات فاذا ادعى المستدل ان المقدمة ضرورية
فهل يكون قوله حجة على مناظره **قيل** وليس مجرد دعواه الضرورية
حجة على خصم لكن من علم ان القضية ضرورية فقد حصل له العلم بذلك وهو
لا يكابر نفسه سواء علمها غيره او لم يعلمها وسواء سلمها له او نازعه فيها فما علمه هو
ضرورة لا يمكنه ان يشك فيه واما طريق الزامه لمنازعه فانه يستشهد على ذلك
بتسليم ارباب القلوب السليمة التي لم يعارضها عقل ولا قصد يخالف فطرتها
واذا كان اهل العقول السليمة التي لا هوى لها ولا اعتقاد يخالف ذلك تقر بان هذه
القضية معلومة عندها بالضرورة علم ان الامر كذلك وان المنازع فيها قد تغيرت
فطرته التي فطر عليها لاعتقاد او هوى فان الحس كما يعرض له ما يوجب غلطه
فكذلك العقل يعرض له ما يوجب غلطه **ومما يبين** ان هذه القضية حق ان جميع
الكتب المنزلة من السماء وجميع الانبياء جاءوا بما يوافقها لا بما يخالفها وكذلك
سلف هذه الامة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يوافقون مقتضاها لا يخالفونها
ولم يخالف هذه القضية الضرورية من له في الامة لسان صدق بل اكثر اهل الكلام والفقه
والفلسفة يقولون بموجبها وانما خالفها طائفة من المتفلسفة وطائفة من متكلمة
كالمعتزلة ومن اتبعهم والذين خالفوها عقلاؤهم وعلماؤهم تناقضوا في ذلك
وادعوا الضرورة في قضايا من جنسها هي ابين منها ومن انكر منهم ذلك آل به الامر
الى جحد عامة الضروريات والحسيات فالمنكر لهذه القضية الضرورية هو بين
امرين اما ان يستلزم جحد عامة الضروريات واما ان يقر بقضايا من جنسها
ضرورية دون هذه في القوة والجلاء بيان ذلك ان الذين قالوا ان الخالق سبحانه
ليس هو جسم ولا متحيز تنازعوا بعد ذلك هل هو فوق العالم ام ليس فوق
العالم فقال طوائف كثيرة هو فوق العالم بل هو فوق العرش وهو مع هذا
ليس بجسم ولا متحيز وهذا يقوله طوائف من الكلابية والكرامية والاشعرية
وطوائف من اتباع الائمة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية

واهل

واهل الحديث والصوفية وهذا هو الذي حكاه الاشعري عن اهل الحديث والسنة
وقال طوائف منهم ليس هو فوق العالم ولا فوق العالم شيء اصلا ولا فوق
العرش شيء وهذا قول الجهمية والمعتزلة وطوائف من متاخري الاشعرية
والفلاسفة النفاة والقرامطة الباطنية وقد وافقهم على ذلك طائفة من الحنفية
والمالكية والشافعية والحنبلية ومتاخري اهل الحديث والصوفية ثم هؤلاء
الذين ينفون علوه بنفسه على العالم هم في رؤيته على قولين منهم من يقول بانه
تجوز رؤيته وذلك واقع في الاخرة **وهذا قول** كل من انتسب الى السنة والجماعة
من طوائف الكلام وغيرهم كالكلابية والكرامية والاشعرية وقول اهل الحديث
قاطبة وشيوخ الصوفية وهو المشهور عند اتباع الائمة الاربعة وغيرهم
من الفقهاء وعامة هؤلاء يثبتون الصفات كالعلم والقدرة ونحو ذلك ومنهم
طائفة ينفون الصفات مع دعواهم انهم يثبتون الرؤية كابن حزم وابي
حامد في بعض احواله **والقول الثاني** قول من ينكر الرؤية كالمعتزلة وامثالهم
من الجهمية المحضة من المتفلسفة والقرامطة وغيرهم وكذلك ينفون الصفات
ويقولون باثبات ذات بلا صفات وهل يوصف بالاحوال على قولين او يقولون
باثبات وجود مطلق بشرط الاطلاق لا يوصف بشيء من الامور الثبوتية
كما هو قول ابن سينا وامثاله مع قولهم في اصولهم المنطقية ان الشيء المطلق بشرط
الاطلاق وجوده في الاذهان لا في الاعيان ومن اتباع هؤلاء من الاتحادية
والحلولية من يقول هو الوجود المطلق لا بشرط الاطلاق والمطلق لا بشرط الاطلاق
يوجد في الخارج لكنه هو نفس المعين او كلي مقارن للمعين والصواب عندهم
هو الاول ولكن الثاني هو قول كثير من اهل المنطق مع تناقض اقوالهم في ذلك
وبنوا على هذا من الجهالات ما لا يحصيه الا الله كما قد بسط في غير هذا الموضع وعلى
هذا فاذا جعل هو الوجود المطلق لا بشرط وقيل ان المطلق جزء من
المعين فلازم له كان الوجود الواجب جزءا من الموجود ذات الممكنة واذا قيل ليس
في الخارج مطلق مغاير الاعيان الموجودة وهو الصواب اذ ليس في هذا
الانسان جواهر بعينها يوصف به فاذا قيل هو جسم حساس نام متحرك بالارادة
ناطق لم يكن الانسان المعين جواهر قائمة بانفسها غير ذلك المعين **وهذا**
معلوم بالضرورة وعلى هذا فاذا قيل الحق هو الوجود المطلق لا بشرط
كان الوجود الواجب هو عين وجود الممكنات فلا يكون هناك موجودان

هو

ذات

لا بشرط الاطلاق

احدهما واجب والآخر ممكن وهذا قول اهل الوحدة وهو تصريح بنفي واجب الوجود
المبدع للموجودات الممكنة وتصريح بان الوجود الواجب يقبل العدم والحدوث
لما نشاهده من حدوث الحوادث وعدمها وهذا مع انه كفر صريح فهو من اعظم الكفر
القبيح وكل من قال ان الرب وجود مطلق لزمه هذه الاقوال ونحوها التي تتضمن
نفي وجوده وكذلك اثبات ذات مجردة عن جميع الصفات امر يقدره الذهن
والا فوجوده في الخارج ممتنع ولفظ ذات يقتضي ذلك فان ذات هي في الاصل
تانيث ذو واصل الكلمة ذات الصفات اي المعنى ذات الصفات فلفظ الذات
معناه الصاحبة المستلزمة للصفات هذا من جهة اللفظ واما من جهة المعنى فلان
كل موجود لابد له من حقيقة يختص بها يتميز بها عما سواه وكل من الموجودات
يقال له ذات فكلها مشتركة في مسمى الذات كما هي مشتركة في مسمى الوجود فلا
بد ان يكون لكل من الذاتين ما تختص به عن الاخرى كما انه لابد لكل من الموجودين
ما يميزه عن الاخر فاذا قدر ذات مطلقة لا اختصاص له كان ذلك ممتنع
كوجود مطلق لا اختصاص له فلابد ان تختص كل ذات بما يخصها وذلك الذي
يخصها ما توصف به الخصائص فذات لا خصيصة لها توصف بها محال
والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود التنبيه على مجامع مقالات
الناس في هذا المقام وان جميع الناس يلزمهم القول بهذه القضية الضرورية التي ذكرها
اهل الاثبات وهي امتناع وجود موجودين ليس احدهما داخلا في الآخر ولا خارجا
عنه ولا مباينا له ولا محايثا له وامتناع وجود موجود لا يشار اليه ولا الى محله
ان من انكر هذه القضية لزمه احد امرين اما الاقرار بقضايا ضرورية هذه والمقصود
ابين منها واما جحد عامة القضايا الضرورية الحسية وذكرت مقالات الناس
ليتبين مناظرة بعضهم لبعض في هذا المقام فيقول المثبتون لمباينته للعالم
وعلوه عليه المنكرون لكونه جسما او متحيزا ~~[illegible]~~ ليس
بجسم ولا متحيز فاستواؤه على العرش ثابت بالسمع وعلوه ومباينته معلوم
بالعقل مع السمع واذا لم يكن متحيزا بطلت دلائل النفاة لكونه على العرش كقولهم
اما ان يكون اكبر من العرش واما ان يكون اصغر واما ان يكون مساويا للعرش
وكقولهم اذا كان كذلك كان له مقدار مخصوص فيستدعي مخصصا ونحو ذلك

فان المثبتة

فان المثبتة تقول لهم هذا انما يلزم اذا كان جسما متحيزا فاما اذا كان
فوق العرش ولم يكن جسما متحيزا لم يلزم شيء من هذه اللوازم وحينئذ
فنفاة العلو هم بين امرين ان سلموا انه على العرش مع انه ليس بجسم ولا متحيز
بطل كل دليل لهم على نفي علوه على عرشه فانهم انما بنوا ذلك على ان علوه على العرش مستلزم
لكونه جسما متحيزا واللازم منتف فينتفي الملزوم فاذا لم تثبت الملازمة لم يكن
لهم دليل على النفي ولا يبقى للنصوص الواردة في الكتاب والسنة باثبات علوه
على العالم ما يعارضها وهذا هو المطلوب فان قالوا متى قلتم هو على العرش لزم
ان يكون متحيزا او جوهرا منفردا واثبات العلو على العرش مع نفي التحيز معلوم
الفساد بالضرورة قيل لهم لا ريب ان هذا القول اقرب الى المعقول من اثبات
موجود لا داخل العالم ولا خارجه فانا اذا عرضنا على عقول العقلاء قول قائلين لهم
احدهما يقول بوجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه واخر يقول بوجود
موجود خارج العالم وليس بجسم كان القول الاول ابعد عن المعقول وكانت
الفطرة والضرورة للاول اعظم انكارا فان كان حكم هذه الفطرة والضرورة
مقبولا لزم بطلان الاول وان لم يكن مقبولا لم يجز انكارهم للقول الثاني
وعلى التقديرين لا يبقى لهم حجة على انه ليس بخارج العالم وهو المطلوب
وهذا تقرير لا حيلة لهم فيه تبين به تناقض اصولهم وانهم يقبلون
حكم الفطرة والضرورة ما هو اقوى وابين وابلغ للعقول مما يقبلونه
والمقصود هنا بيان انه مباين للعالم خارج عنه وهم انما ينفون
ذلك بانه يستلزم ان يكون متحيزا اما جسما واما جوهرا منفردا
وذلك انه ان كان ما يحاذي هذا الجانب من العرش غير ما يحاذي هذا
الجانب كان منقسما وكان جسما وان لم يكن غيره كان في الصغر بمنزلة
الجوهر الفرد وهذا لا يقوله عاقل فاذا قال لهم طوائف من المثبتة
يمكن ان يكون فوق العرش ولا يقبل اثبات هذه المحاذاة ولا نفيها
لان ذلك انما يلزم ان لو كان متحيزا فاذا لم يكن متحيزا امكن ان
يكون فوق العالم ولا يوصف باثبات ذلك ولا نفيه قالوا اثبات العلو
مع عدم المحاذاة والمماسة غير معقول او معلوم الفساد فيقال لهم.

اثبات الوجود مع عدم المباينة والمحايثة والدخول ابعد عن المعقول
وابين فسادا في العقول وكل عاقل سليم الفطرة اذا عرض عليه وجود موجود
خارج العالم غير محاذي العالم ووجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه تكون
نفرة فطرته عن الثاني اعظم وان قدر ان فطرته تقبل الثاني فقبولها للاول
اعظم وحينئذ فما يذكره النفاة من اثبات وجود موجود لا داخل العالم
ولا خارجه اما ان يكون مقبولا واما ان لا يكون فان لم يكن مقبولا بطل اصل
قولهم وان كان مقبولا فكل ما دل على ذلك كانت دلالته على امكان وجود
موجود خارج العالم ليس بمتحيز اقوى واظهر فانه اذا ثبت ان هذا ممكن
في العقل فذاك اولى بالامكان واذا كان ذلك ممكنا لم يكن ما يذكرونه
من الادلة على نفي التحيز نافيا لعلوه على العالم وارتفاعه على عرشه فلا يكون
لهم دليل على نفي ذلك وهذا هو المطلوب فاذا بطل ما ينفون به ذلك فمعلوم
ان السمعيات تدل على ذلك اما دلالة قطعية واما ظاهرة والظواهر التي
لا معارض لها لا يجوز صرفها عن ظواهرها فكيف اذا قيل ان العلو والمباينة
معلوم بالفطرة والضرورة والادلة العقلية النظرية كما هو مبسوط في موضعه

مطلب

ومما يوضح هذا ان النفاة اذا اثبتوا موجودا لا داخل
العالم ولا خارجه فانهم لا يثبتون بالضرورة لا وجوده ولا امكان وجوده بل كلاهما
يثبتونه بالنظر بخلاف المثبتة فانهم يقولون امتناع هذا معلوم بالضرورة
وقد يقولون علو الخالق معلوم ايضا بالفطرة التي فطر الناس عليها التي هي
من اقوى العلوم الضرورية فان ما فطر الناس عليه من المعارف اقوى من كونهم
مضطرين اليه من المعارف التي لا يضطرون اليها الا بعد تصور طرقها او بعد
نوع من التامل والضروري قد يفسر بما يلزم نفس المخلوق لزوما لا يمكنه
الانفكاك عنه وقد يفسر بما يحصل للعبد بدون كسبه واختياره
والمقصود ان القول بوجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه لم ينقل
احد من العقلاء انه معلوم بالضروره وكذلك سائر لوازم هذا القول مثل
كونه ليس بجسم ولا متحيز ونحو ذلك لم ينقل احد من العقلاء ان هذا النفي معلوم
بالضرورة بل غاية ما يدعى في ذلك انه من العلوم النظرية والعلوم النظرية
لا بد ان تنتهي الى مقدمات ضرورية والا لزم الدور القبلي والتسلسل

فيما لم يزل احادثا وكل من هذين معلوم الفساد بالضرورة متفق على فساده
بين العقلاء واذا كان كذلك فما من مقدمة ضرورية ينبني عليها الامكان او الاثبات
لوجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه الا وانتفاء هذه النتيجة اقوى في العقل
من تلك المقدمة والجزم بكونها ضرورية اقوى من الجزم بكون مقدمة الدليل
المعارض ضرورية يوضح ذلك ان المعارض غايته ان يقول لو كان خارج العالم
لكان جسما او لكان متحيزا وذلك منتف فلا يكون خارج العالم والدليل
الذي ينفون ذلك به مقدمات فيها من الخفا والاشتباه ما لا يخفى على من
نظر في ذلك ولسبب ما فيها من الخفا والاشتباه احسن الظن بها كثير
من الناس وحسن ظنهم بها مستند الى تقليد من قالها لا الى جزم
عقولهم بها فهم ينهون العامة عن تقليد الرسل فيما اخبرت به من صفات
الله لزعمهم ان العقل عارضها مع الجزم بان الرسل لا تقول الا حقا وهم
يقلدون رؤسهم في معارضة ذلك بمقدمات يزعمونها عقليات واتباعهم
لم تجزم بها عقولهم لكنهم يقلدون رؤسهم فيها وهذا تجدهم اذا حقق الامر
فيها ونوزعوا فيها وبين لهم مستند المنع فيها لجاوا الى الجهل الصريح فاما ان
يحيلوا بالجواب على من مات او غاب وهو عندهم التحقيق او على منهم
في الارتياب والاضطراب واما ان يخرجوا عما يجب في المناظرة والجدال
الى حال اهل الظلم وسفهاء الرجال واما ان يتوهموا ان هذا كفر يخالف الدين
وهم في قولهم قد خالفوا الكتاب والرسول واتبعوا غير سبيل المؤمنين
وقالوا ما لم ينقله احد من الصحابة والتابعين ولا غيرهم من ائمة المسلمين
ومما يوضح الامر في ذلك ان النفاة ليس لهم دليل واحد اتفقوا على
مقدماته بل كل طائفة تقدح في دليل الاخرى فالفلاسفة تقدح في دليل
المعتزلة على نفي الصفات بل على التجسيم والتحيز ونحو ذلك لان دليل المعتزلة
مبني على ان القديم لا يكون حاملا للصفات والحركات فلا يكون جسما
ولا متحيزا لان الصفات اعراض وهم يستدلون على حدوث الجسم بحدوث
الاعراض والحركات وان الجسم لا يخلو منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث
بل الاشعري نفسه في رسالته الى الثغر ابطل هذا الدليل الذي استدلوا به على

مطلب مهم



هو دليل
حدوث العالم وهو الاستدلال على حدوث الاجسام بحدوث اعراضها
محرم في شرائع الانبياء لم يستدل به احد من الرسل واتباعهم **وذكر في مصنف**
له اخر بيان عجز المعتزلة عن اقامة الدليل على نفي انه جسم وابو حامد الغزالي وغيره
من ائمة النظر بينوا فساد طرق الفلاسفة التي نفوا بها الصفات وبينوا عجزهم عن
اقامة الدليل على نفي انه جسم بل وعجزهم عن اقامة دليل على التوحيد وانه لا يمكن
نفي الجسم الا بالطريق الاول الذي هو طريق المعتزلة الذي ذكر الاشعري فيه ما ذكر
فاذا كان كل من اذكيا النظار وفضلائهم يقدح في مقدمات دليل الفريق الاخر الذي
يزعم انه يبني عليه النفي كان في هذا دليل على ان تلك المقدمات ليست ضرورية
اذ الضروريات لا يمكن القدح فيها **وان قيل** ان هولاء قدحوا في هذه المقدمات
الضرورية **قيل** فاذا جوزتم على ائمة النفاة ان يقدحوا في الباطل في المقدمات
الضرورية التي يستدل بها اهل الاثبات اولى واحرى **وقد بسط** في غير
هذا الموضع الكلام على ادلة النفاة ومقدمات تلك الادلة على وجه التفصيل
بحيث يتبين لكل ذي عقل خروج اصحابها عن سواء السبيل وانهم قوم سفسطوا
في العقليات وقرمطوا في السمعيات ليس معهم على نفيهم لا عقل ولا سمع ولا راي
سديد ولا شرع بل معهم شبهات يظنها من لم يتاملها بينات كسراب بقيعة
يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه
والله سريع الحساب ولهذا يغلب عليهم الحيرة والارتياب والشك والاضطراب
وقد صارت تلك الشبهات عندهم مقدمات مسلمة يظنونها عقليات او برهانيات
واغا هي مشتبهات لما فيها من الاشتباه والاشتراك فلا تجد لهم مقدمة الا وفيها
الفاظ مشتبهة فيها من الاجمال والالتباس ما يضل بها من يضل من الناس
فكيف تكون النتيجة المثبتة بمثل هذه المقدمات دافعة لتلك القضايا الضروريات
وهذا الذي قد نبه عليه في هذا المقام كلما امعن الناظر فيه وفيما تكلم اهل
النفي فيه ازداد بصيرة ومعرفة بما فيه فانه لا يتصور ان يبني النفي على مقدمات
ضرورية تساوي في جزم العقل بها مقدمات اهل الاثبات الجازمة
بفساد نتيجة قول اهل النفاة واذا كان العقل جازما بفساد نتيجتهم وهو
قولهم انه موجود لا داخل العالم ولا خارجه جزما لا يساويه فيه جزم

العقل

والنظر

ملتبسات

العقل بالمقدمات التي يبني عليها هذه النتيجة النافية امتنع ان يزول ذلك الجزم
العقلي الضروري بنتيجة مقدمات ليست مثله في الجزم وهذا الكلام قبل النظر
في تلك المقدمات المعارضة لهذا الجزم هل هي صحيحة ام فاسدة **وانما المقصود**
هنا انه لا يصلح للناظر ولا يقبل من المناظر ان يعارض هذا الجزم المستقر في الفطرة
بما يزعمه من الادلة النظرية وهذا المقام كاف في دفعه وان لم يحل شبهاته كما
يكفي في دفع السفسطة ان يقال انما ينفيه قضايا ضرورية فلا يقبل نفيها
بما يذكره من الشبهة النظرية **اما الجواب الثاني** التفصيلي فهو بيان فساد
حجج النفاة على امكان ما ادعوه قالت المثبتة ما ذكرتموه من الحجج على اثبات
موجود لا داخل العالم ولا خارجه حجج سوفسطائية اما الانسانية المشتركة
بين الاناسي ونحوها من الكليات فجوابه لا يقال انها موجودة خارج الذهن
لا داخل العالم ولا خارجه فانها امور ثابتة في الذهن **واذا قيل** انها
موجودة في الخارج فلا بد ان تكون عينا قائمة بنفسها او صفة قائمة
بالعين ولا ريب انها لا توجد في الخارج كلية مطلقة بشرط الاطلاق وانما
توجد في الخارج معينة مشخصة فقول القائل ان التفتيش يخرج من
المحسوس ما هو معقول ان اراد به انه معقول ثابت في العقل فما هو
ثابت في العقل ليس هو الموجود في الخارج بعينه وان اراد في المحسوس
الموجود في الخارج امرا معقولا ليس هو في الذهن فهذا باطل فليس في الانسان
المعين الا ما هو معين وهو هذا الانسان المعين بدنه وروحه وصفاته.
ذلك هذا كله امر معين [illegible] مشخص ليس هو كليا ولا مطلقا وما ذكر
من اثبات المشائين عقولا ونفوسا لا داخل العالم ولا خارجه ليس
بحجة بل هم مخصوصون بهذه الحجة وغيرها كما يخصم بها نظراؤهم لا سيما
وقولهم في ذلك ابين فسادا وادحض حجة من قول نفاة الصفات والعلو
فكيف يستدل على القول بما هو اضعف منه وابعد عن الحجة وقد علم ان
عامة العقلاء من اهل الملل وغيرهم يردون هذا عليه واما قولهم انهم
انهم لم يكونوا بذلك قائلين ما يعلم فساده بالضرورة فليس الامر كذلك
بل المثبتة الذين يقولون ان الموجودين لا بد ان يكونا متباينين

او متحايثين يقولون ان ما ادعاه هؤلاء مما خالف هذا معلوم الفساد
بالضرورة بل ائمة اهل الكلام النافون للعالم يدعون الامر الضروري بان الممكن
اما جسم واما قائم بجسم وانما اثبته هؤلاء المتفلسفة من موجودات ممكنة ليست
اجساما ولا اعراضا قائمة بالاجسام كالعقل والنفس والهيولا والصورة
التي يدعون انها جواهر عقلية موجودة خارج الذهن ليست اجساما ولا
اعراضا لاجسام فان ائمة النظر يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة
كما ذكر ذلك ابو المعالي الجويني وامثاله من ائمة النظر والكلام ومن لم يهتد
لهذا كالشهرستاني والرازي والآمدي ونحوهم فهم ناظروا الفلاسفة مناظرة
ضعيفة ولم يثبتوا فساد اصولهم كما بين ذلك ائمة النظر الذين هم اجل منهم
وسلم هؤلاء للفلاسفة مقدمات باطلة استزلوهم بها عن اشياء من الحق
بخلاف ائمة النظر كالقاضي ابي يعلى وابي المعالي الجويني وابي حامد الغزالي
وابي الحسن البصري وابي عبد الله محمد بن الهيصم الكرامي وابي الوفا علي بن عقيل
ومن قبل هؤلاء مثل ابي علي الجبائي وابنه ابي هاشم وابي الحسن الاشعري والحسن
بن يحيى النوبختي ومن قبل هؤلاء كابي عبد الله محمد بن كرام وابن كلاب وجعفر
بن مبشر وجعفر بن حرب وابي اسحق النظام وابي الهذيل العلاف وعمرو بن
بحر الجاحظ وهشام الجواليقي وهشام بن الحكم وحسين بن محمد النجار
وضرار بن عمرو الكوفي وابي عيسى محمد بن عيسى برغوث وحفص الفرد وغير هؤلاء ممن
لا يحصيهم الا الله من ائمة اهل النظر والكلام وغير هؤلاء فان مناظرة هؤلاء
للمتفلسفة خير من مناظرة اولئك وغيرهم لا يسلمون للفلاسفة امكان وجود
ممكن لا هو جسم ولا هو قائم بجسم بل قد صرح ائمتهم بان بطلان هذا القسم
الثالث معلوم بالضرورة بل قد تبين ابو محمد بن كلاب امام الصفاتية
كابي العباس القلانسي وابي الحسن الاشعري وابي عبد الله بن مجاهد وغيرهم
من انحصار الموجودات في المباين والمحايث وان قول من اثبت موجودا
غير مباين ولا محايث معلوم الفساد بالضرورة مثل ما بين اولئك انحصار
الممكنات في الاجسام واعراضها وطوائف من النظار قالوا اما ثم موجود
الا جسم او قائم بجسم اذا فسر الجسم بالمعنى الاصطلاحي لا اللغوي كما هو
مستقر في فطر العامة وهذا قول كثير من الفلاسفة او اكثرهم وكذلك
ايضا الائمة الكبار كالامام احمد في رده على الجهمية وعبد العزيز المكي

في رده على الجهمية وغيرهما بينوا ان ما ادعاه النفاة من اثبات قسم ثالث ليس
بمباين ولا محايث معلوم الفساد بصريح العقل وان هذا من القضايا البينة
التي يعلمها العقلاء بعقولهم واثبات لفظ الجسم ونفيه بدعة لم يتكلم بها احد
من السلف والائمة كما لم يثبتوا لفظ التحيز ولا نفوه ولا لفظ الجهة ولا نفوه
ولكن اثبتوا الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة ونفوا مماثلة المخلوقات
ومن نظر في كلام الناس في هذا الباب وجد عامة المشهورين بالعقل والعلم
يصرحون بان اثبات وجود موجود لا محايث للآخر ولا مباين ونحو ذلك
معلوم بصريح العقل عن ضرورة واما الحجة الثالثة فقولهم ان العقل يقسم
المعلوم الى مباين ومحايث والى ما ليس بمباين ولا محايث ونظائره
فيقال له هذا كتقسيم المعلوم الى واجب وممكن وما ليس بواجب ولا ممكن
والى قديم ومحدث وما ليس بقديم ولا محدث والى قائم بنفسه وقائم بغيره
وما ليس بقائم بنفسه ولا بغيره وامثال ذلك من تقديرات الذهن ومعلوم
ان مثل ذلك لا يدل على امكان مثل ذلك في الخارج فليس كلما فرضه الذهن
من الاقسام والتقديرات في الاذهان يكون موجودا وممكنا في الاعيان
بل الذهن يقسم ما يخطر له الى واجب وممتنع وممكن والى موجود ومعدوم
فالذهن يقدر كلما يخطر بالبال ومعلوم ان في الممتنعات ما لا يجوز وجوده
خارج الذهن واما قوله ان التقسيم الى مباين ومحايث لا يعلم فساده كما يعلم
ان الواحد نصف الاثنين فنقول ان القضايا الضرورية ليس من شرطها ان تكون
مفرداتها بينة ابتداء لكل احد بل شرطها ان تكون مفرداتها اذا تصورت جزم
العقل بها وتصور الواحد والاثنين بين لكل احد فلهذا كان التصديق
التابع له ابين من غيره ولهذا لم يكن هذا في العقل كبيان ان خمسة وخمسين
وسبعا وثمنا نصف مائة وعشرة ونصف وربع وكلاهما ضروري ونظائر هذا
كثيرة ومعنى المباين والمحايث ليس بينا ابتداء اذ اللفظ فيه اجمال كما تقدم
ولكن اذا بين معناه لاهل العقل جزموا بانتفاء قسم ثالث كما ان معنى
القديم والمحدث والواجب والممكن والجوهر والعرض ونحو ذلك لما لم يكن
بينا بنفسه لعامة العقلاء لم يجزموا بانحصار الموجود في هذين القسمين
فاذا بين لهم ذلك المعنى جزموا بذلك فاذا قيل للعقلاء يعقل موجودا

الفساد

بانفسهما لا يكون هذا خارجا عن الآخر مباينا له ولا داخلا فيه ولا معه ولا قريبا ولا بعيدا عنه ولا فوقه ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا امامه ولا وراءه ولا يتصور ان يسير احدهما الى الآخر ولا يذهب اليه ولا يقرب منه ولا يبعد عنه ولا يتحرك اليه ولا عنه ولا يقبل اليه ولا يعرض عنه ولا يحتجب عنه ولا يتجلى له ولا ينظر بعينه ولا يستتر عنه وامثال هذه المعاني التي يقولها النفاة علم العقلاء بالاضطرار امتناع وجود مثل هذين **واما قول المعارض** ان هذا انما يعقل فيما هو جسم متحيز فاذا قدر ما ليس بجسم ولا متحيز خلا عن هذين القسمين ولم تنحصر القسمة حينئذ في احدهما فيقال اولا لفظ الجسم والحيز والجهة الفاظ فيها اجمال وابهام وهي الفاظ اصطلاحية وقد يراد بها معان متنوعة ولم يرد الكتاب والسنة في هذه الالفاظ لا بنفي ولا اثبات ولا جاء عن احد من سلف الامة وائمتها فيها نفي ولا اثبات اصلا والمعارضة بها ليست معارضة بدلالة شرعية لا من كتاب ولا سنة ولا اجماع بل ولا اثر عن صاحب ولا تابع ولا امام من المسلمين بل الائمة الكبار انكروا على المتكلمين بها وجعلوهم من اهل الكلام الباطل المبتدع وقالوا فيهم اقوالا غليظة معروفة عن الائمة كقول الشافعي رحمة الله عليه حكمي في اهل الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واقبل على الكلام **وبالجملة** فمعلوم ان الالفاظ نوعان لفظ ورد في الكتاب والسنة والاجماع فهذا اللفظ يجب القول بموجبه سواء فهمنا معناه او لم نفهمه لان الرسول لا يقول الا حقا والامة لا تجتمع على ضلالة **والثاني** لفظ لم يرد به دليل شرعي كهذه الالفاظ التي تنازع فيها اهل الكلام والفلسفة هذا يقول هو متحيز وهذا يقول ليس بمتحيز وهذا يقول هو في جهة وهذا يقول ليس في جهة وهذا يقول هو جسم او جوهر وهذا يقول ليس بجسم ولا جوهر فهذه الالفاظ ليس على احد ان يقول فيها بنفي ولا اثبات حتى يستفسر المتكلم بذلك فان بين انه اثبت حقا اثبته وان اثبت باطلا رده وان نفى باطلا نفاه وان نفى حقا لم ينفه وكثير من هؤلاء يجمعون في هذه الاسماء بين الحق والباطل في النفي والاثبات فمن قال انه في جهة واراد بذلك انه داخل محصور في شيء من المخلوقات كائنا من كان

بلغ

لم يسلم له هذا الاثبات وهذا قول الحلولية وان قال انه مباين للمخلوقات فوق العالم لم ينازع في هذا الاثبات بل هذا ضد قول الحلولية ومن قال ليس في جهة واراد انه ليس داخلا في شيء من المخلوقات سلم له هذا النفي وان اراد انه ليس مباينا للعالم ولا فوقه لم يسلم له هذا النفي وكذلك لفظ التحيز يراد به ما احاط به شيء موجود كقوله تعالى او متحيزا الى فئة ويراد به ما انحاز عن غيره وباينه فمن قال ان الله تعالى متحيز بالمعنى الاول لم يسلم له ومن اراد انه مباين للمخلوقات سلم له المعنى وان لم يطلق اللفظ اذا تبين هذا **واذا قال القائل** هذا التقسيم معلوم بالاضطرار فقيل له هذا انما يعقل في متحيز او ذي جهة لم يكن هذا قادحا فيما علم بالاضطرار بل يقول اما ان يكون هذا لازما واما ان لا يكون فان لم يكن لازما بطل السؤال وان كان لازما فلازم الضروري احق فان القضايا الضرورية اذا كانت مستلزمة لامور دل ذلك على صحة تلك اللوازم ولم يمكن الاستدلال على بطلانها بنفي تلك اللوازم لان نفيها نظري والنظري لا يقدح في الضروري **وقوله** اذا قدر موجود ليس بمتحيز ولا في جهة لم يصح فيه هذا التقسيم فيقال له ثبوته على هذا التقدير لا يقتضي ثبوته في نفس الامر الا ان يكون التقدير ثابتا في نفس الامر وهذا التقسيم ينفي ثبوت هذا التقدير في نفس الامر واذا كان التقسيم معلوما بالاضطرار كان من لوازم ذلك انتفاء هذا التقدير فلا يقبل اثبات هذا التقدير بالنظر لان ذلك يتضمن القدح في الضروري بالنظري واذا لم يكن الى اثبات هذا التقدير سبيل لم يتضمن فساد التقسيم بتقدير ثبوته لان ذلك تقدير ثبوت ما لم يثبت ولا يمكن اثباته وايضا فلو قدر ان اثبات هذا التقدير ممكن كان هذا من باب المعارضة لا من باب منع شيء من المقدمات والمعارضة تحتاج الى اقامة الدليل ابتداء وسوف نتكلم على ذلك **ولو قال المعترض** انا امنع صحة التقسيم واجعل هذا سند منعي لم يصح لانه يقال المنع اما ان يكون في مقدمة لم يدل عليها والمستدل قد بين صحة التقسيم بالضرورة فلا يصح منعه لكن اذا ثبت امكان وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه كان هذا استدلالا على نقيض قول المنازع وحينئذ يكون غاصبا لمنصب الاستدلال فان الغصب هو منع المقدمة باثبات نقيض المطلوب وحقيقته انه يقول لو صح دليل المستدل لفسد مذهبي

المنازع

ومذهبي لم يفسد الكتب وكيف فهذا غصب لمنصب الاستدلال فلا يقبل وهكذا
هكذا اذا منع التقسيم باثبات هذا التقدير فهذا التقدير هو مذهبه اذ يدعي
وجود موجود لا يقبل هذا التقسيم وهذا محل النزاع فاذا استدل على امكانه كان
غاصبا فلا يقبل منه فتبين ان الدلالة تامة فصار هذا الاعتراض بمنزلة ان
يقال اذا قدر موجود ليس بقديم ولا محدث لم يصح تقسيم الموجود الى محدث وقديم
واذا قدر موجود ليس بواجب ولا ممكن ولا قائم بنفسه وقائم بغيره لم يصح
تقسيم الوجود الى الواجب والممكن والقائم بنفسه والقائم بغيره ومعلوم
ان التقسيم المعلوم بالاضطرار لا يفسد بتقدير نقيضه وما يستلزم نقيضه
وانما يفسد التقسيم بثبوت ما يناقضه فان كان المناقض لا يعلم الا بالنظر
لم يصح ان يكون مناقضا فعلم ان هذا من باب معارضة الضروري بالنظري
فلا يكون مقبولا ولا يكون حقا ثم للناس في هذا المقام اربعة اجوبة قول
من يقول هذا التقسيم معقول مطلقا وهذا التقدير لا اتكلم في ثبوته ولا نفيه
لان ذلك يقدح في الضروريات بالنظريات وذلك غير مقبول بمنزلة حجج السوفسطائية
فان ما علمناه بالاضطرار وقدح فيه بعض الناس بالنظر والجدل لم يكن علينا
ان نجيب عن المعارض جوابا مفصلا يبين حله بل يكفينا ان نعلم انه فاسد
لانه عارض الضروري وما عارضه فهو فاسد وهذا جواب خلق من اهل الحديث
والفقه والكلام وغيرهم عن مثل هذا وهؤلاء يقول احدهم لا اقول انه متحيز
ولا غير متحيز ولا في جهة ولا في غير جهة بل اعلم انه مباين للعالم وانه يمتنع ان
يكون لا مباينا ولا مداخلا وهذا كما قال القرمطي الباطني لا اقول هو موجود
ولا غير موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز لان ذلك من صفات الاجسام
فان الجسم ينقسم الى حي وميت وعالم وجاهل وقادر وعاجز وموجود
ومعدوم فاذا قدرنا ما ليس بجسم ولم يكن عالما ولا جاهلا ولا قادرا ولا
عاجزا ولا حيا ولا ميتا كان كلام القرمطي هذا بمنزلة هؤلاء الجهمية انه لا
داخل العالم ولا خارجه وقولهم والقرامطة من جنس واحد كما نقل عن الفرقة
اصحاب المقالات وقالوا انه لا يقال شيء ولا ليس بشيء فمن نفى عنه هذه المتقابلة
التي لا يخلو الموجود من احدهما لم يمكنه قطع القرامطة ولهذا كانت مناظرة
هؤلاء للقرامطة ضعيفة كما هو مبسوط في موضعه الجواب الثاني قول من يقول
بل اقول انه ليس في جهة ولا متحيز واقول مع ذلك انه مباين للعالم وهذا بمتحيز صح
قول

قول من يقول انه فوق العالم وليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز كما يقول ذلك من
يقوله من الكلابية والاشعرية والكرامية ومن وافقهم من الفقهاء من اتباع الائمة
الاربعة واهل الحديث والصوفية واذا قيل لهؤلاء اثبات مباين ليس بمتحيز مخالف
لضرورة العقل قالوا اثبات موجود لا محايث ولا مباين اظهر فسادا في ضرورة
العقل من هذا فان كان قضاء العقل مقبولا كان قولكم فاسدا وحينئذ حصل
المطلوب من كونه مباينا للعالم وان كان قضاء العقل مردودا بطلت حجتكم على
ابطال قولنا انه فوق العالم مباين له وليس بجسم ولا جوهر واذا لم يكن ثم حجة
على بطلان كونه فوق العالم لم يجز نفي ذلك وحينئذ فالسمعيات قد دلت
على ذلك مع الفطرة فيلزم على هذا التقدير ان يكون مباينا للعالم فهذا تحقيق
جيد قد تقدم التنبيه عليه ايضا فان هؤلاء النفاة يجعلون العقل حجة لهم ولا يجعلونه
حجة عليهم ويحتجون على خصومهم بقضايا ضرورية ولا يخالفونهم في القضايا
الضرورية ما هو ابين منها وكل ما يطعنون به حجة في مخالفتهم مثل قولهم
هنا من قضايا الوهم والخيال لا من قضايا العقل فيطعن به في حجتهم هذه
فيقال تقسيمكم لوجود موجود مباين ليس بجسم ولا متحيز هو من قضايا
الوهم والخيال لا من قضايا العقل فليتدبر العاقل هذا المقام الجواب
الثالث قول من يلتزم انه متحيز او في جهة او انه جسم ويقول لا ادلة على
نفي شيء من ذلك وادلة النفاة لذلك ادلة فاسدة وانهم متفقون على ان نفي
ذلك ليس معلوما بالضرورة وانما يدعون النظر ونفاة ذلك لم يتفقوا على دليل
كل منهم صح واحد بل كل منهم يطعن في دليل الاخر فالفلاسفة الذين ينفون ذلك بناء على
نفي الصفات يطعنون النفاة من اهل الكلام مع غيرهم من العقلاء واهل الاثبات
في ادلتهم وهو الدليل المبني على حدوث ما قامت به الاعراض والافعال
والكلام على اقوال اهل الاثبات المبتدعة لفساد ادلة النفاة وما في هذا
الموضع من الاقوال المشتبهة والكلام الدقيق والبحوث العقلية مبسوط
مطلب * مذكور في غير هذا الموضع الجواب الرابع جواب اهل الاستفصال وهم الذين
يقولون لفظ التحيز والجهة والجسم والجوهر ونحو ذلك الفاظ مجملة ليس لها اصل
الجواب الرابع من كتاب الله ولا من سنة رسوله ولا قالها احد من سلف الامة وائمتها
في حق الله تعالى لا نفيا ولا اثباتا وحينئذ فاطلاق القول بنفيها
واثباتها ليس من مذهب اهل السنة والجماعة بلا ريب ولا عليه دليل

شرعي بل الاطلاق من الطرفين مما ابتدعه اهل الكلام الخائضين في ذلك فاذا تكلمنا
معهم بالبحث العقلي استفصلناهم عما ارادوا بمجمل الالفاظ فان قال المثبت المراد به
متحيز او جسما وفي جهة انه في جوف المخلوقات او ان المخلوقات تحوزه او انه
مماثلها او يجوز عليه ما يجوز عليها ونحو ذلك فهذا باطل ومباينته للعالم لا
تقتضي ان يكون على هذا التقدير متحيزا ولا في جهة ولا جسما وان قال النافي لذلك
ان ما كان فوق العالم فهو في جهة وهو متحيز وهو جسم وذلك محال قيل له
نفي انه مباين للعالم باطل وملزوم الباطل باطل فاذا كان نفي مسميات هذه
الالفاظ ملزوما لنفي المباينة كان نفيها باطلا والادلة المذكورة على نفي مسماها
بهذا الاعتبار باطلة ونقول للمثبت نفي مباينته للعالم وعلوه على خلقه باطل
بل هذه الامور مستلزمة لتكذيب الرسول فيما اثبته لربه واخبر به عنه وهو كفر
ايضا لكن ليس كل من تكلم بالكفر يكفر حتى تقوم عليه الحجة المثبتة لكفره واذا قامت
الحجة كفر حينئذ بل نفي هذه الامور مستلزم لتكفير الرسول فيما اثبته لربه واخبر به
عنه بل نفي للصانع وتعطيل له في الحقيقة وان كان نفي هذه الاشياء مستلزما
للكفر بهذا الاعتبار وقد نفاها طوائف كثيرة من اهل الايمان فلازم المذهب ليس
بمذهب الا ان يلتزمه صاحب المذهب فخلق كثير من الناس ينفون الالفاظ او
يثبتونها بل ينفون معاني او يثبتونها ويكون ذلك مستلزما لامور هي كفر وهم لا
يعلمون باللازم بل يتناقضون وما اكثر تناقض الناس لا سيما في هذا الباب وليس
التناقض كفرا بما اخرجه ان من قال ذلك هو مفتون وفاتن فهذا حق لانه فتن غيره
بقوله وفتنة غيره وليس كل من فتن يكون كافرا وادعيت ان من قال ذلك كان
قوله مستلزما للتعطيل فيكون الكفر كامنا فيه اكمن من في الشيء لا يجب ان يكون ظا
فيه ولو كان الكفر ظاهرا في قوله للزم تكفير القائل اما اذا كان كامنا وهو خفي
لم يكفر به من لم يعلم حقيقة ما تضمنه من الكفر وان كان متضمنا للكفر ومستلزما
له واما لفظ التجسيم فهذا لفظ مجمل لا اصل له في الشرع فنفيه واثباته يفتقر الى
تفصيل ودليل كما تقدم واما ان قال المثبت لذلك المراد به انه فوق العالم ومباين له
قيل له هذا المعنى صحيح وان قال النافي لذلك المراد انه لا تحوزه المخلوقات ولا
مماثلها قيل له هذا المعنى صحيح ولا منافاة بين قوليكما فانه فوق العالم مباين له والمخلوقات
لا تحصره ولا تحوزه ولا يفتقر الى العرش ولا غيره مع انه عال عليها مباين لها.

وليس

وليس مماثلا لها ولا يجوز عليه ما يجوز عليها فهذه المعاني صحيحة من النافي والمثبت
مقبوله وتلك المعاني منهما مردودة والحمد لله رب العالمين وهذا الذي يجيب به اهل
الاثبات للدهرية من انه سبحانه تقوم به الافعال التي يشاؤها ويقدر عليها وبذلك
يخلق المخلوقات المنفصلة عنه وطابق لما جاءت به الاثار المأثورة عن الرسل صلوات
الله عليهم فان الله اخبر انه خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
قبل استوائه على العرش استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فهذا ونحوه مما جاء في مبدء الخلق واما
في الاعادة فقد قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد ثبت في الصحيح
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقبض الله الارض ويطوي السماء
بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي الصحيحين عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر هذه الاية ثم قال يطوي الله السموات بيمينه ويقبض
الارض بيده اليسرى ثم يقول انا الملك انا القدوس انا السلام انا المؤمن انا
المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر انا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئا انا الذي
اعدتها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض بيديه ويبسطهما والمنبر يتحرك
من اسفله حتى اني لاقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
انه قال ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن في يد الرحمن الا كخردلة
في كف احدكم وروي انه قال يرمي بها كما يرمي الصبي بالكرة فهذا يبين ان
الافلاك لا نسبة لها الى قدرة الله مع كونه سبحانه يطوي السماء ويقبض الارض
وفي الصحيحين عن ابن مسعود ان رجلا من اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ان الله اذا كان يوم القيمة فانه يمسك السماء على اصبع والارض على اصبع
والشجر والثرى على اصبع والجبال على اصبع والخلائق على اصبع قال فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا لقول الحبر ثم قرا قوله تعالى وما
قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة الاية فهذا يبين من
عظمة الرب تبارك وتعالى ما يدفع به شبهة المتفلسفة

فصل وهذا
التقسيم الذي ذكره السائل هو معروف في كلام السلف والائمة يحتجون به على
الجهمية النفاة لمباينته لخلقه وعلوه على عرشه قال الامام احمد في
كتابه الذي كتبه في الرد على الجهمية والزنادقة بيان ما انكرت

الجهمية الضلال ان يكون الله على العرش وقد قال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش فهو على العرش وعلمه
وفي السموات وفي الارض وفي كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان
وتلوا آيات من القرآن وهو الله في السموات وفي الارض قلنا قد علم المسلمون اماكن
كثيرة ليس فيها من عظم الرب شيء فقالوا اي شيء فقلنا اجسامكم واجوافكم واجواف
الخنازير والحشوش والاماكن القذرة ليس فيها من عظم الرب شيء وقد اخبرنا
انه في السماء فقال تعالى ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض وقال جل ثناؤه
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى اني متوفيك ورافعك الي
وقد قال تعالى بل رفعه الله اليه وقال تعالى وله من في السموات ومن في الارض ومن عنده لا
يستكبرون عن عبادته الاية وقال تعالى ذي المعارج وقال تعالى وهو القاهر فوق عباده وقال تعالى
وهو العلي العظيم قال فهذا خبر الله انه في السماء ووجدنا كل شيء من اسفل مذموما يقول جل ثناؤه
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال تعالى وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا
من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين وقلنا لهم اليس تعلمون
ان ابليس كان مكانه مكان والشياطين مكانهم مكان فلم يكن الله ليجتمع هو وابليس في
مكان واحد ولكن معنى قوله عز وجل وهو الله في السموات وفي الارض يقول هو
اله من في السموات واله من في الارض وهو على العرش وقد احاط علمه بما دون
العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان وذلك
قوله تعالى لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما قال
ومن الاعتبار في ذلك لو ان رجلا كان في يده قدح من قوارير صاف وفيه شيء
صاف لكان نظر ابن آدم قد احاط بالقدح من غير ان يكون ابن آدم في القدح
والله وله المثل الاعلى قد احاط بجميع خلقه من غير ان يكون في شيء من خلقه وخصلة
اخرى لو ان رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ثم اغلق بابها وخرج منها كان ابن
ادم لا يخفى عليه كم بيت في داره وكم سعة كل بيت من غير ان يكون صاحب
الدار في جوف الدار والله عز وجل وله المثل الاعلى قد احاط بجميع ما خلق وعلم
كيف هو وما هو من غير ان يكون في شيء مما خلق ومما تاول الجهمية من قول الله
عز وجل ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الاية
فعنى الخبر بعلمه ويقال للجهمي اذا قال ان الله معنا بعظمة نفسه قيل له
هل يغفر الله لكم فيما بينكم وبين خلقه فان قال نعم فقد زعم ان الله مباين

خلقه

خلقه وان خلقه دونه وان قال لا كفر قال واذا اردت ان تعلم ان الجهمي
كاذب على الله حين زعم انه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان فقل له اليس الله
كان ولا شيء فيقول نعم فقل له حين خلق الشيء خلقه في نفسه او خارجا من نفسه
فانه يصير الى ثلاثة اقاويل واحدة منها ان زعم ان الله خلق الخلق في نفسه
فقد كفر حين زعم انه خلق الشياطين والجن في نفسه وان قال خلقهم خارجا
من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا ايضا كفرا حين زعم انه دخل في مكان وحش
قذر رديء وان قال خلقهم خارجا عن نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله
اجمع وهو قول اهل السنة وقد بين الامام احمد ما هو معلوم بالعقل الصريح
والفطرة البديهية من انه لا بد ان يكون خلق الخلق داخلا في نفسه او خارجا
منه واذا كان خارجا عن نفسه فاما ان يكون حل فيه بعد ذلك او لم يزل مباينا
فذكر الاقسام الثلاثة وقال ايضا في اثناء كلامه فلما ظهرت الحجة على
الجهمي بما ادعى على الله انه مع خلقه في كل شيء من غير ان يكون مماسا للشيء
ولا مباينا له فقلنا اذا كان غير مباين اليس هو مماسا قال لا قلنا فكيف يكون
في شيء غير مماس له ولا مباين فلم يحسن الجواب فقال بلا كيف فيخدع الجهال
بهذه الكلمة ويموه عليهم وكذلك قال عبد العزيز المكي صاحب
الحيدة المشهورة في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية قال باب
قول الجهمي في قول الله عز وجل الرحمن على العرش استوى انما المعنى استولى كقول
العرب استوى فلان على مصر استوى فلان على الشام يريد استولى عليها
باب البيان لذلك يقال له ايكون خلق من خلق الله اتت عليه مدة
ليس الله بمستول عليه فاذا قال لا قيل له فمن زعم ذلك فمن قال له معنى
زعم ذلك فهو كافر فيقال له يلزمك ان تقول ان العرش قد اتت عليه
مدة ليس الله بمستول عليه وذلك ان الله اخبر انه خلق العرش قبل خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بعد خلقه السموات
والارض قال الله عز وجل الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا وقوله الذين يحملون العرش
ومن حوله يسبحون بحمد ربهم وقوله ثم استوى الى السماء فسواهن سبع
سموات وقوله ثم استوى الى السماء وهي دخان فاخبر انه استوى على
العرش فيلزمك ان تقول المدة التي كان العرش فيها قبل خلق

لعله قال من زعم ذلك فهو كافر

السموات والارض ليس لله بمستولٍ عليه اذ كان استوى على العرش معناه
عندك استولى فانما استولى بزعمك في ذلك لا قبله وقد روي عن عمران بن
حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا
فاعطنا قال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن قالوا قبلنا فاخبرنا عن اول هذا الامر
كيف كان قال كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ
ذكر كل شيء وروي عن ابي رزين العقيلي وكان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم مسألته
انه قال يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض قال كان في عماء فوقه
هواء وتحته هواء فقال الجهمي اخبرني كيف استوى على العرش اهو كما يقول
استوى فلان على السرير فيكون السرير قد حوى فلانا وحده اذا كان عليه
فيلزمك ان تقول ان العرش قد حوى الله اذا كان عليه فيقال له اما قولك
كيف استوى فان الله لا يجري عليه كيف وقد اخبرنا انه استوى على العرش ولم
يخبرنا كيف استوى لانه لم يخبرهم كيف ذلك ولم تره العيون في الدنيا فتصفه
بما رأت وحرم عليهم ان يقولوا عليه ما لا يعلمون فآمنوا بخبره عن الاستوى
ثم ردوا علم كيف استوى الى الله عز وجل ولكن يلزمك ايها الجهمي ان تقول ان
الله محدود قد حوته الاماكن اذ زعمت في دعواك انه في الاماكن لانه لا يعقل
شيء في مكان الا والمكان قد حواه كما تقول العرب فلان في البيت والماء في
الجب فالبيت قد حوى فلانا والجب قد حوى الماء ويلزمك اشنع
من ذلك لانك قلت افظع مما قالت النصارى وذلك انهم قالوا ان الله عز وجل
في عيسى وعيسى بدن انسان واحد فكفروا بذلك وقيل لهم ما اعظمتم الله
اذ جعلتموه في بطن مريم وانتم تقولون انه في كل مكان وفي بطون النساء
كلهن وبدن عيسى وابدان الناس كلهم ويلزمك ايضا ان تقول ان الله
في اجواف الكلاب والخنازير لانها اماكن وعندك انه في كل مكان تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا قال فلما شنعت مقالته قال اقول ان الله
في كل مكان لا كالشيء في الشيء ولا كالشيء على الشيء ولا كالشيء خارجا عن
الشيء ولا مباينا للشيء قال فقلت له اصل قولك هو القياس والمعقول
فقد دللت بالقياس والمعقول على انك لا تعبد شيئا لانه لو كان شيئا
ما خلا في القياس والمعقول ان يكون داخلا في الشيء او خارجا عنه

فلما

فلما لم يكن في قولك شيئا استحال ان يكون كالشيء في الشيء او خارجا من الشيء
فوصفت لعمري ملتبسا لا وجود له وهو دينك واصل مقالتك التعطيل
فهذا عبد العزيز المكي قد بين ان القياس والمعقول يوجب ان ما لا يكون
داخلا في الشيء ولا خارجا منه فانه لا يكون شيئا وان ذلك صفة المعدوم
الذي لا وجود له فالقياس هو الادلة العقلية والمعقول هو العلوم
الضرورية قال ابو محمد عبد الله بن سعيد ابن كلاب امام المتكلمة الصفاتية كالقلانسي
والاشعري واتباعه فيما جمعه ابو بكر ابن فورك من كلام ابن كلاب انه قال واخرج
من النظر والخبر قول من قال لا هو في العالم ولا خارجا منه فنفاه نفيا مستويا
لانه لو قيل له صفه بالعدم ما قدر ان يقول فيه اكثر من هذا ورد اخبار الله نصا
وقال في ذلك ما لا يجوز في نص ولا معقول وزعم ان هذا هو التوحيد الخالص والنفي
الخالص عندهم هو الاثبات الخالص وهم عند انفسهم قياسيون قال فان قالوا
هذا افصاح منكم بخلو الاماكن منه وانفراد العرش به قيل ان كنتم تعنون بخلو الاماكن
من تدبيره وانه عالم فلا وان كنتم تذهبون الى خلوه من استوائه عليها كما
استوى على العرش فنحن لا نحتشم ان نقول استوى الله على العرش ونحتشم ان
نقول استوى على الارض واستوى على الجدار وفي صدر البيت وقال ابو محمد بن كلاب
ايضا يقال لهم اهو فوق ما خلق فان قالوا نعم قيل ما تعنون بقولكم انه فوق ما
خلق فان قالوا بالقدرة والعزة قيل لهم ليس هذا سؤالنا وان قالوا المسألة خطأ
قيل لهم اوليس هو فوق فان قالوا نعم ليس هو فوق قيل لهم وليس هو تحت
فان قالوا ولا تحت اعدموه لان ما كان لا تحت ولا فوق فعدم وان قالوا
هو تحت وهو فوق قيل لهم فوق تحت وتحت فوق قال ابن كلاب ايضا
يقال لهم اذا قلنا الانسان لا مماس ولا مباين للمكان فهذا محال فلا بد من
نعم قيل لهم فهو لا مماس ولا مباين فاذا قالوا نعم قيل لهم فهو بصفة المحال الذي
لا يكون ولا يثبت في الوهم فاذا قالوا نعم فينبغي ان يكون بصفة المحال من كل
جهة كما كان بصفة المحال من هذه الجهة وقيل لهم اليس لا يقال لما هو ثابت
في الانسان مماس ولا مباين فاذا قالوا نعم قيل فاخبرونا عن معبودكم
مماس هو او مباين فاذا قالوا لا يوصف بهما قيل لهم فصفة اثبات الخالق
كصفة عدم المخلوق فلم لا تقولون عدم كما تقولون للانسان عدم اذا
وصفتموه بصفة العدم وقيل لهم اذا كان عدم المخلوق وجودا له كان

وجود اله واذا كان العدم
جهل المخلوق على اله لانكم وصفتم العدم الذي هو المخلوق وجود اله
وجودا كان الجهل علما والعجز قدرة وقال ابن كلاب ايضا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
هو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته واعلمهم جميعا يجيز الاين ويقوله
ويستصوب قول القائل انه في السماء ويشهد له بالايمان عند ذلك وجهم بن صفوان
واصحابه لا يجيزون الاين زعموا ويحيلون القول به ولو كان خطا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احق بالانكار له وكان ينبغي ان يقول لها لا تقولي ذلك فتوهمين انه
عز وجل محدود وانه في مكان دون مكان ولكن قولوا انه في كل مكان لانه هو الصواب
فلقد اجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمه بما فيه وانه اصوب الايمان بل الامر
الذي يجب به الايمان لقائله ومن اجله شهد للجارية بالايمان حين قالته وكيف
يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب والسنة ناطق به وشاهد له قال ولو لم
يشهد لصحة مذهب الجماعة في هذا الفن خاصة الا ما ذكرنا من هذه الامور لكان
فيه ما يكفي وقد غرس في بنية الفطرة ومعارف الادميين من ذلك ما لا شيء ابين
منه ولا اوكد لانك لا تسأل احدا من الناس عنه لا عربيا ولا عجميا ولا مؤمنا ولا
كافرا فتقول اين ربك الا قال في السماء ان افصح او اومى بيده او اشار بطرفه
ان كان لا يفصح لا يشير الى غير ذلك من ارض ولا سهل ولا جبل ولا راينا احدا
اذا دعاه الا رافعا يديه الى السماء ولا وجدنا احدا غير الجهمية يسئل عن
ربه فيقول في كل مكان كما يقولون وهم يدعون انهم افضل الناس كلهم فتاهت
العقول وسقطت الاخبار واهتدى جهم ورجلان معه نعوذ بالله
من مضلات الفتن فهذا وامثاله كلام ابن كلاب وهو شيخ ابي الحسن الاشعري
واتباعه وعنه اخذ الحارث المحاسبي وقد ذكر الحارث المحاسبي في كتاب فهم القران
هو وغيره من ذلك ما هو مذكور في غير هذا الموضع فان كلام السلف
والائمة في ذلك كثير والله اعلم مسئلة ٦ في قوله تعالى الرحمن على
العرش استوى وقوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا
هل الاستوى حقيقة ام لا وما معنى كونه حقيقة وهل الحقيقة استعمال
اللفظ فيما وضع له كما يقوله الاصوليون ام لا وما يلزم من كون ايات
الصفات حقيقة وهل لازم المذهب مذهب ام لا افتونا ماجورين

الجواب

الجواب الحمد لله القول في الاستوى والنزول كالقول في سائر
الصفات التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله فان الله سمى
نفسه باسماء ووصف نفسه بصفات فسمى نفسه حيا عليما حكيما قديرا
سميعا بصيرا غفورا رحيما الى سائر اسمائه الحسنى وقال تعالى فانه يعلم السر
واخفى وقال ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقال ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين وقال والسماء بنيناها بايد اي بقوة وقال ورحمتي وسعت
كل شيء وقال عن ملائكته ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقال رضي الله
عنهم ورضوا عنه وقال ورضوان من الله اكبر وقال وغضب الله عليهم
ولعنهم وقال عليهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وقال وكلم الله
موسى تكليما وقال منهم من كلم الله وقال وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا
وقال انني معكما اسمع وارى وقال تعالى ان الله كان سميعا بصيرا قال وما
منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقال تعالى يحبهم ويحبونه وقال هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر وقال
وجاء ربك والملك صفا صفا وامثال ذلك فالقول في بعض هذه الصفات
كالقول في بعض ومذهب سلف الامة وائمتها ان يصفوا الله بما وصف
به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف
ولا تمثيل فلا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه ولا يجوز
تمثيله بصفات المخلوقين بل هو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا
في صفاته ولا في افعاله قال نعيم بن حماد الخزاعي من شبه الله بخلقه
فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه ورسوله فقد كفر وليس ما
وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها ومذهب السلف مذهب بين مذهبين
وهدى بين ضلالتين اثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات فقوله
تعالى ليس كمثله شيء رد على اهل التشبيه الممثلة وقوله وهو السميع
البصير رد على اهل النفي والتعطيل الممثل اعشى والمعطل اعمى الممثل
يعبد صنما والمعطل يعبد عدما وقد اتفق جميع اهل الاثبات
على ان الله حي حقيقة قدير حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة

مريد حقيقة متكلم حقيقة حتى المعتزلة النفاة للصفات قالوا ان الله
متكلم حقيقة كما قالوا مع سائر المسلمين ان الله عليم حقيقة قدير حقيقة بل ذهب
طائفة منهم كابي العباس الناشي الى ان هذه الاسماء حقيقة لله مجاز للخلق واما
جمهور المعتزلة مع المتكلمة الصفاتية من الاشعرية والكلابية والكرامية والسالمية
واتباع الائمة الاربعة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية واهل الحديث
والصوفية فانهم يقولون ان هذه الاسماء حقيقة للخالق سبحانه وتعالى وان كانت تطلق
على خلقه حقيقة ايضا ويقولون ان له علما حقيقة وقدرة حقيقة وسمعا حقيقة
وبصرا حقيقة وانما ينكر ان تكون هذه الاسماء حقيقة النفاة الغلاة من القرامطة
الباطنية الاسماعيلية ونحوهم من المتفلسفة الذين ينفون عن الله الاسماء الحسنى
ويقولون ليس بحي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا موجود
ولا معدوم فهولاء ومن ضاهاهم ينفون ان تكون له الاسماء حقيقة ثم يقول
بعضهم ان هذه الاسماء له مجازا ويقول بعضهم ان الاسماء لبعض المخلوقات
وانها ليست له لا حقيقة ولا مجازا وهولاء الذين يسميهم المسلمون ملاحدة لانهم
الحدوا في اسماء الله واياته قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا
الذين يلحدون في اسمائه وقال تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا
وهولاء شر من المشركين الذين اخبر الله عنهم بقوله واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا وقال تعالى كذلك ارسلناك في امة
قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل
هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب فان اولئك المشركين لما انكروا اسم
الرحمن فقط فهولاء ينكرون اسمائه الحسنى كلها فلهذا كانوا عند المسلمين اكفر
من اليهود والنصارى ولو كانت اسماء الله وصفاته مجازا لصح نفيها عند
الاطلاق فكان يجوز ان يقال ليس الله بحي ولا عليم ولا قدير ولا سميع ولا بصير
ولا يحبهم ولا يحبونه ولا استوى على العرش ونحو ذلك ومعلوم بالاضطرار
من دين الاسلام انه لا يجوز اطلاق النفي على ما اثبته الله لنفسه من الاسماء
والصفات بل هو جحد للخالق وتمثيل له بالمعدومات وقد قال ابو عمر بن عبد البر
اهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في الكتاب والسنة والايمان
بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا انهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون
فيه صفة محصورة واما اهل البدع الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرونها

ولا يحملونها على الحقيقة ويزعمون ان من اقر بها مشبه وهم عند من اقر بها
نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم ائمة
الجماعة وهذا الذي حكاه ابن عبد البر عن المعتزلة ونحوهم هو في بعضها ينفونه
من الصفات واما فيما يثبتونه من الاسماء والصفات كالحي والعليم والقدير
والمتكلم فهم يقولون ان ذلك حقيقة ومن انكر هذا فانما انكره لجهله بمسمى الحقيقة
او لكفره وتعطيله لما يستحقه رب العالمين وذلك انه قد يظن ان اطلاق ذلك
يقتضي ان يكون المخلوق مماثلا للخالق فيقال له هذا باطل فان الله موجود
حقيقة والعبد موجود حقيقة وليس هذا مثل هذا والله تعالى له ذات حقيقة
والعبد له ذات حقيقة وليس ذاته كذات المخلوقين وكذلك له علم وسمع وبصر
حقيقة وليس علمه وسمعه وبصره مثل علم العبد وسمعه وبصره ولله كلام حقيقة
وللعبد كلام حقيقة وليس كلام الخالق مثل كلام المخلوق والله استوى على عرشه
حقيقة والعبد استوى على الفلك حقيقة وليس استواء الخالق كاستواء المخلوق
فان الله لا يفتقر الى شيء ولا يحتاج الى شيء بل هو الغني عن كل شيء والله تعالى يحمل
العرش وحملته بقدرته ويمسك السموات والارض ان تزولا فمن ظن ان معنى
قول الائمة ان الله مستو على عرشه حقيقة يقتضي ان يكون استواؤه مثل
استواء العبد على الفلك والانعام لزمه ان يكون قولهم ان الله عليم حقيقة
وسميع حقيقة وبصير حقيقة يقتضي ان يكون علمه وسمعه وبصره وكلامه
مثل علم المخلوقين وسمعهم وبصرهم وكلامهم

فصل

واما قول القائل ما معنى كون ذلك حقيقة فالحقيقة هو اللفظ المستعمل فيما وضع له وقد يراد
بها استعمال اللفظ فيما وضع له وقد يراد بها المعنى الموضوع له اللفظ الذي
يستعمل اللفظ فيه فالحقيقة والمجاز من عوارض الالفاظ في اصطلاح اهل
الاصول وقد يجعلونه من عوارض المعاني لكن الاول اشهر وهذه الاسماء
والصفات لم توضع لخصائص المخلوقين عند الاطلاق ولا عند الاضافة
الى الله ولكن عند الاضافة اليهم فاسم العلم يستعمل مطلقا ويستعمل مضافا
الى العبد كقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما
بالقسط ويستعمل مضافا الى الله كقوله ولا يحيطون بشيء من علمه
فاذا اضيف العلم الى المخلوق لم يصلح ان يدخل فيه علم الخالق سبحانه
ولم يكن علم المخلوق كعلم الخالق واذا اضيف الى الخالق كقوله انزله بعلمه

[illegible]

لم يصلح ان يدخل فيه علم المخلوقين ولم يكن علمه كعلمه واذا قيل العلم مطلقا امكن تقسيمه
فيقال العلم ينقسم الى العلم القديم والعلم المحدث فلفظ العلم عام فيهما متناول لهما
بطريق الحقيقة وكذلك اذا قيل الموجود ينقسم الى قديم ومحدث وواجب وممكن
وكذلك اذا قيل الاستواء ينقسم الى استواء الخالق والى استواء المخلوق وكذلك
اذا قيل الارادة والرحمة والمحبة تنقسم الى ارادة الله ومحبته ورحمته وارادة العبد
ومحبته ورحمته فمن قال ان الحقيقة انما تتناول صفة العبد المخلوقة المحدثة
دون صفة الخالق كان في غاية الجهل فان صفة الله اكمل واتم واحق بهذه الاسماء
الحسنى ولا نسبة بين صفة العبد وصفة الرب كما لا نسبة بين ذاته وذاته
فكيف يكون العبد مستحقا للاسماء الحسنى حقيقة فيستحق ان يقال له عالم قادر سميع
بصير والرب لا يستحق ذلك الا مجازا ومعلوم ان كل كمال حصل للمخلوق فالخالق
احق به وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق احق بان ينزه عنه ولهذا كان لله
المثل الاعلى فانه لا يقاس بخلقه ولا يمثل بهم ولا تضرب له الامثال فلا يشترك
هو والمخلوق في قياس تمثيل ولا في قياس شمول يستوي افراده بل له المثل
الاعلى في السموات والارض ومن الناس من يسمي هذه الاسماء المشككة لكون
المعنى في احد المحلين اكمل منه في الآخر فان الوجود بالواجب احق منه با
الممكن والبياض بالثلج احق بالعاج واسما الله وصفاته من هذا الباب
فان الله يوصف بها على وجه لا يماثل احدا من المخلوقين وان كان بين كل
مسميين قدرا مشتركا وذلك القدر المشترك هو مسمى اللفظ عند الاطلاق
واللفظ حقيقة في ذلك القدر المشترك عند الاطلاق فاذا قيد باحد المحلين
تقيد به فاذا قيل وجود وماهية وذات كان هذا الاسم متناولا
للخالق والمخلوق وان كان الخالق احق به من المخلوق وهو حقيقة فيهما
واذا قيل وجود الله وماهيته وذاته اختص هذا بالله ولم يبق للمخلوق
دخول في هذا المسمى وكان حقيقة لله وحده واذا قيل وجود العبد وماهيته
وحقيقته لم يدخل الخالق في هذا المسمى وكان حقيقة في المخلوق وحده
والجاهل يظن ان اسم الحقيقة انما يتناول المخلوق وحده وهذا ضلال معلوم
الفساد بالضرورة من العقول والشرائع واللغات فانه من المعلوم بالضرورة
ان بين كل موجودين قدرا مشتركا وقدرا مميزا والدال على ما به الاشتراك
وحده لا يستلزم ما به الامتياز ومعلوم بالضرورة من دين

الاسلام

الاسلام ان الله مستحق للاسماء الحسنى وقد سمى عباده ببعض تلك الاسماء كما سمى
العبد سميعا وبصيرا وحيا وعليما ورؤوفا ورحيما وملكا وعزيزا ومؤمنا
وغير ذلك مع العلم بان الاتفاق في الاسم لا يوجب مماثلة الخالق للمخلوق وانما
يوجب الدلالة على ان بين المسميين قدرا مشتركا فقط مع ان المميز الفارق اعظم
من المشترك الجامع واما اللغات فان جميع اهل اللغات من العرب والروم
والفرس والترك والبربر وغيرهم يقع مثل هذا في لغاتهم وهو حقيقة في جميع
لغات الامم بل يعلمون ان الله احق بان يكون قادرا فاعلا من العبد
وان استحقاق الرب لاسم القادر حقيقة اعظم من استحقاق العبد لذلك وكذلك
غيره من الاسماء الحسنى وقول الناس ان بين المسميين قدرا مشتركا لا يريدون به
ان يكون في الخارج عن الاذهان امر مشترك بين الخالق والمخلوق فانه ليس بين
مخلوق ومخلوق شيء مشترك في الخارج فكيف بين الخالق والمخلوق وانما توهم
هذا من توهمه من اهل المنطق اليوناني ومن اتبعهم حتى ظنوا ان في الخارج
ماهيات مطلقة مشتركة بين الاعيان المحسوسة ثم منهم من يجردها عن الاعيان
كافلاطون ومنهم من يقول لا تنفك عن الاعيان كارسطو وابن سينا وامثالهما
وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع وبينا ما دخل على من اتبعهم
من الضلال في هذا الموضع في المنطق والالهيات حتى ظن طوائف من النظار
انا اذا قلنا ان وجود الرب عين ماهيته كما هو قول اهل الاثبات
ومتكلمة اهل الصفات كابن كلاب والاشعري وغيرهما يلزم من ذلك ان يكون
لفظ الوجود مقولا عليهما بالاشتراك اللفظي كما ذكره ابو عبد الله الرازي
عن الاشعري وابي الحسين البصري وليس هذا مذهبهما بل مذهبهما ان لفظ
الوجود مقول بالتواطؤ وانه ينقسم الى قديم ومحدث مع قولهما ان
وجود الرب عين ماهيته فان لفظ الوجود عندهم كلفظ الماهية
والذات وكما ان لفظ الماهية والذات تنقسم الى قديمة ومحدثة
وماهية الرب عين ذاته وماهية العبد عين ذاته ووجود العبد عين
ذاته وذات الشيء هو ماهيته فاللفظ من الالفاظ المتواطئة ولكن
بالاضافة يختص احد مسمياته والمسميان اذا اشتركا في مسمى الوجود
والذات والماهية لم يكن بينهما في الخارج امر موجود مشترك بينهما

يكون زائدا على خصوصية كل واحد كما يظنه ارسطو وابن سينا والرازي
وامثالهم بل ليس في الخارج وجود مطلق ولا ماهية مطلقة ولا ذات مطلقة اما
المطلق بشرط الاطلاق فقد اتفق هولاء وغيرهم على انه ليس بموجود في الخارج
وانما نقل ثبوته عن افلاطون واتباعه وهو قول باطل ضرورة واما المطلق
لا بشرط فقد يظن انه في الخارج وانه جزء من المعين وهذا غلط بل ليس في
الخارج الا المعينات وليس في الخارج مطلقا يكون جزء من معين واذا قيل
هذا انسان فالمشار اليه بهذا هو المسمى بانسان وليس الانسان المطلق جزء
من هذا وليس الانسان هنا الا المعين وانما يوجد مطلقا في الذهن لا في الخارج
واذا قيل هذا يشارك هذا في الانسانية فالمعنى ان بينهما تشابها
فيه لا ان هناك موجودا في الخارج يشتركان فليتدبر اللبيب هذا فانه — لا ان
يحل عنه مشتبهات كثيرة ومن فهم هذا الموضع تبين له غلط من جعل هذه
الاسماء مقولة بالاشتراك اللفظي لا المعنوي وغلط من جعل اسماء الله
اعلاما محضة لا تدل على معاني وغلط من جعل انها مجاز في حق الله او حق
خلقه وغلط من زعم ان في الخارج حقائق مطلقة تشترك فيها الاعيان
وعلم ان ما يستحقه الرب لنفسه لا يشركه فيه غيره بوجه من الوجوه ولا يماثله
شيء من المخلوقات في شيء من الصفات واما المخلوق فقد يماثل غيره في صفا
لكن لا يشركه في عين ما استحقه منها والاسماء المتواطئة المقولة على هذا وهذا
حقيقة في هذا وهذا فاذا كانت عامة لهما تناولتهما وان كانت مطلقة
لم يمنع تصورها من اشتراكهما فيها وان كانت مقيدة اختصت بمحلها
فاذا قال وجود الله وذات الله وقدرة الله وسمع الله وبصر الله
وكلام الله ورضا الله وغضب الله واستواء الله ونزول الله ومحبة الله
ونحو ذلك كانت هذه الاسماء كلها حقيقة لله من غير ان يدخل فيها شيء
من المخلوقات ومن غير ان يماثل فيها شيء من المخلوقات واذا قال وجود العبد
وذاته وماهيته وعلمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه واستواؤه
ونزوله كان هذا هو حقيقة للعبد مختصة به من غير ان تماثل صفاته صفات الله
تعالى بل ابلغ من ذلك ان الله اخبر ان في الجنة من المطاعم والمشارب
والملابس والمناكح والمساكن ما ذكره في كتابه كما ذكر ان فيها لبنا وعسلا
وماء وخمرا ولحما وحريرا وذهبا وفضة وحورا وقصورا وغير ذلك

وقد قال

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه ليس في الدنيا مما في الآخرة الا الاسماء
فتلك الحقائق التي في الاخرة ليست مماثلة لهذه الحقائق التي في الدنيا وان كانت
مشابهة لها من بعض الوجوه والاسم يتناولها حقيقة ومعلوم ان الخالق
ابعد عن مشابهة المخلوق من المخلوق عن المخلوق فكيف يجوز ان يظن ان الله فيما
اثبته السمع في اسمائه وصفاته مماثل لمخلوقاته او ان يقال ليس ذلك
بحقيقة وهل يكون احق بهذه الاسماء الحسنى والصفات العليا من رب السموات
والارض مع ان مباينته للمخلوقات اعظم من مباينة كل مخلوق لكل مخلوق
والجاهل يظن بان يقول العرب انما وضعوا لفظ الاستواء لاستواء الانسان
على السرير والفلك واستواء السفينة على البحر ونحو ذلك من استواء بعض المخلوقات
فهذا كما يقول القائل انما وضعوا لفظ السمع والبصر والكلام لما يكون محله حدقة
واجفانا واصمخة واذانا وشفتين ولسانا وانما وضعوا لفظ العلم والرحمة
والارادة لما يكون محله مضغة لحم وفؤاد وهذا كله جهل منه فان العرب انما
وضعت للانسان ما اضافته اليه فاذا قال سمع العبد وبصره وكلامه وعلمه
وارادته ورحمته كان هذا متناولا لما يتناول ذلك من خصائص العبد واذا
قيل سمع الله وبصره وكلامه وعلمه وارادته ورحمته كان هذا متناولا
لما يختص به الرب لا يدخل في ذلك شيء من خصائص المخلوقين وكذلك اذا قيل
استوى الرب فهذا الاستواء المضاف الى الله لا يجوز ان يتناول شيئا
من خصائص المخلوقين فمن ظن ان هذا الاستواء اذا كان حقيقة او العلم
اذا كان حقيقة او السمع والبصر اذا كان حقيقة تناول شيئا من خصائص
المخلوقين مع كون النص قد خصه بالله كان جاهلا جهلا بينا لدلالات
الالفاظ ومعرفة الحقيقة والمجاز وهؤلاء الجهال يمثلون في ابتداء فهمهم
صفات الخالق بصفات المخلوق ثم ينفون ذلك ويعطلونه فلا يفهمون
من ذلك الا ما يختص بالمخلوق وينفون مضمون ذلك فيكونون قد جحدوا — في جحدوا
ما يستحقه الرب من خصائصه وصفاته والحدوا في اسماء الله واياته
وخرجوا عن القياس العقلي والنص الشرعي فلا يبقى بايديهم لا
معقول صريح ولا منقول صحيح ثم لا بد لهم من اثبات ما اثبته اهل — اثبتوا
الاثبات من الاسماء والصفات فاذا اثبتوا البعض ونفوا البعض قيل لهم

ما الفرق بين ما اثبتموه ونفيتموه ولم كان هذا حقيقة ولم يكن هذا حقيقة لم
يكن لهم جواب اصلاً وظهر بذلك جهلهم وضلالهم شرعا وعقلا وقد تدبرت
عامة كلام من ينفي شيئا مما اثبته الرسل من الاسماء والصفات فوجدتهم كلهم
متناقضين فانهم يحتجون لما نفوه بنظيرها يحتج به النافي بما اثبتوه فيلزمهم
اما اثبات الامرين واما نفيهما وهذا نهاية هو لآخر النفاة الملاحدة الغلاة
من القرامطة وغلاة المتفلسفة فهم اذا احتجوا ينفون النقيضين كانوا متناقضين
من وجهين من جهة نفيهم سلب النقيضين جميعا والنقيضان كما انهما لا يجتمعان
فلا يرتفعان ومن جهة ان ما يسلبون عنه النقيضين لا بد ان يتصوروه ثبت
وان لم يعبروا عنه كقولهم الثابت او الواجب او اي شيء قالوه لزمهم فيه من اثبات
القدر المشترك نظير ما يلزمهم فيما نفوه ولا يمكن ان يتصور شيء من ذلك
مع كون اسماء الله مقولة بالاشتراك اللفظي فقط فان المشترك لا يكون اشتراكا
لفظيا لا معنويا كلفظ المشتري المقول على الكوكب والمبتاع وسهيل المقول
على الكوكب وعلى سهيل بن عمرو واذا سمع المستمع قائلا يقول جاءني سهيل
ابن عمرو وهذا المشتري لهذه السلعة لم يفهم من هذا اللفظ كوكبا اصلا
الا ان يعرف الكوكب وان اللفظ وضع له فاذا لم تكن اسمائه من الاسماء
المتواطئة لم يفهم العباد من اسمائه شيئا ثم ان العلم بانقسام الوجود
الى قديم ومحدث وامثال ذلك علم ضروري فالقادح فيه سوفسطائي
وكذلك بان بين الاسمين قدرا مشتركا علم ضروري واذا قيل ان اللفظ
حقيقة فيهما لم يحتج ذلك الى ان يكون اهل اللغة قد تكلموا باللفظ مطلقا ليعبروا به
عن المعنى المطلق المشترك فان الحياة المعاني التي لا تكون الا مضافة الى غيرها
كالحياة والعلم والقدرة والاستواء بل واليد وغير ذلك مما تكون الاسماء
قائمة بغيره او جزء من غيره لا يوجد في الخارج مجردا عن محله لانه لم يوجد في
اصل اللغة له لفظ يدل عليه مجردا عن محله ولكن اهل النظر لما ارادوا تجريد
المعاني الكلية المطلقة واهل اللغة في ابتداء خطابهم يقولون مثلا جاء زيد
وهذا وجه زيد ويشيرون الى ما به من المجيء والوجه فيفهم المخاطب ذلك
ثم يقولون تارة اخرى جاء عمرو ورأيت وجه عمرو وجاء الفرس ورأيت
وجه الفرس فيفهم المستمع ان بين هذا وهذا قدرا مشتركا وقدرا مميزا وان
لعمرو مجيئا ووجها نسبته اليه كنسبة مجيء زيد ووجهه اليه

فاذا علم

فاذا علم ان عمرا مثل زيد علم ان مجيئه مثل مجيئه ووجهه مثل وجهه وان علم
ان الفرس ليست مثل زيد بل تشابهه من بعض الوجوه علم ان مجيئها ووجهها
ليس مثل مجيء زيد ووجهه بل يشبهه من بعض الوجوه وكذلك اذا قيل جاءت
الملائكة ورأيت الانبياء وجوه الملائكة فعلم ان للملائكة مجيئا ووجها نسبتها
اليها كنسبة مجيء الانسان ووجهه اليه ثم معرفته لحقيقة ذلك تتبع معرفته
بحقيقة الملائكة فان كان لا يعرف الملائكة الا من حيث الجملة ولا يتصور كيفيتهم
كان ذلك في مجيئهم ووجوههم لا يعرفها الا من حيث الجملة ولا يتصور كيفيتها
وكذلك اذا قيل جاءت الجن او قيل ان من الناس من رأى وجوه الجن والالفاظ
في جميع هذه المواضع تدل على معانيها بطريق الحقيقة بل اذا قيل حقيقة
الملك ليس مثل حقيقة الجني وماهيته كان لفظ الحقيقة والماهية
مستعملا فيهما على سبيل الحقيقة وكان من الاسماء المتواطئة مع ان المسميات
قد صرح فيها بنفي التماثل وكذلك اذا قيل خمر الجنة ليس مثل خمر الدنيا
ولا ذهبها مثل ذهبها ولا لبنها مثل لبنها ولا عسلها مثل عسلها كان قد
صرح في ذلك بنفي التماثل مع ان المستعمل فيهما على سبيل الحقيقة ونظائر
هذا كثير فانه لو قال قائل هذا المخلوق ما هو مثل هذا المخلوق او هذا الحيوان
الذي هو الناطق ليس مثل هذا الحيوان الذي هو الصاهل او هذا اللون
الذي هو ابيض ليس مثل هذا اللون الذي هو الاسود والموجود الذي هو
الخالق ليس مثل هذا الموجود الذي هو المخلوق ونحو ذلك كانت هذه
الاسماء مستعملة على سبيل الحقيقة في المسميين الذين صرح بنفي التماثل
بينهما فالاسماء المتواطئة انما تقتضي ان يكون بين المسميين قدرا
مشتركا وان كان المسميان مختلفين او متضادين فمن ظن ان اسماء الله
واسماء صفاته اذا كانت حقيقة لزم ان يكون مماثلا للمخلوقين وان تكون
صفاته مماثلة لصفاتهم كان من اجهل الناس وكان اول كلامه سفسطة
وآخره زندقة لانه يقتضي نفي جميع اسماء الله وصفاته وهذا هو غاية
الزندقة والالحاد فمن فرق بين صفة وصفة مع تساويهما في اسباب
الحقيقة والمجاز كان متناقضا في قوله متهافتا في مذهبه مشابها
لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض واذا تامل اللبيب الفاضل



هذه الامور يتبين له ان مذهب السلف والائمة في غاية الاستقامة والسداد والصحة
والاطراد وانه مقتضى المعقول الصريح والمنقول الصحيح وان من خالفه كان مع تناقض
قوله المختلف الذي يؤفك عنه من افك خارجا عن موجب العقل والسمع مخالفا للفطرة والشرع
والله يتم نعمته علينا وعلى سائر اخواننا المؤمنين ويجمع لنا ولهم خير الدنيا والاخرة
واما قول السائل هل لازم المذهب مذهب ام ليس بمذهب فالصواب ان لازم
مذهب الانسان ليس بمذهب له اذا لم يلتزمه فانه اذا كان قد انكره ونفاه كانت
اضافته اليه كذبا عليه بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في
المقال غير التزامه اللوازم التي يظهر انها من قبيل الكفر والمحال مما هو اكثر فالذين قالوا
الذي باقوال يلزمها اقوال يعلم انه لا يلتزمها لكن لم يعلم انها تلزمه ولو كان
لازم المذهب مذهبا للزم تكفير من قال عن الاستوى او غيره من الصفات انه
مجاز ليس بحقيقة فان لازم هذا القول يقتضي ان لا يكون شيئا من اسمائه
وصفاته حقيقة وكل من لم يثبت بين الاسمين قدرا مشتركا لزمه ان لا يكون في
القلوب شيء من الايمان بالله ومعرفته والاقرار به فانه ما من شيء يثبته
القلب الا ويقال فيه نظير ما يقال في الاخر ولازم قول هؤلاء يستلزم قول غلاة
الملاحدة والمعطلين الذين هم اكفر من اليهود والنصارى لكن نحن نعلم ان كثيرا
ممن ينفي هذا لا يعلم لازم قوله بل كثير منهم يتوهم ان الحقيقة ليست الا محض
خصائص المخلوقين حينئذ يسمي الحقيقة والمجاز وقولهم افتراء على اللغة والشرع
والا فقد يكون المعنى الذي يقصد ونه بنفي الحقيقة صحيحا فاذا قال احدهم
ان مقصودي بنفي الحقيقة نفي مماثلة صفات الرب بصفات المخلوقين
قيل له احسنت في نفي هذا المعنى الفاسد ولكن اخطات في
ظنك ان هذا هو حقيقة ما وصف الله به نفسه وصار هذا بمنزلة من قال
ان الله ليس بسميع حقيقة ولا بصير حقيقة ولا متكلم حقيقة لان الحقيقة
في ذلك هو ما يعهد من سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم وانه منزه عن ذلك
فيقال له اصبت في تنزيه الله عن مماثلة خلقه لكن اخطات في ظنك انه
اذا كان الله سميعا حقيقة بصيرا حقيقة متكلما حقيقة كان متضمنا
لمماثلة خلقه فكذلك لو قال القائل اذا قلنا انه مستو على عرشه حقيقة لزم
التمثيل كان جوابه مثل جواب ذلك وكذلك لو قال اذا قلنا انه مستو
على عرشه حقيقة لزم التجسيم والله منزه عنه فيقال له هذا المعنى
الذي سميته تجسيما ونفيته هو لازم لك اذا قلت ان الله له علم

حقيقة وقدرة حقيقة وسمع حقيقة وبصر حقيقة وكلام حقيقة وكذلك سائر
ما اثبته من الصفات فان هذه الصفات في حقنا اعراض قائمة بجسم فاذا كنت
تثبتها لله تعالى مع تنزيهك له عن مماثلة المخلوقات وما يدخل في ذلك من
التجسيم فكذلك القول في الاستوى ولا فرق فان قلت اهل اللغة انما وضعوا
هذه الالفاظ لما يختص به المخلوق فلا يكون حقيقة في غير ذلك قلنا لك هذا
خطأ باجماع الامم مسلمهم وكافرهم وباجماع اهل اللغات فضلا عن اهل الشرائع
والديانات وهذا نظير قول من يقول ان لفظ الوجه انما يستعمل حقيقة في
وجه الانسان دون وجه الحيوان والملك والجني ولفظ العلم انما يستعمل حقيقة
في علم الانسان دون علم الملك او الجني ونحو ذلك بل قد بينا ان اسماء
الصفات عند اهل اللغة بحسب ما تضاف اليه والقدر المشترك ان نسبة
كل صفة الى موصوفها فالقدر المشترك هو النسبة فنسبة الملك والجني
ووجوههما اليهما كنسبة علم الانسان ووجهه اليه وهكذا في سائر
الصفات والله سبحانه وتعالى اعلم مسئلة هل يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تبارك وتعالى احيا له ابويه حتى اسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك
الجواب لم يصح عن احد من اهل الحديث بل اهل المعرفة متفقون على ان ذلك
كذب مختلق وان كان قد روى ذلك ابو بكر الخطيب في كتاب السابق واللاحق
وذكره ابو القاسم السهيلي في شرح السيرة باسناد فيه مجاهيل وذكره ابو عبد الله
القرطبي في التذكرة وامثال هذه المواضع فلا نزاع بين اهل المعرفة انه من
اظهر الموضوعات كذبا كما نص عليه اهل العلم وليس ذلك في الكتب المعتمدة
في الحديث لا في الصحيح ولا في السنن ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث
المعروفة ولا ذكره اهل كتب المغازي والتفسير وان كانوا قد يروون
الضعيف مع الصحيح لان ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين فان مثل
هذا لو وقع لكان مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله فانه من اعظم الامور خرقا
للعادة من وجهين من جهة احياء الموتى ومن جهة الايمان بعد الموت
فكان نقل هذا اولى من نقل غيره فلما لم يروه احد من الثقات علم انه

كذب والخطيب البغدادي هو في كتاب السابق واللاحق مقصوده ان يذكر من
تقدم ومن تأخر من المحدثين عن شخص واحد سواء كان الذي يرويه صدقا
او كذبا ومن شاهد يروي الغث والسمين والسهيلي انما ذكر ذلك باسناد فيه
مجاهيل ثم هذا خلاف الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع قال الله تعالى انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله
عليهم وكان الله غفورا رحيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فبين الله
انه لا توبة لمن مات كافرا وقال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله
التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون فاخبر ان سنته في عباده انه لا
ينفع الايمان بعد رؤية البأس فكيف بعد الموت ونحو ذلك من النصوص وفي
صحيح مسلم ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اين ابي قال ان اباك في النار فلما
ادبر دعاه فقال ان ابي واباك في النار وفي صحيح مسلم انه قال استاذنت ربي
ان ازور قبر امي فاذن لي واستاذنته في ان استغفر لها فلم ياذن لي فزوروا
القبور فانها تذكركم الاخرة وفي الحديث الذي في المسند وغيره قال ان امي مع امك
في النار فان قيل هذا في غزاة الفتح والاحياء كان بعد ذلك في حجة الوداع و
ولهذا ذكر ذلك من ذكره وبهذا اعتذر صاحب التذكرة وهذا باطل لوجوه الاول
ان الخبر عما كان ويكون لا يدخله النسخ كقوله في ابي لهب سيصلى نارا ذات لهب وكقوله
في الوليد سارهقه صعودا وكذلك في ان ابي واباك في النار وامي مع امك في النار
وهذا ليس خبرا عن نار يخرج منها صاحبها كاهل الكبائر لانه لو كان ذلك لجاز
الاستغفار ولو كان قد سبق في علم الله ايمانهم لم ينه عن ذلك فان الاعمال بخواتيمها
ومن مات مؤمنا فان الله يغفر له فلا يكون الاستغفار له ممتنعا الثاني
ان النبي صلى الله عليه وسلم زار قبرها لانها كانت بطريقه بالحجون عند مكة عام الفتح واما ابوه
فلم يكن هناك ولم يزره اذ كان مدفونا بالشام في غير طريقه فكيف يقال احيي له
الثالث انهما لو كانا مؤمنين ايمانا ينفع لكانا احق بالذكر والشهرة من عميه
حمزة والعباس وهذا ابعد مما يذكره بعض الجهال من الرافضة ونحوهم

في ان ابا طالب

في ان ابا طالب آمن ويحتجون بما في السيرة من الحديث الضعيف فيه انه تكلم بكلام
خفي وقت الموت ولو ان العباس ذكر انه آمن لما كان قال للنبي صلى الله عليه وسلم عمك
الشيخ الضال كان ينفعك فهل نفعته بشيء فقال وجدته في غمرة من نار فشفعت
فيه حتى صار في ضحضاح من نار في رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه
ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار هذا باطل مخالف لما في الصحيح
وغيره انه كان آخر شيء قاله هو على ملة عبد المطلب وان العباس
لم يشهد موته مع ان ذلك لو صح لكان ابو طالب احق بالشهرة من حمزة والعباس
فلما كان من العلم المتواتر المستفيض بين الامة خلفا عن سلف انه لا يذكر
ابو طالب ولا ابوه من جملة من يذكر من اهل الايمان كحمزة والعباس وعلي
وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم كان هذا من ابين الادلة على ان ذلك كذب
الرابع ان الله تعالى قال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه
الى قوله لاستغفرن لك الاية وقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه الاية فامر بالتاسي بابراهيم والذين معه الا في وعد
ابراهيم لابيه بالاستغفار واخبر انه لما تبين له انه عدو لله تبرأ منه والله اعلم
مسئلة في جندي له اقطاع ونسخ بيده صحيح مسلم والبخاري والقران
العظيم وهو ناوي كتابة الحديث والقران العظيم وانه سمع بورق بغدادي وقلم
واقلام واسطية فاشترى منها بالف درهم وقال انا اكتب كل هذا الورق
الكتب فيه احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والقران العظيم ويؤمل اما الابعد
فهل عليه اثم اما واي التفاسير اقرب الى الكتاب والسنة الزمخشري
والقرطبي او البغوي او غير هولاء واذا نسخ الانسان لنفسه او للبيع
كان اجرهما سواء مثل احياء علوم الدين وقوت القلوب ومثل كتب
المنطق افتونا ماجورين الجواب ليس عليه اثم فيما ينوي
ويفعله من كتابة العلوم الشرعية فان كتابة القران والاحاديث
الصحيحة والتفاسير الموجودة الثابتة من اعظم القربات والطاعات

واما التفاسير التي في ايدي الناس فاصحها تفسير الامام محمد بن جرير الطبري فانه
يذكر مقالات السلف بالاسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل رحمه الله عن
المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي والتفاسير الماثورة بالاسانيد كثيرة كتفسير
عبد الرزاق وعبد بن حميد ووكيع بن ابي قتيبة واحمد بن حنبل واسحق بن راهوية
واما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فاسلمها من البدعة والاحاديث الضعيفة
لكنه مختصر من تفسير الثعلبي وحذف منه الاحاديث الموضوعة والبدع التي
فيه وحذف اشياء غير ذلك واما الواحدي فانه تلميذ الثعلبي فيه سلامة
من البدع وان ذكرها تقليدا لغيره وتفسيره وتفسير الواحدي البسيط والوسيط
والوجيز فيه فوائد جليلة وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها
واما الزمخشري فتفسيره محشو من البدع على طريقة المعتزلة من انكار الصفات
والرؤية والقول بخلق القران وانكار ان الله مريد للكائنات وخالق
افعال العباد وغير ذلك من اصول المعتزلة واصولهم خمسة يسمونها التوحيد
والعدل والمنزلة بين المنزلتين وانفاذ الوعيد والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لكن معنى التوحيد عندهم يتضمن نفي الصفات ولهذا سمى
ابن التومرت اصحابه الموحدين وهذا انما هو الحاد في اسماء الله واياته
ومعنى العدل عندهم يتضمن التكذيب بالقدر وهو خلق افعال العباد
وارادة الكائنات او القدرة على شيء ومنهم من ينكر تقدم العلم والكتاب
لكن ليس هذا قول ائمتهم ولا هو منصب الزمخشري فان مذهبه مذهب
المغيرة وابو علي بن هاشم واتباعهم ومذهب ابي الحسين والمعتزلة الذين
على طريقته نوعان من الجهمية وغيرهم واما المنزلة بين المنزلتين فهي عندهم
فهي عندهم ان الفاسق لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه كما لا يسمى كافرا فنزلوه
منزلة بين المنزلتين وانفاذ الوعيد عندهم معناه ان فساق الملة مخلدون
في النار لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك كما تقول الخوارج والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر يتضمن عندهم جواز الخروج على الائمة وقتالهم

بالسيف

لعله تفسير البغوي

بالسيف وهذه الاصول حشى كتابه بعبارة لا يهتدي اكثر الناس اليها ولا ينتهي
لمقاصده فيها مع ما فيه من الاحاديث الموضوعة ومن قلة النقل عن الصحابة
والتابعين وتفسير القرطبي خير منه بكثير واقرب الى طريقة اهل الكتاب والسنة
وابعد عن البدعة وان كان كل من هذه الكتب لا بد ان يشتمل على ما ينقد لكن يجب
العدل بينها واعطاء كل ذي حق حقه وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري
واصح نقلا وبحثا وابعد عن البدع وان اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير
بل لعله ارجح هذه التفاسير لكن تفسير ابن جرير اصح من هذه كلها وثم تفاسير
اخر كثيرة جدا كتفسير ابن الجوزي والماوردي واما كتاب القوت وكتاب الاحياء
تبع له فيما يذكره من اعمال القلوب مثل الصبر والشكر والحب والتوكل والتوحيد
ونحو ذلك وابو طالب اعلم بالحديث والاثر وكلام اهل علوم القلوب من
الصوفية وغيرهم من ابي حامد الغزالي وكلامه اسد واجود تحقيقا
وابعد عن البدعة مع ان في قوت القلوب احاديث ضعيفة وموضوعة
واشياء مردودة كثيرة واما ما في الاحياء من الكلام في المهلكات مثل الكلام
على الكبر والعجب والرياء والحسد ونحو ذلك فغالبه منقول من كلام
الحارث المحاسبي في الرعاية ومنه ما هو مقبول ومنه ما هو مردود ومنه
ما هو متنازع فيه والاحياء فيه فوائد كثيرة لكن فيه مواد مذمومة
فان فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة مما يتعلق بالتوحيد والنبوة
والمعاد فاذا ذكرت معارف الصوفية كان بمنزلة من اخذ عدوا للمسلمين
البسه ثياب المسلمين وقد انكر ائمة الدين على ابي حامد هذا في كتبه وقالوا
امرضه الشفاء وفيه احاديث واثار ضعيفة بل موضوعة كثيرة وفيه اشياء
من اغاليط الصوفية العارفين المستقيمين في اعمال القلوب الموافق للكتاب
والسنة ومن غير ذلك من العبادات والاداب ما هو موافق لكتاب الله
والسنة ما هو اكثر مما يرد منه فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا
فيه واما كتب الحديث المعروفة مثل البخاري ومسلم فليس تحت اديم السماء كتاب

من البخاري ومسلم بعد القراءة وما جمع بينهما مثل الجمع بين الصحيحين للحميدي
ولعبد الحق الاشبيلي وبعد ذلك كتب السنن لابي داود والنسائي وجامع الترمذي
والمسانيد كمسند الشافعي ومسند احمد وموطا مالك فيه الاحاديث والاثار وغير
ذلك وهو من اجل الكتب حتى قال الشافعي ليس تحت اديم السماء بعد كتاب الله اصح
من موطا مالك يعني بذلك ما صنف على طريقته فان المتقدمين كانوا يجمعون
في الباب بين الماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ولم تكن وضعت
كتب الراي التي تسمى كتب الفقه وبعد هذا جمع الحديث المسند في جمع الصحيح
للبخاري ومسلم والكتب التي يحب يؤجر الانسان على كتابتها سواء كتبها لنفسه
او كتبها ليبيعها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة
الجنة صانعه والرامي به والممد به والكتاب كذلك لينتفع به او لينتفع به
غيره كلاهما يثاب عليه **واما** كتب المنطق فتلك لا تشتمل على علم يؤمر به شرعا
وان كان قد ادى اجتهاد بعض الناس الى انه فرض كفاية وقال بعض الناس ان
العلوم لا تقوم الا به كما ذكر ذلك ابو حامد فهذا غلط عظيم عقلا وشرعا
اما عقلا فان جميع عقلاء بني ادم من جميع اصناف المتكلمين في العلم حرروا
علومهم بدون المنطق اليوناني واما شرعا فانه من المعلوم بالاضطرار
في دين الاسلام ان الله لم يوجب تعلم هذا المنطق اليوناني على اهل العلم
والايمان واما هو في نفسه فبعضه حق وبعضه باطل والحق الذي
فيه كثير منه او اكثره لا يحتاج اليه والقدر الذي يحتاج اليه منه فاكثر
الفطر السليمة تستقل به والبليد لا ينتفع به والذكي لا يحتاج اليه
وفضره على من لم يكن خبيرا بعلوم الانبياء اكثر من نفعه فان فيه
القواعد السلبية الفاسدة ما راجت على كثير من الفضلاء وكانت
سبب نفاقهم وفساد علومهم وقول من قال انه كله حق كلام باطل بل
في كلامهم من الحد في الصفات الذاتية العرضية واقسام القياس والبرهان
وموارده من الفساد ما قد بيناه في غير هذا الموضع وقد بين ذلك
علماء المسلمين والله اعلم **مسئله** هل
يتناسلون

يتناسل اهل الجنة املا وقوله تعالى الولدان [هل هم اولاد] اهل الجنة وما حكم الاولاد وفي ارواح
اهل الجنة والنار اذا خرجت من الجسد هل تكون في الجنة تنعم والتي في النار تعذب
ام تكون في مكان مخصوص الى حيث يبعث الجسد وما حكم ولد الزنا اذا مات
هل يكون من اهل الاعراف او من اهل الجنة وما الصحيح في اولاد المشركين هل هم
من اهل النار او من اهل الجنة وهل تسمى الايام في الاخرة كما تسمى في الدنيا
مثل السبت والاحد **الجواب** الولدان يطوفون على اهل الجنة خلق من
خلق الجنة ليسوا ابناء اهل الدنيا بل ابناء اهل الدنيا اذا دخلوا الجنة يكمل خلقهم
كاهل الجنة على صورة ادم ابناء ثلاث وثلاثين في طول ستين ذراعا وقد روي
ان العرض سبعة اذرع وارواح المومنين في الجنة وارواح الكفار في النار تنعم
ارواح المومنين وتعذب ارواح الكفار الى ان تعاد الى الابدان وولد الزنا ان امن وعمل صالحا
دخل الجنة والا جوزي بعمله كما يجازى غيره والجزاء على الاعمال لا على الانساب
وانما يذم ولد الزنا لانه مظنة ان يعمل عملا خبيثا كما يقع كثيرا كما تحمد الانساب الفاضلة
لانها مظنة عمل الخير فاذا ظهر العمل فالجزاء عليه واكرم الخلق عند الله
اتقاهم فاما اولاد المشركين فاصح الاجوبة فيهم جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا يولد على الفطرة الحديث
قيل يا رسول الله ارايت من يموت من اطفال المشركين وهو صغير قال الله
اعلم بما كانوا عاملين فلا يحكم على معين منهم لا بجنة ولا بنار وروي انهم
يوم القيمة يمتحنون في عرصات القيمة فمن اطاع الله حينئذ دخل
الجنة ومن عصى دخل النار والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ولا ليل
ولا نهار لكن تعرف البكرة من العشية بنور يظهر من قبل العرش
والله سبحانه وتعالى اعلم **مسئله** في رجل سمع كتب الحديث والتفسير
واذا قرئ كتاب الحلية لم يسمعه فقيل له فلم لا تسمع اخبار السلف فقال
لا اسمع من كتاب ابي نعيم شيئا فقيل هو امام ثقة شيخ المحدثين في وقته
فلم تسمع ولم تثق بنقله فقيل له بيننا وبينك عالم الزمان وشيخ الاسلام

تقي الدين ابن تيميه في حال ابي نعيم فقال انا اسمع ما يقول شيخ الاسلام وارجع
اليه فارسل هذا الجواب من دمشق **فاجاب فيه** الحمد لله رب العالمين
ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني صاحب كتاب حلية الاولياء وتاريخ اصفهان
والمستخرج على البخاري وعلى مسلم وكتاب الطب وعمل يوم وليلة وفضائل الصحابة
ودلائل النبوة وصفة الجنة ومحجة الواثقين وغير ذلك من المصنفات من اكبر
حفاظ الحديث ومن اكثرهم تصنيفا وممن انتفع الناس بتصانيفه وهو من
ان يقال له ثقة فان درجته فوق ذلك وكتابه الحليه من اجود الكتب المصنفه
في اخبار الزهاد والمنقول فيها اصح من المنقول في رسالة القشيري ومصنفات
ابي عبد الرحمن السلمي شيخه ومناقب الابرار لابن خميس وغير ذلك فان ابا نعيم
اعلم بالحديث واكثر حديثا واثبت رواية ونقلا من هولاء ولكن كتاب الزهد
للامام احمد والزهد لابن المبارك وامثالهما اصح نقلا من الحليه وهذه الكتب
وغيرها لا بد فيها احاديث ضعيفة وحكايات ضعيفة بل باطلة وفي الحلية
من ذلك قطع ولكن الذي في غيرها من الكتب اكثر مما فيها فان في مصنفات
ابي عبد الرحمن السلمي ورسالة القشيري ومناقب الابرار ونحو ذلك من الحكايات
الباطلة بل ومن الاحاديث الباطلة ما لا يوجد مثله في مصنفات ابي نعيم
ولكن صفوة الصفوة لابي الفرج بن الجوزي نقلها من جنس نقل الحليه والغالب
على الكتابين الصحة ومع هذا ففيهما احاديث وحكايات باطلة واما الزهد
للامام احمد ونحوه فليس فيه من الحكايات الموضوعة ما يوجد في مثل هذه
فانه لا يذكر في مصنفاته عمن هو معروف بالوضع بل قد يقع فيه ما هو
ضعيف بسوء حفظ الناقل وكذلك الاحاديث المرفوعة ليس فيها ما يعرف
انه موضوع قصد الكذب فيه كما ليس ذلك في مسنده لكن فيه ما يعرف
انه غلط غلط فيه راويه ومثل هذا يوجد في غالب كتب الاسلام فلم
يسلم كتاب من الغلط الا القرآن واجل ما يوجد فيه صحة كتاب
البخاري في نفس صحيحه ما بين غلط فيه الراوي كما بين اختلاف الرواة

فيه بغير جابر وفيه عن بعض الصحابة ما يقال انه غلط كما فيه عن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم والمشهور عند
اكثر الناس انه تزوجها حلالا وفيه عن اسامة ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يصل في البيت وفيه ايضا عن بلال انه صلى فيه وهذا اصح عند العلماء
واما مسلم ففيه الفاظ عرف انها غلط كما فيه خلق الله التربة يوم السبت
وقد بين البخاري ان هذا غلط وان هذا من كلام كعب وفيه ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى الكسوف بثلاث ركوعات في كل ركعة والصواب انه لم يصل
الكسوف الا مرة واحدة وفيه ان ابا سفيان سأله التزوج بام
حبيبة وهذا غلط وهذا من اجل فنون العلم بالحديث يسمى علم علل
الحديث واما كتاب حلية الاولياء فمن اجود مصنفات المتاخرين
في اخبار الزهاد وفيه من الحكايات ما لم يكن به حاجة اليه والاحاديث
المروية في اوائلها فيها احاديث كثيرة ضعيفة بل موضوعة والله اعلم

مسئلة ما قول ائمة الدين في تعبد النبي صلى الله عليه وسلم ما هو وكيف كان
قبل مبعثه افتونا ماجورين **الجواب** الحمد لله هذه المسئلة
مما لا يحتاج اليها في شريعتنا فانما علينا ان نطيع الرسول فيما امرنا به
ونقتدي به بعد ارساله الينا واما ما كان قبل ذلك مثل تحنثه بغار حرا
ومثل ذلك فهذا ليس بسنة مسنونة للامة فلهذا لم يكن احد من
الصحابة بعد الاسلام يذهب الى غار حرا ولا يتحرى امثال ذلك فانه لا
يشرع لنا بعد الاسلام ان نقصد غيران الجبال ولا نتخلى فيها بل سن
لنا العكوف في المساجد سنة مسنونة لنا واما قصد التخلي في كهوف
الجبال وغيرانها والسفر الى جبل بركة مثل جبل الطور وجبل حرى وجبل
يأرب ونحو ذلك فهذا ليس بمشروع لنا بل قال النبي صلى الله عليه وسلم لا
تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وقد كان صلى الله عليه وسلم قبل البعث
يحج ويتصدق ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ولم يكن

على دين قومه المشركين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

مسئلة

في هذه الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى موسى عليه السلام وهو يصلي في قبره ورآه وهو يطوف بالبيت ورآه في السماء وكذلك بعض الانبيا وهل اذا مات احد يبقى له عمل والحديث انه ينقطع عمله وهل ينتفع بهذه الصلاة والطواف وهل رأى الانبياء باجسادهم في هذه الاماكن ام ارواحهم

الجواب

الحمد لله رب العالمين اما رؤيا موسى عليه السلام في الطواف فهذا كان رؤيا منام لم يكن ليلة المعراج كذلك جاء مفسرا كما رأى المسيح ايضا ورأى الدجال اما رؤيته ورؤية غيره من الانبياء ليلة المعراج في السماء لما رأى آدم في سماء الدنيا ورأى يحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في السادسة وابراهيم في السابعة او بالعكس فهذا رأى ارواحهم مصورة في ابدانهم وقد قال بعض الناس انه رأى نفس الاجساد المدفونة في القبور وهذا ليس بشيء لكن عيسى صعد الى السماء بروحه وجسده وكذلك قد قيل في ادريس واما ابراهيم وموسى وغيرهما فهم مدفونون في الارض والمسيح صلى الله عليه وعلى سائر النبيين لا بد ان ينزل الى الارض على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة ولهذا كان في السماء الثانية مع انه افضل من ادريس وهارون لانه يريد النزول الى الارض قبل يوم القيمة بخلاف غيره وآدم كان في السماء الدنيا لان نسم بنيه تعرض عليه ارواح السعداء والاشقياء والاشقياء لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فلا بد اذا عرضوا عليه ان يكون قريبا منهم واما كونه رأى موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء ايضا فهذا لا منافات بينهما فان امر الارواح من جنس امر الملائكة في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك ليست في ذلك كالبدن وقد بسطت الكلام على احكام الارواح بعد مفارقة الابدان في غير هذا الموضع وذكرت بعض ما في ذلك من الاحاديث والآثار والدلائل وهذه الصلاة ونحوها مما يتمتع بها الميت ويتنعم بها كما يتنعم اهل الجنة بالتسبيح فانهم يلهمون

التسبيح

التسبيح كما يلهمون الناس في الدنيا النفس فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به النفس وتتلذذ به وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به من بعده وولد صالح يدعو له يريد به العمل الذي له ثواب لم يرد به نفس العمل الذي يتنعم به فان اهل الجنة يتنعمون بالنظر الى الله ويتنعمون بذكره وتسبيحه ويتنعمون بقراءة القرآن ويقال للقارئ اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته وان كانت هذه الامور في الدنيا اعمالا يترتب عليها الثواب فهي في الآخرة اعمال يتنعم بها صاحبها اعظم من اكله وشربه ونكاحه فهذه كلها اعمال ايضا والاكل والشرب والنكاح في الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة وهو في الآخرة نفس الثواب الذي يتنعم به والله اعلم

مسئلة

هل صح عن احد من اهل العلم والحديث او من يقتدى به في دين الاسلام ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال اذا انا مت فاركبوني فوق ناقتي وسيبوني فاينما بركت ادفنوني فسارت ولم يعلم احد قبره فهل صح ذلك ام لا وهل علم احد من اهل العلم اين دفن ام لا وما كان سبب قتله وفي اي وقت كان ومن قتله ومن قتل الحسين وما كان سبب قتله وهل صح ان اهل البيت النبي صلى الله عليه وسلم سبوا وانهم ركبوا على الابل عراة ولم يكن عليهم ما يسترهم فخلق الله الابل التي كانوا عليها سنامين استتروا بها وان الحسين لما قطع راسه داروا به في جميع البلاد وانه حمل الى دمشق وحمل الى مصر ودفن بها وان يزيد بن معاوية هو الذي فعل هذا باهل البيت فهل صح ذلك ام لا وهل قائل هذه المقالة مبتدع بها في دين الله وما الذي يجب عليه اذا تحدث بهذا بين الناس وهل اذا انكر عليه هذا منكر هل يسمى آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ام لا افتونا وبينوا لنا بيانا شافيا ماجورين

الجواب

الحمد لله رب العالمين اما ما ذكر من توصية امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضه
اذا مات يركب فوق دابته وتسيب ويدفن حيث تبرك وانه فعل به ذلك
فهذا كذب مختلق باتفاق اهل العلم لم يوص علي بشيء من ذلك ولا فعل به
شيء من ذلك ولم يذكر هذا احد من المعروفين بالعلم والعدل وانما يقوله
من ينقل ذلك عن بعض الكذابين ولا يحل ان يفعل هذا باحد من موتى
المسلمين ولا يحل لاحد ان يوصي بذلك بل هذا مثلة بالميت ولا فائدة في
هذا الفعل فانه ان كان المقصود تعمية قبره فلا بد اذا بركت الناقة من ان
يحفر له قبر ويدفن فيه وح يمكن ان يحفر له قبر ويدفن فيه بدون هذه
المثلة القبيحة فهل ان يترك ميتا على ظهر دابة تسير في البرية وقد تنازع
العلماء في موضع قبره والمعروف عند اهل العلم انه دفن بقصر الامارة بالكوفة
وانه خفي قبره لئلا ينبشه الخوارج الذين كانوا يكفرونه ويستحلون قتله
فان الذي قتله واحد من الخوارج وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي وكان
قد تعاهد هو وآخران على قتل علي وقتل معوية وقتل عمرو بن العاص
فانهم يكفرون هؤلاء وكل من لم يوافقهم على اهوائهم وقد تواترت النصوص
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذمهم اخرج مسلم في صحيحه حديثهم من عشرة اوجه وخرج
البخاري من عدة اوجه واخرجه اصحاب السنن والمسانيد من اكثر من ذلك
فقال صلى الله عليه وسلم فيهم يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم
وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام
كما يمرق السهم من الرمية لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد وفي رواية اينما
لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيمة
يقتلون اهل الاسلام واتفق الصحابة على قتالهم لكن الذي باشر قتالهم
وامر به علي بن ابي طالب رضه كما في الصحيح عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال تمرق مارقة على حين فرقة من الناس تقتلهم اولى الطائفتين
الى الحق فقتلهم علي بن ابي طالب بالنهروان وكانوا قد اجتمعوا بمكان
يقال له حروراء ولهذا يقال لهم الحرورية وارسل اليهم ابن عباس فناظرهم

حتى

حتى رجع منهم نحو نصفهم ثم ان الباقين قتلوا عبد الله بن خباب واغاروا
على سرح المسلمين فامر علي الناس بالخروج لقتالهم وروى لهم امر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتالهم وذكر العلامة التي فيهم ان فيهم رجلا مخدج اليدين ناقص اليد على
ثديه مثل البضعة من اللحم تدردر ولما قتلوا وجد فيهم هذا المنعوت
فلما اتفق الخوارج الثلاثة على قتل امراء المسلمين الثلاثة قتل عبد الرحمن
بن ملجم علي بن ابي طالب يوم الجمعة سابع عشر شهر رمضان عام اربعين
اغتاله فحين خرج لصلاة الفجر ضربه وكانت السنة ان الخلفاء ونوابهم الذين هم ملوك المسلمين
هم الذين يصلون بالمسلمين الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والاستسقاء
والكسوف ونحو ذلك كالجنائز فامير الحرب هو امير الصلاة الذي هو امامها
واما الذي اراد معاوية فقالوا انه جرحه فقال له الطبيب انه يمكن علاجك
لكن لا يبقى لك نسل ويقال انه من حينئذ اتخذ معاوية المقصورة في المسجد
واقتدى به الامراء ليصلوا فيها هم وحاشيتهم خوفا من وثب الناس على الامير
وقتله وان كان قد فعل فيها مع ذلك ما لا يسوغ ذكره وكره من كره الصلاة
في نحو هذه المقاصير واما الذي اراد قتل عمرو بن العاص فان عمرا قد
استخلف ذلك اليوم رجلا اسمه خارجة فظن الخارجي انه عمرو فقتله
فلما تبين له قال اردت عمرا واراد الله خارجة فسارت مثلا فقيل
انهم كتموا قبر علي وقبر معوية وقبر عمرو خوفا عليهم من الخوارج ولهذا
دفنوا معاوية داخل الحائط القبلي من المسجد الجامع في قصر الامارة الذي
كان يقال له الخضراء وهو الذي تسميه العامة قبر هود وهود باتفاق
العلماء لم يجئ الى دمشق واما معاوية الذي خارج باب الصغير فانه معاوية
بن يزيد بن معاوية الذي تولى نحو اربعين يوما وكان فيه زهد ودين
وعلي دفن هناك وعفي قبره فلذلك لم يظهر قبره واما المشهد الذي
بالنجف فاهل المعرفة متفقون على انه ليس بقبر علي بل قيل انه قبر
المغيرة بن شعبة ولم يكن احد يذكر ان هذا قبر علي ولا يقصده احد
اكثر من ثلاث مائة سنة مع كثرة المسلمين من اهل البيت والشيعة
وغيرهم وحكمهم بالكوفة وانما اتخذ ذلك مشهدا في ملك بني بويه

الاعاجم بعد موت علي باكثر من ثلاث مائة سنة ورووا حكاية فيها ان الرشيد كان ياتي
الى تلك الاشياء لا تقوم بها حجة واما السؤال عن سبي اهل البيت واركابهم الابل
حتى نبت لها سنامان وهي البخاتي ليستتروا بذلك فهذا من اقبح الكذب وابينه
وهو مما افتراه الزنادقة والمنافقون الذين مقصودهم الطعن في الاسلام واهله
من اهل البيت وغيرهم فان من سمع مثل هذا وشهرته وما فيه من الكذب قد يظن
او يقول ان المنقول الينا من معجزات الانبياء وكرامات الاولياء هو من هذا الجنس
ثم اذا تبين ان الامة سبت اهل بيت نبيها كان فيها من الطعن في خير امة اخرجت
للناس مما لا يعلمه الا الله اذ كل عاقل يعلم ان الابل البخاتي كانت مخلوقة موجودة
قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقبل وجود اهل البيت كوجود غيرها من الابل
والبقر والغنم والخيل والبغال والمعز وانما هذه الكذبة نظير كذبهم بان عليا
رضي الله عنه غضب يوم خيبر فوطئته البغلة فقال لها قطع الله نسلك فعاد
كل عاقل يعلم ان البغلة لم يكن لها قط نسل هذا مع انهم لم يكن معهم بخيبر بغلة
بل لم يكن في المسلمين بغال واول بغلة صارت فيهم التي اهداها المقوقس
صاحب مصر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى مات وهي عنده وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صنفان من اهل النار من امتي لم ارهما بعد نساء
كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن امثال اسنمة البخت لا يدخلن
الجنة ولا يجدن ريحها ورجال معهم سياط مثل اذناب البقر يضربون بها
عباد الله فالنبي صلى الله عليه وسلم شبه لاصحابه العصائب الكبار التي ستكون
بعد موته باسنمة البخاتي فلولا انهم كانوا يعرفونها لم يفهموا وهذه العصائب
قد ظهرت بعد مدة طويلة في هذا الزمان ونحوه ثم ان البخاتي لا تستر
راكبها اذا كان عاريا ولو شاء الله ان يستر من عري بغير حق لستره بما يصلح له
كما ستر ابراهيم الخليل لما جرد والقي في المنجنيق ومما يبين ظهور الكذب
في هذا ان المسلمين ما زالوا يسبون الكفار من اهل الكتاب وغيرهم ومع
هذا فما علم انهم قط كانوا يحملون النساء مجردات بادية ابدانهن بل غاية
ما يظهر من المرأة المسبية وجهها او يداها وقدماها ولم يعلم في
الاسلام ان اهل البيت سبى احدا منهم احد من المسلمين في وقت
من الاوقات

وكان ذلك [illegible] عند النبي صلى الله عليه وسلم صح

من الاوقات مع العلم بانهم من اهل البيت اللهم الا ان يقع في اثناء الفتنة ما يسبيه
المسلمون ممن لا يعلم انه من اهل البيت كما قد سباها العدو ثم استنقذها
المسلمون اذا تبين انها كانت حرة الاصل ارسلوها وان كان في ضمن ذلك
من لا يعرف ومن يخفي نسبها ويستحل منها ما حرم الله من هو زنديق منافق
فالله اعلم بحقيقة ذلك لم يكن شيء من ذلك علانية في الاسلام قط وهذا
مما يقوله هؤلاء الجهال ان الحجاج بن يوسف قتل الاشراف واراد قطع دابرهم
وهذا من الجهل باحوال الناس فان الحجاج مع كونه كان مبيرا سفاكا للدماء
قتل خلقا كثيرا لم يقتل من اشراف بني هاشم احدا قط بل سلطانه عبد الملك
نهاه عن التعرض لبني هاشم وهم الاشراف وذكر انه اتى الى
الحرب لما تعرضوا لهم يعني لما قتل الحسين ولا يعلم في خلافة عبد الملك
والحجاج نائبه على العراق انه قتل احدا من بني هاشم والذي يذكر السبي
بكثرة ما يذكر مقتل الحسين وحمل اهله الى يزيد لكنهم جهال بحقيقة ما جرى فيظن
الظان منهم ان اهله حملوا الى مصر وانهم قتلوا بمصر وانهم كانوا خلقا كثيرا
حتى ان منهم من اذا راى موتى عليهم اثار القتل قال هؤلاء من السبي الذين
قتلوا وهذا كله جهل وكذب والحسين رضي الله عنه ولعن من قتله او رضي بقتله
قتل يوم عاشوراء عام احدى وستين وكان الذي حض على قتله الشمر بن ذي
الجوشن وصار يكتب في ذلك الى نائب السلطان على العراق عبيد الله بن زياد
وعبيد الله هذا امر بمقاتلة الحسين لنائبه عمر بن سعد بن ابي وقاص بعد
ان طلب الحسين منهم ما طلبه آحاد المسلمين لم يجيبوه فقاتلوه فطلب منهم
ان يدعوه حتى يرجع الى المدينة او يرسلوه الى يزيد ابن عمه او يذهب
الى الثغر يقاتل الكفار فامتنعوا الا ان يستاسروه او يقاتلوه فقاتلوه
حتى قتلوه وطائفة من اهل بيته وغيرهم ثم حملوا اهله الى يزيد بن معاوية
بدمشق ولم يكن يزيد امرهم بقتله ولا ظهر منه سرور بذلك ورضي به
بل قال كلاما فيه ذم لهم حيث نقل عنه انه قال لقد كنت ارضى من
طاعة اهل العراق بدون قتل الحسين وقال لعن الله ابن مرجانة يعني
عبيد الله بن زياد والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله يزيد

بذلك الطعن في نسبها فانه حيث كان ابوه زياد استلحق حتى كان ينتسب الى ابي
سفيان بن صخر بن حرب وبنوا اميه وبنوا هاشم كلاهما بني عبد مناف وروى
انه لما قدم على يزيد ثقل الحسين واهله ظهر في داره البكاء والصراخ لذلك
وانه اكرم اهله وامرهم منزلا حسنا وخير ابنه عليا بين ان يقيم عنده وبين
ان يذهب الى المدينه والمكان الذي يقال له مشهد علي بن الحسين بجامع
دمشق باطل لا اصل له لكن مع هذا لم يقم حدا على من قتل الحسين رضي الله عنه
ولا انتصر له بل قتل اعوانه لاقامة ملكه وقد نقل عنه انه تمثل في قتل
الحسين بابيات تقتضي في قائلها الكفر الصريح كقوله

لما بدت تلك الحمول واشرقت ... تلك الرؤس الى ربا جيرون
نعق الغراب فقلت نح او لا تنح ... فلقد قضيت من النبي ديوني

وهذا الشعر كفر ولا ريب ان يزيد تفاوت الناس فيه فطائفة تجعله كافرا بل
تجعل هو وابوه كافرين بل يكفرون مع ذلك ابا بكر وعمر ويكفرون عثمان
وجمهور المهاجرين والانصار وهولاء الرافضة من اجهل الناس خلق الله
واضلهم واعظمهم كذبا على الله ورسوله والصحابة والقرابة وغيرهم
فكذبهم على يزيد مثل كذبهم على ابي بكر وعمر وعثمان بل كذبهم على يزيد
اهون بكثير وطائفة تجعله من ائمة الهدى وخلفاء العدل وصالحي المومنين
وقد تجعله بعضهم من الصحابة وبعضهم يجعله نبيا وهذا ايضا من ابين
الجهل والضلال ومن اقبح الكذب والمحال بل كان ملكا من ملوك المسلمين
له حسنات وسيئات والقول فيه كالقول في امثاله من الملوك وقد بسطنا القول
في هذا في غير هذا الموضع واما راس الحسين رضي الله عنه بكربلاء قريبا
من الفرات دفن جسده حيث قتل وحمل راسه الى عبيد الله بن زياد في الكوفه
هذا الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره من الائمه واما حمله الى الشام الى يزيد
فقد روي ذلك من وجوه منقطعة لم يثبت شي منها بل في الروايات
ما يدل على انها من الكذب المختلق فانه يذكر فيها ان يزيد جعل ينكت
بالقضيب على ثناياه وان بعض الصحابة الذين حضروا كانس بن مالك
وابي برزه

وابي برزة انكر ذلك وهذا تلبيس فان الذي جعل ينكت بالقضيب انما كان
عبيد الله بن زياد هكذا في الصحيح والمسانيد وانما جعلوا مكان عبيد الله
بن زياد يزيد وعبيد الله لا ريب انه امر بقتله وحمل الراس الى بين يديه ثم ان
ابن زياد قتل بذلك لاجل ذلك ومما يوضح ذلك ان الصحابة المذكورين كانس
وابي برزه لم يكونوا بالشام وانما كانوا بالعراق حينئذ وانما الكذابون
جهال بما يستدل به على كذبهم واما حمله الى مصر فباطل باتفاق الناس
وقد اتفق العلماء كلهم على ان هذا المشهد الذي بقاهرة مصر الذي يقال له
مشهد الحسين فيه راس الحسين ولا شيء منه وانما احدث في اخر دولة بني
عبيد الله بن القداح الذين كانوا ملوكا بالديار المصريه مائتي عام الى ان
انقرضت دولتهم في ايام نور الدين محمود وكانوا يقولون انهم من ولد
فاطمه ويدعون الشرف واهل العلم بالنسب يقولون ليس لهم نسب صحيح
ويقال ان جدهم كان ربيبا لشريف حسيني فادعوا الشرف لذلك واما مذاهبهم
وعقائدهم فكانت منكرة باتفاق اهل العلم بدين الاسلام وكانوا يظهرون
التشيع وكان كثير من كبرائهم واتباعهم يبطنون مذهب القرامطة الباطنيه
وهو من اخبث مذاهب اهل الارض افسد من اليهود والنصارى ولهذا كانت
عامة من انضم اليهم اهل الزندقة والنفاق والبدع المتفلسفة والمباحيه والرافضه
واشباه هولاء ممن لا يستريب اهل العلم والايمان في انه ليس من اهل العلم
والايمان فاحدث هذا المشهد في المائة الخامسة نقل من عسقلان
وعقيب ذلك بقليل زالت دولة الذين ابتدعوه بموت العاضد اخر ملوكهم والذي
رجحه اهل العلم في موضع راس الحسين بن علي رضي الله عنهما هو ما ذكره الزبير
بن بكار في كتاب انساب قريش والزبير بن بكار هو من اعلم الناس واوثقهم
في مثل هذا ذكر ان الراس حمل الى المدينة النبويه ودفن هناك وهذا
مناسب فان هناك قبر اخيه الحسن وعم ابيه العباس وابنه علي وامثالهم
قال ابو الخطاب ابن دحيه الذي كان يقال له ذا النسبين ابن دحية
والحسين من كتاب العلم المشهور في فضل الايام والمشهور لما ذكر

ما ذكره الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن انه قدم براس الحسين وبنو امية مجتمعون عند
عمرو بن سعيد فسمعوا الصياح فقالوا ما هذا فقيل نساء بني هاشم يبكين حين
راين راس الحسين بن علي قال واوتي براس الحسين بن علي فدخل به على عمرو فقال
والله لوددت ان امير المؤمنين لم يكن بعث الي به قال ابن دحيه فهذا الاثر يدل
على ان الراس حمل الى المدينة ولم يصح فيه سواه والزبير اعلم اهل النسب وافضل
العلماء بهذا النسب قال وما ذكر انه في عسقلان في مشهد هناك فشيء باطل لا
يقبله من معه ادنى مسكة من العقل والادراك فان بني امية مع ما اظهروه من
القتل والعداوه والاحقاد لا يتصور ان يبنوا على الراس مشهد الزيارة هذا
واما ما فعله بنو عبيد في ايام ادبارهم وحلول بوارهم وتعجيل دمارهم في
ايام الملقب بالقاسم عيسى بن الظافر وهو الذي عقد له بالخلافة وهو ابن خمس
سنين وايام ولد يوم الجمعة الحادي عشر من المحرم سنة اربع واربعين وخمسمائة
بويع له صبيحة قتل ابيه الظافر يوم الخميس سلخ المحرم سنة تسع واربعين وله
من العمر ما قدمناه فلا يجوز عقوده ولا عهوده وتوفي وله من العمر احدى
عشر سنة وستة اشهر وايام لانه توفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب
سنة خمس وخمسين وخمسمايه فافتعل في ايامه بناء المشهد المحدث بالقاهرة
ودخول الراس مع المشهدي العسقلاني امام الناس ليتوطن في قلوب العامة
منه ما ارادوا منهم من الامور الظاهرة وذلك شيء افتعل قصدا او تصنع غرضا
وقضوا لها في نفوسهم لاستجلاب العامة غرضا والذي بناه طلايع بن رزيك
الرافضي وقد ذكره جميع من الف في مقتل الحسين ان الراس المكرم ما غرب قط
وهذا الذي ذكره ابو الخطاب بن دحيه في امر هذا المشهد وانه مكذوب مفترى
هو امر متفق عليه عند اهل العلم والكلام في هذا الباب واشباهه متسع فانه
بسبب مقتل عثمان ومقتل الحسين وامثالهما جرت فتن كثيرة واكاذيب
واهوى اوقع فيها طوائف من المتقدمين والمتاخرين وكذب على امير المؤمنين
عثمان وامير المؤمنين علي بن ابي طالب انواع من الاكاذيب يكذب بعضها
شيعتهم

منقصهم

شيعتهم ونحوهم ويكذب بعضها مبغضوهم لا سيما بعد مقتل عثمان فانه من
اعظم الكذب والاهوى وقد نزه امير المؤمنين علي مقالات من الجانبين علي بري
منها وصارت البدع والاهواء والكذب تزداد حتى حدثت امور يطول شرحها
مثل ما ابتدعه كثير من المتاخرين يوم عاشوراء فقوم يجعلونه ماتما يظهرون
فيه من النياحة والجزع وتعذيب النفوس وظلم البهائم وسب من مات من
اولياء الله والكذب على اهل البيت وغير ذلك من المنكرات المنهي عنها بكتاب الله
وسنة رسوله واتفاق المسلمين والحسين رض اكرمه الله بالشهادة في هذا اليوم
واهان بذلك من قتله او اعان على قتله او رضي بقتله وله اسوة حسنة
بمن سبقه من الشهداء فانه هو واخوه سيدا شباب اهل الجنة وكانا قد
تربيا في عز الاسلام لم ينالا من الهجرة والجهاد والصبر على الاذى في الله ما ناله
اهل بيتهم اكرمهما الله بالشهادة تكميلا لكرامتهما ورفعا لدرجتهما وقتله
مصيبة عظيمة والله سبحانه قد شرع للمسلمين الاسترجاع عند المصيبة بقوله
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وفي الصحيحين
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يصاب بمصيبة فيقول انا لله
وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في
مصيبته واخلف له خيرا منها ومن احسن ما يذكر هنا انه قد روى الامام
احمد وابن ماجه عن فاطمة بنت الحسين عن ابيها الحسين رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته
وان قدمت فيحدث عندها استرجاعا كتب الله له مثلها يوم اصيب هذا
الحديث رواه عن الحسين ابنته فاطمة التي شهدت مصرعه وقد علم ان
المصيبة بالحسين تذكر مع تقادم العهد فكان من محاسن الاسلام ان
بلغ هو هذه السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو انه كلما ذكرت هذه
المصيبة يسترجع لها فيكون للانسان من الاجر مثل الاجر يوم اصيب



بها المسلمون واما ما فعل مع تقادم العهد بها فما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم عند
حدثان العهد بالمصيبة فعقوبته اشد مثل لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء
بدعوى الجاهلية ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وفي
الصحيحين عن ابي موسى الاشعري قال انا بريء مما بريء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الحالقة والصالقة والشاقة وفي صحيح مسلم
عن ابي مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربع في امتي من امر الجاهلية
لا يتركونهن الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم
والنياحة وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة وعليها
سربال من قطران ودرع من جرب والاثار في ذلك متعددة فكيف اذا انضم
الى ذلك ظلم المؤمنين ولعنهم وسبهم واعانة اهل الشقاق والالحاد على ما
يقصدونه للدين من الفساد وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالى وقوم
من المتسننة رووا ورويت لهم احاديث موضوعة بنوا عليها ما جعلوه شعارا
في هذا اليوم يعارضون به شعار اولئك القوم فقابلوا باطلا بباطل وردوا
بدعة ببدعة وان كانت احداهما اعظم في الفساد واعون لاهل الالحاد
مثل الحديث الطويل الذي يروى فيه من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك
العام ومن اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام وامثال ذلك من الخضاب
يوم عاشوراء والمصافحة فيه ونحو ذلك فان هذا الحديث ونحوه كذب
مختلق باتفاق من يعرف علم الحديث وان كان قد ذكره بعض اهل الحديث
وقال انه صحيح واسناده على شرط الصحيح فهذا من الغلط الذي لا ريب فيه
كما هو مبين في غير هذا الموضع ولم يستحب احد من ائمة المسلمين الاغتسال
يوم عاشوراء ولا الكحل فيه والخضاب وامثال ذلك ولا ذكره احد من
علماء المسلمين الذين يقتدى بهم ويرجع اليهم في معرفة ما امر الله به ونهى
عنه ولا فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان
ولا علي ولا ذكر مثل هذا الحديث في شيء من الدواوين التي صنفها علماء
الحديث

الحديث لا في المسندات كمسند احمد واسحاق واحمد بن منيع والحميدي والدارقطني
وابو يعلى الموصلي وامثالها ولا في المصنفات على الابواب كالصحاح والسنن
ولا في الكتب المصنفة الجامعة للمسند والاثار مثل موطأ مالك ووكيع وعبد الرزاق
وسعيد بن منصور وابن ابي شيبة وامثالهم ثم ان اهل الاهواء ظننت من يفعل هذا
انه يفعل على سبيل النصب والعداوة لاهل البيت والاشتفاء فيهم فعارضوهم ما تسنن
واجاب عن ذلك باجابة بين فيها براءتهم من النصب واستحقاقهم لموالاة اهل
البيت وانهم احق بذلك من غيرهم وهذا حق لكن دخلت عليهم الشبهة والغلط
في ظنهم ان هذه الافعال حسنة مستحبة والله اعلم بمن ابتدأ وضع ذلك وابتدع
هل كان قصده عداوة اهل البيت او عداوة غيرهم بغير هدى من الله او غير ذلك
ضلال ونحن علينا ان نتبع ما انزل الينا من ربنا من الكتاب والحكمة ونلزم
الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ونعتصم بحبل الله جميعا ولا نتفرق ونامر بما امر الله به وهو الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وان نتحرى الاخلاص لله في اعمالنا واقوالنا فان
هذا هو دين الاسلام قال الله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن
واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا وقال تعالى والذين اذا فعلوا
فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء
اتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند
كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون وقال تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته الى قوله يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه اهل البدعة والفرقة وقال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
لست منهم في شيء وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء الاية ولبس الكذب في المشاهد وجعل المشاهد المضافة الى الانبياء
وغيرهم كذب مثل القبر الذي يقال له قبر نوح قريبا من بعلبك في سفح جبل لبنان

تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه

ومثل الذي في قبلي جامع دمشق الذي يقال له قبر هود وإنما هو قبر معاوية بن أبي سفيان
ومثل القبر الذي شرقي دمشق الذي يقال له قبر أبي بن كعب فإن أبيًا لم يقدم دمشق باتفاق
العلماء وكذلك ما يذكر في دمشق من قبر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وإنما توفين بالمدينة
النبوية وكذلك ما يذكر في مصر من قبر علي بن الحسين أو جعفر الصادق ونحو ذلك فهو
كذب باتفاق أهل العلم فإن علي بن الحسين وجعفر الصادق إنما توفيا بالمدينة وقد
قال عبد العزيز الكناني المحدث المعروف ليس في قبور الأنبياء ما ثبت إلا قبر نبينا
عليه السلام قال غير واحد وقبر الخليل أيضًا وسبب اضطراب أهل العلم بأمر القبور
أن ضبط ذلك ليس من الدين فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أن تتخذ القبور مساجد
فلما لم يكن معرفة ذلك من الدين لم يجب ضبطه فأما العلم الذي بعث الله به نبيه
صلى الله عليه وسلم فإنه مضبوط ومحروس كما قال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
وفي الصحاح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم
من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وأصل هذا الكذب هو الضلال والابتداع والشرك
فإن الضلال ظنوا أن السفر الرحال إلى هذه المشاهد والصلاة عندها والدعاء عندها
والنذر لها وتقبيلها واستلامها وغير ذلك من أعمال البر حتى رأيت كتابًا كبيرًا قد صنفه
بعض أئمة الرافضة محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد شيخ الملقب المرتضى وأبي جعفر
الطوسي سماه الحج إلى زيارة المشاهد ذكر فيه من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم
وأهل بيته في زيارة هذه المشاهد والحج إليها ما لم يذكر مثله في الحج إلى بيت الله الحرام
وعامة ما ذكره من أوضح الكذب وأبين البهتان حتى إني رأيت في ذلك من الكذب
والبهتان أكثر مما رأيته من الكذب في أكثر من كتب اليهود والنصارى وهذا إنما
ابتدعه وافتراه في الأصل قوم من المنافقة والزنادقة ليصدوا به الناس عن
سبيل الله ويفسدوا عليهم دين الإسلام وابتدعوا لهم أصل الشرك المضاد
لإخلاص الدين لله كما ذكره ابن عباس وغيره من السلف في قوله تعالى عن قوم نوح
وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا
وقد أضلوا كثيرًا قالوا هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح فلما ماتوا
عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه وبسطه
وبينه في أول كتابه في قصص الأنبياء وغيرها ولهذا صنف طوائف من الفلاسفة

الصابئين

الصابئين المشركين في تقرير هذا الشرك ما صنفوه واتفقوا هم والقرامطة الباطنية
على المحادة لله ورسوله حتى قتلوا أممًا كثيرة وصدوهم عن دين الله وأقل من
صار شعارًا لهم تعطيل المساجد وتعظيم المشاهد فإنهم يأتون من تعظيم
المشاهد وحجها والإشراك بها ما لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من أئمة
الدين بل ما نهى الله عنه ورسوله وعباده المؤمنون وأما المساجد التي أمر الله
أن ترفع ويذكر فيها اسمه فيخربونها فتارة لا يصلون جمعة ولا جماعة بناء
على ما أصلوه من شعب النفاق وهو أن الصلاة لا تكون إلا خلف معصوم
ونحو ذلك من ضلالاتهم وأول من ابتدع القول بالعصمة لعلي وبالنص عليه
من الخلافة هو رأس هؤلاء المنافقين عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديًا
فأظهر الإسلام وأراد إفساد دين الإسلام كما أفسد بولص دين النصارى
وقد أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتل هذا لما بلغه أنه يسب أبا بكر
وعمر حتى هرب منه كما أن عليًا حرق الغالية الذين ادعوا فيه الإلهية
وقال في المفضلة لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته
جلد المفتري فهؤلاء الصابئون المفترون أتباع الزنادقة المنافقون
يعطلون شعائر الإسلام وقيام عموده وأعظم سنن الهدى التي سنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الإفك والبهتان فلا يصلون جمعة ولا جماعة
ومن يعتقد هذا فقد يسوي بين المشاهد والمساجد حتى يجعل العبادة
كالصلاة والدعاء والقراءة والذكر وغير ذلك مشروعًا عند المقابر كما
هو مشروع في المساجد حتى يجد أحدهم إذا أراد الاجتهاد في الدعاء
والتوبة ونحو ذلك قصد قبر من يعظمه كشيخه أو غير شيخه فيجتهد عنده
في الدعاء والتضرع والخشوع والرقة ما لا يفعل مثله في المساجد ولا
في الأسحار ولا في سجوده لله الواحد القهار وقد آل الأمر بكثير من جهالهم
إلى أن صاروا يدعون الموتى ويستغيثون بهم كما يستغيث النصارى
بالمسيح وأمه فيطلبون من الأموات تفريج الكربات وتيسير الطلبات.

والنصر على الاعداء ورفع المصائب والبلاء وامثال ذلك مما لا يقدر عليه الا رب الارض
والسماء حتى ان احدهم اذا اراد الحج لم يكن اكثر همه الا الفرض الذي فرضه الله عليه
وحج بيت الله الحرام وهو شعار الحنيفية ملة ابراهيم امام اهل دين الله بل
يقصد المدينة ولا يقصدها لغير النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة في مسجده
حيث قال في الحديث الصحيح صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه
الا المسجد الحرام ولا يهتم بما امر الله به من الصلاة والسلام على رسوله حيث كان
ان من طاعة امره واتباع سنته وتعزيره وتوقيره وهو ان يكون احب اليه
من اهله وماله والناس اجمعين بل ان يكون احب اليه من نفسه بل القصد من
زيارة قبره او قبر غيره ما لم يامر الله به ورسوله ولا فعله اصحابه ولا استحبه ائمة
الدين وربما كان مقصوده بالحج من زيارة قبره اكثر من مقصوده بالحج وربما
سوى بين القصدين وكل هذا ضلال عن الدين باتفاق المسلمين بل نفس
السفر لزيارة قبر من القبور قبر نبي او غيره منهي عنه عند جمهور العلماء حتى
انهم لا يجوزون قصر الصلاة فيه بناء على انه سفر معصية لقوله الثابت
في الصحيحين لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى
ومسجدي هذا وهو اعلم الناس بمثل هذه المسالة وكل حديث يروى في زيارة
قبره فهو ضعيف بل موضوع بل قد كره مالك وغيره من ائمة المدينة ان
يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانما المسنون السلام عليه اذا اتى
قبره صلى الله عليه وسلم كما كان الصحابة والتابعون يفعلون اذا اتوا قبره كما هو
مذكور في غير هذا الموضع ومن ذلك الطواف في غير الكعبة وقد اتفق
المسلمون على انه لا يشرع الطواف الا بالبيت المعمور فلا يجوز الطواف
بصخرة بيت المقدس ولا بحجرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا بالقبة التي بجبل عرفات
ولا غير ذلك وكذلك اتفق المسلمون على انه لا يشرع الاستلام والتقبيل الا للركنين
اليمانيين فالحجر الاسود يستلم ويقبل واليماني يستلم وقد قيل يقبل
وهو ضعيف واما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله كجوانب البيت
والركنين الشاميين ومقام ابراهيم والصخرة والحجرة النبوية وسائر
قبور الانبياء

قوله كره مالك زيارة قبره صلى الله عليه

قبور الانبياء والصالحين وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال قاتل الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي رواية لمسلم
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي الصحيحين
ايضا عن عائشة وابن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق
يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو
كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
ولولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجدا وفي صحيح مسلم عن جندب
بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بخمس وهو يقول
اني ابرا الى الله ان يكون لي منكم خليلا فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم
يتخذون قبور انبيائهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم
عن ذلك وفي صحيح مسلم عن ابي مرثد الغنوي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام رواه اهل السنن كابي داود
والترمذي وابن ماجه وعلله بعضهم بانه روي مرسلا وصححه الحفاظ
وفي الصحيحين عن عائشة قالت لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكر له بعض نسائه
كنيسة رايتها بارض الحبشة يقال لها مارية وكانت ام سلمة وام حبيبة
اتتا ارض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه فقال اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا
فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد
والسرج رواه اهل السنن كابي داود والنسائي والترمذي وقال
حديث حسن وفي بعض النسخ صحيح وفي موطا مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وفي سنن ابي داود
عنه انه قال لا تتخذوا قبري عيدا ولا تتخذوا بيوتكم مقابر واما العبادات
في المساجد كالصلاة والقراءة والدعا والذكر ونحو ذلك فقد قال تعالى

ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها وقال تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة الاية وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله الاية وقال تعالى قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد الاية وقال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الاية وقال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين درجة وفي لفظ صلاة الجماعة افضل من صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت ان امر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل اعمى فقال يا رسول الله انه ليس لي قائد يقودني الى المسجد فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه قال هل تسمع النداء بالصلاة قال نعم قال فاجب وفيه ايضا عن ابن مسعود قال من سره ان يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فان الله شرع لنبيكم سنن الهدى وانهن من سنن الهدى ولو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفع بها درجة ويحط عنه بها خطيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام في الصف وهذا باب واسع قد نبهنا عليها بما كتبناه على سبيل الهدى في هذا الامر الفارق بين اهل التوحيد الحنفاء اهل ملة ابراهيم المتبعين لدين الله الذي

بعث الله

بعث الله به رسله وانزل به كتبه وبين لبس الحق بالباطل وشاب الحنيفية بالاشراك قال الله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الاية وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون والله سبحانه اعلم

مسألة فيمن يقول ان النقط والشكل من كلام الله تعالى وهل ذلك صحيح ام باطل وما الحكم في الاحرف هل هي كلام الله ام لا

الجواب الحمد لله المصاحف التي كتبها الصحابة لم يشكلوا حروفها ولم ينقطوها فانهم كانوا عربا لا يلحنون ثم بعد ذلك في اواخر عصر الصحابة لما نشأ اللحن صاروا ينقطون المصاحف ويشكلونها وذلك جائز عند اكثر العلماء وهو احدى الروايتين عن احمد وكرهه بعضهم والصحيح انه لا يكره لان الحاجة داعية الى ذلك ولا نزاع بين العلماء ان حكم الشكل والنقط حكم الحروف المكتوبة فان النقط يميز بين الحروف والشكل يميز الاعراب الكلام من تمام الكلام وروي عن ابي بكر وعمر انهما قالا اعراب القران احب الينا من بعض حروفه فاذا قرأ القارئ الحمد لله رب العالمين كانت الضمة والفتحة والكسرة من تمام لفظ القران واذا كان كذلك كان المداد الذي يكتب به الشكل والنقط كالمداد الذي يكتب به الحروف والمداد كله مخلوق ليس شيء منه غير مخلوق والصوت الذي تقرأ به الحروف كالصوت الذي يقرأ به الاعراب والصوت الذي يقرأ به الناس القران هو صوت العباد لكن الكلام كلام الله قال تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم فالكلام كلام الباري والصوت صوت القاري وهذا ليس هو الصوت الذي ينادي الله به عباده ويسمعه موسى وغيره كما دل على ذلك الكتاب والسنة وكلام الله غير مخلوق عند سلف الامة وائمتها وهو ايضا يتكلم

بمشيئته وقدرته عندهم لم يزل متكلما اذا شاء فهو قديم النوع واما نفس النداء
الذي نادى به موسى ونحو ذلك فحينئذ ناداه به كما قال تعالى فلما اتاها نودي يا موسى
وكذلك نظائره فكان السلف يفرقون بين نوع الكلام وبين الكلمة المعينة وقالوا
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مددا وكلام الله وما يدخل في كلامه من ندائه وغير ذلك ليس بمخلوق بائن منه
بل هو منه والقران سمعه جبريل من الله ونزل به الى محمد كما قال تعالى قل نزله روح
القدس من ربك بالحق وقال والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ونحو ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم
بلغه الى الامة والمسلمون يسمعه بعضهم من بعض وليس ذلك كسماع موسى
كلام الله فانه سمعه منه بلا واسطة والذي يقراه المسلمون ويكتبونه في
مصاحفهم هو كلام الله لا كلام غيره وهم يقرؤونه باصواتهم ويكتبونه بمدادهم
في ورقهم وافعالهم واصواتهم ومدادهم مخلوق والقران الذي يقرؤونه
ويكتبونه هو كلام الله تعالى غير مخلوق سوا قراوه قراه يثابون عليها اولا
يثابون عليها وسواء كتبوه مشكولا منقوطا او كتبوه غير مشكول ولا منقوط
فان ذلك لا يخرجه عن ان يكون المكتوب هو القران وهو كلام الله الذي انزل
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما بين اللوحين كلام الله سواء كان مشكولا منقوطا
او كان غير ذلك وكلام الله منزل غير مخلوق واصوات العباد والمداد مخلوقان
والقران العربي كلام الله تكلم الله به كله ليس بعضه كلام الله وبعضه ليس كلام الله
وليس لجبريل ولا لمحمد فيه الا التبليغ لم يحدث واحد منهما شيئا من حروفه بل الجميع
كلام الله والله اعلم

مسئلة في قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن الاية وقد اباح العلماء التزويج بالنصرانية واليهودية فهل هم من المشركين

الجواب نكاح الكتابية جائز بالاية التي في المائدة قال الله تعالى
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهذا مذهب جماهير السلف
والخلف من الائمة الاربعة وغيرهم وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كره نكاح
النصرانية وقال لا اعلم شركا اعظم من تقول ربها عيسى بن مريم وهو مذهب طائفة
من اهل البدع وقد احتجوا بالاية التي في سورة الممتحنة بقوله ولا تمسكوا

بعصم الكوافر والجواب عن الاية التي في البقرة من ثلثة اوجه احدها
ان اهل الكتاب لم يدخلوا في المشركين بدليل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين فجعل اهل الكتاب غير المشركين وبدليل قوله ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
فان قيل قد وصفهم بالشرك في قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو
سبحانه عما يشركون قيل اهل الكتاب ليس في اصل دينهم شرك فان الله انما بعث
الرسل بالتوحيد فكل من امن بالكتاب والرسل لم يكن في اصل دينه شرك
ولكن النصارى ابتدعوا الشرك كما قال سبحانه وتعالى عما يشركون وصفهم
انهم اشركوا فلاجل ما ابتدعوا من الشرك الذي لم يامر الله به سموا
مشركين فاصل دينهم اتباع الكتب المنزلة وهي انما جاءت بالتوحيد لا بالشرك
واذا قيل اهل الكتاب لم يكونوا من هذه الجهة مشركين فان الكتاب الذي اضيفوا
اليه لا شرك فيه كما اذا قيل المسلمون او امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم من
هذه الجهة لا اتحاد ولا رفض ولا تكذيب بالقدر ولا غير ذلك من البدع
وان بعض الداخلين في الامة قد ابتدع هذه البدع لكن امته لا تجتمع على
ضلالة فلا تزال فيها من هو متبع لشريعة التوحيد بخلاف اهل الكتاب
ولم يخبر الله عن اهل الكتاب بانهم مشركون بالاسم بل بالفعل والاسم
اولكن عن الفعل الوجه الثاني ان يقال ان شملهم لفظ المشركين في
سورة البقرة كما وصفهم بالشرك فهذا يتوجه فيه ان يفرق بين دلالة اللفظ
مفردا ومقرونا فاذا افرد دخل فيه اهل الكتاب واذا قرنوا باهل
الكتاب لم يدخلوا فيهم كما قيل مثل هذا في اسم الفقير والمسكين
ونحو ذلك فعلى هذا يقال اية البقرة عامة وتلك خاصة والخاص
يقضي على العام الوجه الثالث ان يقال اية المائدة ناسخة
لاية البقرة لان المائدة نزلت بعد البقرة باتفاق العلماء وقد جاء في
الحديث المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
والاية المتاخرة تنسخ المتقدمة اذا تعارضتا واما قوله تعالى

ولا تمسكوا بعصم الكوافر فانها نزلت بعد صلح الحديبية لما هاجر من هاجر
من مكة الى المدينة وانزل الله سورة الممتحنة وامر بامتحان المهاجرات وهذا
خطاب لمن كان في عصمته كافر واللام لتعريف العهد والكوافر المعهودات
هن المشركات مع ان الكفار قد يتميزون من اهل الكتاب في بعض المواضع
كقوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا وقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله الاية والله اعلم

مسلة في رجل قال
قال لشخص يا فلان ما مذهبك قال شافعي المذهب فقال له ذلك الشخص بل انت
حنبلي قال ولم قال لانك تعتقد اعتقاد الحنابلة تزعم ان القران كلام الله
فقال فكلام من هذا القران فقال المصلح ان يكون كلام جبرئيل وقال له انت
تقول كلام جبرئيل فقال اي قران فقال له وللناس قرانان فقال نعم
وقال ومن زعم ان هذا القران الذي يقراه الناس كلام الله فهو حلولي يقول بقول
النصارى الذين يقولون بحلول القديم في المحدث فهل اصاب في هذه الاطلاقات
ام اخطا وهل يستتاب منها ام لا وهل يكفران ادعى الله واصر عليها بعد
بيان الادلة من الكتاب والسنة واجماع السلف

الجواب كلام هذا السائل
فيه افتراء على الشافعي رض ومذهبه يستحق به التعزير البليغ بافترائه على ائمة
المسلمين ومذاهبهم وفيه افتراء على الله عز وجل وكتابه يستحق به ان يستتاب
فان تاب واقر ان القران كلام الله والا ضربت عنقه اما الاول فانه تقتضي
ان مذهب الشافعي رض ان القران ليس كلام الله وهذا افتراء على الشافعي
ومذهبه وكل من عرف مذهب الشافعي علم بالاضطرار ان مذهبه ان
القران كلام الله ليس شيئا كلاما لغيره وان كان بعض المنتسبين اليه تخالف
قولا يخالف ذلك فالشافعي رحمه الله بريء منه كبراءة علي من الرافضة
وبراءة سائر الائمة مالك وابي حنيفة واحمد من الرافضة والمعتزلة
والحلولية ومن هذا القول المذكور وان كان من المنتسبين الى الائمة
من يقول ببعض اقوال هولاء وهذا القول انما يضاف الى بعض المنتسبين
الى ابي الحسن الاشعري والشافعي رض كان قبل الاشعري ومات رحمة الله
عليه قبله باكثر من مائة سنة واصحابه العارفون بمذهبه كالشيخ ابي

حامد الاسفرايني

حامد الاسفرايني امام الطريقة العراقية والشيخ ابي محمد الجويني شيخ الخراسانيين وغيرهما
يذكرون ان مذهب الشافعي في مسألة كلام الله هو مذهب احمد بن حنبل وسائر ائمة
المسلمين وانه ليس هو القول المضاف الى الاشعري لانطلاق القول بان القران مع ان الاشعري
كلام جبرئيل بل القول ان القران كلام الله عز وجل لكن هو صنف في الرد
على الفلاسفة والمعتزلة والرافضة وغيرهم وانتصر لمذهب اهل الحديث والسنة
وانتسب الى الامام احمد وسائر ائمة السنة واثبت الصفات الواردة في القران
وابطل تاويل النفاة لها ولم يختلف كلامه في ذلك بل جميع كتبه المصنفة بعد
رجوعه عن قول المعتزلة ليس فيها الا هذا القول وكذلك ائمة اصحابه كا
لقاضي ابي بكر وامثاله وقال في اخر مصنفاته فان قال قائل قد
انكرتم قول الجهمية والقدرية والرافضة والحرورية والمرجئة فعرفونا
قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي
نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا
وما روي عن الصحابة والتابعين وبما كان يقول به ابو عبد الله احمد بن حنبل
قائلون ولما خالف قوله مجانبون فانه الامام الكامل والرئيس الفاضل
الذي ابان الله به الحق واوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين
وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم
وعلى جميع ائمة المسلمين وذكر جملة اعتقاده الذي حكاه عنه الحافظ ابو القاسم
علي بن عساكر في كتاب الذب عنه وكان القاضي ابو بكر بن الطيب من اجل اتباعه
يكتب احيانا في اجوبته محمد بن الطيب الحنبلي ومع هذا فاعتقاد اهل السنة
ليس لاحد من الائمة به اختصاص لا لاحمد ولا للشافعي ولا غيرهما بل هو
التصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه تبارك وتعالى فاهل السنة يؤمنون
بما اخبر الله به ورسوله وهذا هو اصل اعتقادهم وانما الائمة مبلغون
لذلك ومثبتون له ولقول من خالفه وابو الحسن الاشعري صنف في الرد
على اهل البدع الكبار مصنفات وسلك في مسألة الكلام والصفات
مسلك ابي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب وكان ابن كلاب قد صنف في
اثبات الصفات والرد على المعتزلة مصنفات لكنه سلك في اثبات
حدوث العالم طريقة المعتزلة المعروفة بطريقة الاعراض المبنية على

امتناع دوام الحوادث وهذه الطريقة انكرها ائمة السنة وهي اصل الكلام الذي انكره
مالك والشافعي واحمد واسحق بن راهويه وغيرهم وهو المنقول انكاره عند عن
ابي حنيفة وائمة اصحابه وهي الطريقة التي استطالت بها عليهم الفلاسفة في
مسئلة حدوث العالم فانهم ظنوا انهم يثبتون بها حدوث العالم فعورضوا
بانها توجب قدم العالم وبين ان القول بها لا بحدوث العالم بل ولا باثبات الصانع
فلما سلك ابو محمد بن كلاب هذا المسلك اضطره التقسيم الى ان جعل كلام الله
معنى واحدا قائما بذات الله هو الامر بكل ما امر به والخبر عن كل ما اخبر به
ان عبر عنه بالعبرانية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وان
عبر عنه بالعربية كان قرانا واتفق جمهور العقلاء من اهل السنة والبدعة
على ان هذا القول معلوم الفساد بالضرورة واضطر ذلك الى ان جعل الكلام
العربي مخلوقا وانه ليس هو كلام الله وان القران العربي الذي نزل به جبرئيل
على محمد ليس هو كلام الله ولم يتكلم به وانما كلامه ذلك المعنى الذي هو الامر
والنهي فوافق المعتزلة على القول بخلق القران الذي قالوا انه مخلوق
واثبت كلاما قديما فبين جمهور العقلاء انه لا حقيقة له فصار بعض
المنتسبين اليه يقول بل هو تأليف جبرئيل ونظمه فهم عن الله معان مجرده
ثم عبر عنها فقال له من اراد بيان فساد هذا فشبه الرب سبحانه بالاخرس
الذي في نفسه معنى يمكنه التعبير فيجي من فهم مراده فيعبر عنه لكن
الاخرس يفهم ما في نفسه باشارته وايمائه وهذا عنده ممتنع على الرب سبحانه
بل طريق ذلك ان يخلق في نفس جبرئيل علما بمراده من جنس الالهام
فيكون جبرئيل الهم شيئا عبر عنه وجاء به الى محمد صلى الله عليه فيكون من الهمه
مراده ان يرى بمنزلة جبرئيل الذي اخذ عنه محمد صلى الله عليه ولهذا
فقول من بنى على هذا الاصل كان عربي انا اخذ من المعدن الذي ياخذ
منه الملك الذي يوحي به الى الرسول وقد فرق الله بين الوحي وبين
التكليم الخاص في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
الى قوله تعا وكلم الله موسى تكليما ففرق بين ايحائه الى سائر الانبياء
وتكليمه لموسى وكذلك قال تعا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا

نشأ من القول

او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فان كان جبرئيل
فجعل تكليمه للبشر ثلثة اصناف احدها الايحاء والثاني التكليم من وراء حجاب
والثالث انه يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فان كان جبرئيل لم ياخذ
القران عن الله الا وحيا كان ايحاء الله بلا واسطة جبرئيل اعظم فتكون
الهامات عمر بن الخطاب افضل من القران واعلى بدرجتين لان القران
اخذه محمد عن جبرئيل وجبرئيل عن الهام الله وعمر له الهام من الله
وقال بعضهم ان جبرئيل اخذ القران عن اللوح المحفوظ وعلى هذا
تكون اليهود اعظم قدرا عند الله من محمد صلى الله عليه لان الله كتب
التوراة لموسى وانزلها مكتوبة فتلقى بنوا اسرائيل ما في الالواح عن الله
فان كان جبرئيل انما اخذ القران عن اللوح صار جبرئيل كبني اسرائيل
وصار محمد انما اخذ كلام الله عن بني اسرائيل واذا كان هذا باطلا
وكفرا فما استلزم الباطل فهو باطل وايضا فتفريق الله بين الايحاء
والتكليم دليل على ان الله كلم موسى بكلام سمعه موسى كما قال تعا
فاستمع لما يوحى ومن قال الكلام مجرد معنى قائم بالنفس يقول
تكليمه انما هو خلق لطيفة فيه ادرك موسى بها ذلك المعنى ثم انهم
يقولون ان ذلك المعنى لا يتبعض فقال لهم بعض اهل العلم فموسى
ادرك جميع المعنى القائم بالذات او بعضه ان قلتم الجميع فيكون
موسى قد ادرك جميع كلام الله وعلم جميع ما تكلم الله وكلامه
يتضمن لكل خبر اخبر الله به فيكون موسى قد علم جميع ما اخبر به
الاولين والاخرين وهذا معلوم الفساد بالضرورة ولو علم
لكن لما اتاه الخضر فان موسى لم يعلم ذلك قال له الخضر لما نقر
العصفور في البحر نقرة ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص
هذا العصفور من هذا البحر وبالجملة فنحن نعلم بالاضطرار من دين
محمد صلى الله عليه ان القران كلام الله ليس كلاما لغير الله لا لمحمد ولا جبرئيل
ولا غيرهما ولكن الله يضيفه الى هذا الرسول تارة والى هذا الرسول تارة
لكونه بلغه واداه لا لانه انشاه وابتداه ولهذا قال تعا انه لقول رسول كريم

ذي قوة عند ذي العرش مكين فالرسول هنا جبرئيل وقال انه لقول رسول
كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فالرسول هنا محمد صلى الله عليه
ولم يقل لقول ملك ولا نبي بل كفر من قال انه قول البشر كما في الوحيد الذي
قال ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر الاية وقول القائل انه قول
ملك او جني من جنس قوله انه قول البشر كل ذلك كفر وقد قال الله
تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق فاخبر ان جبرئيل نزله من
كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
وقال تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم ونظائره كثيرة **فصل**
واما قول القائل من زعم ان القران الذي يقرأه الناس كلام الله فهو حلولي
يقول بقول النصارى الذين يقولون بحلول القديم في الحادث فهذا
يدل على جهله بدين المسلمين ودين النصارى اما المسلمون فانهم
اذا قالوا كما قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى
يسمع كلام الله لم يريدوا بذلك ان الكلام الذي تكلم به الرب وقام
بذاته انتقل الى القراء فان الانتقال ممتنع على صفات المخلوقين
فكيف على صفات الخالق والمسلمون اذا سمعوا كلام النبي صلى الله عليه وسلم
وبلغوه عنه وقالوا انه قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى
كانوا مبلغين لكلام النبي صلى الله عليه بحركاتهم واصواتهم لا بصوت
النبي صلى الله عليه ولم يكن ما قام به من كلامه حروفه ومعانيه منتقلة
عنه ولا حالة فيهم فكيف يقال ان جبرئيل سمع كلام الله من الله
وبلغه الى رسوله محمد يكون شيء من كلام الله منتقلا عن ذات الله وحالا
بجبرئيل فضلا عن ان ينتقل الى البشر ويحل بهم بل الكلام كلام من
قاله مبتدئا لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى سمع كلام الله
من الله بلا واسطة واما المسلمون فانما سمعوه من المبلغين عنه لم
يسمعوه من الله والفرق بين السماعين ظاهر هذا سماع بواسطة
وهذا سماع بلا واسطة كما ان الشمس والقمر والكواكب قد يراها

بطريق

بطريق المباشرة وقد يراها بواسطة ماء او مرآة او جسم صقيل فهذه
رؤية مقيدة بواسطة لم يباشرها بالرؤية وكذلك السامع لكلام المتكلم
من المبلغ عنه هو سمع مقيد بواسطة لم يباشره بالسمع واذا قيل رسول الله
بلغ عن ربه وحكى عن ربه وحدث عن ربه وروى عن ربه كان
صحيحا واذا قيل هذا حكاية القران بمعنى ان احدا يحاكي كلام الله فيأتي
مثله فهذا باطل قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومن
قال ان المداد الذي في المصاحف والاصوات المسموعة من القراء
قديمة ازلية فهو ضال ضلالا مبينا يخالف صريح المعقول والمنقول
ولم يقل هذا احد من ائمة المسلمين لا ابو حنيفة ولا مالك ولا الشافعي
ولا احمد ولا جماهير اصحابهم كما ان القول بانه معنى واحد قائم
بالذات قول مخالف لصريح المعقول والمنقول لم يقله احد من
ائمة المسلمين ولا جماهير اصحابهم واما مذهب النصارى فان
عندهم ان اقنوم الكلمة هو جوهر قائم بنفسه يخلق ويرزق
ويغفر ويرحم وهو اله المعبود وهو المتحد بالمسيح فالكلمة
عندهم ليست مجرد صفة قائمة بالمتكلم ولا الحلول عندهم
حلول صفة الله في غيره بل نفس المسيح عندهم اله يغفر ويرحم
ويقيم القيامة فالحلول الذي يقوله النصارى يشبه قول من
يقول في بعض البشر انه اله كما تقوله الغالية في الائمة والشيوخ
فان كان في المسلمين من يقول ذلك فهذا تحدث على المسلمين
وهذه نكتة مختصرة اذ كان جواب هذه الورقة مبسوطا في
غير هذا الموضع والله اعلم هذه الفوائد من نقل رحمه الله
عن العلماء في القران يقول كانت هذه الاحرف وجدت في كتاب
شعب الايمان للامام ابي عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي رحمة الله عليهم
المعروف بالمنهاج في الكتاب الرابع منه يقول الباب الرابع من شعب

[illegible]

وهو باب الايمان بالقران المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الكتب
المنزلة على الانبياء قبله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والايمان
بالقران يتشعب شعبا فاولها بانه كلام الله تبارك وتعالى وليس من وضع
محمد ولا وضع جبريل عليهما السلام والثانية الاعتراف بانه معجز
النظم لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثله لم يقدروا عليه
والثالث الاعتقاد ان جميع القران الذي تو في النبي صلى الله عليه وسلم
عنه هو الذي بمصاحف المسلمين لم يفت منه شي ولم يضع بنسيان ناسي
ولا ضلال صحيفة ولا موت قارئ ولا كتمان كاتم ولم يحرف منه شي
ولم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف فاما الوجه الاول فان الله تعالى
ذكره يقول يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي انزل من قبل وقال والذين يؤمنون بما انزل اليك وما
انزل من قبلك وقال افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه وقال لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون
وكفى بالله شهيدا وقال وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وقال انا انزلناه
قرانا عربيا لعلكم تعقلون وايات القران في هذا الباب كثيرة فان
عارض معارض بقول الله في كتابه انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ومن سورة اخرى انه
لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وزعم ان في هذه
الايتين دلالة على ان القران كلام جبريل قيل ليس معنى الاية كما توهمت لان الله
قد قال في اية اخرى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع
كلام الله فاثبت ان القران كلامه ولا يجوز ان يكون كلامه كلام جبريل
معا فثبت ان معنى قوله انه لقول رسول كريم اي قول تلقاه عن رسول
كريم او قول سمعه من رسول كريم او نزل به عليه رسول كريم ويدل على
هذا ان الله عز وجل قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فثبت بذلك ان القران معجز فلو كان من

وضع

وضع جبريل لم يكن معجزا لان المعجز ما لا يقدر عليه الا الله تعالى وساق
كلامه بالادلة على ان القران جميعه نزل من عند الله ليس لجبريل فيه الا
التبليغ الى الرسول والرسول الى الامة والامة تتلوه ويبلغه بعضهم الى بعض
مع حفظ الله تعالى له لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد وشرح هذا الفصل شرحا بينا بين فيه عجز الملائكة
والانس والجن عن الاتيان بمثل القران وانه منزل من عند الله ليس من
وضع جبريل ولا محمد صلى الله عليه وسلم ونقل الامام الحافظ ابو بكر البيهقي
في كتاب شعب الايمان في الرابع فيه هذا الفصل عن الحليمي وزاد بالاحاديث
السنية بذلك ونص على انه كلام الله وليس من وضع محمد صلى الله عليه وسلم
ولا من وضع جبريل عليه السلام واستدل بقوله تعالى ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وبقوله وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه وبقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون
وكفى بالله شهيدا وبقوله وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وقال تعالى انا انزلناه
قرانا عربيا لعلكم تعقلون قال ومعناه والله اعلم انا انزلنا الرسول
المؤدي له به فيكون الرسول منتقلا من علو الى سفل مؤديا للكلام
الذي حفظه وذلك بين في الاية التي قبلها وهو انه اخبر انه نزل
به الروح الامين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فيكون جبريل منتقلا به
من مقامه المعلوم الى الارض مؤديا الى محمد صلى الله عليه وسلم واخبر في الاية
قبلها انه انزله بعلمه وفي الاية قبلها انه من عنده لا من عند غيره
وشرح كلام الحليمي قال وقال الحليمي رحمه الله وقوله عز وجل انه
لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فانما
معناه انه لقول رسول كريم اي قول تلقاه عن رسول كريم او قول
سمعه من رسول كريم او نزل به عليه رسول كريم وقد قال في اية اخرى
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله

[illegible]

فاثبت ان القران كلامه ولا يجوز ان يكون كلامه وكلام جبرئيل معًا
فدل ان معناه ما قلنا قال البيهقي والمقصود في تلك الاية تكذيب المشركين
فيما كانوا يزعمون من وضع النبي صلى الله عليه وسلم هذا القران ثم قد اخبر الله
انه هو الذي انزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين عجز الانس والجن
والملائكة عن الاتيان بمثله قال وقد كان الانس والجن عاجزين عن
الاتيان بمثله والملائكة ايضا عاجزون عن الاتيان بمثله قال والتحدي
انما وقع للانس والجن لان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل اليهما دون الملائكة
قال وفي ذلك ما بان ان نظم القران ليس من عند جبرئيل لكنه من
عند الله اللطيف الخبير قال وهذا معنى كلام الحليمي في المنهاج وساق
ادلة ذلك بالاحاديث من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على
الناس بالموقف ويقول الا رجل يحملني الى قومه فان قريشا قد منعوني
ان ابلغ كلام ربي عز وجل وان ابا بكر الصديق لما قرا سورة الروم
على المشركين بمكة فقالوا هذا مما اتى به صاحبك قال لا ولكنه كلام الله
وفي حديث اخر ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله وقول عامر
كنت عند النجاشي فقرا ابن له من الانجيل فضحكت فقال النجاشي اتضحك
من كلام الله وقول خباب بن الارت تقرب الى الله ما استطعت واعلم انك
لن تتقرب اليه بشيء احب اليه من كلامه وقول ابن مسعود اصدق
الحديث كلام الله لو ان قلوبنا طهرت لما شبعنا من كلام ربنا وقول
علي ما حكمت مخلوقا انما حكمت القران وقول ابن عباس القران من الله
وقول عمرو بن دينار سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون القران
كلام الله ليس بمخلوق وساق اقوال العلماء الاعلام على ان القران كلام الله
منزل منه قال الامام قاضي القضاة ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي
في كتاب دلائل النبوة من جمعه في الباب الرابع منه وبعد كلامه على شروط
النبوة قال والذي يؤديه الرسول الى قومه ضربان قران ووحي فالقران
يلزم الملك ان يؤديه الى الرسول بصيغة لفظه وليس للملك ولا
للرسول ان يعدل بلفظه الى غيره ويكون ما نظمه من الخطاب المنزل
متوجها

متوجها الى الرسول والى الامة بصيغة لفظه وساق كلامه وادلة ذلك ثم
قال في الباب الثاني عشر في اعجاز الخلق عن الاتيان بمثله وحفظه
قال وانه منقول بالفاظ منزلة ومعان مستودعة بلغه الملك بلفظه وعلى
 نظمه واداه الرسول الى الامة بمثله فلم ينخرم منه لفظة ولا اختل منه معنى
ولا تغير له ترتيب حتى صار من الزلل مضبوطا ومن التبديل محفوظا
لتستمر به الاعصار على مشاكلته وتتداوله الالسن مع اختلاف اللغات
على نظمه وصفته لا تختلف بتعاقب الازمنة ولا تختل بتباعد الامكنة ولا
تتغير باختلاف الالسنة ثم ساق كلامه ببيان الادلة على ان القران
بمجموعه منزل من عند الله محفوظ على ممر الزمان معجز قائم بنفسه
وانه نزل من الله جميعا لفظه ومعناه وترتيبه حفظا من الله له
بقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال الامام ابو الحسن
محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول في الاصول
عن الائمة الفحول بعد ذكر الائمة واتفاقهم على ان القران جميعه كلام الله
ليس بمخلوق فيه الا البلاغ قال سمعت الامام ابا منصور محمد بن احمد
يقول سمعت الامام ابا بكر عبد الله بن احمد يقول سمعت الشيخ ابا حامد
الاسفرائني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار
ان القران كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر والقران
حمله جبريل مسموعا من الله والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل
والصحابة سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن بالسنتنا
وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا
وكل حرف منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق
فهو كافر وساق كلامه في الادلة على بيان ذلك واتفاق علماء الامصار
قلت وذكر ابو الحسن الكرجي في كتابه هذا اتفاق اصحاب الائمة
على ان القران جميعه منزل من الله تبارك وتعالى ليس من وضع
جبريل ولا محمد بل هو من جميعه منزل من عند الله لا من عند غيره
وذكر منا قبل ان الامام ابا حامد الاسفرائني وهو حقيق بذلك

اذ هو الامام المقدم العارف الاكبر من هذا الامام الشافعي رض وهو الشافعي
الثالث فانه ليس بعد الشافعي مثل ابي العباس بن سريج ولا بعد ابي العباس
مثل الشيخ ابي حامد وقد ذكره الامام ابو اسحق الشيرازي في كتاب
الطبقات للفقهاء بانه كان اعرف الاصحاب بما نص الامام الشافعي
واعظمهم بركة في مذهبه وانه اول من شرح المزني وشحنه بالمختلف
ونصر فيه مذاهب العلماء وجعل مساغا لاجتهاد العلماء رض والمراد هنا
ما ذكره هذا الامام عن مذهب الشافعي رحمه الله ومن طالع كتب اصحاب
الشافعي الدين صحيحو واخذوا عنه العلم اصلا وفرعا علم علما يقينيا
ما ذكره عن مذهبه في القران والصفات وقد ذكر الامام ابي فضل
ابو الحسن الدارقطني جميع اصحاب الامام الشافعي وصنف قبله فيمن صحب
الامام الشافعي من افاضل الناس كتابا جليلا الشيخ داود بن علي الاصبهاني وصنف
غيرهما كتبا في ذلك فمن وقف على اقوال هؤلاء الذين
رووا ائمة المذهب علم يقينا ما ذكره ابو حامد الاسفرايني عن مذهب الامام
الشافعي وكذلك من وقف على ما نقله الطحاوي عن جميع اصحاب ابي حنيفة
المتقدمين على ذلك قال الطحاوي في عقيدته التي جمع فيها عقائد ائمة
الامصار فيها بان القران كلام الله وكلامه منه بدا بلا كيفية قولا
وانزله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا وايقنوا انه كلام الله
على الحقيقة وليس بمخلوق ككلام البشر فمن سمعه فزعم انه كلام البشر
فقد كفر وقد ذمه الله وعابه واوعده سقر حيث قال سأصليه سقر
فلما اوعد الله بسقر لمن قال ان هذا الا قول البشر علمنا انه كلام
خالق البشر لا قول البشر وساق كلامه وكذلك مذاهب الائمة الاربعة
واصحابهم ولو ذهبت لاكتب ما قالوه لجاء مجلدات والغرض
الاختصار هنا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين

مسئلة في قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على
بصيرة انا ومن اتبعني هل الدعوة عامة في حق كل مسلم املا وهل
الامر بالمعروف داخل في ذلك ام لا وهل ذلك فرض على كل فرد املا
واذا كان واجبا فهل يجب مع وجود المشقة ام لا وهل الامر بالمعروف
ان يقتضي

ان يقتص من الجاني عليه اذا آذاه لئلا يؤدي الى طمع منه في جانب الحق
ام تركه اولى مطلقا

الجواب الحمد لله رب العالمين الدعوة
الى الله هي الدعوة الى الايمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما اخبروا به
وطاعتهم فيما امروا وذلك يتضمن الدعوة الى الشهادتين واقام الصلاة
وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة الى الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره الى ان يعبد
العبد ربه كانه يراه فان هذه الدرجات الثلث التي هي الايمان والاسلام
والاحسان داخلة في الدين كما قال في الحديث الصحيح هذا جبريل جاءكم
يعلمكم دينكم بعد ان اجابه عن هذه الثلاث فبين انها كلها من ديننا
والدين مصدر والمصدر يضاف الى الفاعل والمفعول يقال دان الله
فلان فلانا اذا عبده واطاعه كما يقال دانه اذا دان له في العبد يدين
اي يعبده ويطيعه فاذا صيغة الدين الى العبد فلانه العابد المطيع واذا
اضيف الى الله فلانه المعبود المطاع كما قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ويكون الدين كله لله فالدعوة الى الله تكون بدعوة العبد الى دينه
واصل ذلك عبادته وحده لا شريك له كما بعث الله بذلك رسله وانزل به
كتبه قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك
وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
وقال تعالى واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة
وقال تعالى وما ارسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون وقد ثبت في الصحيح عن ابي هريرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد الانبياء اخوة لعلات وانا
اولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي فالدين واحد
وانما تنوعت شرائعهم ومناهجهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا فالرسل متفقون في الدين الجامع للاصول الاعتقادية

والعملية فالاعتقادية كالايمان بالله ورسله واليوم الاخر والعملية كالاعمال العامة
المذكورة في الانعام والاعراف وسورة بني اسرائيل كقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم
ربكم عليكم الى اخر الايات الثلاث وقوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه
الى اخر الوصايا وقوله تعالى قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل
مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقوله انما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فهذه الامور هي من الدين الذي اتفقت
عليه الشرائع كعامة ما في السور المكية فان السور المكية تضمنت الاصول
التي اتفقت عليها رسل الله اذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا
يقر باصل الرسالة واما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر باصل الرسالة
كاهل الكتاب الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وكالمؤمنين الذين امنوا
بكتاب الله ورسله ولهذا قرر فيها الشرائع التي اكمل الله بها الدين كالقبلة
والحج والصيام والاعتكاف والجهاد واحكام المناكح ونحوها واحكام
الاموال بالعدل كالبيع والاحسان كالصدقة والظلم كالربا وغير ذلك
مما هو من تمام الدين ولهذا كان الخطاب في السور المكية يا ايها الناس لعموم
الدعوة الى الاصول اذ لا يدعى الى الفرع من لا يقر بالاصل فلما هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعز بها اهل الايمان وكان بها اهل الكتاب
خوطب هؤلاء وهؤلاء فهؤلاء يا ايها الذين امنوا وهؤلاء يا اهل الكتاب
او يا بني اسرائيل ولم ينزل بمكة شيء من هذا ولكن في السور المدنية خطاب
يا ايها الناس كما في سورة النساء والحج وهما مدنيتان وكذا في البقرة
لان الحكم المذكور يشمل جنس الناس والدعوة بالاسم الخاص لا ينافي الدعوة
بالاسم العام فالمؤمنون داخلون في الخطاب بيا ايها الناس وفي الخطاب
يا ايها الذين امنوا فالدعوة الى الله تتضمن الامر بكل ما امر به والنهي
عن كل ما نهى عنه وهذا هو الامر بكل معروف والنهي عن كل منكر والرسول
صلى الله عليه وسلم قام بهذه الدعوة فانه امر الخلق بكل ما امرهم الله به ونهاهم
عن كل

عن كل ما نهاهم الله عنه امر بكل معروف ونهى عن كل منكر قال تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم باياتنا يؤمنون
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث ودعوته الى الله هي باذنه لم يشرع دينا لم ياذن الله به
كما قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا خلاف الذين ذمهم في قوله تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
ما لم ياذن به الله وقال تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون ومما يبين ما ذكرناه انه سبحا
نه يذكر امره بالدعوة الى الله تارة وتارة بالدعوة الى سبيله كما قال تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك انه قد علم ان الداعي الذي يدعو غيره
الى امر لا بد فيما يدعو اليه من امرين احدهما المقصود المراد والثاني
الوسيلة والطريق الموصل الى المقصود فلهذا يذكر الدعوة تارة الى الله وتارة
الى سبيله فانه سبحانه هو المعبود المراد بالدعوة والعبادة اسم يجمع غاية الحب
وغاية الذل له فمن ذل لغيره مع بغضه لم يكن عابدا لله ومن احبه من غير ذل لم
يكن له عابدا والله سبحانه يستحق ان يحب غاية المحبة بل يكون هو المحبوب
المطلق الذي لا يحب شيئا الا له وان يعظم ويذل له غاية الذل بل لا يذل
لشيء الا من اجله ومن اشرك غيره في هذا وهذا لم يحصل له حقيقة الحب
والتعظيم فان الشرك يوجب نقص المحبة قال تعالى ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله اي
اشد حبا لله من هؤلاء لاندادهم وقال تعالى ضرب الله مثلا رجلا
فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا
وكذلك الاستكبار يمنع حقيقة الذل لله بل يمنع حقيقة المحبة لله
فان الحب التام يوجب الذل والطاعة فان المحب لمن يحب مطيع ولهذا
كان الحب درجات اعلاها التتيم وهو التعبد وتيم الله اي عبد الله

فالقلب المتيم هو المعبد المحبوب وهذا لا يستحقه الا الله وحده والاسلام
ان يستسلم العبد لله لا لغيره كما ينبئ عنه قول لا اله الا الله فمن استسلم له (٨٣)
ولغيره فهو مشرك ومن لم يستسلم له فهو مستكبر وكلاهما ضد الاسلام
والشرك غالب على النصارى ومن ضاهاهم من الضلال المنتسبين الى الامة
وقد بسطنا الكلام على ما يتعلق بهذا الموضع في مواضع متعدده وذلك
يتعلق بتحقيق الالوهية لله وتوحيده وامتناع الشرك وفساد
السموات والارض بتقدير اله غيره والفرق بين الشرك في الربوبية والشرك
في الالوهية وبيان ان العباد فطروا على الاقرار به ومحبته وتعظيمه
وان القلوب لا تصلح الا بان تعبد الله وحده ولا كمال لها ولا صلاح
ولا لذة ولا سرور ولا فرح ولا سعاده بدون ذلك وتحقيق الصراط
المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضع الذي في تحقيق مقصود
الدعوة النبوية والرسالة الالهية وهو لب القران وزبدته وبيان التوحيد
العلمي القولي المذكور في قل هو الله احد والتوحيد القصدي العملي
المذكور في قوله قل يا ايها الكافرون وما يتصل بذلك فان هذا
بيان لاصل الدعوة الى الله وحقيقتها ومقصودها لكن المقصود في
ذكر ذلك ذكره على طريق الاجمال اذ لا يتسع الجواب لتفصيل ذلك
وكل ما احبه الله ورسوله من واجب ومستحب باطن وظاهر فمن الدعوة
الى الله الامر به وكل ما ابغضه الله ورسوله من باطن وظاهر فمن الدعوة
الى الله النهي عنه لا تتم الدعوة الى الله الا بالدعوة الى ان يفعل ما احبه الله
ويترك ما ابغضه سواء كان من الاقوال او الاعمال الباطنة والظاهرة
كالتصديق بما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من اسماء الله وصفاته
والمعاد وتفصيل ذلك وما اخبر به عن سائر المخلوقات كالعرش والكرسي
والملائكة والانبياء واممهم واعدائهم وكاخلاص الدين لله وان
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وكالتوكل عليه والرجاء لرحمته
وخشية عذابه والصبر لحكمه وامثال ذلك وكصدق الحديث واداء

الامانة

الامانة والوفاء بالعهد وصلة الرحم وحسن الجوار وكالجهاد في سبيله بالقلب
واليد واللسان اذا تبين ذلك فالدعوة الى الله واجبة على من اتبعه وهم امته
يدعون الى الله كما دعى الى الله وكذلك يتضمن امرهم بما امر به ونهيهم عن ما
نهى عنه واخبارهم بما اخبر به اذ الدعوة تتضمن الامر وذلك يتناول
الامر بكل معروف والنهي عن كل منكر وقد وصف امته بذلك في غير موضع (٨٤)
كما وصفهم بذلك فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية ~~ويؤمنون بالله~~ وهذا
الواجب واجب على مجموع الامة وهو الذي يسميه العلماء فرض كفاية
اذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقين فالامة كلها مخاطبة بفعل ذلك
ولكن اذا قام به طائفة سقط عن الباقين قال تعالى ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم
المفلحون فمجموع امته تقوم مقامه في الدعوة الى الله ولهذا كان اجماعهم
حجة قاطعة فان امته لا تجتمع على ضلالة واذا تنازعوا في شيء ردوا
ما تنازعوا فيه الى الله والرسول وكل واحد من الامة يجب عليه
ان يقوم من الدعوة بما يقدر عليه اذا لم يقم به غيره فما قام به غيره سقط
عنه وما عجز عنه لم يطالب به واما ما لم يقم به غيره وهو قادر عليه فعليه
ان يقوم به ولهذا يجب على هذا ان يقوم بما لا يجب على هذا وقد تبعضت
الدعوة في الامة بحسب ذلك تارة وبحسب غيره اخرى فقد يدعو هذا
الى اعتقاد الواجب وهذا الى عمل ظاهر واجب وهذا الى عمل باطن واجب
فتنوع الدعوة يكون للوجوب تارة وفي الوقوع اخرى وقد تبين
بهذا ان الدعوة الى الله تجب على كل مسلم لكنها فرض على الكفاية وانما
يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه اذا لم يقم به غيره وهذا
شان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
والجهاد في سبيل الله وتعليم الايمان والقران وقد تبين بذلك

ان الدعوة نفسها امر بالمعروف ونهي عن المنكر فان الداعي طالب مستدعي
مقتض لما دعي اليه وذلك هو الامر به اذ الامر هو طلب الفعل المامور به واستدعاء
له ودعاء اليه والدعاء الى الله الدعاء الى سبيله فهو امر بسبيله وسبيله
تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر وقد تبين انهما واجبان على كل فرد
من افراد المسلمين وجوب فرض الكفاية لا وجوب فرض الاعيان كالصلوات
الخمس بل كوجوب الجهاد والقيام بالواجبات من الدعوة الواجبة وغيرها
يحتاج الى شروط يتم بها كما في الحديث ينبغي لمن امر بالمعروف ونهى عن المنكر مطلب
ان يكون فقيها فيما يامر به فقيها فيما ينهى عنه رفيقا فيما يامر به رفيقا
فيما ينهى عنه حليما فيما يامر به حليما فيما ينهى عنه فالفقه قبل الامر ليعرف
المعروف وينكر المنكر والرفق عند الامر ليسلك اقرب الطرق الى تحصيل
المقصود والحلم بعد الامر ليصبر على اذى المامور المنهي فانه كثيرا ما يحصل
له الاذى بذلك ولهذا قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على
ما اصابك وقد امر نبينا بالصبر في مواضع كثيرة كما قال تعالى في المدثر قم
فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر
ولربك فاصبر وقال تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال تعالى واصبر
على ما يقولون وقال ولقد ارسلنا من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا وقال واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وقد جمع
سبحانه بين التقوى والصبر في مثل قوله لتبلون في اموالكم وانفسكم
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والمؤمنون كانوا يدعون
الى الايمان بالله وما امر به من المعروف وينهون عما نهى عنه من المنكر
فيؤذيهم المشركون واهل الكتاب وقد اخبرهم بذلك قبل وقوعه
وقال لهم ان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقد قال يوسف
عليه السلام انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين تتضمن طاعة الله ومنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والصبر يتناول الصبر على المصائب التي منها اذى المامور المنهي للآمر

الناهي لكن للآمر الناهي ان يدفع عن نفسه ما يضره كما يدفع الانسان عن
نفسه الصائل فاذا اراد المامور المنهي ضربه او اخذ ماله ونحو ذلك فهو
ممن دفعه فله دفعه عنه بخلاف ما اذا وقع الاذى وتاب منه فان
هذا مقام الصبر والحلم والكمال في هذا الباب حال نبينا صلى الله عليه وسلم كما في
الصحيحين عن عايشة رضي انها قالت ما ضرب رسول الله بيده خادما
له ولا امراة ولا دابة ولا شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه
فانتقم لنفسه الا ان تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله
لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله ومعلوم ان اذى الرسول من اعظم المحرمات
فان من اذاه فقد اذى الله وقتل سابه واجب باتفاق الامة سواء
قيل انه قتل لكونه ردة او لكونه ردة مغلظة وحينئذ صار قتل الساب
حدا من الحدود والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم في احتماله وعفوه عمن
كان يوذيه كثيرا كما قال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا
حتى ياتي الله بامره فالامر الناهي اذا اوذي وكان اذاه تعديا لحدود الله
وفيه حق لله يجب على كل احد النهي عنه وصاحبه مستحق للعقوبة
لكن لما دخل فيه حق الادمي كان له العفو عنه كما له ان يعفو عن القاذف
والقاتل وغير ذلك وعفوه عنه لا يسقط عن ذلك العقوبة التي
وجبت عليه لحق الله لكن يكمل لهذا الامر الناهي مقام الصبر والعفو
الذي شرع لمثله حتى يدخل في قوله وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور وفي قوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره
ثم هنا فرق لطيف اما العفو والصفح فانه جعل الى غاية وهو ان
ياتي الله بامره فلما اتى بامره فمكن الرسول ونصره صار قادرا
على الجهاد لاولئك والزامهم بالمعروف ومنعهم عن المنكر صار
يجب عليه من العمل باليد في ذلك ما كان عاجزا عنه وهو مامور
بالصبر في ذلك كما كان مامورا بالصبر اولا والجهاد مقصوده

ان تكون كلمة الله هي العليا وان يكون الدين كله لله فمقصوده اقامة دين
الله لا لاستيفاء الرجل حظه ولهذا كان ما يصاب به المجاهد في نفسه
وماله اجره فيه على الله فان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم (٨٧)
بان لهم الجنة حتى ان الكفار اذا اسلموا او عاهدوا لم يضمنوا ما اتلفوه
للمسلمين من الدماء والاموال بل لو اسلموا وبايديهم ما غنموه من اموال
المسلمين كان ملكا لهم عند جمهور العلماء كمالك وابي حنيفة واحمد وهي
التي مضت بها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين فالامر
الناهي اذا نيل منه واوذي ثم بذل ذلك للمامور المنهي تاب وقبل الحق منه
فلا ينبغي له ان يقتص منه ويعاقبه على اذاه فانه قد سقط عنه بالتوبة
حق الله كما يسقط عن الكافر اذا اسلم حقوق الله كما ثبت في الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام يهدم ما كان قبله والتوبة تهدم
ما كان قبلها والكافر اذا هدم الاسلام ما كان قبله دخل في ذلك ما
اعتدى به على المسلمين في نفوسهم واموالهم لانه ما كان يعتقد ذلك
حراما بل كان يستحله فلما تاب من ذلك غفر له هذا الاستحلال وغفرت
له توابعه فالمامور المنهي ان كان مستحلا لاذى الامر الناهي كاهل
البدع والاهواء الذين يعتقدون انهم على حق وان الامر الناهي
لهم معتد عليهم فاذا تابوا لم يعاقبوا بما اعتدوا به على الامر الناهي
من اهل السنة كالرافضي الذي يعتقد كفر الصحابة وفسقهم وسبهم على
ذلك فاذا تاب من هذا الاعتقاد وصار يحبهم ويتولاهم لم يبق لهم عليه
حق بل دخل حقهم في حق الله ثبوتا وسقوطا لانه تابع لاعتقاده
ولهذا كان جمهور العلماء كابي حنيفة ومالك واحمد في اصح الروايتين
والشافعي في احد القولين على ان اهل البغي المتاولين لا يضمنون ما
اتلفوه على اهل العدل بالتاويل كما لا يضمن اهل العدل ما اتلفوه
على اهل البغي بالتاويل باتفاق العلماء وكذلك اصح قولي العلماء في حال
المرتدين فان المرتد والباغي والمتاول والمبتدع كل هولاء يعتقد
احدهم انه على حق فيفعل ما يفعله متاولا فاذا تاب من ذلك كان
كتوبة

كتوبة الكافر فيغفر له ما سلف مما فعله متاولا وهذا بخلاف من يعتقد
ان ما يفعله بغي وعدوان كالمسلم اذا ظلم المسلم والذمي اذا ظلم المسلم
والمرتد الذي اتلف مال غيره وليس بمحارب بل هو في الظاهر مسلم
او معاهد فان هولاء يضمنون ما اتلفوه بالاتفاق فالمامور المنهي
(٨٩) ان كان يعتقد ان اذى الامر الناهي جائز له فهو من المتاولين وحق
الامر الناهي داخل في حق الله فاذا تاب سقط الحقان وان لم يتب
كان مطلوبا بحق الله المتضمن بحق الادمي فاما ان يكون كافرا
واما ان يكون فاسقا واما ان يكون عاصيا فهولاء كل يستحق
العقوبة الشرعية بحسبه وان كان مجتهدا مخطئا فهذا قد عفا الله
عن خطئه فاذا كان قد حصل بسبب اجتهاده الخطا اذى للامر
والناهي بغير حق فهو كالحاكم اذا اجتهد فاخطا وكان في ذلك
ما هو اذى للمسلم او كالشاهد او كالمفتي فان كان الخطا لم يتبين
لذلك المجتهد المخطئ كان هذا مما ابتلى الله به هذا الامر الناهي
قال تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك
بصيرا فهذا مما يرتفع عنه الاثم في نفس الامر وكذلك الجزاء على
وجه العقوبة ولكن قد يقال قد يسقط الجزاء على وجه
القصاص الذي يجب في العمد ويثبت الضمان الذي يجب في
الخطاء كما تجب الدية في الخطا وكما يجب ضمان الاموال التي
يتلفها الصبي والمجنون في ماله وان وجبت الدية على عاقلة
القاتل خطا معاونة له فلا يتعين استيفاء حق المظلوم خطا
فكذلك هذا الذي ظلم خطا لكن يقال يفرق بين ما كان الحق فيه
لله وحق الادمي فحق الله يغفر له وما كان حقا لادمي محضا او غالبا
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد من هذا الباب موافق
لقول الجمهور الذين لا يوجبون على اهل البغي ضمان ما اتلفوه
لاهل العدل بالتاويل وان كان ذلك خطا منهم ليس كفرا

ولافسقا واذا قدر عليهم اهل العدل لم يتبعوا مدبرهم ولم يجهزوا على
جريحهم ولم يسبوا حريمهم ولم يغنموا اموالهم فلا يقاتلونهم على ما اتلفوه
من النفوس والاموال اذا اتلفوا مثل ذلك او تمكنوا عليهم فبين ان
القصاص قط في هذا الموضع لان هذا من باب الجهاد الذي يجب فيه
الاجر على الله وهذا ما يتعلق بحق العبد الناهي واما قول السائل هل
يقتص منه لئلا يؤدي الى طمع منه في جانب الحق يقال متى كان فيما فعله
اقتصاد الجانب الحق كان الحق في ذلك لله ورسوله فيفعل فيه ما يفعل
في نظيره وان لم يكن فيه اذى للامر الناهي والمصلحة في ذلك تتنوع فتارة
تكون المصلحة الشرعية القتال والاستعداد للمصلحة المهادنة وتارة تكون
المصلحة الامساك والاستعداد بلا مهادنة وهذا يشبه ذلك لكن الانسان
تزين له نفسه ان عفوه عن ظالمه يجريه عليه وليس كذلك بل قد ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح انه قال ثلاث ان كنت لحالفا عليهن ما زاد
الله عبدا بعفو الا عزا وما نقصت صدقة من مال وما تواضع احد لله
الا رفعه الله فالذي ينبغي في هذا الباب ان يعفو الانسان عن حظه ويستوفي
حقوق الله بحسب الامكان قال تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
قال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا قال
هم ينتصرون والانتصار للحق والحمية لم ليسا بمنزلة الذي يعفو عجزا
او ذلا فان هذا مما يذم به الرجل ولا يمدح ونصر الحق لا مواهما حق الله
وحق العباد والله سبحانه اعلم **مسئلة** سئل رحمه عن قوله ومن
قبله كتاب موسى اماما ورحمة فقال اذا سمعنا بنص القران والحديث ان ما قبل
كتابنا الا الانجيل فقال الاخر عيسى انما كان تبعا لموسى والانجيل ما فيه الا
نوع من احكام يسير مما في التوراه وانكر عليه الرجل فقال كان لعيسى شرع غير
شرع موسى واحتج بقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال فالحكم
في قوله واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي
من التوراه فقال المشتبهة حجة **الجواب** قد اخبر الله في القران
ان عيسى

ان عيسى قال لهم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم فعلم انه احل البعض دون
الجميع واخبر عن المسيح انه علمه التوراة والانجيل بقوله ونعلمه التوراة والانجيل
ومن المعلوم لولا انه متبع لبعض ما في التوراة لم تعليمها له منة الا ترى انا
نحن لم نؤمن بحفظ التوراة والانجيل وان كان كثير من شرائع الكتابين
يوافق شريعة القران فهذا وغيره يبين ما ذكره علماء المسلمين من الانجيل
ليس فيه الا احكام قليلة واكثر الاحكام يتبع فيها ما في التوراة وبهذا
يحصل التقارب بين الشريعتين ولهذا كان النصارى متفقين على حفظ
التوراة وتلاوتها ~~كما يحفظون~~ كما يحفظون الانجيل ولهذا لما سمع النجاشي
القران قال ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك
ورقة بن نوفل قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر له النبي صلى الله عليه وسلم ما يأتيه
قال هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى وكذلك قالت الجن انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى وقال تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا
اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران
تظاهرا اي موسى ومحمد وفي القراءة الاخرى سحران تظاهرا اي التوراة
والقران وكذلك قال وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على
بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس الى قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه
فهذا وما اشبهه مما فيه اقتران التوراة والانجيل تبع لها في كثير من
الاحكام وان كان مغايرا لبعضها فلهذا يذكر الانجيل مع التوراة
والقران في مثل قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين
يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان
وقال وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران فيذكر الثلاثة
تارة ويذكر القران مع التوراة وحدها تارة ليبين ان الانجيل
من وجه اصل ومن وجه تبع بخلاف القران مع التوراة فانه
اصل من كل وجه بل هو مهيمن ما بين يديه من الكتاب وان كا

موافقا للتوراة في اصول الدين وكثير من الشرائع **مسئلة** في رفع
الصوت في الجنازة وما يتعلق بالتعزية وزيارة القبور وغير ذلك من
المسائل **الجواب** الحمد لله لا يستحب رفع الصوت مع الجنازة
لا بقراءة ولا ذكر ولا غير ذلك هذا مذهب الائمة الاربعة وهو المأثور
عن السلف من الصحابة والتابعين ولا اعلم فيه مخالفا بل قد روي عن النبي
صلى الله عليه انه نهى ان تتبع بصوت او نار رواه ابو داود وسمع عبد الله
بن عمر رضي رجلا يقول في جنازة استغفروا لاخيكم فقال ابن عمر لا غفر الله
لك بعد وقال قيس بن عباد وهو من اكابر التابعين من اصحاب علي بن
ابي طالب كانوا يستحبون خفض الصوت عند الجنائز وعند الذكر وعند
القتال وقد اتفق اهل العلم بالحديث والآثار ان هذا لم يكن على عهد
القرون الثلاثة المفضلة **واما** قول السائل ان هذا قد صار اجماعا من
الناس فليس كذلك بل ما زال في المسلمين من يكره ذلك وما زالت جنائز
كثير منهم تخرج بغير هذا في عدة امصار من امصار المسلمين واما كون اهل
بلد او اهل بلدين او عشرة تعودوا ذلك فليس هذا باجماع بل اهل
مدينة النبي صلى الله عليه التي نزل فيها القرآن والسنة وهي دار الهجرة والنصرة
والايمان والعلم لو اتفقوا في مثل زمن مالك وشيوخه على شيء
ولم ينقلوه عن النبي صلى الله عليه او خلفائه لم يكن اجماعهم حجة عند
جمهور المسلمين وبعد مالك واصحابه ليس اجماعهم حجة باتفاق المسلمين
فكيف بغيرهم من اهل الامصار **واما** قول القائل ان هذا تشبه بجنائز
اليهود والنصارى فليس كذلك بل اهل الكتاب عادتهم رفع الاصوات مع
الجنائز وقد شرط عليهم في شروط اهل الذمة ان لا يفعلوا ذلك ثم انما
نهينا عن التشبه بهم فيما ليس هو من طريق سلفنا الاول فاما اذا اتبعنا
وان شاركونا في ذلك فهم شاركونا كما انهم يشاركوننا في الدفن في الارض
وفي غير ذلك **واما** الاختلاف الى القبر بعد الدفن فليس بمستحب
وانما المستحب عند الدفن ان يقام على قبره ويدعا له بالتثبيت كما روى
ابو داود في سننه عن النبي صلى الله عليه انه كان اذا دفن الرجل من
اصحابه

(الهامش: من الدعاء — طريق سلفنا الاول كنا مصيبين)

(٩٢)

اصحابه يقوم على قبره ويقول سلوا له التثبيت فانه الآن يسأل وهذا
من معنى قوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره فانه لما نهى
نبيه صلى الله عليه عن الصلاة على المنافقين وعن القيام على قبورهم كان
دليل الخطاب ان المؤمن يصلى عليه قبل الدفن ويقام على قبره بعد الدفن
وزيارة الميت المشروعة بالدعاء والاستغفار هي من هذا المقام المشروع
والتعزية مستحبة ففي الترمذي عن النبي صلى الله عليه انه قال من عزى
مصابا فله مثل اجره **واما** قول القائل ما نقص من عمره زاد في عمرك
فغير مستحب بل المستحب ان يدعا له بما ينفع مثل ان يقول اعظم الله
اجرك واحسن عزاك وغفر لميتك **واما** نقص العمر وزيادته فمن الناس
من يقول انه لا يجوز بحال ويحمل ما ورد على زيادة البركة والصواب
انه يحصل نقص وزيادة × **واما** علم الله القديم فلا يتغير **واما** اللوح
المحفوظ فهل يتغير ما فيه على قولين وعلى هذا يتفق ما ورد في هذا الباب
من النصوص **واما** صنعة الطعام لاهل الميت فمستحبة كما قال
النبي صلى الله عليه اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد اتاهم ما يشغلهم
لكن انما يطيب اذا كان بطيب نفس المهدي او كان على سبيل المعاوضة
مثل ان يكون مكافاة عن معروف مثله فان علم الرجل انه ليس بمباح
لم ياكل منه وان اشتبه امره فلا باس بتناول اليسير منه اذا كان
فيه مصلحة راجحة مثل تاليف القلوب ونحو ذلك **واما** صلاة الرغائب
فلا اصل لها بل هي محدثة فلا تستحب لا جماعة ولا فرادى فقد ثبت في
صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه نهى ان تخص ليلة الجمعة بقيام او يوم
الجمعة بصيام والاثر الذي ذكر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء
ولم يذكره احد من السلف والائمة اصلا **واما** ليلة النصف فقد
روي في فضلها احاديث وآثار ونقل عن طائفة من السلف
انهم كانوا يصلون فيها فصلاة الرجل فيها وحده قد تقدمه
فيها سلف وله فيه حجة ولا ينكر مثل هذا **واما** الصلاة فيها

(الهامش: × [illegible] صح)

(٩٣)

والعبادات
جماعة فهذا مبني على قاعدة عامة في الاجتماع على الطاعات
فانه نوعان احدهما سنة راتبة اما واجب واما مستحب كالصلوات الخمس والجمعة
والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء والتراويح فهذا سنة راتبة
ينبغي المحافظة عليها والمداومة والثاني ما ليس بسنة راتبة مثل الاجتماع
لصلاة تطوع مثل قيام الليل او على قراءة قرآن او ذكر الله او دعاء فهذا
لا بأس به اذا لم يتخذ عادة راتبة فان النبي صلى الله عليه وسلم صلى التطوع في
جماعة احيانا ولم يداوم عليه الا ما ذكر وكان اصحابه اذا اجتمعوا
امروا واحدا منهم ان يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر بن الخطاب رض
يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج على اهل الصفة ومنهم واحد يقرأ فجلس معهم وقد روي في الملائكة
السيارين الذين يتبعون مجالس الذكر الحديث المعروف فلو ان قوما
اجتمعوا بعض الليالي على صلاة التطوع من غير ان يتخذوا ذلك
عادة راتبة تشبه السنة الراتبة لم يكره لكن اتخاذه عادة دائرة بدوران
الاوقات مكروه لما فيه من تغيير الشريعة وتشبيه غير المشروع
بالمشروع ولو ساغ ذلك لساغ ان يعمل صلاة اخرى وقت الضحى او بين
الظهر والعصر او تراويح في شعبان او اذان في العيدين او حج الى الصخرة
بيت المقدس وهذا تغيير لدين الله وتبديل له وهكذا القول في ليلة
المولد وغيرها والبدع المكروهة ما لم تكن مستحبة في الشريعة وهي ان
يشرع ما لم يأذن به الله فمن جعل شيئا دينا وقربة بلا شرع من الله
فهو مبتدع ضال وهو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كل بدعة
ضلالة والبدعة ضد الشرعة والشرعة ما امر الله به ورسوله امر ايجاب
او امر استحباب وان لم يفعل على عهده كالاجتماع في التراويح على امام
واحد وجمع القرآن في المصحف وقتال اهل الردة والخوارج ونحو ذلك
وما لم يشرعه الله ورسوله فهو بدعة وضلالة مثل تخصيص مكان
او زمان باجتماع على عبادة فيه كما خص الشارع اوقات الصلوات
وايام الجمع والاعياد وكما خص مكة بشرفها والمساجد الثلاثة

لكن لم

وسائر

وسائر المساجد بما شرع فيها من الصلوات وانواع العبادات كل بحسبه
وبهذا التفسير يظهر الجمع بين ادلة الشرع من النصوص والاجماعات فان
المراد بالبدعة ضد الشرعة وهو ما لم يشرع في الدين فمتى ثبت بنص او
اجماع في فعل انه مما يحبه الله ورسوله خرج بذلك عن ان يكون بدعة
وقد قررت ذلك مبسوطا في قاعدة كبيرة من القواعد الكبار واما
تارك الصلاة ونحوه من المظهرين لبدعة او فجور فحكم المسلم يتنوع
كما يتنوع الحكم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه بمكة وفي المدينة فليس
حكم القادر على تعزيرهم بالهجر كحكم العاجز ولا هجر من لا يحتاج الى مجالستهم
كهجر المحتاج والاصل ان هجر الفجار نوعان هجر ترك وهجر تعزير
اما الاول فقد دل عليه قوله تعالى واهجرهم هجرا جميلا وقوله وقد نزل
عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا
تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومن هذا الباب هجرة المسلم
من دار الحرب فالمقصود بهذا ان يهجر المسلم السيئات ويهجر قرناء السوء
الذين تضره صحبتهم الا لحاجة او مصلحة راجحة واما هجر التعزير
فمثل هجر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الثلاثة الذين خلفوا وهجر عمر
والمسلمون لصبيغ فهذا من نوع العقوبات فاذا كان يحصل بهذا
الهجر حصول معروف او اندفاع منكر فهي مشروعة وان كان
يحصل بها من الفساد ما يزيد على فساد الذنب فليست مشروعة
والله اعلم واما النذر فهو نوعان طاعة ومعصية فمن نذر صلاة
او صوما او صدقة فعليه ان يوفي به وان نذر ما ليس بطاعة مثل
النذر لبعض المقابر والمشاهد وغيرها زيتا او شمعا او نفقة او غير
ذلك فهذا النذر معصية وهو يشبه من بعض الوجوه النذر للاوثان
كاللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فهذا لا يجوز الوفاء به بالاتفاق
لكن من العلماء من يوجب فيه كفارة يمين كالامام احمد وغيره ومنهم
من لا يوجب شيئا وهو قول ابي حنيفة والشافعي واذا صرف الرجل ذلك
المنذور في قربة مشروعة مثل ان يصرف الدهن في تنوير المساجد

التي هي بيوت الله وصرف النفقة الى صالحي الفقراء كان هذا عملا صالحا
يتقبله الله منه مع ان اصل عقد النذر مكروه فان النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت
عنه انه نهى عن النذر وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج به من البخيل واما
تقبيل الجمادات فلا يشرع للرجال تقبيل الا الحجر الاسود الذي هو يمين الله
في الارض فان السنة تقبيله واستلامه بيده وتقبيل يده او بمحجن ونحوه
وتقبيل المحجن واما الركن اليماني فلا يقبل على القول الصحيح واما سائر
جوانب البيت والركنان الشاميان ومقام ابراهيم فلا يقبل ولا يتمسح به
باتفاق المسلمين المتبعين للسنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا لم
يكن التمسح بذلك وتقبيله مستحبا فاولى ان لا يقبل ولا يتمسح بما هو
دون ذلك واتفق العلماء على انه لا يستحب لمن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
عند قبره ان يقبل الحجرة ولا يتمسح بها لئلا يضاهي بيت المخلوق ببيت الخالق
ولانه قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقال لا تتخذوا
قبري عيدا وقال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا
تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك فاذا كان هذا دين المسلمين
في قبر النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد ولد آدم فقبر غيره اولى ان لا يقبل
ولا يستلم وقد حكى بعض العلماء في هذا خلافا مرجوحا واما الائمة المتبعون
والسلف الماضون فما اعلم بينهم في ذلك خلافا والله سبحانه اعلم

مسئلة فيما احدثه الفقراء في هذا الزمان من صحبة المردان ومواخاة النسوان
وحط رؤسهم بين يدي الشيخ ووقوفهم منحنين مكشوفين الرؤس والنعال على
رؤسهم هل سبقوا الى مثل هذه القبائح وغيرها ام لا وهل يكونوا مثابين على ذلك
ام لا **الجواب** الحمد لله رب العالمين اما صحبة المردان على وجه الاختصاص باحدهم
كما يفعلونه مع ما ينضم الى ذلك من الخلوة بالامرد الحسن ومبيته مع الرجل ونحو ذلك
فهذا من افحش المنكرات عند المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم فانه قد علم
بالاضطرار من دين الاسلام ودين سائر الامم قبل قوم لوط تحريم الفاحشة
اللوطية ولهذا بين الله في كتابه انه لم يفعلها قبل قوم لوط احد من العالمين

وقد عذب الله

[illegible]

وقد عذب الله المستحلين لها بعذاب ما عذبه احدا من الامم حيث طمس ابصارهم
وقلب مدائنهم فجعل عاليها سافلها واتبعهم بالحجارة من السماء ولهذا جاءت
الشريعة بان الفاحشة التي فيها القتل يقتل صاحبها بالرجم بالحجارة كما رجم
النبي صلى الله عليه وسلم يهوديين وماعز بن مالك الاسلمي والغامدية وغيرهم ورجم
بعده خلفاؤه الراشدون والرجم شرعه الله لاهل التوراة والقرآن وفي
السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا
الفاعل والمفعول به ولهذا اتفق الصحابة على قتلهما جميعا لكن تنازعوا
في صفة القتل فبعضهم قال يرجم وبعضهم قال يرمى من اعلا جدار في
القرية ويتبع بالحجارة وبعضهم قال يحرق بالنار ولهذا كان مذهب جمهور
السلف والفقهاء انهما يرجمان بكرين كانا او ثيبين حرين كانا او مملوكين
او كان احدهما مملوكا والآخر حرا وقد اتفق المسلمون على ان من استحلها
بمملوك او غير مملوك فهو كافر مرتد وكذلك مقدمات الفاحشة مثل
التلذذ بقبلة الامرد ولمسه والنظر اليه هو حرام باتفاق المسلمين
كما هو كذلك في المرأة الاجنبية كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال العينان تزنيان وزناهما النظر والاذن تزني وزناها السمع واليد
تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتمنى ويشتهي
والفرج يصدق ذلك ويكذبه واذا كان المستحل لما حرم الله كافرا فكيف
بمن يجعله قربة وطريقا الى الله عز وجل قال الله تعالى واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء
اتقولون على الله ما لا تعلمون وسبب نزول هذه الآية ان غير الحمس من العرب
كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون ثياب عصينا الله فيها لا
نطوف فيها فجعل الله كشف عوراتهم فاحشة وبين انه لا يامر
بالفحشاء ولهذا لما حج ابو بكر الصديق قبل حجة الوداع امر النبي
صلى الله عليه وسلم ان نادى وكان يحج المسلم والمشرك لا يحج بعد العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان فكيف بمن يستحل اتيان الفاحشة الكبرى

او ما فيها ويجعل ذلك عبادة وطريقا وان كان جماعة المتفلسفة ومن
وافقهم من ضلال المتنسكة جعلوا عشق الصور الجميلة من جملة الطريق التي
تزكى بها النفوس وليس هذا من دين الاسلام ولا اليهود والنصارى وانما هو
من دين اهل الشرك الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله فان كان اتباع
هؤلاء زادوا على ما شرع ساداتهم وكبرائهم زيادات من الفواحش التي ما تر
ضاها القرود فانه قد ثبت في صحيح البخاري ان ابا عمران رأى في الجاهلية
قردا زنا بقردة فاجتمعت عليه القرود فرجمته ومثل ذلك قد شاهده الناس
في زماننا في غير القرود حتى الطيور فلو كانت صحبة المردان المذكورة خلية
عن الفعل المحرم فهي مظنة لذلك وسبب له ولهذا كان المشايخ العارفون
بطريق الله يحذرون من ذلك كما قال فتح الموصلي ادركت ثلاثة من الابدال
كل ينهاني عند مفارقتي اياه عن صحبة الاحداث وقال معروف كانوا ينهون
عن ذلك وقال بعض التابعين ما انا على الشاب الناسك من سبع يجلس اليه
باخوف مني عليه من حدث يجلس اليه وقال سفيان الثوري وبشر الحافي
ان مع المرأة شيطانا ومع الحدث شيطانان وقال بعضهم ما سقط عبد
من عين الله الا ابتلاه الله بصحبة هؤلاء الانتان وقد دخل في فتنة
الصور والاصوات على النساك ما لا يعلمه الا الله حتى اعترف اكابر
من الشيوخ بذلك ومن تاب بعد ذلك منهم من تداركه الله برحمته ومعلوم
ان هذا من اتباع الهوى بغير هدى من الله ومن استحل ذلك او اتخذه
دينا كان ضالا مضاهيا للمشركين والنصارى ومن فعله مع اعترافه بانه
ذنب ومعصية كان عاصيا وفاسقا وكذلك مواخاة المرأة الاجنبية
بحيث يخلو بها او ينظر منها ما ليس للاجنبي ان ينظره حرام باتفاق
المسلمين واتخاذ ذلك دينا وطريقا كفر وضلال والمال الذي يؤخذ
لاجل اقرارهم ومعونتهم على مخادنة الرجل للامرد هي من جنس جعل القيادة
ومطالبتهم له بالصحبة من جنس العرض على البغي والله سبحانه اباح
النكاح غير مسافحين ولا متخذي اخدان فالمرأة المسافحة التي تزني
بما اتفق لها وكذلك الرجل المسافح الذي يزني مع من اتفق له واما

المتخذي

لعل كان زائدة

المتخذي الخدن فهو الرجل يكون له صديق والمرأة يكون لها صديق
فالامرد المخادن للواحد من هؤلاء من جنس المرأة المتخذة خدنا لذلك
الرجل والمال الذي يؤخذ على هذا من جنس مهر البغي وجعل القيادة ونحو
ذلك واما المظالم المحرمات فاذا اختصم رجلان بقول او فعل وجب ان يقام
في امرهما بالقسط قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله وقال كونوا قوامين لله شهداء بالقسط وقال تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما
بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين وقد روي ان اقتتالهما
كان بالجريد والنعال وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر
بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال ان الله يأمركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وقال
وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله وقال وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
فاذا كان الشخصان اختصما نظر في امرهما فان تبين ظلم احدهما
كان المظلوم بالخيار فان كان ظلمه بضربة او لطمة فله ان يضربه
او يلطمه كما فعل به عند جماهير السلف وكثير من الائمة وبذلك جاءت
السنة وقد قيل انه يؤدب ولا قصاص في ذلك وان كان قد سبه
فله ان يسبه مثل ما سبه اذا لم يكن فيه عدوان على حق محض لله
او على غير الظالم فاذا لعنه او سماه باسم كلب ونحوه فله ان يقول له
مثل ذلك وان لعن اباه لم يكن له ان يلعن اباه لانه لم يظلمه
وان افترى عليه كذبا لم يكن له ان يفتري عليه كذبا لان الكذب
حرام لحق الله كما قال كثير من العلماء في القصاص في البدن انه
اذا جرحه او خنقه او ضربه ونحو ذلك فعل به كما فعل وهذا
اصح قولي العلماء الا ان يكون الفعل حراما لحق الله تعالى كفعل

الفاحشة به او تجرعه الخمر فقد نهى عن مثل ذلك اكثرهم وان كان بعضهم
سوغه بنظير ذلك واذا اعترف الظالم بظلمه وطلب من المظلوم ان يعفوا
عنه ويستغفر الله له فهذا حسن مشروع كما ثبت في الصحيح عن ابي الدرداء
انه كان بين ابي بكر وعمر كلام وان ابا بكر طلب من عمر ان يستغفر له فابى ثم
ندم وطلب ابا بكر فوجده قد سبقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له
ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم يغفر الله لك يا ابا بكر ثم قال ايها الناس اني
جيت اليكم فقلت اني رسول الله فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت فهل
انتم تاركوا لي صاحبي الحديث واذا طلب من المظلوم العفو بعد اعتراف
الظالم فاجاب كان من المحسنين الذين اجرهم على الله وان ابى الا طلب
حقه لم يكن ظالما لكن يكون قد ترك الافضل الاحسن فليس لاحد ان
يمنعه عن ذلك كما قد يفعله كثير من الناس قال تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه
فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون
في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم فانه لو كان من ترك الاحسان
الذي لا يجب عليه خارجا عن الطريق خرج عنه جمهور اهل واولياء الله
على صنفين مقربين سابقين واصحاب يمين مقتصدين كما روى البخاري
في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله من عادى لي
وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الى عبدي بمثل اداء ما افترضت
عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي به يبصر ويده التي يبطش بها ورجله
التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني
لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله
ترددي عن قبض نفس عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته ولا بد
له منه ثم اكثر هولاء الذين يذمون باذل العفو انما يذمونه لاهوائهم
لكن الظالم صديق احدهم او رئيسه او قريبه او ربيبه ونحو ذلك
والله سبحانه قد اوجب على عباده العدل في الصلح كما اوجبه في الحكم فقال تعالى
فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين وقيل الاصلاح

الذي

الذي وقيل الاصلاح الذي يثيب عليه بالاخلاص لله فقال تعالى ومن يفعل ذلك ابتغاء
مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما اذ كثير من الناس يقصدون الاصلاح
اما للسمعة او للرياء واما للغرض يناله احدهم واما للرياسة عليهم ونحو ذلك
ومن العدل ان يمكن المظلوم من الانتصاف ثم بعد ذلك الشفاعة الى المظلوم
في العفو ومصالحة الظالم وترغيبه في ذلك فان الله اذا ذكر في القران
حقوق التي فيها اداء المظالم ندب فيها الى العفو كقوله سبحانه والجروح العباد
قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا
وان تصدقوا خير لكم وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره
على الله انه لا يحب الظالمين وعن انس رضه قال ما رفع الى رسول الله شيء من
القصاص الا امر فيه بالعفو وليس من شرط طلب العفو من المظلوم
ان الظالم يقوم على قدميه ولا يضع نعليه على راسه ونحو ذلك مما قد
يلزم بعض الناس وانما شرطه التمكين من نفسه حتى يستوفي منه الحق
فاذا مكن المظلوم من استيفاء حقه فقد فعل ما وجب عليه ثم ان المستحق
بالخيار ان شاء عفا وان شاء استوفى وللمظلوم ان يهجره ثلاثا واما
بعد الثلاث فليس له ان يهجره على ظلمه اياه لقول النبي صلى الله عليه وسلم
لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا
وخيرهما الذي يبدأ بالسلام واما اذا كان الذنب لحق الله كالكذب
والفواحش والبدعة المخالفة للكتاب والسنة واضاعة الصلوات
بالتفريط في واجباتها ونحو ذلك فهذا لا بد فيه من التوبة وهل
يشترط في التوبة اظهار الاصلاح في العمل على قولين للعلماء واذا كان
لهم شيخ مطاع فان له ان يعزر العاصي بحسب ذنبه تعزيرا يليق بمثله
او يفعله بمثله مثل هجره مدة كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة المخلفين
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ثم خلفاؤه الراشدون يسوسون في دينهم
ودنياهم ثم بعد ذلك تفرقت الامور فصار امراء الحرب يسوسون
الناس في امر الدنيا والدين الظاهر وشيوخ العلم والدين

يسوسون الناس فيما يرجع اليهم فيه من العلم والدين وهولاء اولوا الامر تجب طاعتهم
فيما يامرون به من طاعة الله التي هم اولوا امرها وهو كذلك ولقد فسر اولوا الامر في
قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم بامراء الحرب من الملوك
ونوابهم واهل العلم والدين يعلمون الناس دينهم ويامرونهم بطاعة الله
فان قوامه بالكتاب والحديد كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا
معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد
ومنافع للناس واذا كان ولاة الحرب عاجزين او مفرطين عن تقويم
المنتسبين الى الطريق كان تقويمهم على من تمكن من ذلك من شيخ او عالم وكان
لهم من هجرتهم وتاديبهم ما يتمكنون منه اذا لم يقم غيرهم به كما قال النبي صلى الله علم
من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
وذلك اضعف الايمان وقد تكون المصلحة تعزيره بنفيه عن وطنه مدة
كما كان عمر بن الخطاب ينفي من شرب الخمر وكما نفى نصر بن الحجاج الى البصرة لخوف
فتنة النساء به وقد مضت سنة رسول الله صلى الله علم بالنفي في الزنا
ونفي المخنث وامر بعض المشايخ المسمى بالسفر هذا لعله اصل وهذه جملة
تحتاج الى تفصيل طويل ببيان الذنوب والتوبة منها وشروط التوبة وان
اصل الطريق وفرعه وتمامه هو التوبة وهو حال مصطحب للعبد من اول
امره الى اخر عمره كما قال سبحانه اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون
في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا واذا تاب العبد
واخرج من ماله صدقة لتطهره من ذنبه كان ذلك حسنا مشروعا قال الله
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وقال النبي
صلى الله علم الصدقة تطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار والحسد ياكل
الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال النبي صلى الله علم فتنة الرجل في اهله
وماله وولده تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وقال كعب بن مالك ان من توبتي ان انخلع من
مالي صدقة فقال النبي صلى الله علم امسك عليك بعض مالك فهو خير
لك

لك لكن لا يجوز التزامه بصدقة لا تجب عليه ولا باخراج ثيابه ولا غير ذلك
ولا يجوز ان يقصد بمطالبته بالتوبة ان يوكل ماله لا سيما اذا اعنت فجعلوا
له ذنبا من غير ذنب فان هذا يبقى كذبا وظلما واكلا للمال بالباطل ولا يجب
ان يكون ما يخرجه صدقة مصروفا في طعام ياكلونه بل الخيرة اليه يضعه
حيث يكون اصلح واطوع لله ولرسوله والذي ينبغي ان ينظر احوج الناس
بمثل تلك الصدقة فتدفع اليه واما ان يجعل من جملة التوبة صنعة للناس
طعاما ودعوة فهذه بدعة فما زال الناس يتوبون على عهد النبي صلى الله علم
واصحابه من غير هذه البدعة واما الشكران الذي فيه اخراج شيء من ماله
كلبوس او غيره شكرا لله على ما انعم عليه به امامن توبة واما اصلاح ونحو ذلك
فهو حسن مشروع فان كعب بن مالك لما جاءه البشير بتوبة الله عليه اعطاه
ثوبه الذي كان عليه واستعار ثوبا ذهب به الى النبي صلى الله علم لكن
نفس طعام ودعوة في الشكران بدعة ايضا فان فعلا ذلك احيانا فهو حسن
فلا يجعل واجبا او مستحبا الا ما جعله الله ورسوله واجبا او مستحبا ولا يكون
حرام الا ما حرم الله ورسوله وضرب الرجل تحت رجليه هو من التعزير
فان كان له ذنب يستحق به مثل ذلك في دين الله والمؤدب له ممن له
اهلية ذلك فهو مباح واما كشف الروس والانحنا فليس من السنة
وانما هو ماخوذ عن عادات بعض الملوك والجاهلية والمخلوق
لا يسئل بكشف راس ولا ركوع له وانما يركع لله في الصلاة ويكشف
لله في الاحرام واما لباس الصوف فقد لبس رسول الله صلى الله علم
جبة من صوف في السفر ولهذا قال الاوزاعي لباس الصوف في السفر
سنة وفي الحضر بدعة ومعنى هذا ان المداومة عليه في الحضر بدعة
كما روينا عن محمد بن سيرين انه بلغه ان اقواما يتحرون لبس الصوف قال
اظن هولاء بلغهم ان المسيح كان يلبس الصوف فلبسه لذلك وهدي
نبينا احب الينا من هدي غيره وفي السنن ان اصحاب رسول الله
صلى الله علم كانوا يشهدون الجمعة ولباسهم الصوف وقد لبس

رسول الله صلى الله عليه القطن وغيره ومعنى هذا ان اتخاذ لبس الصوف عبادة
وطريقا الى الله بدعة واما لبسه للحاجة والانتفاع به او للفقر لعدم غيره
اولعدم لبس غيره ونحو ذلك فهو حسن مشروع والامتناع من لبسه مطلقا
مذموم لاسيما من يدع لبسه كبرا او خيلاء فانه قد ثبت عن النبي صلى الله
عليه في الصحيح انه قال من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمه
وقال بينما رجل يجر ازاره خيلاء اذ خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى
يوم القيمه فقد كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب المرتفع والمنخفض
وليس لاحد ان يجعل من الدين ومن طريق الله الا ما شرعه الله ورسوله
لاسيما اذا كان التقشف فيه فساد الدين والدنيا فان لبس الصوف
وترقيع الثوب عند الحاجة حسن من فعل السلف والامتناع من ذلك
مطلقا مذموم فاما من يعمد الى ثوب صحيح فيمزقه ثم يرقعه بفضلات
ويلبس الصوف الرفيع الذي هو اعلا من القطن والكتان فهذا جمع فسادين
اما من جهة الدين فانه يظهر التقشف بلبس المرقع والصوف من الدين
ثم يريد يظهر صورة ذلك دون حقيقته فيكون ما ينفقه على ذلك اعظم
مما ينفق على القطن وهذا مخالف للتزهد وفساد المال باتلافه وانفاقه
فيما لا ينتفع به لا في الدين ولا في الدنيا **فصل** وعد التسبيح بالاصابع
سنة كما قال النبي صلى الله عليه للنساء سبحن واعقدن بالاصابع فانهن
مسئولات مستنطقات واما عده بالنوى والحصى ونحو ذلك
وكان من الصحابة رضي من يفعل ذلك وقد رأى النبي صلى الله عليه ام المؤمنين
تسبح بالحصى [illegible] على ذلك وروي ان ابا هريره كان يسبح به واما
التسبيح بما يجعل في نظام من الخرز ونحوه فمن الناس من كرهه ومنهم
من لم يكرهه واذا حسنت فيه النية واحتيج اليه فهو حسن غير مكروه
واما اتخاذه من غير حاجة او اظهاره للناس مثل تعليقه في العنق
او جعله كالسوار في اليد او نحو ذلك فهذا اما رياء الناس واما
مظنة المراآة ومشابهة المرائين من غير حاجة فالاول محرم والثاني
اقل

اقل احواله الكراهه فان مراآة الناس بالعبادات المختصة كالصلاة
والصيام والذكر وقراءة القران من اعظم الذنوب وقال الله تعالى
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون
الماعون وقال تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا
قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا
قليلا واما المرائي بالفرائض فكل احد يعلم قبح حاله وان الله تعالى قبحه لكونه
لم يعبده مخلصا له الدين والله تعالى يقول ~~ولا يذكرون الله~~ يقول وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
وذلك دين القيمه وقال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا
له الدين الا لله الدين الخالص فهذا في القران كثير واما المرائي بنوافل الصلاة
والصوم والذكر وقراءة القران فلا يظن الظان انه يكتفي فيه بحبوط عمله
فقط بحيث يكون لا له ولا عليه بل هو مستحق للذم والعقاب على قصده
شهرة عبادة غير الله اذ هي عبادات مختصة لا تصح الا من مسلم ولا يجوز
ايقاعها على غير وجه التقرب بخلاف ما فيه نفع للعبيد كالتعليم والامامة
والاذان فهذا في الاستيجار عليه نزاع بين العلماء **فصل** الصلاة على السجادة
واتخاذ السجادة دينا وطريقا بحيث لا تصلي الا عليها في المساجد وغيرها
بدعة مكروهة فان النبي صلى الله عليه والصحابة وسلف الامة لم يكونوا يتخذون
هذه السجادات بل يصلون حيث ساغت الصلاة والتقييد بالصلاة
عليها يشبه تعبد اهل الكتاب بالصلاة في الكنائس وقد قال نبينا صلى الله عليه
جعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فعنده
مسجده وطهوره وقد قال الله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا **قال** الفضيل
بن عياض اخلصه واصوبه قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال
ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم
يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله
والصواب ان يكون على السنة وهذا معنى قوله تعالى ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله وهو محسن وقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه

[illegible] المرائي

فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وكان عمر بن الخطاب يقول اللهم اجعل
عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيئا فاذا كان
متخذ السجاده دينا مرائيا كان عمله لا خالصا ولا صوابا فلم يعمل صالحا
واشرك بعبادة ربه غيره وان كان مخلصا له كان مبتدعا في ذلك شيئا دعا
من الدين مالم ياذن به الله وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل عملا ليس
عليه امرنا فهو رد واذا كان المقصود بذلك الاحتراز من النجاسه قيل له
الذي امرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر واحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث
ووضع عنا الاصار والاغلال التي كانت على من قبلنا من النجاسات الخبيثه
وقد ثبت في الصحيح عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في نعليه وفي سنن ابي
داود وغيره عنه انه قال ان اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم وفي السنن
انه كان يصلي باصحابه فخلع نعليه فخلعوا نعالهم فلما سلم قال لم خلعتم
نعالكم قالوا رايناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا فقال ان جبريل جاءني
فاخبرني ان فيهما اذى فاذا جاء احدكم الى المسجد فلينظر في نعليه فان
راى بهما اذى فليدلكهما بالتراب فان التراب لهما طهور فان امره بالصلاة في
النعلين مخالفة لليهود الذين لا يكتفي بنزع النعلين حتى يتخذ مسجدا مفروشا
لا يصلي الا عليه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على الخمرة وهو شي ينسج من الخوص
فيسجد عليه يتقي به حر الارض واذا علم انه لم يكن مسجده مفروشا انما
كانوا يصلون على التراب والرمل والحصى فهذا من جنس الصلاة على الحصير
ونحوها لدفع الاذى فهذا حسن ولهذا اتفق العلماء على انه لا باس بالصلاة
على ما كان من جنس الارض كالحصير ونحوه واما الصلاة على المتخذ من
الصوف والشعر ونحو ذلك كالبسط والطنافس وعلى الحشايا المبطنه
فرخص فيه اكثر العلماء كابي حنيفة والشافعي واحمد وروي ذلك عن جماعة
من الصحابة وروي فيه احاديث مرفوعة وكرهه مالك واما اكل الحشيشه
المسكره فحرام فهي خمر فيها حد الخمر ومن استحل المسكر منها فهو كافر
يستتاب فان تاب والا قتل ومن حلل السكر منها وتناول منها ما يسكر
او لا يسكر فانه يجلد ثمانين سوطا وقد تنازع العلماء في نجاستها
هل هي نجسه ام طاهره او يفرق بين المائع والجامد فالاظهر انها كا

كا الشراب المسكر

انه قال

[illegible] لدفع الاذى

كا الشراب المسكر هي نجسة كنجاستها ولانها تصير مسكره بالاستحالة كما تصير
الاشربه مسكرة بالاستحالة بخلاف ما كان مخلوقا او مغيرا للعقل من غير
سكر كالبنج فذلك حرام وليس بنجس وفيه التعزير فيما دون الحد كما
في اكل الخنزير والدم والميتة اذا لم يستحل ذلك فان استحله فهو
كافر يستتاب فان تاب والا قتل والله سبحانه اعلم

مسئله

فيمن يزعم انه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ويعتقدون ان
الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نص على امامته وان الصحابة ظلموه ومنعوه حقه وانهم كفروا
بذلك فهل يجب قتالهم ويكفرون بهذا الاعتقاد ام لا

الجواب

الحمد لله رب العالمين اجمع العلماء على ان كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرايع
الاسلام الظاهرة المتواترة فانه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله
فلو قالوا نصلي ولا نزكي او نصلي الخمس ولا نصلي الجمعة ولا الجماعة او نقوم
بمباني الاسلام الخمس ولا نحرم دماء المسلمين واموالهم او لا نترك الربا
ولا الخمر ولا الميسر او نتبع القران ولا نتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
نعمل بالاحاديث الثابتة عنه او نعتقد ان اليهود والنصارى خير
من جمهور المسلمين وان اهل القبلة قد كفروا بالله ورسوله ولم يبق منهم
مؤمن الا طائفة قليلة او قالوا انا لا نجاهد الكفار مع المسلمين
وغير ذلك من الامور المخالفة لشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته
وما عليه جماعة المسلمين فانه يجب جهاد هذه الطوائف جميعها كما
جاهد المسلمون مانعي الزكاة وجاهدوا الخوارج واصنافهم وجاهدوا
الخرمية والقرامطة والباطنية وغيرهم من اصناف اهل الاهواء
والبدع الخارجين عن شرائع الاسلام وذلك لان الله تعالى يقول في كتابه
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فاذا كان بعض الدين
لله وبعضه لغير الله وجب قتالهم حتى يكون الدين كله لله وقال تعالى
فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم فلم يامر بتخلية
سبيلهم الا بعد التوبة من جميع انواع الكفر وبعد اقام الصلاة

وايتاء الزكاة وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا
ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فقد اخبر
تعالى ان الطائفة الممتنعة اذا لم تنته عن الربا فقد حاربت الله ورسوله والربا
آخر ما حرمه الله في القران فما حرمه قبله اوكد وقال تعالى انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض فكل من امتنع
من اهل الشوكة عن الدخول في طاعة الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله
ومن عمل في الارض بغير كتاب الله وسنة رسوله فقد سعى في الارض فسادا
ولهذا تاول السلف هذه الاية على الكفار وعلى اهل القبلة حتى ادخل عامة
الائمة فيها قطاع الطريق الذين يشهرون السلاح لمجرد اخذ الاموال وجعلوهم
باخذ اموال الناس بالقتال محاربين لله ورسوله ساعين في الارض فسادا وان
كانوا يعتقدون تحريم ما فعلوه ويقرون بالايمان بالله ورسوله فالذي
يعتقد حل دماء المسلمين واموالهم ويستحل قتالهم اولى بان يكون محاربا
لله ورسوله ساعيا في الارض فسادا من هؤلاء كما ان الكافر الحربي الذي
يستحل دماء المسلمين واموالهم ويرى جواز قتالهم اولى بالمحاربة من الفاسق
الذي يعتقد تحريم ذلك وكذلك المبتدع الذي خرج عن بعض شريعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته واستحل دماء المسلمين المتمسكين بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته واموالهم هو اولى بالمحاربة من الفاسق وان
اتخذ ذلك دينا يتقرب به الى الله كما ان اليهود والنصارى تتخذ محاربة
المسلمين دينا تتقرب به الى الله ولهذا اتفق ائمة الاسلام على ان هذه البدع
المغلظة شر من الذنوب التي يعتقد اصحابها انها ذنوب وبذلك مضت
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث امر بقتال الخوارج عن السنة وامر بالصبر
على جور الائمة وظلمهم والصلاة خلفهم مع ذنوبهم وشهد لبعض المصرين
من اصحابه على بعض الذنوب انه يحب الله ورسوله ونهى عن لعنته واخبر
عن ذي الخويصرة واصحابه مع عبادتهم وورعهم انهم يمرقون من الاسلام
كما يمرق السهم من الرمية وقد قال تعالى في كتابه فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا

ويسلموا تسليما فكل من خرج عن سنة رسول الله وشريعته فقد اقسم الله
بنفسه المقدسة انه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسوله في جميع ما يشجر بينهم من امور
الدين والدنيا وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه ودلائل القران على هذا
الاصل كثيرة وبذلك جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين
ففي الصحيحين عن ابي هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد
من العرب قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله فقال ابو بكر الم يقل الا بحقها فان الزكاة من حقها والله لو منعوني
عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال
عمر فوالله ما هو الا ان رايت ان الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال
فعلمت انه الحق فاتفق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال اقوام يصلون
ويصومون اذا امتنعوا عن بعض ما اوجبه الله عليهم من زكاة اموالهم
وهذا الاستنباط من صديق الامة قد جاء مصرحا به ففي الصحيحين عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا
الزكاة واذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فاخبر
صلى الله عليه وسلم انه امر بقتالهم حتى يؤدوا هذه الواجبات وهذا مطابق
لكتاب الله وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة واخرج
منها اصحاب الصحيح عشرة اوجه ذكرها مسلم في صحيحه واخرج منها
البخاري غير وجه وقال الامام احمد رحمه الله صح الحديث في الخوارج من
عشرة اوجه قال صلى الله عليه وسلم يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه
مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القران لا يجاوز حناجرهم
يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا
لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل وفي رواية لئن ادركتهم لاقتلنهم
قتل عاد وفي رواية شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه
وهؤلاء اول من قاتلهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومن معه

يمرق السهم من الرمية

من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم بحروبه لما خرجوا عن السنة والجماعة
واستحلوا دماء المسلمين واموالهم فانهم قتلوا عبد الله بن خباب واغاروا
على ماشية المسلمين فقام امير المؤمنين علي بن ابي طالب فخطب الناس وذكر
الحديث وذكر انهم قتلوا واخذوا الاموال فاستحل قتالهم وفرح بقتلهم
فرحا عظيما ولم يفعل في خلافته امرا عاما كان اعظم عنده من قتال الخوارج
وهم كانوا يكفرون جمهور المسلمين حتى كفروا عثمان وعليا وكانوا يعملون
بالقران في زعمهم لا يتبعون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يظنون انها
تخالف القران كما يفعله سائر اهل البدع مع كثرة عبادتهم وورعهم
وقد ثبت عن علي في صحيح البخاري وغيره من نحو ثمانين وجها انه قال
خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر وثبت عنه انه حرق غالية الرافضة
الذين اعتقدوا فيه الالهية وروي عنه باسانيد جيدة انه قال لا اوتى
باحد يفضلني على ابي بكر وعمر الا جلدته حد المفتري وعنه انه طلب
عبد الله بن سبا لما بلغه انه سب ابا بكر وعمر ليقتله فهرب منه وعمر بن الخطاب
رض امر برجل فضله على ابي بكر ان يجلد لذلك وقال عمر رض لصبيغ بن عسل
لما ظن انه من الخوارج لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك
فهذه سنة امير المؤمنين علي وغيره قد امر بعقوبة الشيعة الاصناف
الثلثة واخفهم المفضلة فامر هو وعمر بجلدهم والغالية يقتلون
باتفاق المسلمين وهم الذين يعتقدون الالهية او النبوة في علي رض
او غيره مثل النصيرية والاسماعيلية الذين يقال لهم بيت صاد
وبيت سين ومن دخل فيهم من المعطلة الذين ينكرون وجود الصانع
او ينكرون القيامة او ينكرون ظواهر الشريعة مثل الصلوات الخمس وصيام
رمضان وحج البيت الحرام ويتأولون ذلك على معرفة اسرارهم وكتمان
اسرارهم وزيارة شيوخهم ويرون ان الخمر حلال لهم ونكاح ذوات
المحارم حلال لهم فان جميع هؤلاء كفار اكفر من اليهود والنصارى
فان لم يظهر عن احد ذلك كان من المنافقين الذين هم في الدرك
الاسفل من النار ومن اظهر ذلك كان اشد من الكافرين كفرا
فلا يجوز ان يقر بين المسلمين لا بجزية ولا ذمة ولا يحل نكاح نسائهم
ولا توكل

مذهب الخوارج

مذهب الروافض

ولا توكل ذبائحهم لانهم مرتدون من شر المرتدين فان كانوا طائفة ممتنعة
وجب قتالهم كما يقاتل المرتدون كما قاتل الصديق والصحابة اصحاب مسيلمة
الكذاب واذا كانوا في قرى المسلمين فرقوا واسكنوا بين المسلمين ولكن هذا
مختصا بغالية الرافضة بل من غلا في احد من المشايخ وقال انه يرزقه
او يسقط عنه الصلاة او ان شيخه افضل من النبي او انه مستغن عن شريعة
النبي صلى الله عليه وسلم وان له الى الله طريقا غير شريعة النبي صلى الله عليه وسلم او ان
احدا من المشايخ يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى وكل
هؤلاء كفار يجب قتالهم باجماع المسلمين وقتل الواحد المقدور عليه
منهم واما الواحد المقدور عليه من الخوارج والرافضة فقد روي عنهما
اعني عمر وعلي قتلهما ائمة الصحابة والفقهاء وان تنازعوا في قتل الواحد المقدور
عليه من هؤلاء فلم يتنازعوا في وجوب قتالهم اذا كانوا ممتنعين
فان القتال اوسع من القتل كما يقاتل الصائلون العداة والمعتدون
البغاة وان كان احدهم اذا قدر عليه لم يعاقب الا بما امر الله ورسوله
وهذه النصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج قد دخل
فيها العلماء لفظا او معنى من كان في معناهم من اهل الاهواء
الخارجين عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين بل بعض
هؤلاء شر من الخوارج الحرورية مثل الخرمية والقرامطة والنصيرية
وكل من اعتقد في بشر انه اله او في غير الانبياء انه نبي وقاتل على ذلك
المسلمين فهو شر من الخوارج الحرورية والنبي صلى الله عليه وسلم انما ذكر الخوارج
الحرورية لانهم اول صنف من اهل البدع خرجوا بعده بل اولهم خرج
في حياته فذكرهم لقربهم من زمانه كما خص الله ورسوله اشياء
بالذكر لوقوعها في ذلك الزمان مثل قوله ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق وقوله من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه ونحو ذلك ومثل تعيين النبي صلى الله عليه وسلم
قبائل من الانصار وتخصيصه اسلم وغفار وجهينة وتميم

قوله ليس هذا مختصا بالرافضة

واسد او غطفان وغيرهم باحكام المعان بحامت بهم وكل من وجدت فيه تلك
المعاني الحق بهم لان التخصيص بالذكر لم يكن لاختصاصهم بالحكم بل لحاجة
المخاطبين اذ ذاك الى تعيينهم هذا اذا لم تكن الفاظه شاملة لهم وهولاء
الرافضة ان لم يكونوا شرا من الخوارج المنصوصين فليسوا دونهم فان
اولئك انما كفروا عثمان وعليا واتباع عثمان وعلي فقط دون من قعد عن
القتال او مات قبل ذلك والرافضة كفرت ابا بكر وعمر وعثمن وعامة
المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا
عنه وكفروا جماهير امة محمد صلى الله عليه وسلم من المتقدمين والمتاخرين
فيكفرون كل من اعتقد في ابي بكر وعمر والمهاجرين والانصار العدالة او ترضى
عنهم كما رضي الله عنهم او يستغفر لهم كما امر الله بالاستغفار لهم ولهذا
يكفرون اعلام الملة مثل سعيد بن المسيب وابي مسلم الخولاني واويس القرني وعطاء
بن ابي رباح وابراهيم النخعي ومثل مالك والاوزاعي وابي حنيفة وحماد بن زيد وحماد
بن سلمة والثوري والشافعي واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وابي سليمان
الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وغير هولاء
ويستحلون دماء من خرج عنهم ويسمون مذهبهم مذهب الجمهور كما يسميه
المتفلسفة ونحوهم بذلك وكما يسميه المعتزلة مذهب الحشو والعامة واهل
الحديث ويرون في اهل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة
وسائر بلاد الاسلام انه لا يحل نكاح هولاء ولا ذبائحهم وان المائعات التي
عندهم من المياه والادهان وغيرها نجسة ويرون ان كفرهم اغلظ من كفر
اليهود والنصارى لان اولئك عندهم كفار اصليون وهولاء مرتدون وكفر
الردة اغلظ بالاجماع من الكفر الاصلي ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور
من المسلمين فيعاونون التتار على الجمهور وهم كانوا من اعظم الاسباب
في خروج جنكزخان ملك الكفار الى بلاد الاسلام وفي قدوم هولاكو الى بلاد
العراق وفي اخذ حلب ونهب الصالحية وغير ذلك بخبثهم ومكرهم لما دخل
فيه من توزر منهم للمسلمين وغيرهم من توزر منهم وبهذا السبب نهبوا عسكر
المسلمين لما مر عليهم وقت انصرافه الى مصر في النوبة الاولى وبهذا السبب
يقطعون الطرقات على المسلمين وبهذا السبب ظهر فيهم من معاونة

التتار

(١١٣)

التتار والافرنج على المسلمين والكآبة الشديدة بانتصار الاسلام ما ظهر
وكذلك لما فتح المسلمون الساحل عكة وغيرها ظهر فيهم من الانتصار للنصارى
وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم وكل هذا الذي وصفت بعض
امورهم والا فالامر اعظم من ذلك وقد اتفق اهل العلم بالاحوال ان اعظم السيوف
التي سلت على اهل القبلة ممن ينتسب اليها واعظم الفساد الذي جرى على
المسلمين ممن ينتسب الى اهل القبلة انما هو من الطوائف المنتسبة اليهم فهم اشد
ضررا على الدين واهله وابعد عن شرائع الاسلام من الخوارج الحرورية
ولهذا كانوا اكذب فرق الامة فليس في الطوائف المنتسبة الى القبلة اكثر كذبا
ولا اكثر تصديقا للكذب وتكذيبا للصدق منهم وسيما النفاق فيهم اظهر منه
في سائر الناس وهي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم اية المنافق ثلاث
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وفي رواية اربع من
كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة
من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد
غدر واذا خاصم فجر وكل من خبرهم يعرف اشتمالهم على هذه الخصال ولهذا
يستعملون التقية التي هي سيما المنافقين واليهود ويستعملونها مع المسلمين
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحلفون ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
ويحلفون بالله ليرضوا المومنين والله ورسوله احق ان يرضوه وقد
اشبهوا اليهود في امور كثيرة لا سيما السامرة من اليهود فانهم اشبه بهم من
سائر الاصناف يشبهونهم في دعوى الامامة في شخص او بطن بعينه
والتكذيب لكل من جاء بحق غيره يدعونه وفي اتباع الاهواء او تحريف الكلم
عن مواضعه وتاخير الفطر وصلاة المغرب وغير ذلك وتحريم ذبائح غيرهم
ويشبهون النصارى في الغلو في البشر وفي العبادات المبتدعة وفي الشرك
وغير ذلك وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين
وهذه شيم المنافقين قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وقال ترى كثيرا
منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم.

تشبههم باليهود في امور كثيرة

مشابهتهم للنصارى في الغلو

جنكيز خان

وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم
اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون وليس لهم عقل ولا نقل ولا دين صحيح ولا دنيا منصورة
وهم لا يصلون جمعة ولا جماعة والخوارج كانوا يصلون جمعة وجماعة وهم لا يرون
الجهاد في الكفار مع ائمة المسلمين ولا الصلاة خلفهم ولا طاعتهم في طاعة الله ولا
تنفيذ شيء من احكامهم لاعتقادهم لا يسوغ الا خلف امام معصوم ويرون
ان المعصوم قد دخل الى السرداب من اكثر من اربعمائة سنة واربعين سنة
وهو الى الان لم يخرج ولا راه احد ولا علم احد دينا ولا حصل به فائدة بل مضرة
ومع هذا فان الايمان عندهم لا يصح الا به فلا يكون مؤمنا الا من امن به ولا
يدخل الجنة الا اتباعه مثل هولاء الجهال الضلال من سكان الجبال والبوادي
او من استحوذ عليهم بالباطل مثل ابن العود ونحوه ممن كتب خطه بما ذكرناه من
المخازي عنهم وصرح بما ذكرناه عنهم وباكثر منه وهم مع هذا الامر يكفرون كل
من امن باسماء الله وصفاته التي في الكتاب والسنة وكل من امن بقدر الله
وقضائه فامن بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وانه خالق كل شيء واكثر
محققيهم عندهم يرون ان ابا بكر وعمر واكثر المهاجرين والانصار وازواج النبي
صلى الله عليه [وسلم] مثل عايشه وحفصة وسائر ائمة المسلمين وعامتهم ما امنوا
بالله طرفة عين قط لان الايمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلا
من اصله كما يقوله بعض علماء السنة ومنهم من يرى ان فرج النبي صلى الله عليه [وسلم]
الذي جامع به عايشة وحفصة لا بد ان تمسه النار ليطهر من ذلك من
وطي الكوافر على زعمهم لان وطي الكوافر حرام عندهم ومع هذا يردون
احاديث رسول الله صلى الله عليه [وسلم] الثابتة المتواترة عنه عند اهل العلم مثل
احاديث البخاري ومسلم ويرون ان شعر شعراء الرافضة مثل الحميري ومهيار
الديلمي وعمارة اليمني خير من احاديث البخاري ومسلم وقد راينا في كتبهم
من الكذب والافتراء على النبي صلى الله عليه [وسلم] وصحابته وقرابته اكثر مما
راينا في كتب اهل الكتاب من التوراة والانجيل وهم مع هذا يعطلون
المساجد التي امر الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فلا يقيمون فيها جمعة
ولا جماعة ويبنون على القبور المكذوبة وغير المكذوبة مساجد يتخذونها
مشاهد وقد لعن رسول الله صلى الله عليه [وسلم] من اتخذ المساجد على القبور

ونهى امته

ونهى امته عن ذلك وقال قبل ان يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون
القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك ويرون
ان حج هذه المشاهد المكذوبة وغير المكذوبة من اعظم العبادات حتى ان مشايخهم
من يفضلها على حج البيت الذي امر الله به ورسوله ووصف حالهم يطول فبهذا
يتبين انهم شر من عامة اهل الاهواء واحق بالقتال من الخوارج وهذا هو السبب
فيما شاع في عرف العامة ان اهل البدع هم الرافضة فالعامة شاع عندها
ان ضد السني هو الرافضي فقط لانهم اظهروا معاندة لسنة رسول الله صلى الله عليه [وسلم]
وشرائع دينه من سائر اهل الاهواء وايضا فالخوارج كانوا يتبعون القران
بمقتضى فهمهم وهولاء انما يتبعون الامام المعصوم عندهم الذي لا وجود له
فمستند الخوارج خير من مستندهم وايضا فالخوارج لم يكن فيهم زنديق
ولا غال وهولاء فيهم الزنادقة والغالية من لا يحصيه الا الله وقد ذكر
اهل العلم ان مبدأ الرفض انما كان من الزنديق عبد الله بن سبا فانه
اظهر الاسلام ~~كما فعل بولص النصراني~~ وابطن اليهودية وطلب ان يفسد
الاسلام كما فعل بولص النصراني الذي كان يهوديا في افساد دين النصارى
وايضا فغالب ائمتهم زنادقة انما يظهرون الرفض لانه طريق الى هدم
الاسلام كما فعلته ائمة الملاحدة الذين خرجوا بارض اذربيجان في
زمن المعتصم مع بابك الخرمي وكانوا يسمون الخرمية والمحمرة والقرامطة
الباطنية والذين خرجوا بارض العراق وغيرها بعد ذلك واخذوا
الحجر الاسود وبقي معهم مدة كابي سعيد الجنابي واتباعه والذين خرجوا
بارض المغرب ثم جاوزوا الى مصر وبنوا القاهرة وادعوا انهم فاطميون
مع اتفاق اهل العلم بالانساب انهم بريئون من نسب رسول الله صلى الله عليه [وسلم]
وان نسبهم متصل بالمجوس واليهود واتفاق اهل العلم بدين رسول الله
صلى الله عليه [وسلم] انهم ابعد عن دينه من اليهود والنصارى بل الغالية
الذين يعتقدون الالهية في علي والائمة هم من اتباع هولاء الملاحدة
اهل دور الدعوة الذين كانوا بخراسان والشام واليمن وغير ذلك
وهولاء اعظم من اعان التتار على المسلمين باليد واللسان بالموازرة
والولاية وغير ذلك لمباينة قولهم لقول المسلمين واليهود والنصارى

قف على مبدأ الرافضة

وبهذا كان ملك الكفار هولاكو اصنافهم وايضا فالخوارج كانوا اصدق
الناس واوفاهم بالعهد وهولاء من اكذب الناس وانقضهم للعهد واما
ذكر المستفتي انهم يؤمنون بكل ما جاء به محمد صلى الله عليه فهذا اعظم الكذب
بل كفروا بما جاء به مما لا يحصيه الا الله فتارة يكذبون بالنصوص الثابتة
عنه وتارة يكذبون بمعاني التنزيل وما ذكرناه وما لم نذكره من مخازيهم
يعلم كل احد انه مخالف لما بعث الله به محمدا صلى الله عليه فان الله قد ذكر
في كتابه من الثناء على الصحابة والرضوان عليهم والاستغفار لهم ما هم
كافرون بحقيقته وذكر في كتابه من الامر بالجمعة والامر بالجهاد وبطاعة
اولي الامر ما هم خارجون عنه وذكر في كتابه من موالاة المؤمنين وموديتهم
ومواخاتهم والاصلاح بينهم ما هم عنه خارجون وذكر في كتابه من تحريم
دماء المسلمين واموالهم واعراضهم وتحريم الغيبة والهمز واللمز ما هم اعظم
الناس لاستحلاله وذكر في كتابه من الامر بالجماعة والايتلاف والنهي عن
الفرقة والاختلاف ما هم ابعد الناس عنه وذكر في كتابه من طاعة رسوله
ومحبته واتباع حكمه ما هم خارجون عنه وذكر في كتابه من حقوق
ازواجه ما هم براء منه وذكر في كتابه من توحيده واخلاص الدين له
وعبادته وحده لا شريك له ما هم خارجون عنه فانهم مشركون كما جاء
فيهم الحديث لانهم اشد الناس تعظيما للمقابر التي اتخذت اوثانا من دون الله
وهذا باب يطول وصفه وقد ذكر في كتابه من اسمائه وصفاته ما هم كافرون به
وذكر في كتابه من قصص الانبياء والنهي عن الاستغفار للمشركين ما هم
كافرون به وذكر في كتابه انه على كل شيء قدير وانه خالق كل شيء وانه ما شاء
الله لا قوة الا بالله ما هم كافرون به ولا تحتمل الفتوى الا الاشارة المختصرة
ومعلوم قطعا ان ايمان الخوارج بما جاء به محمد صلى الله عليه اعظم من ايمانهم
فاذا كان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قد قتلهم ونهب عسكره
ما في عسكرهم من الكراع والسلاح والاموال فهولاء اولى ان يقاتلوا وتؤخذ
اموالهم كما اخذ امير المؤمنين علي بن ابي طالب اموال الخوارج ومن
اعتقد من المنتسبين الى العلم او غيره ان قتال هولاء بمنزلة قتال البغاة

على الامام بتاويل سائغ كقتال امير المؤمنين علي بن ابي طالب لاهل الجمل وصفين
فهو غالط جاهل بحقيقة شريعة الاسلام وبحقيقة هولاء الخارجين
عنها فان هولاء لو ساسوا البلاد التي يغلبون عليها بشريعة الاسلام
كانوا ملوكا كسائر الملوك وانما هم خارجون عن نفس شريعة رسول الله
صلى الله عليه وسنته شرا من خروج الخوارج الحرورية وليس لهم تاويل
سائغ فان التاويل السائغ هو الجائز الذي يقر صاحبه عليه اذا لم يكن
فيه جواب كتاويل العلماء المتنازعين في موارد الاجتهاد وهولاء ليس لهم
ذلك بالكتاب والسنة والاجماع ولكن لهم تاويل من جنس تاويل مانعي
الزكاة والخوارج واليهود والنصارى وتاويلهم شر تاويلات اهل الاهواء
ولكن هولاء المتفقهة لم يجدوا تحقيق هذه المسائل في مختصراتهم وكثير
من الائمة المصنفين في الشريعة الاعتقادية والعملية كمانعي الزكاة
والخوارج ونحوهم الا من جنس قتال الخارجين على الامام كاهل الجمل
وصفين وهذا غلط بل الكتاب والسنة واجماع الصحابة فرق بين
الصنفين كما ذكر ذلك اكثر ائمة الفقه والسنة والحديث والتصوف
والكلام وغيرهم وايضا فقد جاءت النصوص عن النبي صلى الله عليه
بما يشملهم وغيرهم مثل ما رواه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات
ميتة جاهلية ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبية ويقاتل
للعصبية فليس مني ومن خرج على امتي يضرب برها وفاجرها
ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهدها فليس مني فقد ذكر
صلى الله عليه البغاة الخارجين عن طاعة السلطان وعن جماعة المسلمين
وذكر ان احدهم اذا مات مات ميتة جاهلية فان اهل الجاهلية
لم يكونوا يجعلون عليهم ائمة بل كل طائفة تغالب الاخرى ثم ذكر قتال
اهل العصبية كالذين يقاتلون على الانساب مثل قيس ويمن
وذكر ان من قتل تحت هذه الرايات فليس من امته ثم ذكر قتال العداة
الصائلين والخوارج ونحوهم وذكر ان من فعل هذا فليس منه

قف على قول هولاء المتفقهة

وهولاء جمعوا هذه الثلثة الاوصاف وزادوا عليها فانهم خارجون عن الطاعة
والجماعة يقتلون المؤمن والمعاهد لا يرون لاحد من ولاة المسلمين طاعة سواء
كان عدلا او فاسقا الا لمن لا وجود له وهم يقاتلون لعصبية شر من عصبية
ذوي الانساب وهي العصبية للدين الفاسد فان في قلوبهم من الغل والغيظ
على كبار المسلمين وصغارهم وصالحيهم وغير صالحيهم ما ليس في قلب احد
واعظم عباداتهم عندهم لعن المسلمين من اولياء الله متقدميهم ومتاخريهم
وامثلهم عندهم الذي لا يلعن ولا يستغفر واما خروجهم يقتلون المؤمن والمعاهد
فحقيقة حالهم مع دعواهم انهم هم المؤمنون وسائر الامة كفار وروى مسلم
في صحيحه عن عرفجة بن شريح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ستكون هنات
وهنات فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف
كائنا من كان وفي لفظ فاقتلوه وفي لفظ من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد
يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه وهولاء اشد الناس حرصا
على تفريق جماعة المسلمين فانهم لا يقرون لولي امر بطاعة سواء كان عدلا
او فاسقا ولا يطيعونه لا في طاعة ولا في غيرها بل اعظم اصولهم عندهم التكفير
واللعن والسب لخيار ولاة الامور كالخلفاء الراشدين والعلماء المسلمين
ومشائخهم لاعتقادهم ان كل من لم يؤمن بالامام المعصوم الذي لا وجود له لم
يؤمن بالله ورسوله وانما كان هولاء شرا من الخوارج الحرورية وغيرهم
من اهل الاهواء لاشتمال مذاهبهم على شر مما اشتملت عليه مذاهب الخوارج
وذلك لان الخوارج الحرورية كانوا اول اهل الاهواء خروجا عن السنة والجماعة
مع وجود بقية الخلفاء الراشدين وبقايا المهاجرين والانصار وظهور
العلم والايمان والعدل في الامة واشراق نور النبوة بسلطان الحجة
وسلطان القدرة حيث اظهر الله دينه على الدين كله بالحجة والقدرة وكان
سبب خروجهم ما فعله امير المؤمنين عثمان وعلي ومن معهما من الانواع
التي فيها تاويل فلم يحتملوا ذلك وجعلوا موارد الاجتهاد بل الحسنات
ذنوبا وجعلوا الذنوب كفرا ولهذا لم يخرجوا في زمن ابي بكر وعمر لانتفاء
تلك التاويلات وضعفهم ومعلوم انه كلما ظهر نور النبوة كانت البدعة

المخالفة

المخالفة اضعف فلهذا كانت البدعة الاولى اخف من الثانية والمستاخرة تتضمن
من جنس ما تضمنته الاولى وزيادة عليها كما ان السنة كلما كان اصلها اقرب
الى النبي صلى الله عليه وسلم كانت افضل فالسنن ضد البدع فكلما قرب منه صلى الله عليه وسلم
مثل سيرة ابي بكر وعمر كان افضل مما تاخر عنه كسيرة عثمان وعلي والبدع بالضد
كلما بعد عنه كان شرا مما قرب منه واقربها في زمنه الخوارج فان التكلم ببدعتهم
ظهر في زمانه ولكن لم يجتمعوا ولم تصر لهم قوة الا في خلافة امير المؤمنين
ثم ظهر في زمن علي التكلم بالرفض لكن لم يجتمعوا او تصر لهم قوة الا بعد مقتل الحسين
رضي الله عنه بل لم يظهر اسم الرفض الا حين خروج زيد بن علي بن الحسين بعد المائة
الاولى لما اظهر الترحم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما رفضته الرافضة فسموا رافضة
واعتقدوا ان ابا جعفر هو الامام المعصوم واتبعه اخرون فسموا زيدية
نسبة اليه ثم في اواخر عصر الصحابة نبغ التكلم ببدعة القدرية والمرجئة
فردها بقايا الصحابة كابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله وابي سعيد
وواثلة بن الاسقع وغيرهم ولم تصر لهم سلطان واجتماع حتى كثرت
المعتزلة والمرجئة بعد ذلك ثم في اواخر عصر التابعين ظهر التكلم ببدعة
الجهمية نفاة الصفات ولم يكن لهم اجتماع وسلطان الى بعد المائة
الثانية في امارة ابي العباس الملقب بالمامون فانه اظهر التجهم
وامتحن الناس عليه وعرب كتب الاعاجم من الروم واليونانيين وغيرهم
وفي زمنه ظهرت الخرمية وهم زنادقة منافقون ويظهرون الاسلام
وتفرعوا بعد ذلك الى القرامطة الباطنية والاسمعيلية واكثر هولاء
ينتحلون الرفض في الظاهر وصارت الرافضة الامامية في زمن بني بويه
بعد المائة الثالثة فيهم عامة هذه الاهواء المضلة ففيهم الخروج
والرفض والقدر والتجهم واذا تامل العالم ما ناقضوه من نصوص
الكتاب والسنة لم يجد احدا يحصيه الا الله فحفظ كله يبين ان فيهم
ما في الخوارج الحرورية وزيادات واضعافا فان الخوارج الحرورية
كانوا ينتحلون اتباع القران بارائهم ويدعون ان اتباع السنن التي
يزعمون انها تخالف القران والرافضة تنتحل اتباع اهل البيت وتزعم

ان فيهم المعصوم الذي لا يخفى عليه شيء من العلم ولا يخطئ لا عمدا ولا سهوا ولا
ريب ان اتباع القران واجب على الامة بل هو اصل الايمان وهدى الله الذي
بعث به رسوله وكذلك اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تجب محبتهم وموالاتهم
ورعاية حقهم وهذان هما الثقلان اللذان وصى بهما النبي صلى الله عليه وسلم فروى
مسلم في صحيحه عن زيد بن ارقم قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير يدعى خما
بين مكة والمدينة فقال يا ايها الناس اني تارك فيكم الثقلين وفي رواية
احدهما اعظم من الاخر كتاب الله فيه الهدى والنور فرغب في كتاب الله وفي رواية
هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة وعترتي
اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل
بيتي فقيل لزيد بن ارقم من اهل بيته قال اهل بيته من حرم الصدقة ال
العباس وال علي وال جعفر وال عقيل والنصوص الدالة على اتباع القران
اعظم من ان تذكر هنا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه حسان انه
قال عن اهل بيته والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من اجلي
وقد امرنا الله بالصلاة على الهم وطهرهم من الصدقة التي هي اوساخ الناس
وجعل لهم حقا في الخمس والفيء وقال صلى الله عليه وسلم فيما ثبت في الصحيح ان الله
اصطفى بني اسمعيل واصطفى كنانة من بني اسمعيل واصطفى قريشا من
كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من قريش فانا خيركم
نفسا وخيركم نسبا ولو ذكرنا ما روي في حقوق القرابة وحقوق
الصحابة لطال الخطاب فان دلائل هذا كثيرة من الكتاب والسنة ولهذا
اتفق اهل السنة والجماعة على رعاية حقوق الصحابة والقرابة وتبرؤوا من
الناصبة الذين يكفرون علي بن ابي طالب ويفسقونه وينتقصون بحرمة
اهل البيت مثل من كان يعاديهم على الملك او يعرض عن حقوقهم الواجبة
او يغلوا في تعظيم يزيد بن معاوية بغير الحق وتبرؤوا من الرافضة
الذين يطعنون على الصحابة وجمهور المؤمنين ويكفرون عامة
صالحي اهل القبلة وهم يعلمون ان هؤلاء اعظم ذنبا وضلالا من

من اولئك كما ذكرنا من ان هؤلاء الرافضة المحاربين شر من الخوارج وكل
من الطائفتين انتحلت احد الثقلين لكن القران اعظم فلهذا كانت
الخوارج اقل ضلالا من الروافض مع ان كل واحدة من الطائفتين
مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ومخالفة لصحابته وقرابته مخالفون لسنة خلفائه الراشدين
ولعترته اهل بيته وقد تنازع العلماء من اصحاب الامام احمد وغيرهم في اجماع
الخلفاء وفي اجماع العترة هل هو حجة يجب اتباعها والصحيح ان كلاهما حجة فان
النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي
تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وهذا حديث صحيح في السنن وقال
صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وانهما لن يفترقا
حتى يردا على الحوض رواه الترمذي وحسنه وفيه نظر وكذلك اجماع اهل المدينة
النبوية في زمن الخلفاء الراشدين هو بهذه المنزلة والمقصود هنا ان نبين
ان هؤلاء الطوائف المحاربين لجماعة المسلمين من الرافضة ونحوهم هم شر من
الخوارج الذين نص النبي صلى الله عليه على قتالهم ورغب فيه وهذا متفق عليه بين
علماء الاسلام العارفين بحقيقته ثم منهم من يرى ان لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم
شمل الجميع ومنهم من يرى انهم دخلوا من باب التنبيه والفحوى او من باب
كونهم في معناهم فان الحديث روي بالفاظ متنوعة ففي الصحيح واللفظ للبخاري
عن علي بن ابي طالب رضه انه قال اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا
فوالله لان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني
وبينكم فان الحرب خدعة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج
قوم في اخر الزمان حداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول
البرية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية
فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم يوم القيمة وفي
صحيح مسلم عن زيد بن وهب انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضه الذين
ساروا الى الخوارج فقال علي يا ايها الناس اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يخرج قوم من امتي يقرؤون القران ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم
الى صلاتهم بشيء ولا صيامكم الى صيامهم بشيء يقرؤون القران يحسبون انه
لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم

له عضد ليس له ذراع

من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم لنكلوا عن العمل
وآية ذلك ان فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع على راس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض والله
الرجوا ان يكونوا هولاء القوم فانهم قد سفكوا الدم الحرام واغاروا في سرح الناس
فسيروا على اسم الله وذكر الحديث الخ وفي مسلم ايضا عن عبيد الله بن ابي رافع
كاتب علي رض ان الحرورية لما خرجت وهو مع علي قالوا لا حكم الا لله فقال علي
كلمة حق اريد بها باطل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناسا اني لاعرف
صفتهم في هولاء يقولون الحق بالسنتهم لا يجاوز هذا منهم واشار الى حلقه من
ابغض خلق الله اليه منهم رجل اسود احدى يديه طبي شاة او حلمة ثدي
فلما قتلهم علي بن ابي طالب قال انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئا فقال ارجعوا
فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين او ثلاثا ثم وجدوه في خربة فاتوا به
حتى وضعوه بين يديه وهذه العلامة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم
هي علامة اول من يخرج منهم ليسوا مخصوصين باولئك القوم فانه قد اخبر
في غير هذا الحديث انهم لا يزالون يخرجون الى زمن الدجال وقد اتفق المسلمون
على ان الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر وايضا فالصفات التي وصفها
تعم غير ذلك العسكر ولهذا كان الصحابة يروون الحديث مطلقا مثل ما في
الصحيحين عن ابي سلمة وعطاء بن يسار انهما اتيا ابا سعيد فسالاه عن الحرورية
هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها قال لا ادري من الحرورية ولكني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل منها قوم
تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرءون القران لا يجاوز حلوقهم او حناجرهم
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر الرامي الى سهمه الى نصله الى
رصافه فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء من الدم اللفظ لمسلم
وفي الصحيحين ايضا عن ابي سعيد قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله
ذي الخويصرة التميمي وفي رواية اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال
اعدل يا رسول الله فقال ويلك من يعدل اذا لم اعدل قد خبت وخسرت
ان لم اكن اعدل قال عمر بن الخطاب ائذن لي فاضرب عنقه قال دعه فان
له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر الى نصله فلا يجد فيه شيء ثم ينظر الى
رصافه

رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء
ثم ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم وذكرنا في الحديث
فهولاء اصل ضلالهم اعتقادهم في ائمة الهدى وجماعة المسلمين انهم خارجون
عن العدل وانهم ضالون وهذا ماخذ الخارجين عن السنة من الرافضة
ونحوهم ثم يعدون ما يرون انه ظلم عندهم كفرا ثم يرتبون على الكفر احكاما
ابتدعوها فهذه ثلث مقامات للمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم في
كل مقام تركوا بعض اصول دين الاسلام حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية وفي
الصحيحين في حديث ابي سعيد يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان لئن
ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم فانهم
يستحلون دماء اهل القبلة لاعتقادهم انهم مرتدون اكثر مما يستحلون من دماء
الكفار الذين ليسوا بمرتدين لان المرتد شر من غيره وفي حديث ابي سعيد ان
النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوما يكونون في امته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم
التحليق قال هم شر الخلق او من شر الخلق يقتلهم ادنى الطائفتين الى الحق
وهذه السيما سيما اولهم كما كان ذو الثدية لا ان هذا وصف لازم لهم واخرجا
في الصحيحين حديثهم من حديث سهل بن حنيف بهذا المعنى ورواه البخاري من
حديث عبد الله بن عمر ورواه مسلم من حديث ابي ذر ورافع بن عمرو وجابر بن عبد الله
وغيرهم ورواه النسائي عن ابي برزة انه قيل له هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر الخوارج قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم باذني ورايته بعيني اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقسمه فاعطى من عن يمينه ومن عن شماله
ولم يعط من وراءه شيئا فقام رجل من ورائه فقال يا محمد ما عدلت في القسمة رجل
اسود مطموم الشعر عليه ثوبان ابيضان فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
غضبا شديدا وقال والله لا تجدون بعدي رجلا هو اعدل مني ثم قال
يخرج في اخر الزمان قوم كان هذا منهم يقرءون القران لا يجاوز تراقيهم
يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق لا يزالون
يخرجون حتى يخرج اخرهم مع الدجال فاذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شر الخلق
والخليقة وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن الصامت عن ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان بعدي من امتي او سيكون بعدي من امتي قوم يقرءون القران

لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون
فيه هم شر الخلق والخليقة قال ابن الصامت فلقيت رافع بن عمرو الغفاري
اخا الحكم بن عمرو الغفاري قلت ما حديث سمعته من ابي ذر كذا وكذا فذكرت
له الحديث فقال وانا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه المعاني موجودة
في اولئك القوم الذين قتلهم علي رضي الله عنه وفي غيرهم وانما قولنا ان عليا قاتل الخوارج
بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلما يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قاتل الكفار اي قاتل (وان كان الكفر)
جنس الكفار انواعا مختلفة وكذلك الشرك انواع مختلفة وان لم تكن الالهة التي
كانت العرب تعبدها هي التي تعبدها الهند والصين والترك لكن يجمعهم لفظ
الشرك ومعناه وكذلك الخروج والمروق يتناول كل من كان في معنى اولئك
ويجب قتالهم بامر النبي صلى الله عليه وسلم كما وجب قتال اولئك وان كان الخروج
عن الدين والاسلام انواعا مختلفة وقد بينا ان خروج الرافضة ومروقهم
اعظم بكثير واما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحرورية والرافضة
ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء هما روايتان عن الامام احمد والصحيح انه
يجوز قتل الواحد منهم كالداعية الى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد فان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اينما لقيتموهم فاقتلوهم وقال لئن ادركتهم لاقتلنهم
قتل عاد وقال عمر لصبيغ بن عسل لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك
ولان علي بن ابي طالب طلب ان يقتل عبد الله بن سبا اول الرافضة حتى هرب منه
ولان هؤلاء من اعظم المفسدين في الارض فاذا لم يندفع فسادهم الا بالقتل
قتلوا ولا يجب قتل كل واحد منهم اذا لم يظهر هذا القول او كان في قتله مفسدة
راجحة ولهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل ذلك الخارجي ابتداء لئلا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولم يكن اذ ذاك فيه فساد عام ولهذا ترك
علي قتلهم اول ما ظهروا لانهم كانوا خلقا كثيرا وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة
ظاهرا لم يحاربوا اهل الجماعة ولم يكن يتبين لهم انهم هم واما تكفيرهم وتخليدهم
ففيه ايضا للعلماء قولان مشهوران وهما روايتان عن احمد والقولان في
الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم والصحيح ان هذه الاقوال
التي يقولونها التي يعلم انها مخالفة لما جاء به الرسول كفر وكذلك افعالهم

التي هي جنس

التي هي من جنس افعال الكفار بالمسلمين هي كفر ايضا وقد ذكرت دلائل ذلك في غير
هذا الموضع لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف
على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه فانا نطلق القول بنصوص
الوعد والوعيد والتكفير والتفسيق ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام
حتى يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له وقد بسطت هذه القاعدة
في قاعدة التكفير ولهذا لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم بكفر الذي قال اذا انا مت
فاحرقوني ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا
لا يعذبه به احدا من العالمين مع شكه في قدرة الله واعادته ولهذا لا يكفر
العلماء من استحل شيئا من المحرمات لقرب عهده بالاسلام او لنشأته
ببادية بعيدة فان حكم الكفر لا يكون الا بعد بلوغ الرسالة وكثير من هؤلاء
قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه ولا يعلم ان الرسول بعث بذلك
فيطلق ان هذا القول كفر ويكفر من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها
دون غيره والله اعلم **مسألة** في رجل منقطع في بيته لا يخرج ولا
يدخل ويصلي في بيته ولا يشهد الجماعة واذا خرج الى الجمعة يخرج مغطى الوجه
ثم انه يصيح ويرفع صوته من غير سبب ويجتمع عليه الرجال والنساء فهل يسلم
اليه حاله او يجب الانكار عليه **الجواب** الحمد لله رب العالمين هذه الطريقة
طريقة بدعية مخالفة للكتاب والسنة ولما اجمع عليه المؤمنون والله انما يعبد
بما شرع لا يعبد بالبدع قال تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به
الله فان التعبد بترك الجمعة والجماعة بحيث يرى ان تركهما افضل من شهودهما
مطلقا كفر يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل فانه قد علم بالاضطرار
من دين الاسلام ان الله لا يعبد بترك الجمعة والجماعة بل يعبد بفعل
الجمعة والجماعة ومن جعل الانقطاع عن ذلك دينا لم يكن على دين المسلمين
بل يكون من جنس الرهبان الذين يتخلون في الصوامع والديارات والواحد
من هؤلاء قد يحصل له بسبب الرياضة او الشياطين الذين يقترنون به
او غير ذلك نوع كشف وذلك لا ينفعه بل هو كافر بالله ورسوله عدو لله
ورسوله لخروجه عما امر الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى امر الخلق.

ان يعبدوه وحده ولا يشركون به شيئا ويعبدوه بما شرع وامر ان لا يعبدوه
بغير ذلك وقال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا وقال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فالسالك طريق الزهاده والعباده
اذا كان متبعا للشريعة في الظاهر وقصده الرياء والسمعة وتعظيم الناس له كان
عملا باطلا لا يقبله الله كما ثبت في الصحيح ان الله يقول انا اغنى الشركاء عن الشرك
فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بري وهو كله للذي اشرك وفي الصحيح
عنه انه قال من سمع سمع الله به ومن راا راا الله به وان كان في نيته لكنه يتعبد
بغير العبادات المشروعة مثل الذي يصمت دائما او يقوم او يلازم البروز في الشمس
او على السطح دائما او يتعرى من الثياب دائما او يلازم لبس الصوف او لبس الليف
ونحوه او يغطي وجهه او يمتنع من اكل الخبز او اللحم او شرب الماء ونحو ذلك
كانت هذه العبادات باطلة مردودة كما ثبت في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها عن
النبي صلى الله علم قال من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من
عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي ان النبي
صلى الله علم رأى رجلا قايما في الشمس فقال ما هذا قالوا هذا ابو اسرائيل نذر
الصمت والقيام والبروز في الشمس مع الصوم فامر النبي صلى الله علم بالصوم
وحده لانه عبادة يحبها الله ونهاه عن الصمت والقيام والبروز للشمس لانها
بدعة وان ظنها الظان تقربه الى الله وثبت عنه صلى الله علم انه كان يقول في
خطبته ان اصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها
وكل بدعة ضلاله وثبت عنه في الصحيح ان قوما من اصحابه قال احدهم اما
انا فاصوم لا افطر وقال الاخر اما انا فاقوم لا انام وقال الاخر اما انا فلا اتزوج
النساء وقال الاخر اما انا فلا اكل اللحم فقال صلى الله علم ما بال رجال يقول
احدهم كيت وكيت لكني اصوم وافطر واقوم وانام واتزوج النساء واكل
اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني فاذا كان هذا فيما جنسه عبادة فان الصوم
والصلاة من جنسهما عبادة وترك اللحم والتزوج جائز لكن لما خرج في ذلك
عن السنة والتزم القدر الزائد على المشروع والتزم ترك المباح كما يفعل
الرهبان تبرا النبي صلى الله علم ممن فعل هذا حيث رغب عن سنته الى خلافها فتبرا
وقال لا رهبانية في الاسلام فكيف بمن يرغب عما هو من اعظم شعائر الاسلام

وهو

وهو الصلاة في الجمعة والجماعات فقد روي عن ابن عباس انه سئل عن رجل
يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد جماعة ولا جمعة فقال هو في النار
وفي الصحيح عن النبي صلى الله علم انه قال لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات
او ليطبعن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الخاسرين وقال من ترك ثلاث
جمع تهاونا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي الصحيح والسنن ان اعمى قال
يا رسول الله ان لي قائدا لا يلائمني فهل تجد لي رخصة ان اصلي في بيتي قال هل
تسمع النداء قال نعم قال فاجب وفي رواية قال لا اجد لك رخصة والجمعة
فريضة باتفاق الائمة والجماعة واجبة ايضا عند كثير من العلماء بل عند
اكثر السلف وهل هي شرط في صحة الصلاة على قولين اقواهما انها شرط كما في
سنن ابي داود عن النبي صلى الله علم انه قال من سمع النداء ثم لم يجب من
غير عذر فلا صلاة له وعند طائفة من العلماء انها واجبة على الكفاية
واضعف ما قيل فيها انها سنة مؤكدة ولا نزاع بين العلماء ان صلاة
الرجل في جماعة تزيد على صلاته وحده خمسا وعشرين ضعفا كما ثبت
ذلك عن النبي صلى الله علم ولا نزاع بينهم ان من جعل صلاته وحده
افضل من صلاته جماعة فانه ضال مبتدع مخالف لدين المسلمين وهذه
البدع يذم اصحابها ويعرف ان الله لا يتقبلها وان كان قصدهم بها
العباده كما انه لا يقبل عبادة الرهبان ونحوهم ممن يجتهدون في الزهد
والعبادة لانهم لم يعبدوه بما شرع بل ببدعة ابتدعوها قال تعالى
ورهبانية ابتدعوها فان المتعبد بهذه البدع قصده ان يعظم ويزار
فهذا عمل ليس خالصا لله ولا صوابا على السنة بل هو كما يقال زغل
وناقص بمنزلة لحم خنزير ميت حرام من وجهين والواجب على كل
المسلمين التزام عبادة الله وحده لا شريك له وطاعة رسوله والامر
بذلك لكل احد والنهي عن ضده لكل احد والانكار على من يخرج عن ذلك والنهي
ولو طار في الهوى او مشى على الماء وليس تحت اديم السماء احد يقر
على خلاف ما جاء به رسول الله صلى الله علم بل ان كان مقرا بالاسلام

الزم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع سنته الواجبة وشريعته الهادية وان كان
غير مقر بالاسلام كان كافرا ولو كان له من الزهد والرهبان ماذا عسى ان
يكون والكافر ان كان من اهل الذمة فله حكم امثاله وان كان من اهل الحرب
فله حكم امثاله ويجب الانكار على هذا المبتدع وامثاله بحسن قصد بحيث
يكون المقصود طاعة الله ورسوله لا اتباع هوى ولا منافسة ولا غير ذلك
قال الله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فالمقصود
ان يكون الدين كله لله ولا دين الا ما شرعه الله تعالى على السن رسله وفي
الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة
ويقاتل حمية ويقاتل رياء فاي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فيكون المقصود علو كلمة الله وظهور دين
وان يعلم المسلمون كلهم ان ما عليه المبتدعون المراؤن ليس من الدين ولا فعل
عباد الله الصالحين بل من فعل اهل الجهل والضلال والاشراك بالله تعالى
الذين يخرجون عن توحيده واخلاص الدين له وعن طاعة رسله واصل الاسلام
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن طلب بعبادته الريا والسمعة
فلم يحقق شهادة ان لا اله الا الله ومن خرج عما امر به الرسول من الشريعة
وتعبد بالبدعة فلم يحقق شهادة ان محمدا رسول الله وانما يحقق هذين
الاصلين من يعبد الله ولم يخرج عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بلغها
عن الله تعالى فانه قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي
الا هالك وقال ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ولا من
شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثتكم به وقال ابن مسعود رض خط لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا
سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرا وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فالعبادات
والزهادات والمقالات والتورعات الخارجة عن سبيل الله وهو الصراط
المستقيم الذي امرنا الله ان نسئله هدايته وهو ما دل عليه الكتاب
والسنة هي سبيل الشيطان ولو كان لاحدهم من الخوارق ما كان فليس

احدهم

احدهم باعظم من مقدم الدجال الذي يقول للسماء امطري فتمطر وللارض
انبتي فتنبت وللخربة اخرجي كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة
وهو مع هذا عدو الله كافر بالله واولياء الله هم المذكورون في قوله تعالى الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكانوا يتقون فهم المؤمنون المتقون الذين آمنوا
والتقوى فعل ما امر الله به وترك ما نهى الله عنه فمن ترك ما امر الله به
واتخذ عبادة نهى الله عنها كيف يكون من هؤلاء وفي صحيح البخاري عن
ابي هريرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال
عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها فبي
يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن
استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله مثل ترددي عن قبض روح
عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه فبين سبحانه
انه ما تقرب العباد الى الله بمثل اداء ما افترض عليهم والتقرب بالواجبات
فقط طريق المقتصدين من اصحاب اليمين ثم التقرب بعد ذلك بما احبه الله
من النوافل هو طريق السابقين المقربين والمحبوبات هي ما امر الله به
ورسوله امر ايجاب او امر استحباب دون ما استحبه الرجل برايه
والله سبحانه وتعالى اعلم

مسئلة فصل

التشبه بالبهائم
في الامور المذمومة في الشرع مذموم منهي عنه في اصواتها وافعالها
ونحو ذلك مثل ان ينبح نبيح الكلاب او ينهق نهيق الحمير او نحو ذلك
وذلك يبطل من وجوه احدها انا قررنا في اقتضاء الصراط المستقيم
نهي الشارع عن التشبه بالآدميين الذين جنسهم ناقص كالتشبه بالاعراب
وبالاعاجم وباهل الكتاب ونحو ذلك في امور من خصائصهم وبينا ان
من اسباب ذلك ان المشابهة تورث مشابهة الاخلاق وذكرنا ان
من اكثر عشرة بعض الدواب اكتسب من اخلاقها كالكلابين والجمالين

وذكرنا ما في النصوص من ذم اهل الجفا وقسوة القلوب اهل الابل ومن مدح اهل الغنم
فكيف يكون التشبه بنفس البهائم فيما هي مذمومة بل هذه القاعدة تقتضي
بطريق التنبيه النهي عن التشبه بالبهائم مطلقا فيما هو من خصائصها وان
لم يكن مذموما بعينه لان ذلك يدعوا الى فعل ما هو مذموم بعينه اذ من
المعلوم ان كون الشخص اعرابيا او عجميا خير من كونه كلبا او حمارا او خنزيرا
اما اذا وقع النهي عن التشبه بهذا الصنف من الادميين في خصائصه لكون
ذلك تشبها فيما يستلزم النقص ويدعو اليه فالتشبه بالبهائم فيما هو من
خصائصها اولى ان يكون مذموما ومنهيا عنه الوجه الثاني ان كون الانسان
مثل البهائم مذموم قال تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كا
الانعام بل هم اضل سبيلا الوجه الثالث ان الله سبحانه انما شبه
الانسان بالكلب والحمار ونحوهما في معرض الذم له كقوله فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا
وانفسهم كانوا يظلمون وقال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها
كمثل الحمار يحمل اسفارا الاية واذا كان التشبه بها انما كان على وجه الذم
من غير ان يقصد المذموم التشبه بها فالقاصد ان يتشبه بها اولى ان يكون
مذموما لكن ان كان تشبهه بها في عين ما ذمه الشارع صار مذموما من
وجهين وان كان فيما لم يذمه صار مذموما من جهة التشبه المستلزم
للوقوع في المذموم بعينه يؤيد هذا الوجه الرابع وهو قوله صلى الله
عليه وسلم في الصحيح العائد في هبته كالعائد في قيئه ليس لنا مثل السوء ولهذا كالكلب صح
يذكر ان الشافعي واحمد تناظرا في هذه المسألة فقال الشافعي الكلب
ليس بمكلف فقال له احمد ليس لنا مثل السوء هذه الحجة في نفس الحديث فان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر هذا المثل الا ليبين ان الانسان اذا شابه الكلب
كان مذموما وان لم يكن الكلب مذموما على ذلك من جهة التكليف ولهذا
ليس لنا مثل السوء والله سبحانه قد بين بقوله ساء مثلا ان التمثيل
بالكلب مثل سوء والمؤمن منزه عن مثل السوء فاذا كان له مثل سوء

من الكلب كان مذموما بقدر ذلك المثل السوء الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب وقال اذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق
الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رات شيطانا فدل ذلك على ان
اصواتها مقارنة للشياطين وانها منفرة للملائكة ومعلوم ان المشابه للشيء
لا بد ان يتناوله من احكامه بقدر المشابهة فاذا نبح نباحها كان في ذلك
من مقارنة الشياطين وتنفير الملائكة بحسبه وما يستدعي الشياطين
وينفر الملائكة لا يباح الا لضرورة ولهذا لم يبح اقتناء الكلب الا لضرورة
لجلب منفعة كالصيد او دفع مضرة عن الماشية والحرث حتى قال
صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا الا كلب ماشية او حرث او صيد نقص من عمله
كل يوم قيراط وبالجملة فالتشبه بالشيء يقتضي من الحمد والذم بحسب الشبه
لكن كون المشبه به غير مكلف لا ينفي التكليف عن المتشبه كما لو تشبه
بالاطفال والمجانين والله سبحانه اعلم الوجه السادس ان النبي صلى الله عليه وسلم
لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال
وذلك لان الله خلق كل نوع من الحيوان وجعل صلاحه وكماله في امر
مشترك بينه وبين غيره وبين امر مختص به فاما الامور المشتركة
فليست من خصائص احد النوعين ولهذا لم يكن من مواقع النهي وانما
مواقع النهي الامور المختصة فاذا كانت الامور التي هي من خصائص
النساء ليس للرجال التشبه بهن فيها والامور التي هي من خصائص
الرجال ليس للنساء التشبه بهم فيها فالامور التي هي من خصائص
البهائم لا يجوز للادمي التشبه بالبهائم فيها بطريق الاولى والاحرى
وذلك لان الانسان بينه وبين الحيوان قدرا جامعا مشتركا وقدرا
فارقا مختصا ثم الامر المشترك كالاكل والشرب والنكاح والاصوات
والحركات لما اقترنت بالوصف المختص كان للانسان فيها احكام
تخصه ليس له فيها ان يتشبه بما يفعله الحيوان فيها فالامور المختصة
به اولى مع انه في الحقيقة لا مشترك بينه وبينها ولكن فيه اوصاف
تشبه اوصافها من بعض الوجوه والقدر المشترك انما وجوده

١٣٢

في الذهن لا في الخارج واذا كان كذلك فالله تعالى قد جعل الانسان
مخالفا بحقيقته الحيوان وجعل كماله وصلاحه في الامور التي تناسبه
وهي جميعها لا يماثل فيها الحيوان فاذا تعمد مماثلة الحيوان وتغيير خلق الله
فقد دخل في فساد الفطرة والشرعة وذلك محرم والله سبحانه اعلم

سئل في اسلام معوية بن ابي سفيان متى كان وهل كان ايمانه كايمان
غيره املا وما قيل فيه غير ذلك **الجواب** ايمان معوية ابن ابي سفيان
رضي الله عنه معلوم بالنقل المتواتر واجماع اهل العلم على ذلك كايمان امثاله ممن
آمن عام فتح مكة مثل اخيه يزيد بن ابي سفين ومثل سهيل بن عمرو وصفوان
بن اميه وعكرمة بن ابي جهل والحارث بن هشام وابي اسيد بن ابي العاص لعله حرب
بن اميه وامثال هؤلاء فان هؤلاء يسمون الطلقا فانهم امنوا عام فتح النبي
صلى الله عليه وسلم مكة قهرا واطلقهم ومن عليهم واعطاهم وتألفهم وقد روي ان معوية
بن ابي سفين اسلم قبل ذلك وهاجر كما اسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص
وعثمان بن طلحة الحجبي قبل فتح مكة وهاجروا الى المدينة فان كان هذا صحيحا فهو
من المهاجرين واما اسلامه عام الفتح مع من ذكر فمتفق عليه بين العلماء
سواء اسلم قبل ذلك او لم يكن اسلامه الا عام فتح مكة ولكن بعض الكذابين زعم
انه عير اباه باسلامه وهذا كذب بالاتفاق من اهل العلم بالحديث وكان هؤلاء
المذكورون من احسن الناس اسلاما واحمدهم سيرة لم يتهموا بسوء ولم يتهمهم
احد من اهل العلم بنفاق كما اتهم غيرهم بل ظهر منهم من حسن الاسلام وطاعة
الله ورسوله وحب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وحفظ حدود الله ما دل
ما دل على حسن ايمانهم الباطن وحسن اسلامهم ومنهم من امره النبي صلى الله عليه وسلم واستعمله
نائبا له كما استعمل عتاب بن اسيد اميرا على مكة نائبا عنه وكان من خيار
المسلمين قال يا اهل مكة والله لا يبلغني ان احدا منكم قد تخلف عن الصلاة الا ضربت
الا ضربت عنقه وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب ابا معوية
على نجران نائبا له وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وابو سفين عامله على نجران ومعوية
احسن اسلاما من ابيه باتفاق اهل العلم كما ان اخاه يزيد كان افضل
منه ومن ابيه ولهذا استعمله ابو بكر الصديق رضي الله عنه على قتال النصارى حين
فتح الشام فكان هو احد الامراء الذين استعملهم ابو بكر الصديق ووصاه
بوصيته

١٣٣

بوصيته المعروفة نقلها اهل العلم واعتمدوا عليها ذكرها مالك في الموطا وغيره
ومشى ابو بكر رضي الله عنه في ركابه مشيعا له فقال له يا خليفة رسول الله اما ان تركب واما
ان انزل وقال لست بنازل ولست براكب احتسب خطاي هذه في سبيل الله
وكان عمرو بن العاص احد الامراء وابو عبيدة بن الجراح ايضا وقدم عليهم
خالد بن الوليد لشجاعته ومنفعته في الجهاد فلما توفي رضي الله عنه ابو بكر ولى عمر
بن الخطاب ابا عبيدة اميرا على الجميع لان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان شديدا
في الله فولى ابا عبيدة لانه كان لينا وكان ابو بكر رضي الله عنه لينا وخالد شديدا
على الكفار فولى اللين الشديد وولى الشديد اللين ليعتدل الامر وكلاهما
فعل ما هو احب الى الله في حقه فان نبينا صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق ونعته الله
باكمل الشرائع كما قال الله تعالى في نعت امته اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال
فيهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استشار اصحابه
في اسارى بدر واشار عليه ابو بكر ان ياخذ الفدية منهم واطلاقهم واشار
عليه عمر بضرب اعناقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يلين قلوب رجال
فيه حتى تكون الين من اللبن ويشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد
من الصخر وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم الخليل اذ قال فمن تبعني فانه
مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل عيسى بن مريم اذ قال ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح
عليه السلام اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا او مثل موسى
بن عمران اذ قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنون
حتى يروا العذاب الاليم وكانا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما نعتهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانا هما وزيراه من اهل الارض وقد ثبت في الصحيح عن
ابن عباس رضي الله عنه ان سرير عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وضع وجاء الناس
يصلون عليه قال ابن عباس فالتفت فاذا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال
والله ما على وجه الارض احد احب الي من ان القى الله بعمله من هذا الميت

والله اني لارجوا ان يحشرك الله مع صاحبيك فاني كثيرا ما كنت اسمع النبي
صلى الله عليه يقول دخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر وذهبت
انا وابو بكر وعمر ثم ثبت في الصحيح انه لما كان يوم احد لما انهزم اكثر المسلمين
فاذا ابو سفيان وكان في القوم المشركين اذ قال افي القوم محمد افي القوم محمد افي
القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه لا تجيبوه ثم قال افي القوم ابن ابي قحافة
افي القوم ابن ابي قحافة افي القوم ابن ابي قحافة فقال النبي صلى الله عليه لا
تجيبوه فقال افي القوم ابن الخطاب افي القوم ابن الخطاب افي القوم ابن الخطاب
فقال النبي صلى الله عليه لا تجيبوه الحديث بطوله فهذا ابو سفيان قائد الاحزاب
لم يسئل الا عن هولاء الثلثة عن النبي صلى الله عليه وابي بكر وعمر رض لعلمه بان هولاء
هم روس عسكر المسلمين وقال الرشيد لمالك بن انس اخبرني عن منزلة ابي بكر وعمر
من النبي صلى الله عليه فقال منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما بعد وفاته فقال
اشفيتني يا مالك فلما توفي رسول الله صلى الله عليه واستخلف ابو بكر جعل الله فيه
من الشدة ما لم يكن فيه قبل ذلك حتى فاق عمر في ذلك حتى قاتل اهل الردة بعد
ان جهز جيش اسامة وكان ذلك تكميلا له لكمال النبي صلى الله عليه اذ صار خليفته
له ولما استخلف عمر جعل الله من الرافة والرحمة ما لم يكن فيه قبل ذلك تكميلا له
حتى صار امير المؤمنين فلهذا استعمل هذا ابا عبيدة وكان يزيد بن ابي سفيان
في خلافة عمر فولى عمر مكان يزيد اخاه معوية بن ابي سفين وبقي معاوية على
ولايته تمام خلافته وخلافة عثمن ورعيته تشكره وتشكر سيرته فيهم وتواليه
وتحبه لما راوا من حلمه وعدله حتى انه لم يشكه منهم مشتك ولا تظلم منهم
متظلم ويزيد بن معوية ليس من اصحاب النبي صلى الله عليه وانما ولد في خلافة
عثمن وانما سماه يزيد سمي عمه وعمه من الصحابة رض وقد شهد معوية
واخوه مع النبي صلى الله عليه غزوة حنين ودخلوا في قوله تعالى فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين
كفروا وذلك جزاء الكافرين وكانوا من المؤمنين الذين انزل الله سكينته
عليهم مع نبيه صلى الله عليه وغزوة الطائف لما حاصروا الطائف ورماها
بالمنجنيق وشهدوا النصارى بالشام وانزل الله سورة براءة وهي غزوة
العسرة

لعله ... على الشام

بلغ

العسرة التي جهز فيها عثمن بن عفان رض الجيش بالف بعير في سبيل الله فغزوا
بكمالها بجميع بعيرا فقال النبي صلى الله عليه ما ضر عثمن ما فعل بعد اليوم وهذه اخر
مغازي النبي صلى الله عليه ولم يكن فيها قتال وقد غزى النبي صلى الله عليه اكثر
من عشرين غزاة بنفسه ولم يكن القتال الا في تسع غزوات بدر واحد وبني
المصطلق والخندق وذي قرد وغزوة الطائف واعظم جيش جمعه النبي صلى الله عليه
كان بحنين والطائف وكانوا اثني عشر الفا واعظم جيش غزا به جيش تبوك
فانه كان كثيرا لا يحصى غير انه لم يكن فيه قتال وهولاء المذكورون دخلوا
في قوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى فان هولاء
الطلقاء مسلمة الفتح هم ممن انفق من بعد الفتح وقاتل وقد وعدهم الله الحسنى
فانهم انفقوا بحنين والطائف وقاتلوا فيهما رضي الله عنهم وهم ايضا داخلون
فيمن رضي الله عنهم حيث قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
هم الذين اسلموا قبل الحديبية كالذين بايعوا تحت الشجرة الذين انزل الله فيهم
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة كانوا اكثر من الف
واربعمائة وكلهم من اهل الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه انه قال
لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة وكان فيهم حاطب بن ابي بلتعة وكانت
له سيئات معروفة مثل مكاتبته المشركين باخبار النبي صلى الله عليه
واسائته الى مماليكه وقد ثبت في الصحيح ان مملوكه جاء الى النبي صلى الله عليه
فقال والله يا رسول الله لا بد ان يدخل حاطب النار فقال له النبي
صلى الله عليه كذبت انه شهد بدرا والحديبية وثبت في الصحيح انه لما كتب
الى المشركين يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه اليهم ارسل علي بن ابي طالب والزبير
الى المرأة التي كان معها الكتاب فاتيا بها فقال ما هذا يا حاطب فقال
والله يا رسول الله والله ما فعلت ذلك ارتدادا عن ديني ولا رضيت
بالكفر بعد الاسلام ولكن كنت امرا ملصقا في قريش لم اكن من انفسهم
وكان من معك من اصحابك لهم بمكة قرابات يحمون بها اهاليهم فاحببت اذ
فاتني ذلك ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي فقال عمر بن الخطاب

دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما
يدريك ان الله قال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ففي هذا الحديث بيان ان الله
يغفر لهولاء السابقين كاهل بدر والحديبية من الذنوب العظيم بفضل
سابقتهم وايمانهم وجهادهم ما لا يجوز لغيرهم لاحد غيرهم ان يعاقبهم بها كما لم
يجب معاقبة حاطب مما كان منه وهذا مما يستدل به ان ما جرى بين علي
وطلحة والزبير وامثاله فانما يكون اجتهادا فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطا فله اجر
وان كان هناك ذنب فقد ثبت ان هولاء رضي الله عنهم وغفر لهم ما فعلوه فلا يضرهم
ما يقع منهم من الذنوب ان كان قد وقع ذنب بل ان وقع من احدهم ذنب
كان الله بدل لكل محاه بسبب قد وقع من الاسباب التي يمحص الله بها الذنوب
مثل ان يكون قد تاب فيتوب الله عليه او كان له حسنات يمحو بها سيئاته
او يكون قد كفر عنه ببلاء ابتلاه به فانه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا
اذى الا كفر الله به من خطاياه واما من بعد هولاء السابقين الاولين وهم
الذين اسلموا بعد الحديبية فهولاء دخلوا في قوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى
وفي قوله تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد
اسلم قبل فتح مكة خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمن بن طلحة الحجبي
وغيرهم واسلم بعد الطلقاء واهل الطائف وكانوا اخر الناس اسلاما
وكان فيهم عثمن بن ابي العاص الثقفي الذي امره النبي صلى الله عليه وسلم وكان
من خيار الصحابة مع تاخر اسلامه فقد يتاخر اسلام الرجل ويكون
افضل من بعض من تقدمه بالاسلام كما تاخر اسلام عمر فانه يقال انه اسلم
تمام الاربعين وكان ممن فضله الله على كثير ممن اسلم قبله وكان عثمان
وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف اسلموا قبل عمر على يد ابي بكر
وتقدمهم عمر واول من اسلم من الرجال الاحرار البالغين ابو بكر ومن
الاحرار الصبيان علي ومن الموالي زيد بن حارثة ومن النساء خديجه

ام المؤمنين وهذا باتفاق اهل العلم وقد قال الله تعالى ان الذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا
اولئك بعضهم اولياء بعض الى قوله تعالى والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق
كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم فهذه
عامة وقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
ربنا انك رؤف رحيم فهذه الاية والتي قبلها تتناول من دخل فيها بعد السابقين
الاولين الى يوم القيمة فكيف لا يدخل فيها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين
امنوا معه وجاهدوا معه وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المهاجر من
هجر ما نهى الله عنه فمن كان قد اسلم من الطلقاء وهجر ما نهى الله عنه كان
له معنى هذه الهجرة فدخل في قوله تعالى والذين امنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم كما دخلوا في قوله تعالى وكلا وعد الله
الحسنى وقد قال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء
بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في
وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة والانجيل كزرع اخرج
شطاه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
وعد الله الذين امنوا منهم مغفرة واجرا عظيما فهذا بينا والذين امنوا
مع الرسول مطلقا وقد استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح وغيرها
من غير وجه انه قال خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم وثبت عنه في الصحيح انه كان بين عبد الرحمن

وبين خالد بن الوليد كلام فقال يا خالد لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم
انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه فهذا يقوله لخالد ونحوه
ومن اسلم بعد الحديبية بالنسبة الى السابقين الاولين بقوله لو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهولاء الذين اسلموا بعد الحديبية
دخلوا في قوله تعالى اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا ~~من قبل الفتح وقاتلوا~~
من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى بهذه المنزلة وكيف يكون بعد اصحابه
والصحبة اسم جنس يقع على كل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم قليلا او كثيرا لكن
كل منهم له من الصحبة بقدر ذلك فمن صحبه سنة او شهرا او يوما او ساعة
او راه مومنا به فله من الصحبة بقدر ذلك كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال تغزو فئام فيقولون هل فيكم من صحب النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ هل فيكم
من راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ من صحب من صحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون
نعم فيفتح لهم وفي بعض الطرق فيذكر في الطبقة كذلك فقد علق النبي صلى الله
عليه وسلم الحكم بصحبته وعلقه برؤيته وجعل فتح الله على المسلمين بسبب من راه
مؤمنا وهذه الخاصة لا تثبت لاحد غير اصحابه ولو كانت اعمالهم اكثر من
اعمال الواحد من اصحابه صلى الله عليه وسلم **فصل** اذا ثبت هذا فمن
المعلوم ان الطريق التي يعلم بها صحبته هي الطريق التي يعلم بها صحبة
امثاله والطلقاء الذين اسلموا عام الفتح مثل معوية واخيه يزيد وعكرمة
بن ابي جهل وصفوان بن امية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وقد
ثبت بالتواتر عند الخاصة اسلامهم وبقاؤهم على الاسلام الى حين الموت
ومعوية اظهر اسلاما من غيره فانه تولى اربعين سنة نائبا لعمر وعثمن
مع ما كان في خلافة علي رضه وعشرين سنة مستقلا وانه توفي سنة ستين
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بخمسين سنة وسلم اليه الحسن بن علي رضه الامر
عام اربعين الذي يقال له عام الجماعة لاجتماع الكلمة وزوال الفتنة
بين المسلمين وهذا الذي فعله الحسن رضه مما اثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما
ثبت في صحيح البخاري وغيره عن ابي بكرة رضه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابني
هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فجعل

النبي صلى الله عليه

النبي صلى الله عليه وسلم مما اثنى به على ابنه الحسن ومدحه على ان اصلح الله به بين
فئتين عظيمتين من المسلمين وذلك حين سلم الامر الى معوية وكان قد
سار كل واحد منهما الى الاخر بعساكر عظيمة فلما اثنى النبي صلى الله عليه وسلم
على الحسن بالاصلاح وترك القتال دل ذلك على ان الاصلاح بين
الطائفتين كان احب الى الله من فعله فدل على ان الاقتتال لم يكن مامورا
به ولو كان معوية كافرا لم تكن تولية كافر وتسليم الارض اليه مما يحبه الله
ورسوله بل دل الحديث على ان معوية واصحابه كانوا مومنين كما كان
الحسن واصحابه مومنين وان الذي فعله الحسن رضه كان محمودا عند الله
محبوبا مرضيا له ولرسوله وهذا كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في
الصحيح من حديث ابي سعيد الخدري انه قال تمرق مارقة على حين فرقة
من الناس فيقتلهم اولى الطائفتين بالحق وفي لفظ فتقتلهم ادنى
الطائفتين الى الحق فهذا الحديث الصحيح دليل على ان كلا الطائفتين المقتتلتين
علي واصحابه ومعوية واصحابه كانوا مومنين وان عليا واصحابه
كانوا اقرب الى الحق من معوية واصحابه فان علي بن ابي طالب هو الذي
قاتل المارقين وهم الخوارج الحرورية الذين كانوا من شيعة علي ثم خرجوا
عليه وكفروه وكفروا من والاه ونصبوا له العداوة وقاتلوه ومن معه
وهم الذين اخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة المستفيضة
بل المتواترة حيث قال فيهم يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع
صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرءون القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون من
الاسلام كما يمرق السهم من الرمية اينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في
قتلهم اجرا عند الله يوم القيمة ان فيهم رجلا مخدج اليدين له عضد عليها
شعرات تدردر وهولاء هم الذين نصبوا العداوة لعلي ومن والاه وهم الذين
استحلوا قتله وجعلوه كافرا وقتله احد روسهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي
فهولاء النواصب الخوارج المارقون اذ قالوا ان عثمن وعلي بن ابي طالب
ومن معهما كانوا كفارا مرتدين فمن ابين حجة المسلمين عليهم ما تواتر

من ايمان الصحابة وما ثبت بالكتاب والسنة الصحيحة من مدح الله تعالى لهم
وثناء الله عليهم ورضاه عنهم واخباره بانهم من اهل الجنة ونحو ذلك من
النصوص ومن لم يقبل هذه الحجج لم يمكنه ان يثبت ايمان علي بن ابي طالب
وامثاله فانه لو قال هذا الناصبي للرافضي ان عليا كان كافرا او فاسقا
ظالما قاتل على الملك لطلب الرياسة لا للدين وانه قتل من اهل الملة من
امة محمد صلى الله عليه وسلم بالجمل وصفين وحروراء الوفا مؤلفه ولم يقاتل بعد موت
النبي صلى الله عليه وسلم كافرا ولا فتح مدينة بل قاتل اهل القبلة ونحو هذا الكلام
الذي تقوله النواصب المبغضون لعلي رضه لم يمكن ان يجيب هؤلاء النواصب
الا اهل السنة والجماعة الذين يحبون السابقين الاولين كلهم ويوالونهم
فيقولون لهم ابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ونحوهم ثبت بالتواتر
ايمانهم وهجرتهم وجهادهم وثبت بالقران ثناء الله عليهم ورضي عنهم
وثبت بالاحاديث الصحيحة ثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم خصوصا وعموما
لقوله في الحديث المستفيض عنه لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا وقوله انه قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي
احد فعمر وقوله عن عثمان الا استحي ممن تستحي منه الملائكة وقوله لعلي
لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح
الله على يديه وقوله لكل نبي حواري وحواري الزبير وامثال ذلك
واما الرافضي فلا يمكنه اقامة الحجة على من يبغض عليا من النواصب كما
يمكن ذلك اهل السنة الذين يحبون الجميع فانه ان قال اسلام علي
معلوم بالتواتر قال له وكذلك اسلام ابي بكر وعمر وعثمان ومعوية
وغيرهم وانت تطعن في هؤلاء اما في اسلامهم واما في عدالتهم وان قال
ايمان علي يثبت بثناء النبي صلى الله عليه وسلم قلنا له هذه الاحاديث انما
نقلها الصحابة الذين تطعن انت فيهم ورواة فضائلهم سعد بن ابي وقاص
وعايشة وسهل بن سعد الساعدي وامثالهم والرافضة تقدح في
هؤلاء فان كانت رواية هؤلاء وامثالهم ضعيفة فبطل كل فضيلة

تروى

تروى لعلي ولم يكن للرافضة حجة وان كانت روايتهم صحيحة ثبتت فضائل
علي وغيره ممن روى هؤلاء فضائله كابي بكر وعمر وعثمان وغيرهم فان قال
الرافضي فضائل علي متواترة عند الشيعة كما يقولون ان النص عليه بالامامة متواتر
قيل له اما الشيعة الذين ليسوا من الصحابة فانهم لم يروا النبي صلى الله عليه وسلم ولا سمعوا
كلامه ونقلهم نقل مرسل منقطع ان لم يسنده الى الصحابة الذين تواليهم الرافضة
نفر قليل بضعة عشر واما نحو ذلك ولا يثبت التواتر بنقلهم لانه يجوز
التواطي على هذا العدد القليل والجمهور الاعظم من الصحابة الذين نقلوا فضائلهم
يقدح الرافضة فيهم ثم اذا جوزوا على الجمهور الذين اثنى عليهم القران
الكذب والكتمان فتجويز ذلك على نفر قليل اولى واحرى وايضا فاذا قال
الرافضي ان ابا بكر وعمر وعثمان كان قصدهم الرياسة والملك فظلموا
غيرهم بالولاية قال لهم هؤلاء لم يقاتلوا مسلما على الولاية وانما
قاتلوا المرتدين والكفار وهم الذين كسروا كسرى وقيصر وفتحوا بلاد
فارس واقاموا الاسلام واعزوا الاسلام واهله واذلوا الكفر واهله وعثمان
هو دون ابي بكر وعمر في المنزلة ومع ذلك فقد طلبوا قتله وهو في ولايته
فلم يقاتل المسلمين ولا قتل مسلما على ولايته فان جوزتم على هؤلاء انهم
كانوا ظالمين في ولايتهم اعداء الرسول كانت حجة الناصبي عليكم
اظهر واذا ساغ القول في هؤلاء ونسبتهم الى الظلم والمعاداة للرسول
وطائفة كان ذلك حجة الخوارج والنواصب المارقين عليك فانهم يقولون
انما ولي ان ينسب الى طلب الرياسة من قاتل المسلمين على ولايته ولم يقاتل
الكفار وابتداهم بالقتال ليطيعوه وهم لا يطيعونه وقتل من اهل القبلة
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون البيت العتيق ويصومون
شهر رمضان ويقرؤون القران الوفا مؤلفة ومن لم يقاتل مسلما بل اعزوا
اهل الصلاة والزكاة ونصرهم واووهم ومن قتل وهو في ولايته لم
يقاتل ولم يدافع عن نفسه حتى قتل في داره وبين اهله رض فان
جوزتم على مثل هذا ان يكون ظالما للملك ظالما للمسلمين بولايته
فتجويزكم هذا على من قاتل على الولاية وقتل المسلمين عليها اولى واحرى

وبهذا وامثاله يتبين ان الرافضة امة ليس لها عقل صريح ولا نقل صحيح ولا دين مقبول
ولا دنيا منصورة بل هم من اعظم الطوائف كذبا وجهلا ودينهم يدخل على المسلمين كل
زنديق ومرتد كما دخل فيهم النصيرية والاسماعيلية وغيرهم فانهم يعمدون الى خيار
الامة يعادونهم والى اعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين يوالونهم ويعمدون
الى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه والى الكذب المختلق الذي يعلم فساده
يقيمونه فهم كما قال فيهم الشعبي وكان من اعلم الناس بهم لو كانوا من البهائم
لكانوا حمرا ولو كانوا من الطير لكانوا رخما ولهذا كانوا ابهت الناس واشدهم
فرية مثل ما يذكرون عن معوية فان معوية ثبت بالتواتر انه امن بالنبي
صلى الله عليه وسلم كما امن غيره وجاهد معه وكان امينا عنده يكتب له الوحي وما اتهمه
النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة الوحي وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من اخبر الناس
بالرجال وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه ولم يتهمه في ولايته وقد ولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اباه ابا سفين الى ان مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو على ولايته ومعوية
خير من ابيه واحسن اسلاما من ابيه باتفاق المسلمين واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولى اباه فلان يجوز ولايته بطريق الاولى والاحرى ولم يكن من اهل الردة قط
ولا نسبه احد من اهل العلم الى الردة الا الذين ينسبون الى الردة ابابكر وعمر وعثمن
وعامة اهل بدر واهل بيعة الرضوان وغيرهم من السابقين الاولين من
المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان والذين نسبوا هولاء الى الردة
يقول بعضهم انه مات ووجهه الى المشرق والصليب على وجهه وهذا مما يعلم
كل عاقل انه من اعظم الكذب والفرية عليه ولو قال قائل هذا فيمن هو
دون معوية من ملوك بني امية وبني العباس كعبد الملك بن مروان واولاده
وكابي جعفر المنصور وذريته الملقبين بالمهدي والهادي والرشيد وامثالهم
من الذين تولوا الخلافة وامرة المؤمنين فمن نسب واحدا من هولاء الى اليهودية
والى انه مات على دين النصارى لعلم كل عاقل انه من اعظم الناس فرية فكيف
يقال مثل هذا في معوية وامثاله من الصحابة بل يزيد ابنه مع ما احدث من
الاحداث من قال انه كافر مرتد فقد افترى عليه بل كان ملكا من ملوك المسلمين
واكثر الملوك لهم حسنات ولهم سيئات وحسناتهم عظيمة وسيئاتهم عظيمة

فالطاعن

فالطاعن في واحد منهم دون نظرائه اما جاهل واما ظالم وهولاء لهم ما لسائر
المسلمين فيهم من تكون حسناته اكثر من سيئاته ومنهم من قد تاب من سيئاته
ومنهم من كفر الله عنه ومنهم من قد يدخل الجنة ومنهم من قد يعاقبه بسيئاته ثم
ومنهم من قد يتقبل الله فيه شفاعة نبيه او غيره من الشفعاء فالشهادة لواحد
من هولاء بالنار من اقوال اهل البدع والضلال وكذلك قصد لعنة احد منهم
بعينه ليس هو من اعمال الصالحين والابرار وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها وساقيها وشاربها
وبائعها ومشتريها واكل ثمنها وصح عنه انه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل يكثر شربها يدعى حمارا وكان كلما اتي به النبي صلى الله عليه وسلم جلده فاتي به الى النبي
ليجلده فقال رجل لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم شارب الخمر عموما
ونهى عن لعنة المؤمن المعين كما انا نقول ما قال الله ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا ولا نشهد لواحد بعينه انه في النار لامكان
ان يتوب او يغفر الله له بحسنات ماحية او مصائب مكفرة او شفاعة مقبولة
او غير ذلك فهكذا الواحد من الملوك او غير الملوك وان كان صدر منه ما هو ظلم
فان ذلك لا يوجب ان تلعنه وتشهد له بالنار ومن دخل في ذلك كان من
اهل البدع والضلال وكيف اذا كان للرجل حسنات عظيمة يرجى له بها المغفرة
مع ظلمه كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول
جيش يغزو القسطنطينية مغفور له واول جيش غزاها كان اميرهم يزيد بن
معاوية وكان من الغزاة ابو ايوب الانصاري وتوفي هناك وقبره هناك
الى الان ولهذا كان المقتصدون من ائمة السلف يقولون في يزيد وامثاله
لا نسبهم ولا نحبهم ولا نحب ما صدر منهم من ظلم والشخص الواحد يجتمع فيه
حسنات وسيئات وطاعة ومعصية وبر وفجور وشر فيثيبه الله على
حسناته ويعاقبه على سيئاته ان شاء او يغفر له ويحب ما فعله من خير ويبغض
ما فعله من الشر واما من كانت سيئاته صغائر فقد وافقت المعتزلة على
ان الله يغفرها واما صاحب الكبيرة فسلف الامة وائمتها وسائر اهل السنة

والجماعة لا يشهدون له بالنار بل يجوزون ان الله يغفر له كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهذه في حق من لم يتب فانه قيدها
بالمشيئة واما قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فهذا في حق من تاب ولهذا اطلق وعمم
والخوارج والمعتزلة يقولون ان صاحب الكبيرة يخلد في النار ثم انهم قد يتوهمون
في بعض الكبار انه من اهل الكبائر كما تتوهم الخوارج في عثمن وعلي واتباعهما
انهم مخلدون في النار كما يتوهم بعض ذلك في مثل معوية وعمرو بن العاص وامثالهما
ويبنون مذاهبهم على مقدمتين باطلتين احدهما ان فلانا من اهل الكبائر والثانية
ان كل صاحب كبيرة يخلد في النار وكلا القولين باطل واما الثاني فباطل على
الاطلاق واما الاول فقد يعلم بطلانه وقد يتوقف فيه ومن قال عن معوية
وامثاله ممن ظهر اسلامه وصلاته وحجه وصيامه انه لم يسلم وانه كان مقيما
على الكفر فهو بمنزلة من يقول ذلك في غيرهم كما لو ادعى مدع ذلك في العباس وجعفر
وعقيل وفي ابي بكر وعمر وعثمن وكما لو ادعى ان الحسن والحسين ليسا ولدي علي
بن ابي طالب انما هما اولاد سلمان الفارسي ولو ادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يتزوج ابنتي ابي بكر وعمر ولم يزوج بنتيه عثمن بل انكار اسلام معوية اقبح
من انكار هذه الامور فان منها ما لا يعرفه الا العلماء واما اسلام معوية وولايته
على المسلمين والامارة والخلافة فامر يعرفه جماهير الخلق ولو انكر منكر اسلام علي
او ادعى بقاءه على الكفر لم يحتج عليه الا بمثل ما يحتج به على من انكر اسلام ابي بكر
وعمر وعثمن ومعوية وغيرهم وان كان بعضهم افضل من بعض فتفاضلهم
لا يمنع اشتراكهم في ظهور اسلامهم واما قول القائل ان ايمانه كان نفاقا
فهو ايضا من الكذب المختلق فانه ليس من علماء المسلمين من اتهم معوية
بالنفاق بل العلماء متفقون على حسن اسلامه وقد يتشكك بعضهم في حسن
اسلام ابيه ابي سفيان واما معوية واخوه يزيد فلم يتنازعوا في حسن اسلامهم
كاسلام عكرمة بن ابي جهل او سهيل بن عمرو وصفوان بن امية وامثالهم
من مسلمة الفتح وكيف يكون رجل متوليا على المسلمين اربعين سنة
نائبا ومستقلا يصلي بهم الصلوات الخمس ويخطب ويعظهم ويامرهم
بالمعروف

بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقيم فيهم الحدود ويقسم بينهم فيئهم ومغانمهم
وصدقاتهم ويحج بهم ويخفى نفاقه عليهم كلهم بل ابلغ من هذا انه ولله
الحمد لم يكن من الخلفاء الذين لهم ولاية عامة من خلفاء بني امية
من ينسب احد منهم الى الزندقة والنفاق وان كان قد ينسب الرجل
منهم الى نوع من البدعة او نوع من الظلم لكن لم ينسب احد منهم من اهل العلم
الى زندقة ونفاق وانما كان المعروفون بالزندقة والنفاق بني عبيد الله
القداح الذين كانوا بمصر وكانوا يدعون انهم علويون وانما كانوا من
ذرية الكفار فهؤلاء قد اتفق اهل العلم على رميهم بالزندقة والنفاق
وكذلك رمي بالزندقة والنفاق قوم من ملوك النواحي غير الخلفاء
من بني بويه وغير بني بويه فاما خليفة عامة في الاسلام فقد طهر الله
المسلمين ان يكون ولي امرهم زنديقا منافقا فهذا مما ينبغي ان يعرف
فانه نافع في هذا الباب واتفق العلماء على ان معوية افضل ملوك
هذه الامة فان الاربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو اول الملوك
كان ملكه ملكا ورحمة كما جاء في الحديث يكون نبوة ورحمة ثم تكون
خلافة ورحمة ثم يكون ملكا ورحمة ثم ملكا وجبرية ثم ملكا عضوضا
وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم انه كان خيرا
من ملك غيره واما من قبله فكانوا خلفاء نبوة فانه قد ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم يصير
ملكا وكان ابو بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم هم الخلفاء الراشدين
والائمة المهديين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وقد
تنازع كثير من الناس في خلافة علي رضه وقالوا زمانه زمان فتنة
لم يكن فيها جماعة وقالت طائفة لم يصح ان يولى خليفتان
فهو خليفة ومعوية خليفة لان الامة لم تتفق عليه ولم تنتظم

في خلافته والصحيح الذي عليه الائمة ان عليا رض من الخلفاء الراشدين فهذا
الحديث فزمان علي كان يسمي نفسه امير المومنين والصحابة تسميه بذلك
قال الامام احمد حنبل من لم يربع بعلي رض في الخلافة فهو اضل من حمار اهله
ومع هذا فلكل خليفة مرتبة فابو بكر وعمر لا يوازنهما احد كما قال النبي
صلى الله عليه اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر ولم يكن نزاع بين
شيعة علي الذين صحبوه في تقديم ابي بكر وعمر وتثبت عن علي من وجوه
كثيرة انه قال لا اوتى برجل يفضلني على ابي بكر وعمر الا جلدته جلد
المفتري وانما كانوا يتنازعون في عثمن وعلي رض لكن ثبت تقديم
عثمان على علي باتفاق السابقين على مبايعته طوعا بلا كره بعد ان جعل
عمر الشورى في ستة عثمن وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن
بن عوف وتركها ثلاثة وهم طلحة والزبير وسعد فبقيت في ثلاثة عثمن
وعلي وعبد الرحمن فاتفقوا على ان عبد الرحمن يولي احدهما فبقي
عبد الرحمن يشاور المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان
ثلاثة ايام ثم اخبرهم انهم لم يعدلوا بعثمان ونقل وفاته وولايته حديث
طويل من اراده فعليه باحاديث الثقات والله سبحانه وتعالى اعلم

مسئله ما تقول السادة الاعلام ائمة الاسلام ورثة الانبياء عليهم السلام
في صفة سماع الصالحين ما هو وهل هو سماع القصائد الملحنة بالالات المطربة ام

الجواب الحمد لله رب العالمين اصل هذه المسئلة ان يفرق بين السماع الذي
ينتفع به في الدين وبين ما رخص فيه رفعا للحرج بين سماع المتقربين وسماع
المتلعبين فاما السماع الذي شرعه الله لعباده وكان سلف الامة من الصحابة
والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو
سماع ايات الله وهو سماع النبيين والمومنين واهل العلم واهل المعرفة قال الله
لما ذكر من ذكر الانبياء اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم
وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقال انما المومنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون

وقال تع

وقال تع ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون
سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم
خشوعا وقال تع واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق وبهذا السماع امر الله تع كما قال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا
لعلكم ترحمون واثنى على اهله كما في قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه وقال في الاية الاخرى افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين
فالقول الذي امروا بتدبره هو الذي امروا باستماعه وكذا قال تع افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها وقال تع كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته
وقد ذم الله المعرضين عن هذا السماع فقال تع واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا
كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا وقال تع وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
لعلكم تغلبون وقال تع وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران
مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا
وقال تع فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وقال تع
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
وقال تع واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا
مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وهذا
السماع الذي شرعه الله لعباده في صلاة الفجر والعشائين وفي غير ذلك وعلى هذا
السماع كان اصحاب النبي صلى الله عليه يجتمعون وكانوا اذا اجتمعوا امروا واحدا
منهم ان يقرا والباقي يستمعون وكان عمر بن الخطاب رض يقول لابي موسى
يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرا وهم يستمعون وهذا هو السماع الذي كان
النبي صلى الله عليه يشهده مع اصحابه ويستدعيه منهم كما في الصحيح عن عبد الله
بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه اقرا على القران قلت اقراه عليك
وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري فقرات عليه سورة
النساء حتى وصلت الى هذه الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فاذا عيناه تذرفان وهذا
الذي كان النبي صلى الله عليه يسمعه هو واصحابه كما قال تع لقد من الله على

المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
والحكمة هي السنة وقال تعالى انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل
كل شئ وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلوا القران فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وكذلك غيره من الرسل قال تعالى يا بني ادم
اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وبين ذلك يحتج عليهم يوم القيمة كما قال تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم
يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا
وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قال تعالى وسيق
الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم
رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين وقد اخبر ان المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح
والمعرض عنه ضال شقي فقال تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة
اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذي انزله
الله كما قال تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وقال نوح او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقال ما
ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقال وانه لذكر لك ولقومك وقال ان هو
الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له
ان هو الا ذكر وقران مبين وبالجملة فهذا السماع هو اصل الايمان فان الله بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فامن
به واتبعه اهتدى وافلح ومن اعرض عن ذلك ضل وشقي واما سماع المكاء
والتصدية وهي التصفيق بالايدي والمكا مثل الصفير ونحوه فهذا هو سماع
المشركين الذي ذكره الله في قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية فاخبر عن المشركين انهم كانوا يتخذون التصفيق ولم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط

في المكاء والتصدية

ومن

ومن قال ان النبي صلى الله عليه وسلم انشده اعرابي :. لقد لسعت حية الهوى كبدي :.
فلا طبيب لها ولا راق :. الا الحبيب الذي شغفت به :. فعنده رقيتي وترياقي :.
وانه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه فقال معاوية ما احسن لهوكم فقال
مهلا يا معاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب وهو حديث مكذوب
موضوع باتفاق اهل العلم بهذا الشان واظهر منه كذبا حديث اخر يذكرون
فيه انه لما بشر الفقراء بسبقهم الاغنياء الى الجنة تواجدوا وخرقوا ثيابهم
وان جبريل نزل وقال ان ربك يطلب نصيبه من هذه الخرق فاخذ منها
خرقة فعلقها بالعرش وان ذلك هو زيق الفقر وهذا وامثاله انما يرويه
من هو من اجهل الناس بحال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ومن ابعدهم عن معرفة
الايمان والاسلام وهو يشبه رواية من روى ان اهل الصفة قاتلوا مع الكفار
لما انكسر المسلمون يوم حنين او غير يوم حنين وانهم قالوا نحن مع الله من كان الله
معه كنا معه ومن روى ان صبيحة المعراج وجد اهل الصفة يتحدثون بسر كان الله
امر نبيه ان يكتمه فقال لهم من اين لكم هذا قالوا الله علمنا اياه فقال يا رب الم تامرني
ان لا افشيه فقال امرتك انت ان لا تفشيه ولكن اعلمتهم به ونحو هذه الاحاديث
التي يرويها طوائف منتسبون الى الدين مع فرط جهلهم بدين الاسلام ويبنون
عليها من النفاق والبدع ما يناسبها تارة يسقطون وساطة الرسول
وانهم يصلون الى الله من غير طريق الرسل مطلقا فهذا اعظم كفر اليهود والنصارى
فان اولئك اسقطوا وساطة رسول واحد ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقا
وهؤلاء اسقطوا وساطة الرسول مطلقا عن انفسهم فكان هذا اغلظ من كفر
اولئك لكن هم يقولون لا نسقط الا عن الخاصة لا عن العامة فيكونون اكفر
من اهل الكتاب من جهة اسقاط السفارة عنهم مطلقا بل اهل الكتاب الذين يقولون
انه رسول الله الى الاميين دون اهل الكتاب خير من هؤلاء فان اولئك اخرجوا
عن رسالته من له كتاب وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لا يبقى معه الا خيالات
ووساوس ويظنون القاها اليه الشيطان مع ظنه انه من خواص اولياء الله
وهو اشد اعداء الله وتارة يجعلون هذه الاثار المختلفة حجة فيما يفترونه
من امور تخالف دين الاسلام ويدعون انها من اسرار الخواص كما تفعل الملاحدة
والقرامطة والباطنية وتارة يجعلونها حجة في الاعراض عن كتاب الله وما ابتدعوا

حديث خرقة [illegible] كذب باتفاق اهل المعرفة بالحديث [illegible] وفي صفة التصوف ان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

مطلقا عنهم في بعض الاحوال واهل الكتاب اكفر من جهة اسقاط السفارة [illegible]

الاسلام ان النبي صلى الله
في اتخاذ دينهم لهوا ولعبا وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحي امته وعبادهم وزهادهم ان يجتمعوا على استماع الابيات الملحنة
مع ضرب بالكف وضرب بالقضيب او الدف كما لم يبح لاحد ان يخرج عن متابعته
واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة لا في باطن الامر ولا في ظاهره ولا لعامي ولا
لخاص ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في انواع من اللهو في العرس ونحوه كما رخص
للنساء ان يضربن بالدف في الاعراس والافراح واما الرجال على عهده فلم يكن
احد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت عنه في الصحيح انه قال انما
التصفيق للنساء ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان
السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثا ويسمون الرجال المغنيين مخانيث
وهذا مشهور من كلامهم ومن هذا الباب حديث عايشة رضي الله عنها لما دخل عليها ابو بكر
في ايام العيد وعندها جاريتان من الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار
فقال ابو بكر رضي الله عنه امزمار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم
معرضا عنها مقبلا بوجهه الكريم الى الحائط فقال دعهما يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا
وهذا عيدنا اهل الاسلام ففي هذا الحديث بيان ان هذا لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه الاجتماع عليه ولهذا سماه الصديق مزمار الشيطان والنبي صلى الله عليه وسلم
اقر الجواري عليه لانه يوم عيد والصغار يرخص لهم في اللعب في الاعياد كما جاء في
الحديث ليعلم المشركون ان في ديننا فسحة وكان لعائشة لعب تلعب بهن ويجئن
صواحبها من النسوة يلعبن معها وليس في حديث الجاريتين ان النبي صلى الله عليه وسلم
استمع الى ذلك والامر والنهي انما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع كما في الرواية وما
يحصل منها بغير الاختيار وكذلك في اشتمام الطيب انما ينهى المحرم عن قصد الشم
فاما اذا شم ما لا يقصده فانه لا اثم عليه وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس
الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس انما يتعلق الامر والنهي من ذلك
بما للعبد فيه قصد وعمل واما ما يحصل بغير اختياره فلا امر فيه ولا نهي وهذا
مما وجه به الحديث الذي في السنن عن ابن عمر انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال هل تسمع هل تسمع حتى
انقطع الصوت فان من الناس من يقول بتقدير صحة الحديث لما لم يامر
ابن عمر بسد اذنيه فيجاب بانه كان صغيرا ويجاب بانه لم يكن يستمع وانما كان

يسمع

فصل

يسمع وهذا لا اثم فيه وانما النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك طلبا للافضل الاكمل كمن اجتاز
بطريق فسمع قوما يتكلمون بكلام محرم فسد اذنيه لم ياثم بذلك اللهم الا ان يكون
في سماعه ضرر ديني لا يندفع الا بالسد وبالجملة فهذه مسئلة السماع تكلم فيها
كثير من المتاخرين في السماع هل هو محظور ام مكروه ام مباح وليس المقصود بذلك
مجرد رفع الحرج بل مقصودهم بذلك ان يتخذ طريقا الى الله يجتمع عليه اهل الديانات
لصلاح القلوب والتشويق الى المحبوب والتخويف من المرهوب والتحزين على فوات
المطلوب فتستنزل بها الرحمة وتستجلب به النعمة وتحرك به مواجيد اهل الايمان
وتستجلى به مشاهد اهل العرفان حتى يقول بعضهم انه افضل لبعض الناس من
سماع القران من عدة وجوه حتى يجعلونه قوتا للقلوب وغذاء للارواح
وحاديا للنفوس يحدوها على المسير الى الله ويحثها على الاقبال عليه ولهذا
يوجد من اعتاده واغتذى به لا يحب القران ولا يفرح به ولا يجد في سماع الايات
كما يجد في سماع الابيات بل اذا سمعوا القران سمعوه بقلوب لاهية والسن لاغية
واذا سمعوا المكاء والتصدية خشعت الاصوات وسكنت الحركات واصغت
القلوب وتعاطت المشروب فمن تكلم في هذا هل هو مكروه او مباح وشبهه
بما كان النساء يغنين به في الاعياد والافراح لم يكن قد اهتدى الى الفرق
بين طريق اهل الخسارة والفلاح ومن لم يتكلم في هذا هل هو من الدين
ومن سماع المتقين ومن احوال المقربين والمقتصدين ومن اعمال اهل
اليقين ومن طريق المحبين المحبوبين ومن افعال السالكين الى رب العالمين
كان كلامه فيه من وراء الامر بمنزلة من سئل عن علم الكلام المختلف فيه هو محمود
او مذموم فاخذ يتكلم في جنس الكلام وانقسامه الى الاسم والفعل والحرف
او يتكلم في مدح الصمت او في ان الله اباح الكلام والنطق وامثال ذلك مما
لا يميز المحل المشتبه المتنازع فيه فاذا عرف هذا فاعلم انه لم يكن في عنفوان
القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا بمصر والمغرب
ولا العراق وخراسان من اهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع
على مثل سماع المكاء والتصدية لا بدف ولا بكف وانما حدث هذا بعد ذلك
في اواخر المائة الثانية فلما راه الائمة انكروه فقال الشافعي رحمه الله خلفت ببغداد
شيئا احدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القران

وقال يزيد بن هارون ما يغبر الا فاسق وسئل عنه الامام احمد فقال اكرهه هو
محدث قيل اتجلس معهم قال لا وكذلك سائر الفقهاء كرهوه واكابر الشيوخ الصالحين
لم يحضروه فلم يحضره مثل ابراهيم بن ادهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف
الكرخي ولا ابو سليمان الداراني ولا احمد بن ابي الحواري ولا السري السقطي وامثالهم
من الشيوخ المحمودين تركوه في اخر امرهم واعيان المشايخ عابوا اهله كما فعل ذلك
الشيخ عبد القادر والشيخ ابو البيان وغيرهما من المشايخ وما ذكره الشافعي رحمه الله
من انه من احداث الزنادقة كلام امام خبير باصول الاسلام فان هذا السماع
لم يرغب فيه ويدعو اليه في الاصل الا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي
والفارابي وابن سينا وامثالهم كما ذكر ابو عبد الرحمن السلمي في مسئلة السماع
عن ابن الراوندي انه قال اختلف الفقهاء في السماع فاباحه قوم وكرهه قوم وانا
اوجبه او قال آمر به فخالف اجماع العلماء في الامر به والفارابي كان بارعا
في الغناء الذي يسمونه الموسيقا وله فيه طريقة عند اهل صناعة الغناء وحكايته
مع ابن حمدان مشهورة لما ضرب فابكاهم ثم اضحكهم ثم نومهم ثم خرج وابن سينا ذكر
في اشاراته في مقامات العارفين في الترغيب فيه وفي عشق الصور ما يناسب طريقة اسلافه
الفلاسفة الصابئين واخوانه الاسماعيلية القرامطة الباطنية فان اهل بيته كانوا
من الاسماعيلية اتباع الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمنه ودينهم دين اصحاب
رسائل اخوان الصفا وامثالهم من ائمة منافقي الامم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود
ولا نصارى وكان الفارابي قد حذق في حروف اليونان التي هي تعاليم ارسطو
واصحابه واتباعه من الفلاسفة المشائين وفي اصواتهم صناعة الغناء ففي هؤلاء
الطوائف من يرغب فيه ويجعله مما تزكو به النفوس وترتاض به وتهذب به
الاخلاق واما الحنفاء اهل ملة ابراهيم الخليل الذي جعله الله للناس
اماما واهل دين الاسلام الذي لا يقبل الله من احد دينا غيره المتبعون
لشريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم فهؤلاء ليس فيهم من يرغب في ذلك ولا يدعو
اليه وهؤلاء هم اهل القرآن والايمان والهدى والرشاد والنور والفلاح واهل
المعرفة والعلم واليقين والاخلاص لله والمحبة له والتوكل عليه والخشية
له والانابة ولكن قد حضره اقوام من اهل الارادة وممن له نصيب من المحبة
لما فيه من التحريك لهم ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته كما دخل قوم من الفقهاء
اهل الايمان بما جاء به الرسول في انواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين
الاسلام ظنا منهم انه حق موافق ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته

فان

فان العلم بحقائق الايمان علما وحالا وقولا وعملا ومعرفة وذوقا وخبرة لا يستقل به
اكثر الناس ولكن الدليل الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة فان الله
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا
وقد قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا وقد قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله قال عبد الله بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وخط
خطوطا عن يمينه وشماله قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها
شيطان يدعو اليه ثم قرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه فقد رضي
الله سبحانه عن السابقين رضى مطلقا ورضي عمن اتبعهم باحسان قال عبد الله
بن مسعود ان الله نظر في قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلبه خير قلوب العباد
فاصطفاه لرسالته ثم نظر في قلوب الناس بعد قلبه فوجد قلوب اصحابه خير
قلوب العباد فما رآه المؤمنون حسنا فهو حسن عند الله وما رأوه قبيحا فهو
عند الله قبيح وقال عبد الله بن مسعود من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات
فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة قلوبا
واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه
فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم ومن كان
له خبرة بحقائق الدين واحوال القلوب ومعارفها واذواقها ومواجيدها
عرف ان سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلب منفعة ومصلحة الا وفي ضمن
ذلك من الضرر والمفسدة ما هو اعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد
يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس ولهذا يورث اصحابه سكرا فيجدون لذة
بلا تمييز كما يجد شارب الخمر ويحصل لهم احوال شيطانية بحيث تتنزل عليهم
الشياطين في تلك الحال ويتكلمون على السنتهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع
اما بكلام من جنس كلام التتر ونحوهم ممن يكون تلك الشياطين من اعوانهم
واما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى وهذا ايضا من كلام الشياطين وهذا
يعرفه اهل المكاشفة شهودا وعيانا وهؤلاء الذين يدخلون النار بعد خروجهم
عن الشريعة من هذا النمط فان الشياطين تلبس احدهم بحيث يسقط

احساس بدنه حتى ان المصروع يضرب ضربا عظيما وهو لا يحس بذلك ولا يؤثر
في جلده فكذلك هؤلاء ويكون بارض الهند والمغرب ضرب من الزط يقال له
المسلي يفعلون هذا وهؤلاء المتولهون والمنتسبون الى بعض الشيوخ انما
انما حصل لهم وجد سماعي كسماع المكا والتصدية منهم من يصعد في الهواء
ويقع على زج الرمح ويدخل في النار ويأخذ الحديد المحمى ويضعه على بدنه وانواع
من هذا الجنس لا يحصل له هذه الحال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند القراءة لان هذه
عبادة شرعية ايمانية اسلامية نبوية محمدية تطرد الشيطان وتلك عبادة بدعية
شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه
الا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده
وقد ثبت في الحديث الصحيح ان اسيد بن حضير لما قرا سورة الكهف تنزلت الملائكة
لسماعها كالظلة فيها السرج ولهذا كان المكا والتصدية يدعو الى الفواحش
والظلم ويصد عن حقيقة ذكر الله والصلاة كما تفعل الخمر والسلف يسمونه
تغبيرا لان التغبير هو الضرب بالقضيب على جلد من الجلود وهو مما يعين
صوت الانسان على التلحين فقد يضم الى صوت الانسان اما التصفيق باحدى
اليدين على الاخرى واما الضرب على فخذ او جلد واما الضرب باليد على اختها
او غيرها على الدف او الطبل كناقوس النصارى او النفخ في صفارة كبوق
اليهود فمن فعل هذه الملاهي على وجه الديانة والتقرب فلا ريب في ضلالته
وجهالته واما اذا فعلها على وجه التمتع واللعب فمذهب الائمة الاربعة
ان آلات اللهو كلها حرام وقد ثبت في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه
اخبر انه سيكون من امته من يستحل الخز والحرير والخمر والمعازف وذكر انهم
يمسخون قردة وخنازير والمعازف جمع معزفة وهي الآلات التي يعزف بها
اي يصوت بها ولم يذكر احد من اتباع الائمة في آلات اللهو نزاعا الا ان
بعض المتاخرين من اصحاب الشافعي ذكر في اليراع من وجهين خلاف
الاوتار ونحوها فانهم لم يذكروا فيها نزاعا واما العراقيون الذين هم
اعلم بمذهبه واتبع له فلم يذكروا نزاعا لا في هذا ولا في هذا بل صنف
افضلهم في وقته ابو الطيب الطبري شيخ الشيخ ابي اسحق الشيرازي
في ذلك مصنفا معروفا ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو هل هو
حرام

حرام او مكروه او مباح وذكر اصحاب احمد لهم في ذلك ثلثة اقوال وذكروا عن
الشافعي قولين ولم يذكروا عن ابي حنيفة ومالك في ذلك نزاعا وذكر زكريا بن يحيى
الساجي انه لم يخالف في ذلك من الفقهاء المتقدمين الا ابراهيم بن سعد من اهل
المدينة وما ذكره ابو عبد الرحمن السلمي وابو القاسم القشيري وغيرهما عن
عن مالك ان اهل المدينة في ذلك فغلط وانما وقعت الشبهة فيه لان
بعض اهل المدينة كان يحضر السماع الا ان هذا ليس قول ائمتهم وفقهائهم
بل قال عيسى الطباع سئلت مالكا عما يترخص فيه اهل المدينة من الغنا فقال انما يفعله
عندنا الفساق وهذا معروف في كتب اصحاب مالك وهم اعلم بمذهبه ومذهب
اهل المدينة من طائفة في المشرق لا علم لها بمذهب الفقهاء ومن ذكر عن مالك انه
ضرب بعود فقد افترى عليه وانما نبهت على هذا لان فيما جمع ابو عبد الرحمن
السلمي ومحمد بن طاهر المقدسي في ذلك حكايات وآثار يظن من لا خبرة له بالعلم
واحوال السلف انها صدق وكان الشيخ ابو عبد الرحمن رحمه الله فيه من الخير والزهد
والدين والتصوف ما يحمله على ان جمع من كلام الشيوخ والآثار التي توافق
مقصوده كلما يجده ولهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام
المنقول ما ينتفع به في الدين ويوجد فيها من الآثار السقيمة والكلام
المردود ما يضر من لا خبرة له وبعض الناس توقف في روايته حتى ان
البيهقي كان اذا روى عنه يقول حدثنا ابو عبد الرحمن من اصل سماعه
واكثر الحكايات التي يرويها صاحب الرسالة عنه فانه كان جامع شيوخه لكلام
الصوفية ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة في معرفة الحديث ورجاله وهو من
حفاظ وقته لكن كثيرا من المتاخرين اهل الحديث واهل الزهد واهل الفقه
وغيرهم اذا صنفوا في باب ذكروا ما فيه من غث وسمين ولم يميزوا ذلك كما
يوجد ممن يصنف في الابواب مثل المصنفين في فضائل الشهور والاوقات
والعبادات وفضائل الاشخاص وغير ذلك من الابواب مثل ما صنف بعضهم
في فضائل رجب وغيرهم في فضائل صلوة الايام والليالي وصلاة يوم الاحد
وصلاة يوم الاثنين وصلاة يوم الثلاثا وصلاة اول جمعة في رجب الفية
اول رجب والفية نصف شعبان واحيا ليلتي العيدين وصلاة يوم
عاشوراء واجود ما روى من هذه الصلوات حديث صلاة التسبيح وقد

رواه ابو داود والترمذي ومع هذا فلم يقل به احد من الائمة الاربعة بل احمد ضعف
الحديث ولم يستحب هذه الصلاة واما ابن المبارك فالمنقول عنه ليس مثل الصلاة
المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فان الصلاة المرفوعة فيها قعدة طويلة بعد السجدة
الثانية وهذا يخالف الاصول فلا يجوز ان يثبت بمثل هذا الحديث ومن تدبر الاصول
علم انه موضوع وامثال ذلك فانها كلها احاديث موضوعة مكذوبة باتفاق
اهل المعرفة مع انها توجد في مثل كتاب ابي طالب وكتاب ابي حامد وكتاب
الشيخ عبد القادر وتوجد في مثل امالي ابي القاسم بن عساكر وفيما صنفه
عبد العزيز الكتاني وابو علي ابن البناء وابو الفضل بن ناصر وغيرهم وكذلك
ابو الفرج بن الجوزي يذكر مثل هذا في فضائل الشهور ويذكره في الموضوعات
انه كذب موضوع والذين جمعوا الاحاديث في الزهد والرقائق يذكرون
ما روي في هذا الباب ومن اجل ما صنف في ذلك وانديه كتاب الزهد
لعبد الله بن المبارك وفيه احاديث واهية وكذلك كتاب الزهد لهناد بن السري
ولاسد بن موسى وغيرهما واجود ما صنف في ذلك كتاب الزهد للامام
احمد لكنه مكتوب على الاسماء وزهد ابن المبارك على الابواب وهذه الكتب
يذكر فيها زهد الانبياء والصحابة والتابعين ثم ان المتاخرين على صنفين
منهم من ذكر زهد المتقدمين والمتاخرين كابي نعيم في الحلية وابي الفرج
بن الجوزي في صفوة الصفوة ومنهم من اقتصر على ذكر المتاخرين من حين
حدث اسم الصوفية كما فعل ابو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وصاحبه
ابو القاسم القشيري في رسالته ثم الحكايات التي يذكرها هو وابن جهضم
مثل ابن خميس وامثاله فيذكرون حكايات مرسلة بعضها صحيح وبعضها
باطل قطعا مثل ذكرهم ان الحسن كان يقص ودخل عليه علي بن ابي طالب
وان الحسن صحب عليا وقد اتفق اهل المعرفة على ان الحسن البصري لم
يلق عليا ولا اخذ عنه شيئا وانما اخذ عن اصحابه كالاحنف بن قيس
وقيس بن معاذ وغيرهما وكذلك حكايتهم ان الشافعي واحمد اجتمعا
بشيبان الراعي وسالاه عن سجود السهو وكذلك اتفق اهل المعرفة
على ان الشافعي واحمد لم يلتقيا بشيبان الراعي بل ولا ادركاه

وقد ذكر

مطلب رسائل اخوان الصفا

وقد ذكر ابو عبد الرحمن في حقائق التفسير عن جعفر بن محمد وامثالهم من الاقوال
الماثورة ما يعلم اهل المعرفة انها كذب على جعفر بن محمد فان جعفر كذب عليه
ما لم يكذب على احد لانه كان فيه من العلم والدين ما ميزه الله به وكان هو وابوه
جعفر وجده علي بن الحسين من اعيان الامة علما ودينا ولم يجي بعد جعفر مثله
فصار كثير من اهل الزندقة والبدع ينسبون اقوالهم اليه حتى رسائل اخوان
الصفا ينسبونها اليه وهذه الرسائل صنفت بعد موته بكثير من مائتي
سنة صنفت عند ظهور دولة بني عبيد الله سما عليه العبيدية الذين بنوا القاهرة
وصنفت على مذهبهم الذي ركبوه من قول الفلاسفة اليونان ومجوس
الفرس والشيعة من اهل القبلة ولهذا قال العلماء انهم ظاهر مذهبهم
الرفض وباطنه الكفر المحض ونسبوا الى جعفر انه تكلم في تقدمة المعرفة
عن حوادث الكون مثل اختلاج الاعضاء والرعود والبروق والهالة — الدائرة التي حول القمر
وغير ذلك مما نزه الله جعفر وائمة اهل بيته من الكلام فيه وهذا مبسوط
في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان المذكور عن سلف الامة وائمتها
من المنقولات ينبغي للانسان ان يميز بين صحيحه وضعيفه كما ينبغي
مثل ذلك في المعقولات والنظريات وكذلك في الاذواق والمواجيد
والمكاشفات والمخاطبات فان كل صنف من هذه الاصناف الثلاثة
فيها حق وباطل ولا بد من التمييز في هذا وهذا وجماع ذلك ان
ما وافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه اصحابه
فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل فان الله يقول يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر
ذلك خير واحسن تاويلا وقال الله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين
الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد
ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه
من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يقول
اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من
الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم والكلام على هذه الامور
مبسوط في غير هذا الموضع وتكلمنا على كلام المشايخ في السماع وما ذكره القشيري
في رسالته هو وغيره عنهم وشرحنا ذلك كلمة كلمة لان هذا الموضع لا يسع
وجماع الامر في ذلك انه اذا كان الكلام في السماع وغيره هل هو طاعة وقربة
فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك واذا كان الكلام هل هو محرم
او غير محرم فلا بد من دليل يدل على ذلك اذ ليس الحرام الا ما حرمه الله
ولا الدين الا ما شرعه الله والله تعالى ذم المشركين على انهم ابتدعوا
دينا لم يشرعه الله وانهم حرموا ما لم يحرمه الله فقال تعالى ام لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله وقال تعالى واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء
اتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم
عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وكثير من الناس يفعل
في السماع وغيره ما هو من جنس الفواحش المحرمة وما يدعوا
اليها ويزعم ان ذلك يصلح القلب فهو مما امر الله به فهولاء لهم
نصيب من معنى هذه الاية وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة
الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم
والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون وقد كان المشركون يحرمون
من اللباس والطعام اشياء ويتخذون ذلك دينا

وكان بعض

وكان بعض الصحابة قد عرضوا انفسهم على الترهب فانزل الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا الاية وجماع الدين
ان لا نعبد الا الله ولا نعبده الا بما شرع ولا نعبده بالبدع كما قال تعالى
ليبلوكم ايكم احسن عملا قال الفضيل بن عياض اخلصه واصوبه قالوا
يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن
صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون
خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة
وهذا الذي ذكره الفضيل هو مما اتفق عليه ائمة المشايخ كما
قال ابو سليمان الداراني انه لتمر بقلبي النكتة من نكت القوم
فلا اقبلها الا بشاهدين اثنين الكتاب والسنة وقال
الشيخ ابو سليمان ايضا ليس لمن الهم شيئا من الخير ان يفعله
حتى يسمع فيه باثر فاذا سمع بالاثر كان نورا على نور وقال
الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرا القران
ولم يكتب الحديث لا يصلح له ان يتكلم في علمنا هذا وقال سهل
بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة
فهو باطل وقال ابو عثمان النيسابوري من امر السنة على
نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه
قولا وفعلا نطق بالبدعة لان الله يقول وان تطيعوه
تهتدوا ومثل هذا كثير من كلامهم واذا كان كذلك
فليس لاحد ان يسلك الى الله الا بما شرعه الرسول
لامته فهو الداعي الى الله باذنه الهادي الى صراط الذي
من اطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار فهو
الذي فرق الله به بين الحق والباطل والهدى والضلال

مسئلة في الرزق هل يزيد وينقص وهل هو ما رزقه الله او ما ملكه العبد **الجواب**
الرزق نوعان احدهما ما علمه الله انه يرزقه فهذا لا يتغير والثاني ما كتبه واعلم به
الملائكة ان تكتب له رزقا فان وصل رحمه زاده الله على ذلك كما ثبت في الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من سره ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه
وكذلك عمر داود زيد ستين سنة فجعله الله مائة سنة بعد ان كان اربعين ومن هذا عليه السلام
الباب قول عمر اللهم ان كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا فانك تمحو ما
تشاء وتثبت ومن هذا الباب قوله تعالى عن نوح ان اعبدوا الله واتقوه يغفر لكم
من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى وشواهده كثيرة والاسباب التي يحصل بها الرزق
هي من جملة ما قدره الله وكتبه فاذا كان قد تقدم علمه بانه يرزق العبد بسعيه
واكتسابه الهمه السعي والاكتساب وذلك الذي قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون
الاكتساب وما قدره بغير الاكتساب كموت موروثه يأتيه بغير اكتساب والسعي
سعيان سعي فيما نصبه للرزق كالصناعة والزراعة والتجارة وسعي بالدعاء
والتوكل والاحسان الى الخلق ونحو ذلك فان الله في عون العبد ما دام العبد
في عون اخيه **فصل** والرزق يراد به شيئان احدهما ما ينتفع
به العبد والثاني ما يملكه العبد فهذا الثاني هو المذكور في قوله تعالى
ومما رزقناكم وقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم وهذا هو الحلال الذي ملكه الله
اياه واما الاول فهو المذكور في قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
وقوله صلى الله عليه وسلم وان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ونحو
ذلك والعبد قد يأكل الحرام والحلال فهو رزق بهذا الاعتبار
لا بالاعتبار الاول وما اكتسبه ولم ينتفع به فهو رزق بالاعتبار
الاول دون الثاني فان هذا في الحقيقة مال وارثه لا ماله
والله اعلم

سئل الشيخ رحمه الله عن العبد هل يقدر ان يفعل الطاعة اذا اراد ام لا واذا اراد
ان يترك المعصية ايكون قادرا على تركها ام لا واذا فعل الخير نسبه الى الله واذا فعل الشر
الى نفسه **فاجاب** الحمد لله نعم اذا اراد العبد الطاعة التي اوجبها الله عليه
ارادة جازمة كان قادرا عليها وكذلك اذا ترك المعصية التي حرمت عليه ارادة
جازمة كان قادرا على ذلك وهذا مما اتفق عليه المسلمون وسائر اهل الملل حتى
ائمة الجبرية بل هذا معلوم بالاضطرار في دين الاسلام وانما ينازع في ذلك
بعض غلاة الجبرية الذين يقولون ان الامر بالممتنع لذاته واقع في الشريعة
ويحتجون بامر ابي لهب بانه امر ان يؤمن بما يستلزم عدم ايمانه وهذا القول
خلاف ما اجمع عليه ائمة الاسلام كالائمة الاربعة وغيرهم وائمة الحديث والتصوف
وغيرهم وخلاف ما اجمع عليه ائمة المتكلمين كابي محمد بن كلاب وابي العباس القلانسي
وابي الحسن الاشعري والقاضي ابي بكر بن الباقلاني وابي بكر بن فورك وابي اسحق الاسفرائيني
والاستاذ ابي المعالي الجويني وابي حامد الغزالي وكذلك ابي عبد الله محمد بن كرام واصحابه
كابي الهيصم وسائر متكلمي اصحاب حنيفة كابي منصور الماتريدي وغيره وامثال
هؤلاء فكلهم متفقون وقد حكى اجماع المسلمين غير واحد كابي الحسن الزاغوني
فانما نازع في ذلك بعضهم واتبعه ابو عبد الله الرازي واحتجاجهم بقصة ابي لهب
حجة باطلة فان الله امر ابا لهب بالايمان قبل ان ينزل السورة فلما اصر وعاند
استحق الوعيد كما استحقه قوم نوح حين قيل له لن يؤمن من قومك الا من قد
آمن ~~استحقوا الوعيد~~ اخبر الله بان الوعيد الذي يحق ولم يكن حينئذ مأمورا
ان يطلب منه ذلك والشريعة طافحة فان الافعال المأمور بها مشروطة
بالاستطاعة والقدرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم
تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب وقد اتفق المسلمون على ان المصلي اذا
عجز عن بعض واجباتها كالقيام او القراءة او الركوع او السجود او ستر العورة او
استقبال القبلة او غير ذلك يسقط عنه ما عجز عنه وانما يجب عليه اذا اراد فعله
ارادة جازمة ما امكنه فعله وكذلك الصيام اتفقوا على انه يسقط بالعجز عن
مثل الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة الذين يعجزون عن ادائه وقضائه وانما



تنا

تنازعوا هل على ذلك الفدية بالإطعام فأوجبها الجمهور كأبي حنيفة والشافعي
وأحمد ولم يوجبها مالك وكذلك الحج فإنهم أجمعوا على أنه لا يجب على العاجز عنه وقد
قال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا وقد تنازعوا هل الاستطاعة
مجرد وجود المال كما هو مذهب الشافعي وأحمد أو مجرد القدرة ولو بالبدن كما هو مذهب
مالك ولا بد منهما كمذهب أبي حنيفة والأولون يوجبون على المغصوب أن
يستنيب بماله بخلاف الآخرين بل هم ينبغي أن يعرف الاستطاعة الشرعية المشروطة
في الأمر والنهي لم يكتف الشارع فيها بمجرد التمكنة ولو مع الضرورة بل متى كان العبد
قادرا على الفعل مع ضرر يلحقه جعل كالعاجز في مواضع كثيرة في الشريعة كالتطهير
بالماء والصيام في المرض والقيام في ذلك وغير ذلك تحقيقا لقوله تعالى يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وكقوله ما جعل الله عليكم في الدين من حرج وكقوله تعالى
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وفي الصحيح عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن
الأعرابي لما بال في المسجد قال لا تزرموه أي لا تقطعوا عليه بوله فإنما بعثتم ميسرين
ولم تبعثوا معسرين وكذلك في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وأبي موسى
حين بعثهما إلى اليمن يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا وهذا
وأمثاله من الشريعة أكثر من أن يحصى فمن قال إن الله أمر العباد بما يعجزون عنه
إذا أرادوه إرادة جازمة فقد كذب على الله ورسوله وهو من المفترين الذين قال الله
فيهم إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك
نجزي المفترين هذا لكل مفتر من هذه الأمة إلى يوم القيامة لكن مع قول ذلك فيجب
أن يعلم أن لا حول ولا قوة إلا بالله وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن الله
خالق كل شيء فهو خالق العباد وقدرتهم وإرادتهم وأفعالهم فهو رب كل شيء
ومليكه لا يكون شيء إلا بمشيئته وإذنه وقضائه وقدره وقدرته وفعله وقد
جاءت الإرادة منه تعالى في كتابه على نوعين أحدهما الإرادة الدينية كما قال تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من
قبلكم ويتوب عليكم إلى قوله والله يريد أن يتوب عليكم وقال تعالى ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون
والثاني الإرادة الكونية كما قال تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام

ومن يرد

ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا الآية وقال ولو شاء الله ما اقتتلوا
ولكن الله يفعل ما يريد وقال نوح ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله
يريد أن يغويكم وقال إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وهذا التقسيم
تقسيم شريف وهو أيضا وارد في كتاب الله في الإذن والأمر والكلمات والتحريم
والحكمة والقضاء كما بيناه في غير هذا الموضع وبالإمعان فيه يندفع شبهات
كثيرة عظيمة وهي مواقع الشبهة ومثارات الغلط تنازع الناس في القدرة هل
يجب أن تكون مقارنة للفعل أو يجب أن تكون متقدمة عليه والتحقيق الذي
عليه أئمة الفقهاء أن الاستطاعة المشروطة في الأمر والنهي وهي التي تقدم
الكلام فيها لا يجب أن تقارن الفعل فإن الله إنما أوجب الحج على من استطاع فمن لم يحج
من هؤلاء كان عاصيا باتفاق المسلمين ولم يوجد في حقه استطاعة مقارنة وكذلك
سائر من عصى الله من المأمورين والمنهيين وجد في حقه الاستطاعة المشروطة في الأمر
والنهي وأما المقارنة فإنما توجد في حق من فعل والفاعل لا بد أن يريد الفعل
إرادة جازمة سوى أن يكون قادرا عليه وإذا وجد ذلك في حقه وجب
وجود الفعل فمن قال الاستطاعة هي المقارنة فهي مجموع ما يجب معه الفعل
ويدخل في ذلك الإرادة وغيرها وعلى هذا الاصطلاح يقال إذا لم يرد الفعل فليس
بقادر عليه وقد تبين أن مثل هذا النزاع لفظي فمن قصد عدم القدرة بين تلك
ظهر مقصوده فإذا حقق الأمر وقيل هل يكون إذا أراد ما أمر به إرادة جازمة
عاجزا عنه تبين الحق وظهر لكل أحد أنه إذا أراد ما أمر به لم يكن عاجزا بل قادرا
عليه وإن كان عاجزا عنه إذا أراده فإن الله لم يكلفه إياه فإن الله لا يكلف نفسا وإنما
إلا وسعها أي ما تسعه النفس ويجب أن يعلم العبد أن عمله من الحسنات هو
بفضل الله ورحمته ومن نعمته كما قال أهل الجنة الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا أن هدانا الله وقال تعالى حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم إلى قوله
الراشدون وقال تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه الآية
وقال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا
من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به
من نشاء من عبادنا وكذلك إضافة السيئات إلى النفس هو الذي ينبغي أن

ان يفعله مع علمه بان الله خالق كل موجود من الاعيان والصفات والحركات والسكنات
كما قال آدم ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال موسى
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال الخليل والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
وقال لخاتم رسله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقد
قال تعالى في حق من عذبهم وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وما كان دعواهم
اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين وامثال هذا في الكتاب والسنة
كثير وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يرويه عن ربه عز وجل يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وقد جعلته بينكم
محرما فلا تظالموا يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا
ولا ابالي فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني
اهدكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي لو ان
اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد في ملكي
شيئا الى اخر الحديث فقد بين هذا الحديث ان من وجد خيرا بالعمل الصالح
فليحمد الله فانه هو الذي انعم بذلك وان وجد غير ذلك اما شرا او عقابا
واما عيبا لا فائدة فيه فلا يلومن الا نفسه فانه هو الذي ظلم نفسه وكل حادث
فبقدرة الله ومشيئته وكذلك سيد الاستغفار الذي رواه البخاري وغيره
عن شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد الاستغفار ان يقول
العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك
ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت الى اخر الحديث من قالها اذا اصبح
موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا امسى موقنا بها فمات
من ليلته دخل الجنة قوله ابوء لك بنعمتك علي يتناول نعمته عليه من الحسنات
وغيرها وقوله وابوء بذنبي اعتراف منه بذنبه وهذه الطريقة هي طريقة
المؤمنين ومن عداهم ثلاثة اصناف فان القسمة رباعية فقسم يجعلون
انفسهم هي الخالقة المحدثة للحسنات والسيئات وان نعم الله الدينية
على المؤمن والكافر وانه لم يعط العبد الا قدرة واحدة تصلح للضدين وليس
بيد الله هداية خص بها المؤمن او تطلب منه بقول العبد اهدنا
الصراط المستقيم وانه لا يقدر على هداية ضال ولا اضلال مهتد
فهولاء

فهولاء القدرية المجوسية وقسم يسلبون العبد اختياره وقدرته ويجعلونه
مجبورا على حركاته من جنس حركات الجمادات ويجعلون الاختيارية والاضطرارية
من نمط واحد حتى يقول احدهم ان جميع ما امر الله به ورسوله فانما هو امر بما لا يقدر
عليه ولا يطيقه فيسلبونه القدرة مطلقا اذ لا يثبتون له الا قدرة واحدة مقارنة
للفعل ولا يجعلون للعاصي قدرة اصلا فهذه المقالات وامثالها من مقالات الجبرية
الذين انكر قولهم كما انكر قول الاولين ائمة الهدى مثل عبد الرحمن بن عمرو والاوزاعي
وسفيان بن سعيد الثوري ومحمد بن الوليد الزبيدي وعبد الرحمن بن مهدي واحمد بن محمد
بن حنبل وغيرهم فان ضموا الى ذلك غيرهم اقامة العذر للعصاة بالقدر وقالوا
انهم معذورون لذلك لا يستحقون اللوم والعذاب وجعلوا عقوبتهم ظلما
فهولاء كفار كما ان من انكر علم الله القديم من غلاة القدرية فهو كافر وان جعلوا
ثبوت القدر موجبا لسقوط الامر والنهي والوعد والوعيد كفعل الاباحية فهولاء
اكفر من اليهود والنصارى من جنس المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا
ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا
قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون
قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين فان هذا القول يستلزم
طي بساط كل امر ونهي وهذا مما يعلم بالاضطرار من العقل والدين انه يوجب
الفساد في امر الدنيا والمعاد والقسم الرابع وهو شر الاقسام كما قال ابو الفرج
ابن الجوزي قال انت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري اي مذهب وافق
هواك تمذهبت به فهولاء شر اتباع الشيطان وليس هو مذهب طائفة معروفة
ولكن هو حال الائمة المحاولين عن الامر والنهي ان فعل احدهم طاعة اخذ يضيفها
الى نفسه ويعجب بها حتى يحبط عمله وان فعل معصية اخذ يعتذر بالقدر ويحتجون
بالقضاء وتلك حجة داحضة وعذر غير مقبول وتراه اذا اصابته مصيبة بفعل العباد
او غيرهم لم يستسلم للقدر وتراه اذا ظلم نفسه او غيره احتج بالقدر ويقول العبد
مسكين لا قادر ولا معذور ويقول القاه في اليم مكتوفا وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء
وان ظلمه غيره ظلما دون ذلك وتوهم انه ظلمه اخذ يسعى في الانتقام في ذلك باضعاف ذلك
ولا يعذر غيره بما عذر به نفسه من القدر وكلاهما سواء فهذه الجملة يجب اعتقادها
واما الكلام على الحقيقة الموجبة لاضافة الذنوب الى العبد مع عموم الخلق

وفي سر وقوع هذه الشرور في القضاء والقدر وانه مع ذلك لم يضف الى الله في كتابه
الا على وجوه ثلاثة اما بطريق العموم كقوله تعالى خالق كل شيء واما ان يضاف الى السبب
كقوله تعالى من شر ما خلق واما ان يحذف الفاعل كقول الجن انا لا ندري اشر اريد
في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا والكلام على اسماء الله الحسنى لابد ان تتضمن
اضافة الخير والشر داخل في مفعولاته كقوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وقوله تعالى اعلموا ان الله شديد العقاب
وان الله غفور رحيم فتحرير هذه الحقائق الشرعية التي هي شرف الاولين
والاخرين يحتاج الى بسط واطناب في غير هذا الجواب والله الموفق للصواب

مسئلة هل يتعين على المسلم ان يعتقد ان ربه سبحانه فوق عرشه وفوق
كل شيء وليس كمثله شيء ام لا يتعين ذلك واشتغاله بالعبادة وحفظ الجوارح والسكوت
عن مثل هذا هو الافضل في حقه ويبعد عن التشبيه ولا يؤمن بصفة العلو كما زعم الزاعم
ان الكلام فيها خطر لما في التكلم فيه من التشبيه والتمثيل فأي الامرين ارضى الى الله تعالى
واقرب اليه الاعتقاد بالعلو او السكوت او الوقوف وهل مسئلة العلو ثابتة
بالكتاب والسنة ومنكرها جاهل والواقف فيها مخطئ ضال ومثبتها مصيب محق
ام لا وهل صفات التكلم والغضب والرضى والمحبة والبغض والفرح والضحك
وغير ذلك مما دلت عليه النصوص الصحيحة هي صفات ثابتة لله تعالى لا يسوغ
تأويلها بالطاعة والمعصية ام لا الجواب الحمد لله ما وصف الله به نفسه
او وصفه به رسوله في صفة العلو وغيرها فهو حق يجب الايمان به كالايمان بسائر
ما جاء به الرسول بل الايمان باسماء الله وصفاته هو من اهم ما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم والايمان به من اهم دعائم الايمان ولهذا امر الله المؤمنين ان يدعوه
باسمائه الحسنى ويذروا الذين يلحدون في اسمائه وكان من الحادهم في
اسمائه انكارهم اسم الرحمن كما قال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا وقال تعالى وكذلك ارسلناك في امة قد خلت
من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي
لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما
تدعوا فله الاسماء الحسنى وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا كان
يقرأ في صلاته بقل هو الله احد يقرأ بها في كل ركعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم

اخبروه ان الله

اخبروه ان الله يحبه وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه انها تعدل
ثلث القرآن ولم يرو عنه في فضل سورة من القرآن ما روي عنه في فضلها حتى افرد
العلماء في فضلها مصنفات كالدارقطني وابي نعيم وابي محمد الخلال وما ذاك
الا لانها صفة الرحمن فعلم ان اسماء الله وصفاته التي جاء بها الرسول صلى الله
عليه وسلم هي اعظم ما يجب الايمان به واهم قواعد الدين فان الله انما خلق الخلق
لعبادته كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما يعبد من يعرف
وانما يعرف باسمائه وصفاته فالايمان بذلك اعظم من الايمان بصفة العلو التي
هي مما فطر الله عباده عليها واتفقت عليه انبياء الله ورسله وتواترت به نصوص
الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وائمة السنة فهي مما يجب الايمان به واما
من توهم ان في ذلك تشبيها فقد يكون مقصوده قول من يقول ان السماء تحويه
وتحيط به او ان العرش تقله وتحمله فيكون الله مفتقرا الى العرش ولا ريب ان اعتقاد
ان المخلوق اكرم من الخالق او ان الخالق مفتقر الى المخلوق كفر وضلال وقد قال
وسع كرسيه السموات والارض وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما الكرسي
في العرش الا كحلقة ملقاة بارض فلاة فكيف يكون السماء او غيرها محيط
بالله حاصرا له وانما معنى ما في الكتاب والسنة مثل قوله أأمنتم من في السماء الاية
انه فوق السماء وفوق العرش كما قال لاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها
وفوقها والايمان بان الله فوق العرش فوق السماء واجب ومن جحد ذلك وقال
ليس فوق العرش رب ولا فوق السماء اله فهو معطل جاحد موافق لفرعون
الذي قال يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى واني لاظنه كاذبا فان فرعون كذب موسى في ان ربه فوق
السموات واما محمد صلى الله عليه وسلم فانه صدق موسى لما عرج به الى السماء
ووجد موسى هنالك وجعل يتردد بين موسى وبين ربه لما فرضت عليه
الصلاة ومن اعرض عن الايمان بذلك فهو مرتاب في بعض الكتاب الذي
لا ريب فيه هدى للمتقين ومرتاب فيما علم بالاضطرار من دين الرسول وفيما
فطر الله عليه خلقه وكذلك ما وصف الله به نفسه من مشيئته ومحبته ورحمته
وغضبه فهو مما يجب الايمان به ومن ارتاب فيه فهو ممن ارتاب في اسماء الله

وآياته نفيه شبه الذين انكروا اسم الرحمن فاما من قال ان الله ليس موصوفا بحقيقة
الرحمة والرضى والغضب والمحبة فقد انكر حقيقة اسم الرحمن الذي انكره المشركون
والحد في اسماء الله وآياته وانكر حقيقة الخلة التي خال الله بها ابرهيم خليله
حيث يقول واتخذ الله ابرهيم خليلا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وقال ان الله اتخذني
خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا فالجهمية تنكرها وصف به نفسه في محبته
وخلته ورحمته ورأفته ورضاه وسخطه وغضبه وهؤلاء الملحدة في اسماء الله
وآياته الذين انكروا ان يكون الله اتخذ ابرهيم خليلا واول من اظهر هذا
الكفر في الاسلام الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري امير واسط
وقال يا ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم
فانه زعم ان الله لم يتخذ ابرهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل
فذبحه وهؤلاء في الاصل هم الكفار المشركين والصابئين الذين ينكرون
ما جاءت به الرسل عن الله فان الله ارسل جميعهم مثل ابرهيم وموسى وعيسى
ومحمد صلى الله عليهم اجمعين متفقون على هذه الاصول وما انزل الله كتابا
من السماء الا ذكر فيه انه فوق العرش وانه يحب المؤمنين ويرضى عنهم
وانه يبغض الكافرين ويغضب عليهم وانه بعباده رؤوف رحيم والله سبحانه
وتعالى وفق المسلمين لما يحبه ويرضاه والله سبحانه وتعالى اعلم

مسئلة في قول الامام ابي بكر محمد بن الحسن بن فورك في الارشاد تفسير القدري انه
هو الذي يقدّر ان يقدر على اعماله دون الله تعالى ويخترعها بقدرته
ارادة الله وكرهها وتفسير الجبري هو الذي يزعم ان لا استطاعة للانسان
ولا كسب وانه بمنزلة الباب الذي يرد والشجرة التي تحركها الريح
وانه مضطر الى ما هو فيه مجبر عليه والجبرية خلاف القدرية وكلاهما
بدعتان والصواب مخالفتهما وهو القول بان الله خالق لاعمالنا ونحن
مكتسبون لها قادرون عليها مختارون لها غير مجبورين عليها ولا
مضطرين اليها وان المكتسب منا قادر على الحقيقة لما خلقه الله كسبا
له بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت تم كلامه فهل يجوز
لمسلم

لمسلم ان يعتقد خلاف هذا وان اعتقده فهل هو خارج عن سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم او ما درج عليه سلف الامة الصالح وائمة المسلمين

الجواب الحمد لله ما ذكره هذا الاستاذ في ذم القدري الذي يزعم
انه يقدر على اعماله ويخترعها بدون ارادة الله تعالى وفي ذم الجبري الذي يزعم
انه لا استطاعة للعبد ولا كسب وان كلا القولين بدعة والصواب
ان يقال ان الله خالق لاعمال العباد والعباد قادرون عليها اي على الافعال
الاختيارية مختارون لها مكتسبون لها وان المكتسب منا قادر على الحقيقة
لما خلقه الله كسبا له فهذا الذي ذكره هو قول اهل السنة والجماعة من
جميع الطوائف وعليه اتفق سلف الامة وائمتها والمتكلمون من اهل الاثبات
المتبعون للسنة من غير غلو ولا تقصير ومن تبرأ من هذا الاعتقاد
فقد تبرأ مما دل عليه الكتاب والسنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفق عليه
سلف الامة وائمتها ويجب انه يستتاب فان تاب والا عوقب على ذلك
العقوبة الشرعية وقد قال تعالى في كتابه ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما
فاثبت مشيئة العبد وجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب فمن نفى
مشيئة العبد فقد كذب القرآن وكذلك قوله تعالى وما هو الا ذكر للعالمين
لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين
ونحو قوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء
الله هو اهل التقوى واهل المغفرة واما الاستطاعة فقد قال تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم وقال ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
وقال ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاسقط الهجرة عمن لا يستطيع
حيلة دون المستطيع وقال تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا

قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون فمن قال
عن فعل امر الشرع لو استطعت لفعلته نحو من هؤلاء وهو كاذب بل هو
مستطيع له فقوله لعدم ارادته له قال تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا
فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا فامر المكفر اذا لم يستطع صيام شهرين
متتابعين ان يطعم ستين مسكينا فلو لم يكن للعبد استطاعة للصيام
لكان كل مكفر يؤمر بالاطعام وهذا خلاف الكتاب والسنة والاجماع
وقال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها في غير موضع كالبقرة والاعراف واما ما
ذكره لفعل العبد وصنعه وكسبه وعمله وانواع ذلك من بره وفجوره
وانقسام ذلك في صلاة وصيام وحج وكذب وقتل وزنا وغير ذلك
فهذا في القرآن اعظم من ان يحصر بل لو تدبر المسلم اي موضع كان من القرآن
لوجد فيه ذلك كقوله تعالى في الفاتحة غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله
في اول البقرة هدى للمتقين الاية الى اخر ما بعد ذلك من الآي وقد قال تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون وقال تعالى لبئس ما كانوا يصنعون لبئس ما كانوا يعملون
وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وقال تعالى وما تفعلوا من خير فلن يكفروه وهذا باب واسع قد بسطنا الكلام
في هذه المسئلة في مواضع كثيرة فلا بد ان يثبت للعبد عملا وارادة
للعمل وقدرة عليه ولا بد ان يعلم ان الله خالق ذلك كله وخالق كل
شيء وانه لا حول ولا قوة الا بالله وانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن
وانه لا حجة لاحد على الله بل العبد مأمور بالطاعة مثاب عليها
منهي عن المعصية معاقب عليها فانه لا يطاع الا باعانته ولا يعصى
الا بخذلانه ولهذا نقول في الصلاة اياك نعبد واياك نستعين ومن
جعل للعباد عذرا في المعاصي بالقدر ورفع الملام عنهم بذلك
فهو اكفر من اليهود والنصارى والله سبحانه اعلم

لا بخذلانه

للعباد صح

مسئلة في الاقضية

مسئله في الاقضية هل هي مقتضية للحكمة ام لا فاذا كانت مقتضية للحكمة هل اراد من الناس ما هم فاعلوه ام لا واذا كانت الارادة قد تقدمت مما يمنع وجوب العذر والحالة هذه

اجاب الحمد لله نعم لله
حكمة بالغة في اقضيته واقداره وان لم نعلم العباد فان الله علم علما وعلمه
لعباده او لمن شاء منهم وعلم علما لم يعلمه لعباده وهم لا يحيطون بشيء
من علمه الا بما شاء وهو سبحانه اراد من العباد ما هم فاعلوه ارادة تكوين
كما اتفق المسلمون على انه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكما قال تعالى
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا وقال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم
وكما قال تعالى ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وكما قال
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة وفي الآخرة ويضل الله
الظالمين ويفعل الله ما يشاء ولكن لم يرد المعاصي من اصحابها ارادة
امر وشرع ومحبة ورضا ودين بل ذلك كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر ولتكملوا العدة وكما قال تبارك وتعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن
الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم
ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم
وخلق الانسان ضعيفا وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون وكما قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ولو بالتقسيم والتفصيل في امثال هذا يزول الاشتباه ويندفع الضلال
وقد بسطنا ذلك فيما يليق به في غير هذا الموضع من القواعد اذ ليس هذا
موضع بسط ذلك واما قول السائل مما يمنع وجوب العذر فالمعذور الذي
يعرف انه معذور هو من كان عاجزا عن الفعل مع ارادته له كالمريض العاجز
عن القيام والصيام والجهاد والفقير العاجز على الانفاق ونحو ذلك فهؤلاء
ليسوا مكلفين ولا معاقبين على ما تركوه وكذلك العاجز عن السماع والفهم
كالصبي والمجنون ومن لم تبلغه الدعوة واما من جعل محبا مختارا راضيا
بفعل السيئات حين فعلها فليس مجبورا على خلاف مراده ولا مكرها على ما يرضاه لا
فكيف يسمى هذا معذورا بل ينبغي ان يسمى مغرورا ولكن بسط ذلك

وهذا مذكور في موضعه وهذا
يحتاج الى الحكمة الكلية في الخلق والامر
المكان لا يسعه والله تعالى اعلم **مسئلة في آيات الصفات هل**
فيها ناسخ ومنسوخ ام لا وهل اذا تكلم فيها الانسان عليه اثم ام لا
الجواب ليس فيها ناسخ ولا منسوخ باتفاق المسلمين ولا في سائر
ما اخبر الله به عن مخلوقاته كقصص الانبياء ومن آمن بهم واتبعهم وا
مثال ذلك من الاخبار فان الخبر في ذلك لو دخله النسخ لكان كذبا والله سبحانه
منزه عن ذلك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولكن النسخ يدخل
في الامر والنهي والخبر الذي في معنى الامر والنهي كقوله والمطلقات يتربصن
بانفسهن ثلاثة قروء ونحو ذلك واما الخبر الذي هو معنى الوعيد كقوله
تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فقد تنازع الناس
هل يدخل فيه النسخ كما نقل عن كثير من السلف والخلف او لا يدخل كما قال
طائفة من الناس على قولين ولكن آيات الصفات فيها قد فهم بعض الجهال
خلاف مراد الله ورسوله فيكون فهمه وقلة معرفته ببيان الله ورسوله مثل من
يفهم من قوله وهو معكم اينما كنتم ان الله ممتزج في الخلق او يفهم من قوله
أأمنتم من في السماء ان الله في جوف الافلاك او يفهم من قوله ثم استوى على العرش
انه مفتقر الى عرش يحمله او يفهم من صفاته ما هو من صفات المخلوقين مثل
ان يفهم من قوله وهو السميع البصير انه كسمع المخلوق وبصره او من قوله غضب الله
عليهم انه غليان دم القلب لطلب الانتقام وامثال ذلك مما يظن بعض
الناس ان هذا مدلول الخطاب وظاهره فيجب ان ينسخ من قلب هذا الجاهل
ما القى الشيطان في نفسه من القول الباطل الذي ظن انه مدلول كتاب الله ولا
ويبين له ان هذا ليس مراد الله من كتابه ولا مدلول خطابه ولا موجب هداه
وبيانه قال الله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله
عليم حكيم فسمى دفع ما القى الشيطان نسخا فمن القى الشيطان في نفسه
اعتقادا باطلا في آيات الصفات وجب ان ينسخ من قلبه ذلك الاعتقاد
الفاسد ويبين له ان كتاب الله هدى وشفاء ونور وبيان ولم يدل على
ذلك المعنى الفاسد ومن تكلم بآيات الصفات كما جاءت على طريقة سلف
الامة وائمتها فلا شيء عليه ومن تكلم فيها بالباطل اما بالتحريف
والتعطيل واما بالتكييف والتمثيل فانه ينهى عن ذلك فان لم
ينته

ينته والا عوقب على ذلك حتى ينتهي اذ الواجب في ذلك ان يوصف الله بما وصف به
نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل قال
نعيم بن حماد الخزاعي من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به
نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها فمذهب السلف
بين مذهب الجهمية المعطلة النافية للصفات وبين مذهب الممثلة التي تمثل الخالق بالمخلوقات
والله تعالى بعث رسله يخبرون عنه باثبات مفصل ونفي مجمل واعداء الرسل المتفلسفة
ونحوهم يصفونه بنفي مفصل واثبات مجمل كما اخبر الله في كتابه انه بكل شيء عليم وانه
سميع بصير وانه خلق السموات والارض في ستة ايام وانه كلم موسى تكليما وانه يحب
المتقين والمحسنين ويبغض الكافرين وامثال ذلك من انواع الايات والاثبات
وقال في النفي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير هل تعلم له سميا ولم يكن له كفوا احد
فلا تجعلوا لله اندادا وامثال ذلك واما اعداء الرسل فيقولون ليس بكذا ولا كذا
ثم يقولون في الاثبات انه وجود مطلق لا يتميز عن غيره بصفة ولا نعت او ذات
بلا صفات والعقل الصريح يعلم ان الوجود المطلق والذات المجردة لا حقيقة
لها في الخارج عن الذهن ولا يتصور وجود شيء مطلق لا آدمي مطلق ولا فرس
مطلق ولا حيوان مطلق فمن قال ان الرب هو وجود مطلق فقد عطله وابطل
ان يكون سبحانه وتعالى موجودا وكان ذلك في الحقيقة موافقا لفرعون الذي قال الله
عنه وما رب العالمين وهذا مبسوط في غير هذا الموضع والله تعالى اعلم **مسئلة**
فيمن يقول ان ما ثم الا الله فقال شخص عن قائل هذا الكلام فقد كفر
بلغ   من ج   الجواب
قول القائل ان ما ثم الا الله لفظ مجمل يحتمل معنى صحيحا ومعنى باطلا فان اراد
ما ثم خالق الا الله ولا رب الا الله ولا اله الا الله ولا يفرج الكربات الا الله ولا يقضي
الحاجات ويجيب المضطرين ويرزق العباد الا الله فهو الذي يعطي ويمنع ويخفض
ويرفع ويعز ويذل وهو الذي يستحق ان لا يستعان الا به ويتوكل عليه ويستعاذ به
ويلتجي العباد اليه فانه لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد
كما قال تعالى في فاتحة الكتاب اياك نعبد واياك نستعين وقال تعالى فاعبده وتوكل عليه
وقال قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب فهذه
المعاني كلها حق وهي من صريح التوحيد وبها جاء القران فالعباد لا ينبغي لهم
ان يخافوا الا الله كما قال تعالى فلا تخشوا الناس واخشوني وقال تعالى الذين

قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه فلا تخافوهم وخافون وكذلك لا ينبغي ان يرجو الا الله تعالى كما قال الله تعالى
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو
العزيز الحكيم وقال تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه
يتوكل المتوكلون ولا ينبغي لهم ان يتكلوا الا على الله كما قال تعالى وعلى الله فليتوكل
المتوكلون ولا ينبغي لهم ان يعبدوا الا الله كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة
ولا يدعوا الا الله كما قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال
تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين سواء كان ذلك دعاء عبادة
او دعاء مسئلة واما ان اراد القائل ما ثم الا الله ما يقوله اهل الاتحاد
من انه ما ثم موجود الا الله ويقولون ليس الا الله اي موجود الا الله
ويقولون ان وجود المخلوق هو وجود الخالق والخالق هو المخلوق والمخلوق
هو الخالق والعبد هو الرب والرب هو العبد ونحو ذلك من معاني الاتحادية
الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق ولا يثبتون المباينة بين العبد والرب
ونحو ذلك من المعاني التي توجد في كلام ابن عربي الطائي وابن سبعين وابن الفارض
والتلمساني ونحوهم من الاتحادية وكذلك من يقول بالحلول كما تقول الجهمية الذين
يقولون ان الله بذاته في كل مكان ويجعلونه مختلطا بالمخلوقات حتى ان
هؤلاء يجعلونه في الكلاب والخنازير والنجاسات ويجعلون وجود ذلك وجوده
فمن اراد هذه المعاني فهو ملحد ضال يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل
والله سبحانه اعلم مسئلة عن رجل قال ان جميع الفواحش التي يعملها
الانسان وغيرها مكتوبة على جبينه الجواب الحمد لله لا ريب ان
جميع الكائنات بقضاء الله وقدره والله سبحانه وتعالى قد علم ما كان وما يكون
وكتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة واذا
الا خلق الجنين في بطن امه قبل ان ينفخ فيه الروح يأمر الملك بكتب رزقه
واجله وعمله وشقي ام سعيد لكن هذا ليس حجة للعباد ولا عذرا
لهم بل من عصى الله وتعدى حدوده فهو مستحق للتعزير والعقاب مامور
بالانابة الى الله

فائدة

بالتوبة الى الله تعالى والمتاب فهذا هو الذي ينجيه من العذاب لا ينفعه الاحتجاج
بالقدر فالمؤمن اذا احسن شكر الله على ان الهمه الاحسان واذا اساء استغفر الله
من الاثم والعدوان كما في الصحيح يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم
اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وفي الحديث
الصحيح سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك
وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك
علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح
موقنا بها مات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا امسى موقنا بها فمات من
ليلته دخل الجنة والله سبحانه اعلم بسم الله الرحمن الرحيم مسئلة ان قال قائل
فهل يجوز الخوض فيما تكلم الناس فيه من مسائل اصول الدين وان لم ينقل عن نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فيها كلام اصلا فان قيل بالجواز فما وجهه وقد فهمنا منه عليه
السلام النهي عن الكلام في بعض المسائل واذا قيل بالجواز فهل يجب ذلك وهل
نقل عنه عليه السلام ما يقتضي وجوبه وهل يكفي في ذلك ما يصل اليه المجتهد
من غلبة الظن او لا بد من الوصول الى القطع واذا تعذر عليه الوصول الى القطع
فهل يعذر في ذلك او يكون مكلفا به وهل ذلك من باب تكليف ما لا يطاق
والحالة هذه ام لا واذا قيل بالوجوب فما الحكمة في انه لم يوجد فيه من الشارع نص يعصم
من الوقوع في المهالك وقد كان عليه السلام حريصا على هدي امته والله اعلم
الجواب الحمد لله رب العالمين اما المسئلة الاولى فقول السائل هل يجوز الخوض فيما تكلم
الناس فيه من مسائل اصول الدين وان لم ينقل عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيها كلام
اصلا سؤال ورد بحسب ما عهده من الاوضاع المبتدعة الباطلة فان المسائل
التي هي من اصول الدين التي تستحق ان تسمى اصول الدين اعني الدين الذي ارسل الله
به رسوله وانزل به كتابه لا يجوز ان يقال لا ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها كلام
بل هذا كلام متناقض في نفسه اذ كونها من اصول الدين يوجب ان تكون من اهم
امور الدين وانها مما يحتاج اليه الدين فنفي نقل الكلام فيها عن الرسول يوجب
احد امرين اما ان الرسول اهمل الامور المهمة التي يحتاج الدين اليها فلم يبينها
او انه بينها ولم تنقلها الامة وكلا هذين باطل قطعا وهو من اعظم مطاعن
المنافقين في الدين وانما يظن هذا وامثاله من هو جاهل بحقائق

فان جهله
بما جاء به الرسول او جاهل بما يعقل الناس بقلوبهم او جاهل بهما جميعا فان جهله
بالاول يوجب عدم علمه بما اشتمل عليه ذلك من اصول الدين وفروعه وجهله بالثاني
يوجب ان يدخل في الحقائق المعقولة ما يسميه هو واشكاله عقليات وانما
هي جهليات وجهله بالامرين يوجب ان يظن من اصول الدين ما ليس منها من
المسائل والوسائل الباطلة وان يظن عدم بيان الرسول لما ينبغي ان يعتقد
في ذلك كما هو الواقع لطوائف من اصناف الناس حذاقهم فضلا عن عامتهم وذلك
ان اصول الدين اما ان تكون مسائل يجب اعتقادها ويجب ان تذكر قولا او تعمل
عملا كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد او دلائل هذه
المسائل اما القسم الاول فكل ما يحتاج الناس الى معرفته واعتقاده والتصديق
به في هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا قاطعا للعذر اذ هذا من
اعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين وبينه للناس وهو من اعظم ما اقام الله الحجة
على عباده فيه بالرسل الذين بينوه وبلغوه وكتاب الله الذي نقل الصحابة ثم
التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه والحكمة التي هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
التي نقلوها ايضا عن الرسول مشتملة من ذلك على غاية المراد وتمام الواجب
والمستحب والحمد لله الذي بعث فينا رسولا من انفسنا يتلو علينا اياته
ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة الذي اكمل لنا الدين واتم علينا النعمة
ورضي لنا الاسلام دينا الذي انزل الكتاب تفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون وانما يظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة على بيان ذلك
من كان ناقصا في عقله وسمعه ومن له نصيب في قول اهل النار الذين قالوا
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وان كان ذلك كثيرا من المتفلسفة
والمتكلمة وجهال اهل الحديث والمتفقهة والمتصوفة واما القسم الثاني وهو
دلائل هذه المسائل الاصولية فانه وان كان يظن طوائف من المتكلمين
والمتفلسفة ان الشرع انما يدل بطريق الخبر الصادق فدلالته موقوفة على العلم
بصدق المخبر ويجعلون ما يبنى عليه صدق المخبر معقولات محضة فقد
غلطوا في ذلك غلطا عظيما بل ضلوا ضلالا مبينا في ظنهم ان دلالة الكتاب
والسنة انما هي بطريق الخبر المجرد بل الامر ما عليه سلف الامة وائمتها
اهل العلم والايمان

اهل العلم والايمان من ان الله سبحانه بين من الادلة العقلية التي يحتاج اليها في العلم
بذلك ما لا يقدر احد من هؤلاء قدره ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته
على احسن وجه وذلك كالامثال المضروبة التي هي الاقيسة العقلية سواء كانت قياس
شمول او قياس تمثيل ويدخل في ذلك ما يسمونه براهين وهو القياس الشمولي المؤلف من المقدمات
اليقينية وان كان لفظ البرهان في اللغة اعم من ذلك كما سمى الله آيتي موسى برهانين ومما
يوضح هذا ان العلم الالهي لا يجوز ان يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الاصل
والفرع ولا بقياس شمولي تستوي افراده فان الله سبحانه ليس كمثله شيء فلا يجوز
ان يمثل بغيره ولا يجوز ان يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي افرادها ولهذا
لما سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الاقيسة في المطالب الالهية
لم يصلوا بها الى اليقين بل تناقضت ادلتهم وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب
لما يرونه من فساد ادلتهم او تكافئها ولكن يستعمل في ذلك قياس الاولى سواء كان تمثيلا
او شمولا كما قال تعالى ولله المثل الاعلى مثل ان نعلم ان كل كمال ثبت للممكن او المحدث لا
نقص فيه بوجه من الوجوه وهو ما كان كمالا للموجود غير مستلزم للعدم فالواجب
القديم اولى به وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعلول
المدبر فانما استفاده من خالقه وربه ومدبره فهو احق به منه وان كل نقص وعيب
في نفسه وهو ما تضمن سلب هذا الكمال اذا وجب نفيه عن شيء ما من انواع المخلوقات
والمحدثات والممكنات فانه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الاولى وانه
احق بالامور الوجودية من كل موجود واما الامور العدمية فالممكن المحدث بها
احق ونحو ذلك ومثل هذه الطرق هي التي كان يستعملها السلف والائمة في مثل
هذه المطالب كما استعمل نحوها الامام احمد ومن قبله ومن بعده من ائمة اهل الاسلام
وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير اصول الدين في مسائل التوحيد والصفات والمعاد
ونحو ذلك مثال ذلك انه سبحانه لما اخبر بالمعاد والعلم به تابع للعلم بامكانه
فان الممتنع لا يجوز ان يكون بين سبحانه امكانه اتم بيان ولم يسلك في ذلك ما يسلكه
طوائف من اهل الكلام حيث يثبتون الامكان الخارجي بمجرد الامكان الذهني فيقولون
هذا ممكن لانه لو قدر وجوده لم يلزم من تقدير وجوده محال فان الشأن في
هذه المقدمة فمن اين يعلم انه لا يلزم من تقدير وجوده محال فان هذه قضية

استفاده

كلية سالبة فلا بد في المعلوم بعموم هذا النفي وما يحتج به بعضهم على ان هذا ممكن
بانا لا نعلم امتناعه كما نعلم امتناع الامور والظاهر امتناعها مثل كون الجسم
متحركا ساكنا فهذا كما احتج بعضهم على انها ليست بديهية بان غيرها من البديهيات
اجلى منها وهذه حجة ضعيفة لان البديهي هو ما اذا تصور طرفاه جزم العقل به
والتصوران قد يكونا خفيين فالقضايا تتفاوت في الجلا والخفا لتفاوت
تصورها كما تتفاوت لتفاوت الاذهان وذلك لا يقدح في كونها ضرورية ولا
يوجب ان ما لم يظهر امتناعه يكون ممكنا بل قد يقال هو اذا اضعف لان الشي
قد يكون ممتنعا لامور خفية لازمة له فما لم يعلم انتفاء تلك اللوازم او عدم
لزومها لا يمكن الجزم بامكانه ومجال هذا اعم من المحال لذاته او لغيره والامكان
الذهني حقيقته عدم العلم بالامتناع وعدم العلم بالامتناع لا يستلزم
العلم بالامكان الخارجي بل يبقى الشي في الذهن غير معلوم الامتناع ولا
معلوم الامكان الخارجي وهذا هو الامكان الذهني فالله سبحانه وتعالى
لم يكتف في بيان امكان المعاد بهذا اذ يمكن ان يكون الشي ممتنعا ولو لغيره
وان لم يعلم الذهن امتناعه بخلاف الامكان الخارجي فانه اذا علم بطل ان يكون
ممتنعا والانسان يعلم الامكان الخارجي تارة بعلمه بوجود الشي وتارة
بعلمه بوجود نظيره وتارة بعلمه بوجود ما الشي اولى بالوجود منه فان
وجود الشي دليل على ان ما هو دونه اولى بالامكان منه ثم انه اذا تبين كون الشي
ممكنا فلا بد من بيان قدرة الرب عليه والا فمجرد العلم بامكانه لا يكفي في امكان
وقوعه ان لم يعلم قدرة الرب على ذلك فبين سبحانه هذا كله بمثل قوله
اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا وقوله اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم وقوله اولم يروا
ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى
بلى انه على كل شي قدير وقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
فانه من المعلوم ببداية العقول ان خلق السموات والارض اعظم من خلق امثال
بني آدم والقدرة عليه ابلغ وان هذا الايسر اولى بالامكان والقدرة
من ذلك

من ذلك وكذلك استدلاله على ذلك بالنشأة الاولى في مثل قوله وهو الذي يبدأ
الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه ولهذا قال بعد ذلك وله المثل الاعلى في
السموات والارض وقال وان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الاية
وكذلك ما ذكره في قوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي
رميم قياس حذفت احدى مقدمتيه لظهورها والاخرى سالبة كلية قرن معها دليلها
وهو المثل المضروب الذي ذكره بقوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي
العظام وهي رميم وهذا استفهام انكار يتضمن النفي اي لا احد يحيي العظام
وهي رميم فان كونها رميما يمتنع عنده احياها لمصيرها الى حال اليبس والبرودة
المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة والرطوبة ولتفرق اجزاها واختلاطها
بغيرها ولنحو ذلك من الشبهات والتقدير هو من العظام رميم ولا احد يحيي العظام
وهي رميم فلا احد يحييها ولكن هذه السالبة كاذبة ومضمونها امتناع الاحيا فبين
سبحانه امكانه من وجوه بيان امكان ما هو ابعد من ذلك وقدرته عليه فقال
يحييها الذي انشاها اول مرة وقد انشاها من التراب ثم قال وهو بكل خلق عليم
ليبين علمه بما تفرق من الاجزاء واستحال ثم قال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر
نارا فبين انه اخرج النار الحارة اليابسة من البارد الرطب وذلك ابلغ في
المنافاة لان اجتماع الحرارة والرطوبة ايسر من اجتماع الحرارة واليبوسة
اذ الرطوبة تقبل من الانفعال ما لا تقبله اليبوسة ولهذا كان تسخين الهوى
والماء ايسر من تسخين التراب وان كانت النار بنفسها حارة يابسة
فانها جسم بسيط واليبس ضد الرطوبة والرطوبة يعني بها البلة كرطوبة الماء
ويعني بها سرعة الانفعال فيدخل في ذلك الهوى وكذلك يعني باليبس عدم
البلة فتكون النار يابسة ويراد باليبس التشكل والانفعال فيكون التراب
يابسا دون النار فالتراب فيه اليبس بالمعنيين بخلاف النار ولكن
الحيوان الذي فيه حرارة ورطوبة يكون من العناصر الثلاثة التراب والماء والهوى
واما الجزء الناري فللناس فيه قولان قيل فيه حرارة نارية وان لم يكن فيه
جزء من النار وقيل بل فيه جزء من النار وعلى كل تقدير فيكون الحيوان
من العناصر اولى بالامكان من كون النار من الشجر الاخضر فالقادر على
ان يخلق من الشجر الاخضر نارا اولى بالقدرة ان يخلق من التراب حيوانا

بلغ

فان هذا معتاد وان كان ذلك مما يفهم اولى في الاجزاء الهوائية والمائية
والمقصود الجمع في المولدات ثم قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم وهذه مقدمة معلومة بالبديهة ولهذه
جاء فيها بالاستفهام تقرير الدال على ان ذلك مستقر معلوم عند المخاطب
كما قال سبحانه ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ثم بين
قدرته العامة بقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي
هذا الموضع وغيره من القران من الاسرار وبيان الادلة القطعية على
المطالب الدينية ما ليس هذا موضعه وانما الغرض التنبيه وكذلك
ما يتعلق سبحانه في تنزيهه وتقديسه عما اضافوه اليه من الولادة سواء
سموها حسية او عقلية كما تزعمه النصارى من تولد الكلمة التي جعلوها
جوهر الابن منه وكما تزعمه الفلاسفة الصابئون من تولد العقول العشرة
والنفوس الفلكية التسعة التي هم مضطربون فيها هل هي جواهر
او اعراض وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور والنفوس بمنزلة الاناث
ويجعلون ذلك لله اباهم وامهاتهم والهتهم وارباهم القريبة وعلمهم
بالنفوس اظهر لكن اكثرهم يجعلون النفس الفلكية عرضا لا جوهرا قائما
بنفسه لوجود الحركة الدورية الدالة على الحركة الارادية الدالة على النفوس
المحركة وذلك شبيه بمشركي العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنات
قال الله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير علم
سبحانه وتعالى عما يصفون وقال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
وانهم لكاذبون وكانوا يقولون الملائكة بنات الله كما يزعم هؤلاء
ان العقول او العقول والنفوس هي الملائكة وهي متولدة عن الله فقال تعالى
ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم
بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم الى قوله
ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم
ان لهم النار وانهم مفرطون وقال تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات
واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه
مسودا

بلغ

مسودا وهو كظيم او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسالون
وقال تعالى افرايتم اللات والعزى الى قوله الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة
ضيزى اي جائرة وغير ذلك في القران فبين سبحانه انه الرب الخالق اولى بان
ينزه عن الامور الناقصة منكم فكيف تجعلون له ما تكرهون ان يكون لكم
وتستحيون من اضافته اليكم مع انه واقع لا محالة ولا تنزهونه عن ذلك
وتنفونه عنه وهو احق بنفي المكروهات المنقصات منكم وكذلك قوله
في التوحيد ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي كخيفة بعضكم
بعضا كما في قوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي قوله لولا اذ سمعتموه ظن المومنون
والمومنات بانفسهم خيرا وفي قوله ولا تلمزوا انفسكم وفي قوله فتوبوا الى بارئكم
فاقتلوا انفسكم وفي قوله ولا تخرجون انفسكم من دياركم فان المراد في هذا كله
من نوع واحد فبين سبحانه ان المخلوق لا يكون مملوكه شريكه حتى يخاف
مملوكه كما يخاف نظيره بل تمتنعون ان يكون المملوك نظيرا فكيف ترضون
ان تجعلوا ما هو مخلوقي ومملوكي شريكا لي يدعى ويعبد كما ادعى واعبد
كما كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما
ملك وهذا باب واسع عظيم ليس هذا موضعه وانما الغرض التنبيه على ان
القران والحكمة النبوية عامة اصول الدين من المسائل والدلائل التي يجانسا تستحسن
ان تكون اصول الدين واما ما يدخله بعض الناس في هذا المسمى من الباطل فليس
ذلك من اصول الدين وان ادخله فيه مثل المسائل والدلائل الفاسدة مثل
نفي الصفات والقدر ونحو ذلك من المسائل ومثل الاستدلال على حدوث العالم
بحدوث الاعراض التي هي صفات الاجسام القائمة بها اما الاكوان واما غيرها
وتقرير المقدمات التي يحتاج اليها هذا الدليل من اثبات الاعراض التي هي الصفات
اولا واثبات بعضها كالاكوان التي هي الحركة والسكون والاجتماع والافتراق
واثبات حدوثها ثانيا بابطال ظهورها بعد الكون وابطال انتقالها
من محل الى محل ثم اثبات امتناع خلو الجسم اما عن كل جنس من اجناس الاعراض



بإثبات أن الجسم قابل لها وأن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده وإما عن
الأكوان وإثبات امتناع حوادث لا أول لها رابعا وهو مبني على مقدمتين
أحدهما أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي الصفات والثانية أن ما لا
يخلو عن الصفات التي هي الأعراض فهو محدث لأن الصفات التي هي
الأعراض لا تكون إلا محدثة وقد يفرضون ذلك في بعض الصفات التي هي الأعراض
كالأكوان وما لا يخلو عن جنس الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث
لا تتناهى فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس
بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه عليهم السلام ولهذا قد اعترف حذاق
أهل الكلام كالأشعري وغيره بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ولا سلف
الأمة وأئمتها وذكروا أنها محرمة عندهم بل المحققون على أنها طريقة باطلة
وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقا ولهذا تجد
من اعتمد عليها في أصول دينه فأحد الأمرين له لازم إما أن يطلع على ضعفها
ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم فتتكافأ عنده
الأدلة أو يرجح هذا تارة وهذا تارة كما هو حال طوائف منهم وإما أن يلتزم
لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل كما التزم جهم لأجلها
فناء الجنة والنار والتزم أبو الهذيل لأجلها انقطاع حركات أهل الجنة
والنار والتزم قوم لأجلها وأجل غيرها أن جميع الأعراض كالطعم
واللون وغيرها لا يجوز بقاؤها بحال لأنهم احتاجوا إلى جواب النقض
الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله مع الاستدلال على حدوث الأعراض
بصفاتها فقالوا صفات الأجسام أعراض أي أنها تعرض وتزول فلا
تبقى بحال بخلاف صفات الله فإنها باقية وأما ما اعتمد عليه طائفة منهم
من أن العرض لو بقي لم يمكن عدمه لأن عدمه إما أن يكون بإحداث
ضد أو بفوات شرط أو باختيار الفاعل وذلك ممتنع فهذه العمدة
لا يختارها آخرون منهم بل يجوزون أن الفاعل المختار يعدم الموجود
كما يحدث المعدوم ولا يقولون إن عدم الأجسام لا يكون إلا بقطع
الأعراض عنها كما قال لم ادتك ولا يخلق ضد هو فناء لا في محل كما قاله
من قاله

مطلب

من التزم المعتزلة وأما جمهور عقلاء بني آدم فقالوا هذه مخالفة للمعلوم
بالحس والتزم طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي صفات
الرب مطلقا أو نفي بعضها لأن الدال عندهم على حدوث الأشياء هو قيام
الصفات بها والدليل يجب طرده فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة
به وهو أيضا في غاية الفساد والضلال ولهذا التزموا القول بخلق القرآن
وإنكار رؤية الله في الآخرة وعلوه على عرشه إلى أمثال ذلك من اللوازم
التي التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التي جعلها المعتزلة ومن
اتبعهم أصل دينهم فهذه داخلة فيما سماه هؤلاء أصول الدين ولكن
ليست في الحقيقة من أصول الدين الذي شرعه الله لعباده وأما الدين
الذي قال الله فيه أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فذلك
له أصول وفروع بحسبه ولو عرف أن مسمى الدين في عرف الناطقين بهذا الاسم
فيه إجمال وإبهام لما فيه من الاشتراك بحسب الأوضاع والاصطلاحات تبين
أن الدين الذي هو عند الله ورسوله وعباده المؤمنين أصول الدين فهو موروث
عن الرسول وأما من شرع دينا لم يأذن به الله فمعلوم أن أصوله المستلزمة
له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ هو باطل وملزوم
الباطل باطل كما أن لازم الحق حق والدليل ملزوم لمدلوله فمتى ثبت
ثبت مدلوله ومتى وجد الملزوم وجد اللازم فمن انتفاء اللازم انتفاء
الملزوم والباطل شيء وإذا انتفى لازم الشيء علم أنه منتف فيستدل
على بطلان الشيء ببطلان لازمه ويستدل على ثبوته بثبوت ملزومه
فإذا كان اللازم باطلا فالملزوم باطل وقد يكون اللازم خفيا ولا
يكون الملزوم خفيا كان اللازم خفيا وقد يكون الملزوم باطلا ولا يكون
اللازم باطلا فلهذا قيل إن ملزوم الباطل باطل فإن ملزوم الباطل
هو المستلزم الباطل فالباطل لازم وإذا كان اللازم باطلا
كان الملزوم باطلا لأنه يلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم
ولم نقل إن الباطل لازمه باطل وهذا كالمخلوق فإنها مستلزمة

لثبوت الخالق ولا يلزم من عدمها عدم الخالق والدليل ابداً يستلزم المدلول
عليه يجب طرده ولا يجب عكسه واما العلة التامة فيجب طردها
بخلاف المقتضي وفي العكس تفصيل مبسوط في موضعه وهذا التقسيم بينته
ابنا على مراد السلف والائمة بذم الكلام واهله اذ ذلك متناول لكل من استدل
بالادلة الفاسدة او استدل على المقالات الباطلة فاما من قال الحق الذي
اذن الله فيه حكماً ودليلاً فهو من اهل العلم والايمان والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل واما مخاطبة اهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس
بمكروه اذا احتيج الى ذلك وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم من الروم والفرس
والترك بلغتهم وعرفهم فان هذا جائز حسن للحاجة وانما كرهه الائمة
اذا لم يحتج اليه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لام خالد بنت خالد بن سعيد
بن العاص وكانت صغيرة ولدت بارض الحبشة لا كانت من اهل هذه اللغة
وكذلك يترجم القران والحديث لمن يحتاج الى تفهيمه اياه بالترجمة وكذلك
يقرأ المسلم ما يحتاج اليه من كتب الامم وكلامهم بلغتهم ويترجمها بالعربية
كما امر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ان يتعلم كتب اليهود ليقرأ له
ويكتب له ذلك حيث لم يأمن اليهود عليه فالسلف والائمة لم يكرهوا
الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ الجوهر والعرض
والجسم وغير ذلك بل لان المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات
فيها من الباطل المذموم في الادلة والاحكام ما يجب النهي عنه لاشتمال هذه الالفاظ
على معاني مجملة في النفي والاثبات كما قال الامام احمد في وصفه لاهل البدع
فقال هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة
الكتاب يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويلبسون على جهال الناس بما
يتكلمون به من المتشابه فاذا عرفت المعاني التي يقصدونها بامثال هذه العبارات
ووزنت بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذي اثبته الكتاب
والسنة وينفي الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة كان ذلك هو الحق
بخلاف ما سلكه اهل الاهواء من التكلم بهذه الالفاظ نفياً واثباتاً

في الوسائل

يجب عكسه

لان اباها كان من مهاجري الحبشة فقال لها يا ام خالد هذا سنا والسنا بلسان الحبشة الحسن لانها صح

يقصدونها

~~في الوسائل والمسائل~~
في الدلائل والمسائل من غير بيان التفصيل والتقسيم الذي هو من الصراط
المستقيم وهذا من مثارات الشبه فانه لا يوجد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم
ولا احد من الصحابة والتابعين ولا احد من الائمة المتبوعين انه علق بمسمى
لفظ الجوهر والجسم والتحيز والعرض ونحو ذلك شيئاً من اصول الدين لا
الدلائل ولا المسائل والمتكلمون بهذه العبارات يختلف مرادهم بها تارة
لاختلاف الوضع وتارة لاختلافهم في المعنى الذي هو مدلول اللفظ كمن يقول
الجسم هو المؤلف ثم يتنازعون هل هو الجوهر الواحد بشرط تأليفه او الجوهران
فصاعداً او الستة او الثمانية او غير ذلك ومن يقول هو الذي يقبل فرض الابعاد
الثلاثة فيه وانه مركب من المادة والصورة ومن يقول هو الموجود او يقول
هو الموجود بنفسه او يقول هو الذي يمكن الاشارة اليه وان الموجود
القائم بنفسه لا يكون الا كذلك والسلف والائمة الذين ذموا وبدعوا
الكلام في الجوهر والجسم والعرض تضمن كلامهم ذم من يدخل المعاني
التي يقصدها هؤلاء بهذه الالفاظ في اصول الدين في دلائله وفي
مسائله نفياً واثباتاً فاذا عرفت المعاني الصحيحة الثابتة بالكتاب
وعبر عنها لمن يفهم بهذه الالفاظ ليتبين ما وافق الحق من معاني هؤلاء
وما خالفه فهذا عظيم المنفعة وهو من الحكم بالكتاب والسنة ليتبين
للناس فيما اختلفوا فيه كما قال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه وهو مثل الحكم بين سائر الامم بالكتاب فيما اختلفوا فيه
من المعاني التي يعبرون عنها بوضعهم وعرفهم وذلك يحتاج الى معرفة
معاني الكتاب والسنة ومعرفة معاني هؤلاء بالفاظهم ثم اعتبار
هذه المعاني ليظهر الموافق من المخالف واما قول السائل تقدم الاستفسار
والتفصيل في جواب السؤال وانما هو في الحقيقة اصول الدين الذي
بعث الله به رسوله فلا يجوز ان ينهى عنه بحال بخلاف ما سمي اصول
فان قيل بالجواز فما وجهه وقد فهمنا منه عليه الصلاة والسلام النهي
عن الكلام في بعض المسائل فيقال قد تقدم صح

اعظمهم

او هو اصول الدين لم يشرعه الله
دين وليس هو اصولا في الحقيقة بلا دلائل ولا مسائل
بل شرع في دين لم يأذن به الله واما ما ذكره السائل من نهيه فالذي جاءت به الكتاب
والسنة النهي عن امور منها القول على الله بلا علم كقوله قل انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقوله ولا تقف ما ليس لك به علم ومنها
ان يقال على الله غير الحق كقوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله
الا الحق وقوله ولا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ومنها الكلام بغير علم
كقوله ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ومنها الجدال في الحق بعد ظهوره كقوله يجادلونك في الحق بعدما تبين ومنها
الجدال بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ومنها الجدال
في اياته كقوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقوله الذين يجادلون
في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وقوله
ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص ونحو ذلك وقوله والذين
يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وقوله وهم
يجادلون في الله وهو شديد المحال وقوله ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ومنها الامور التي نهى الله عنها في كتابه
التفرق والاختلاف كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك
لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال ابن عباس تبيض
وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل البدعة والفرقة وقال ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وقال فاقم وجهك للدين
حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله الى قوله ولا تكونوا
من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وقد ذم اهل التفرق
والاختلاف في مثل قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
العلم بغيا بينهم وفي مثل قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك
خلقهم وفي مثل قوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد
وكذلك

ما ذكره

وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم توافق كتاب الله كالحديث المشهور الذي
رواه مسلم بعضه عن عبد الله بن عمرو وسائره معروف في مسند احمد وغيره من
حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه
وهم يتمارون في القدر ورجل يقول الم يقل الله كذا ورجل يقول الم يقل الله
كذا فكانما فقئ في وجهه حب الرمان فقال ابهذا امرتم انما هلك من كان قبلكم بهذا
ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله ليصدق بعضه
بعضا لا ليكذب بعضه بعضا انظروا ما امرتم به فافعلوه وما نهيتم
عنه فاجتنبوه هذا الحديث ونحوه وقوله المراء في القرآن كفر وكذلك
ما اخرجاه في الصحيحين عن عائشة رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هو الذي
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
الى قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تاويله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يتبعون
ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم واما ان يكون الكتاب والسنة لا يجوز
نهيا عن معرفة المسائل التي تدخل فيما يستحق ان يكون من اصول الدين فهذا
لا يكون اللهم الا ان ينهى عن بعض ذلك في بعض الاحوال مثل مخاطبة شخص
بما يعجز عنه فهمه فيضل كقول عبد الله بن مسعود ما من رجل يحدث قوما
حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم وكقول علي رض حدثوا الناس
بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتحبون ان يكذب الله ورسوله او مثل قول
حق يستلزم فسادا اعظم من ذلك فيدخل في قوله صلى الله عليه وسلم
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه وذلك اضعف الايمان رواه مسلم واما قول السائل
اذا قيل بالجواز فهل يجب وهل نقل عنه عليه السلام ما يقتضي وجوبه فيقال
لا ريب انه يجب على كل احد ان يؤمن بما جاء به الرسول ايمانا عاما مجملا
ولا ريب ان معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية فان ذلك
داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه
وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء الى الخير والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والدعاء الى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة

يتناظرون

والمجادلة بالتي هي احسن ونحو ذلك مما اوجبه الله على المؤمنين فهو واجب
على الكفاية واما ما يجب على اعيانهم فهذا يتنوع بتنوع قدرهم ومعرفتهم
وحاجتهم وما امر به اعيانهم فلا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم او عن
فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم
التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها ويجب على المفتي والمحدث والمجادل ما لا يجب
على من ليس كذلك واما قولي هل يكفي في ذلك ما يصل اليه المجتهد من غلبة الظن
او لا بد من الوصول الى القطع فيقال الصواب في ذلك التفصيل فانه وان كان
طوائف من اهل الكلام يزعمون ان المسائل الخبرية التي قد يسمونها مسائل
الاصول يجب القطع فيها جميعها ولا يجوز الاستدلال فيها بغير دليل يفيد اليقين
وقد يوجبون القطع فيها كلها على كل احد فهذا الذي قالوه على اطلاقه وعمومه
خطأ مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الامة وائمتها ثم هم مع ذلك من ابعد
الناس عما اوجبوه فانهم كثيرا ما يحتجون فيها بالادلة التي يزعمونها قطعيات
ويكون في الحقيقة من الاغلوطات فضلا عن ان يكون من الظنيات حتى ان   من الظنيات
الشخص الواحد منهم كثيرا ما يقطع بصحة حجة في موضع ويقطع ببطلانها
في موضع آخر بل منهم من غاية كلامه كذلك حتى قد يدعي كل من المتناظرين
العلم الضروري بنقيض ما ادعاه الآخر واما التفصيل فما اوجب الله فيه من العلم
واليقين وجب فيه ما اوجبه الله من ذلك كقوله اعلموا ان الله شديد العقاب
وان الله غفور رحيم وقوله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وكذلك
يجب الايمان بما اوجب الله الايمان به وقد تقرر في الشريعة ان الوجوب معلق
باستطاعة العبد كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وقوله صلى الله عليه وسلم
اذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم اخرجاه في الصحيحين فاذا كان كثيرا
مما تنازعت فيه الامة من هذه المسائل الدقيقة قد يكون عند كثير
من الناس مشتبها لا يقدر فيه على دليل يفيده اليقين لا شرعي ولا غيره لم
يجب على مثل هذا في ذلك ما لا يقدر عليه وليس عليه ان يترك ما يقدر عليه
من اعتقاد قوي غالب على ظنه لعجزه عن تمام اليقين بل ذلك هو الذي
يقدر عليه لا سيما اذا كان مطابقا للحق ينفع صاحبه ويثاب عليه ويسقط
به الفرض اذا لم يقدر على اكثر منه لكن ينبغي ان يعرف ان عامة من ضل
في هذا الباب او عجز فيه عن معرفة الحق فانما هو لتفريطه في اتباع ما جاء

به الرسول

الرسول وترك النظر في الاستدلال الموصل الى معرفته فلما اعرضوا عن كتاب الله
ضلوا كما قال تعالى يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن
اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله قلنا اهبطوا منها جميعا
فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي ~~فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون~~ فلا
يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري الآية قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ
القرآن وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقرأ هذه الآية
وكما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون
فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم
وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل الحديث الى قوله هدي الى صراط مستقيم
وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما الآية وقال المص كتاب انزل اليك فلا يكن
في صدرك حرج منه الى قوله ولا تتبعوا من دونه اولياء وقال تعالى وهذا
كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه الى قوله بما كانوا يصدفون فذكر سبحانه
انه يجزي الصادف عن آياته مطلقا سواء كان مكذبا او لم يكن سوء العذاب
بما كانوا يصدفون يبين ان كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر سواء
اعتقد كذبه او استكبر عن الايمان او اعرض عنه اتباعا لما يهواه
او ارتاب فيما جاء به فكل مكذب بما جاء به فهو كافر وقد يكون
كافرا من لا يكذبه اذا لم يؤمن به ولهذا اخبر الله في غير موضع من كتابه
بالضلال والعذاب لمن ترك اتباع ما انزله وان كان له نظر وجدل واجتهاد في
عقليات وامور غير ذلك وجعل ذلك من نعوت الكفار والمنافقين قال تعالى
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقال
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم الآية وقال ان الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان الآية وقال في الآية الاخرى ان في صدورهم الا كبر الآية
وقال ام لكم سلطان مبين الآية وقال ان هي الا اسماء سميتموها الآية وقد
طالب سبحانه من اتخذ دينا بقوله ائتوني بكتاب قبل هذا او اثارة من علم
فالكتاب الكتاب والاثارة كما قال السلف هي الرواية والاسناد وقالوا هي [illegible]

الرواية والاسناد يكتب بالخط والاشارة وذلك لان الاشارة من الاخرس كالعلم
الذي تقول من يقبل قولي نوعي بالاسناد ويقيده بالخط فيكون كل ذلك من
اشارة وقال تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك الى قوله قولا بليغا وفي هذه الآيات انواع من العبر
الدالة على ضلال من تحاكم الى غير الكتاب والسنة وعلى نفاقه وان زعم
انه يريد التوفيق بين الادلة الشرعية وبين ما يسميه هو عقليات من الامور المأخوذة
عن بعض الطواغيت من المشركين واهل الكتاب وغير ذلك من انواع الاعتبار
فمن كان خطاؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والايمان مثلا او لتعديه
حدود الله بسلوك السبل التي نهى عنها او لاتباع هواه بغير هدى من الله
فهو الظالم لنفسه وهو من اهل الوعيد بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله
باطنا وظاهرا الذي يطلب الحق باجتهاده كما امره الله ورسوله فهذا مغفور له خطاه
كما قال الله تعالى آمن الرسول بما انزل (اليه) من ربه الى قوله لا يكلف الله نفسا الا
وسعها الآية وقد ثبت في الصحيح مسلم ان الله تعالى قال قد فعلت وكذلك
قد ثبت فيه من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ بحرف من هاتين
الآيتين ومن سورة الفاتحة الا اعطي ذلك فهذا يبين استجابة هذا الدعاء
للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وان الله لا يؤاخذهم ان نسوا او اخطأوا
واما قول القائل هل هذا من باب تكليف ما لا يطاق والحال هذه
فيقال هذه العبارة وان تنازع كثير من الناس فيها نفيا واثباتا فينبغي
ان يعرف ان الخلاف المحقق فيها نوعان احدهما ما اتفق الناس على جوازه
ووقوعه وانما تنازعوا في اطلاق القول عليه بانه لا يطاق والثاني ما اتفقوا
على انه لا يطاق ولكن تنازعوا في جواز الامر به ولم يتنازعوا في عدم وقوعه
فاما ان يكون امر اتفق اهل العلم والايمان على انه لا يطاق وتنازعوا في
وقوع الامر به فليس كذلك فالنوع الاول كتنازع المتكلمين من مثبتة
القدر ونفاته في استطاعة العبد وهي قدرته وطاقته هل يجب ان تكون
مع الفعل او قبله او يجب ان تكون متقدمة عليه لا تطيقه اذا لم تكن عنده
قبله الا مع الفعل ولهذا كان الصواب الذي عليه محققو المتكلمين واهل
الفقه

في الكلام على تكليف ما لا يطاق

بلغ

الفقه والحديث والتصوف وغيرهم ما دل عليه القرآن وهي ان الاستطاعة
التي هي مناط الامر والنهي وهي المصححة للفعل لا يجب ان تقارن الفعل واما
الاستطاعة التي يجب معها وجود الفعل فهي مقارنة له فالاولى كقوله ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقول النبي صلى الله عليه وسلم
لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب
ومعلوم ان الحج والصلاة يجب على المستطيع سواء فعل او لم يفعل فعلم ان هذه
الاستطاعة لا يجب ان تكون مع الفعل والثانية كقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون وقوله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الآية
على قول من يفسر الاستطاعة بهذه واما على تفسير السلف والجمهور فالمراد بعدم
الاستطاعة مشقة ذلك عليهم وصعوبته على نفوسهم فنفوسهم لا تستطيع ارادته
وان كانوا قادرين على فعله لو ارادوه وهذه حال من صده هواه ورأيه الفاسد
عن استماع كتب الله المنزلة واتباعها فقد اخبر انه لا يستطيع ذلك وهذه
الاستطاعة هي المقارنة للفعل الموجبة له واما الاولى فلولا وجودها لم
يثبت التكليف بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها وامثال ذلك فهؤلاء المفرطون والمعتدون
في اصول الدين اذا لم يستطيعوا سمع ما انزل الله الى الرسول فهم من هذا القسم
وكذلك ايضا تنازعهم في المامور به الذي علم الله انه لا يكون او اخبر مع ذلك انه
لا يكون فمن الناس من يقول ان هذا غير مقدور عليه كما ان غالية القدرية
يمنعون ان يتقدم علم الله وخبره وكتابه بانه لا يكون وذلك لاتفاق الفريقين
على ان خلاف المعلوم لا يكون ممكنا ولا مقدورا عليه وقد خالفهم في ذلك
جمهور الناس وقالوا هذا منقوض عليهم بقدرة الله تعالى فانه اخبر بقدرته
على اشياء مع انه لا يفعلها كقوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقوله
وانا على ذهاب به لقادرون وقوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم وقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
ونحو ذلك مما يخبر انه لو شاء لفعله واذا فعله فانما يفعله اذا كان قادرا
عليه فقد دل القرآن بانه قادر عليه يفعله اذا شاء مع انه لا يشاء

وقالوا ايضا ان الله يعلمه على ما هو عليه فعلمه ممكنا مقدورا للعبد
غير واقع ولا كائن لعدم ارادة العبد له او لبغضه اياه ونحو ذلك لا
لعجزه عنه وهذا النزاع يزول بتنويع القدرة كما تقدم فانه غير مقدور
القدرة المقارنة للفعل وان كان مقدورا القدرة المصححة للفعل التي هي مناط الامر
والنهي واما النوع الثاني فكاتفاقهم على ان العاجز عن الفعل لا يطيقه كما لا
يطيق الاعمى والاقطع والزمن نقط المصحف وكتابته والطيران فمثل هذا
النوع قد اتفقوا على انه غير واقع في الشريعة وانما نازع في ذلك طائفة
من الغلاة المائلين الى الجبر من اصحاب الاشعري ومن وافقهم من الفقهاء من
اصحاب مالك والشافعي واحمد وغيرهم وانما تنازعوا في جواز الامر به عقلا
حتى نازع بعضهم في الممتنع لذاته كالجمع بين الضدين والنقيضين هل يجوز
الامر به من جهة العقل مع ان ذلك لم يرد في الشريعة ومن غلا فزعم وقوع
هذا الضرب في الشريعة كمن يزعم ان ابا لهب كلف بان يؤمن بانه لا يؤمن
فهو مبطل في ذلك عند عامة اهل القبلة من جميع الطوائف فانه لم يقل احد
ان ابا لهب سمع هذا الخطاب المتضمن انه لا يؤمن وانه امر مع ذلك بالايمان به
كما ان قوم نوح لما اخبر نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن لم
يكن بعد هذا امرهم بالايمان بهذا الخطاب بل اذا قدر انه اخبر بصليه النار
المستلزمة لموته على الكفر وانه اسمع هذا الخطاب ففي هذا الحال انقطع
تكليفه ولم ينفعه الايمان حينئذ كايمان من يؤمن بعد معاينة العذاب
قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقال آلآن وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين والمقصود هنا التنبيه على ان النزاع في هذا
الاصل يتنوع تارة الى الفعل المامور به وتارة الى جواز الامر ومن هنا
شبه من شبه من المتكلمين على الناس حيث جعل القسمين قسما واحدا
وادعى تكليف ما لا يطاق مطلقا لوقوع بعض الاقسام التي لا يجعلها
عامة المسلمين من باب ما لا يطاق والنزاع فيها لا يتعلق بمسائل
الامر والنهي وانما يتعلق بمسائل القضاء والقدر ثم انه جعل جواز
هذا

قف على الكلام في القدرة في قصة ابي لهب

هذا القسم الذي اتفق المسلمون على انه غير مقدور عليه وقاس احد النوعين
بالآخر وذلك من الاقيسة التي اتفق المسلمون وسائر اهل الملل بل وسائر
العقلاء على بطلانها فانه من قاس الصحيح المأمور بالافعال كقوله ان القدرة مع
الفعل او ان الله علم انه لا يفعل على العاجز الذي لو اراد الفعل لم يقدر عليه فقد
جمع بين ما علم الفرق بينهما بالاضطرار عقلا ودينا وذلك من مثارات الاهواء
بين القدرية واخوانهم الجبرية واذا عرف هذا فاطلاق القول بتكليف ما لا
يطاق من البدع الحادثة في الاسلام كاطلاق القول بان الناس مجبورون
على افعالهم وقد اتفق سلف الامة وائمتها على انكار ذلك وذم من يطلقه
وان قصد به الرد على القدرية الذين لا يقرون بان الله خالق افعال العباد
ولا بانه شاء الكائنات وقالوا هذا رد بدعة ببدعة وقابل الفساد
بالفساد والباطل بالباطل ولولا ان هذا الجواب لا يحتمل البسط لذكرت
من نصوص اقوالهم في ذلك ما يبين ردهم لذلك واما اذا حصل مقصود القائل
وبين بالعبارة التي لا تشتبه فيه الحق بالباطل ما هو الحق وميز بين الحق
والباطل فان هذا من الفرقان وخرج المبين حينئذ مما ذم به هؤلاء
الذين وصفهم الائمة بانهم مختلفون في كتاب الله مخالفون لكتاب الله
متفقون على ترك كتاب الله وانهم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون
جهال الناس بما يلبسون عليهم ولهذا كان يدخل عندهم الجبرية في مسمى
القدرية المذمومين لخوضهم في القدر بالباطل اذ هذا جماع المعنى الذي
ذمت به القدرية ولهذا ترجم الامام ابو بكر الخلال في كتاب السنة فقال
الرد على القدرية وقولهم ان الله اجبر العباد على المعاصي ثم روى عن عمرو بن عثمان
عن بقية بن الوليد قال سألت الزبيدي والاوزاعي عن الجبر فقال الزبيدي
امر الله اعظم وقدرته اعظم من ان يجبر او يعضل ولكن يقضي ويقدر
ويخلق ويجبل عبده على ما احب وقال الاوزاعي ما اعرف للجبر اصلا في القرآن
ولا في السنة فاهاب ان اقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل
فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما وضعت

هذا مخافة ان يرتاب رجل من اهل الجماعة والتصديق فهذان الجوابان
اللذان ذكرهما هذان الامامان في عصر تابعي التابعين من احسن الاجوبة
واما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري فانه قال امر الله اعظم وقدرته
اعظم من ان يجبر او يعضل فنفى الجبر وذلك لان الجبر المعروف في اللغة هو الزام
الانسان بخلاف رضاه كما يقول الفقهاء في باب النكاح هل يجبر المرأة على النكاح
او لا يجبر واذا عضلها الولي ماذا تصنع فيعنون بجبرها انكاحها بدون
رضاها واختيارها ويعنون بعضلها منعها مما ترضاه وتختاره فقال
الله اعظم من ان يجبر او يعضل لان الله سبحانه قادر على ان يجعل العبد
مختارا راضيا لما يفعله ومبغضا وكارها لما يتركه كما هو الواقع فلا
يكون العبد مجبورا على ما يختاره ويرضاه ويريده وهي افعاله الاختيارية
واما الاوزاعي فانه منع من اطلاق هذا اللفظ وان عنى به هذا المعنى حيث
لم يكن له اصل في الكتاب والسنة فيفضي الى اطلاق لفظ مبتدع ظاهر
في ارادة الباطل وذلك لا يسوغ وان قيل انه اريد به معنى صحيح قال الخلال
انبا المروذي قال سمعت بعض المشيخة يقول سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول
انكر سفيان الثوري الجبر وقال الله جبل العباد قال المروذي اظنه اراد
قول النبي صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس يعني قوله الذي في صحيح مسلم
ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله الحديث ولهذا احتج البخاري وغيره
على خلق الافعال بقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الاية فاخبر
انه خلقه على هذه الصفة واحتج غيره بقول الخليل رب اجعلني مقيم
الصلاة ومن ذريتي الاية وجواب الاوزاعي اقوم من جواب الزبيدي
لان الزبيدي نفى الجبر والاوزاعي منع اطلاقه اذ هذا اللفظ يحتمل معنى
صحيحا فنفيه يقتضي نفي الحق والباطل كما ذكره الخلال لما ذكره الامام
احمد في كتاب السنة فقال انبا محمد بن بكار ثنا ابو معشر عن محمد بن كعب القرظي
قال انما سمي الجبار لانه يجبر الخلق على ما اراد فاذا امتنع من اطلاق
اللفظ المجمل المشتبه زال المحذور وكان احسن من نفيه وان كان
ظاهرا في المعنى الفاسد خشية ان يظن انه ينفي المعنيين جميعا
وهكذا

وهكذا يقال في نفي الطاقة على المامور فان اثبات المحظور نظير سلب الطاقة في المامور صح
وهكذا كان يقول الامام احمد وغيره من ائمة السنة قال الخلال انبا الميموني
قال سمعت ابا عبد الله يعني احمد بن حنبل يناظر خالد بن خداش يعني في القدر فذكروا
رجلا فقال ابو عبد الله انما اكره من هذا ان يقول اجبر الله وقال انبا المروذي قال رجاء
قلت لابي عبد الله رجل يقول ان الله اجبر العباد فقال هكذا لا يقول وانكر
هذا وقال يضل من يشاء ويهدي من يشاء انبا المروذي قال كتب الي
عبد الوهاب في امر حسن بن خلف العكبري وقال انه تنزه عن ميراث ابيه ابن بنام
فقال رجل قدري ان الله لم يجبر العباد على المعاصي فرد عليه احمد بن رجاء
فقال ان الله اجبر العباد على ما اراد اراد بذلك اثبات القدر فوضع احمد
بن علي كتابا يحتج فيه فادخلته على ابي عبد الله فاخبرته بالقصة فقال
ويضع كتابا وانكر عليهما جميعا على ابن رجا حين قال جبر الله العباد
وعلى القدري الذي قال لم يجبر وانكر على احمد بن علي وضعه الكتاب واحتجاجه
وامر بهجرانه لوضعه الكتاب وقال لي يجب على ابن رجا ان يستغفر ربه لما قال
جبر العباد فقلت لابي عبد الله فما الجواب في هذه المسئلة قال يضل الله من
يشاء ويهدي من يشاء قال المروذي في هذه المسئلة انه سمع ابا عبد الله
لما انكر على الذي قال لم يجبر وعلى من رد عليه الجبري فقال ابو عبد الله كلما ابتدع
رجل بدعة اتسعوا في جوابها وقال يستغفر ربه الذي رد عليهم بمحدثة وانكر على
من رد بشيء من جنس الكلام اذا لم يكن فيه امام مقدم قال المروذي فما كان
باسرع من ان قدم احمد بن علي من عكبرا ومعه مشيخة وكتاب من اهل عكبرا له صح
فادخلت احمد بن علي على ابي عبد الله فقال يا ابا عبد الله هو ذا الكتاب ادفعه الى
ابي بكر حتى يقطعه وانا اقوم على منبر عكبرا واستغفر الله عز وجل
فقال ابو عبد الله لي ينبغي ان يقبلوا منه فرجعوا له وقد بسطنا الكلام
في هذا الموضع وتكلمنا على الاصل الفاسد الذي ظنته المتفرقون من ان
اثبات الفعل الذي يسمونه جبرا ينافي الامر والنهي حتى جعله القدرية منافيا
للامر والنهي مطلقا وجعل طائفة من الجبرية منافيا لحسن الفعل وقبحه
وجعلوا ذلك مما اعتمدوه في نفي حسن الفعل وقبحه القائم به المعلوم
بالعقل ومن المعلوم انه لا ينافيه بمعنى كون الفعل ملائما للفعل

ونافعا وكونه منافيا للفاعل وضارا له وهو المعلوم ان هذا المعنى الذي سمي جرا لا ينافي ان يكون الفعل نافعا وضارا او مصلحة ومفسدة وجالبا للذة وجالبا للالم فعلم انه لا ينافي حسن الفعل وقبحه كما لا ينافي ذلك سواء كان ذلك الحسن معلوما بالعقل او معلوما بالشرع او كان الشرع مثبتا له او كاشفا عنه واما قول السائل ما الحكمة فانه لم يوجد فيه الشارع نص يعصم من الوقوع في المهالك وقد كان حريصا على هدي امته فيقول هذا السؤال مبني على الاصل الفاسد المتقدم المركب من الاعراض عن الكتاب والسنة وطلب الهدى في مقالات المختلفين المتقابلين بالنفي والاثبات للعبارات المجملات المشتبهات الذين قال فيهم تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وقال تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقال وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الآية فقال تعالى فتقطعوا امرهم بينهم زبرا وامثال ذلك وهذا تقدم البينة على منشأ الضلال في هذا السؤال وامثاله وما في ذلك من العبارات المشتبهات المجملة المبتدعات سواء كان المحدث هو اللفظ ودلالته او كان المحدث هو استعمال ذلك اللفظ في ذلك المعنى كلفظ اصول الدين حيث ادخل فيه كل قوم من الدلائل والمسائل ما ظنوه من اصول الدين دينهم وان لم يكن من اصول الدين الذي ارسل الله به رسوله وانزل به كتبه كما ذكرنا وانه اذا منع اطلاق هذه المجملات المحدثات في النفي والاثبات ووقع الاستفسار والتفصيل تبين سواء السبيل وبذلك يتبين ان الشارع نص على كل ما يعصم من المهالك نصا قاطعا للعذر قال تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية وقال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى ما على الرسول الا البلاغ المبين وقال تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وقال تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان

لكان خيرا لهم

لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما وقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وقال ابو ذر توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وفي صحيح مسلم ان بعض المشركين قال لسلمان الفارسي لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة قال اجل لقد نهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول او ان نستنجي باليمين او نستنجي برجيع دابة او عظم وقال صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وقال ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ولا من شيء يبعدكم عن النار الا وقد اخبرتكم عنه وقال ما بعث الله نبيا قبلي الا كان حقا عليه ان يدل امته على خير ما يعلمه خيرا لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه شرا لهم وهذه الجملة تفصيلها يعلم بالبحث والنظر والتتبع والاستقراء والطلب لعلم هذه المسائل في الكتاب والسنة فمن طلب ذلك وجد في الكتاب والسنة من النصوص القاطعة للعذر في هذه المسائل ما فيه غاية الهدى والشفاء والبيان وذلك يكون بشيئين احدهما معرفة معاني الكتاب والسنة والثاني معرفة الالفاظ التي ينطق بها هؤلاء المختلفون حتى يحسن ان يطبق بين معاني التنزيل ومعاني اهل الخوض في اصول الدين فحينئذ يتبين له ان الكتاب حاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه كما قال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله وقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقال تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الى قوله صدودا ولهذا يوجد كثيرا في كلام السلف والائمة النهي عن اطلاق موارد النزاع بالنفي والاثبات وليس ذلك لخلو النقيضين عن الحق ولا قصور او تقصير في بيان الحق ولكن لان تلك العبارة من الالفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل ففي اثباتها اثبات حق وباطل وفي نفيها نفي حق وباطل فيمنع من كلا الاطلاقين بخلاف النصوص الالهية فانها فرقان

(حدثتكم عنه او خبرتكم)

في هذه

حق

فرق الله بها بين الحق والباطل ولهذا كان سلف الامة وائمتها يجعلون
كلام الله ورسوله هو الامام والفرقان الذي يجب اتباعه فيثبتون ما اثبته الله
ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ويجعلون العبارات المحدثة المجملة المتشابهة
ممنوعا من اطلاقها نفيا واثباتا لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه الا
بعد الاستفسار والتفصيل فاذا تبين المعنى اثبت حقه ونفي باطله
بخلاف كلام الله ورسوله فانه حق يجب قبوله وان لم يفهم معناه وكلام
غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه . واما المختلفون في الكتاب
المخالفون له المتفقون على مفارقته فيجعل كل طائفة ما اصلته
من اصول دينها الذي ابتدعته هو الامام الذي يجب اتباعه ويجعلون ما
خالف ذلك من نصوص الكتاب والسنة من المجملات المتشابهات التي
لا يجوز اتباعها بل يتعين حملها على ما وافق اصلهم الذي ابتدعوه
او الاعراض عنها وترك التدبر لها وهذان الصنفان يشبهان من ذكره الله
في قوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون الى قوله وويل لهم مما يكسبون فان الله
ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة
على ما اصله من البدع الباطلة وذم الذين لا يعلمون الكتاب الا اماني
وهو متناول لمن ترك تدبر القران ولم يعلم الا مجرد تلاوة حروفه وهو
متناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله لينال به دنيا وقال السلف
والائمة وهذا هو اصول الدين الذي يجب اعتقاده على الاعيان او الكفاية ومتناول
لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله
وهذه الامور كثيرة جدا في اهل الاهواء تفصيلا مثل كثير من المنتسبين
الى الفقهاء والصوفية مع الاستعا[illegible] في حال اهل الاهواء والله اعلم

الاستعاذة صح

جملة كالرافضة والجهمية ونحوهم
من اهل الاهواء والكلام وفي اهل الاهواء تفصيل
صح

مسئلة في قوله صلى الله عليه وسلم لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه
فما معنى لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه الجواب

الحمد لله

هذا الكلام ماثور عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي وهو من احسن الكلام
والبلغه واتمه فان الرجا يكون للخير والخوف يكون من الشر والعبد انما يصيبه
الشر بذنوبه قال الله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون
وقال اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك الاية فان
كثيرا من الناس يظن ان المراد بالحسنات والسيئات من هذه الاية الطاعات
والمعاصي ثم المثبتة للقدر يحتجون بقوله كل من عند الله ويعارضهم قوله
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ونفاة القدر
يحتجون بهذه الثانية مع غلطهم في ذلك في مذهبهم ان العبد يخلق جميع
افعاله ويعارضهم بقوله كل من عند الله وانما غلط كلا الفريقين لما تقدم
من ظنهم ان الحسنات والسيئات هي الطاعات والمعاصي وانما الحسنات والسيئات
في هذه الاية النعم والمصائب كما في قوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله
فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
ونحو ذلك وهذا كثير وهذه الاية ذم الله بها المنافقين الذين ينكلون
عما امر الله به من الجهاد وغيره فاذا نالهم رزق ونصر وعافية قالوا هذه من عند الله
واذا نالهم فقر وذل ومرض قالوا هذه من عندك يا محمد بسبب الذي امرتنا به
كما قال قوم فرعون لموسى وذكر الله عنهم بقوله وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه وكما قال الكفار للرسل انا تطيرنا بكم والكفار والمنافقون اذا اصابتهم
المصائب بذنوبهم تطيروا بالمؤمنين فبين الله سبحانه ان الحسنة من الله
ينعم بها عليهم وان السيئة انما تصيبهم بذنوبهم ولهذا قال وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاخبر انه لا يعذب مستغفرا
لان الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب فيندفع العذاب كما في
سنن ابي داود وابن ماجة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اكثر الاستغفار

جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال
وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا ومن عمل بعد ذلك خيرا
زاده الله من فضله وفي الحديث يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني
بلا اله الا الله والاستغفار فلما رايت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم يذنبون
ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولهذا قال تعالى فاخذناهم بالباساء
والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا اي هلا اذ جاءهم
باسنا تضرعوا فحضهم عند مجيء الباس على التضرع وقال تعالى ولقد اخذناهم
بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون قال عمر بن عبد العزيز ما نزل بلاء الا بذنب
ولا رفع بلاء الا بتوبة ولهذا قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم الى قوله فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فنهى المؤمنين عن
خوف اولياء الشيطان وامرهم بخوفه وخوفه يوجب فعل ما امر به وترك ما نهى عنه
والاستغفار من الذنوب وحينئذ يندفع عنهم البلاء وينتصرون على الاعداء فلهذا قال
علي عليه السلام لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه فانه ان سلط
عليه مخلوق فما سلط عليه الا بذنوبه فليخف الله وليتب من ذنوبه التي نالته
بها ما ناله كما في الاثر يقول الله انا الله مالك الملوك ونواصيهم بيدي فمن اطاعني
جعلتهم عليهم رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشتغلوا بسب الملوك
واطيعوني اعطف قلوبهم عليكم واما قوله لا يرجون عبد الا ربه فان الراجي
يطلب حصول الخير ودفع الشر ولا ياتي بالحسنات الا الله ولا يذهب السيئات
الا الله قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله وقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك
فلا مرسل له من بعده والرجاء مقرونا بالتوكل فان المتوكل يطلب ما رجاه
من حصول المنفعة ودفع المضرة والتوكل لا يجوز الا على الله كما قال وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم
فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال
ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله الاية وقال
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل اي كافينا في دفع البلاء واولئك
امروا ان

امروا ان يقولوا حسبنا الله في جلب النعماء فهو سبحانه كافي عبده في ازالة الشرور
وانالة الخير اليس الله بكاف عبده ومن يتوكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم كقوله تعالى
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الاية وقال تعالى
واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون
عليهم ضدا وقال ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به
الريح في مكان سحيق وقال لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا
وقال الخليل فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فمن عمل لغير الله ورجا ان ينتفع
بالعمل كانت صفقته خاسرة قال تعالى والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الاية وقال والذين كفروا اعمالهم كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف الاية وقال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وقال كل شيء هالك الا وجهه قيل في تفسيرها كل عمل باطل الا
ما اريد به وجه الله فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه والراجي يكون تارة راجيا
بعمل يعمله وتارة باعتماد قلبه عليه والتجائه اليه وسؤاله فذلك نوع من العبادة له
وهذا النوع من الاستعانة وقد قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقال فاعبده وتوكل
عليه وقال قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ومما يوضح ذلك ان كل
خير ونعمة تنال العبد فانما هي من الله تعالى وكل شر ومصيبة تندفع عنه او تنكشف عنه
فانما منعها الله سبحانه وتكشفها وان اجرى ما جرى من اسبابه على يد خلقه فالله هو
خالق الاسباب كلها سواء كانت الاسباب حركة حي باختياره وقصده كما يحدث
بافعال حي كالملائكة والجن والانس والبهائم او حركة جماد مما جعل الله فيه من الطبع
او بقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك فالله خالق ذلك كله فانه لا حول
ولا قوة الا بالله ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فالرجاء يجب ان يكون للرب هذا كله
والتوكل عليه والدعاء له فانه ان شاء ذلك ويسره كان وان لم ييسره ولو لم يشاء
الناس وان لم يشاؤه لم ييسره لم يكن ولو شاءه الناس وهذا واجب لو كان شيء
من الاسباب مستقلا بالمطلوب فانه لو قدر مستقلا بالمطلوب وانما يكون بمشيئة
الله وتيسيره فكان الواجب ان لا يرجى الا الله ولا يتوكل الا عليه ولا يسأل الا هو
ولا يستعان الا به ولا يستغاث الا هو فله الحمد واليه المشتكى وهو المستعان
وبه المستغاث ولا حول ولا قوة الا بالله فكيف وليس شيء من الاسباب مستقلا

اليه

بمطلوب بل لابد من انضمام اسباب اخر اليه ولابد ايضا من صرف الموانع والمعارضات عنه حتى يحصل المقصود فكل سبب فله شريك وله ضد فان لم يعاونه شريكه ولم ينصرف عنه ضده لم يحصل سببه فالمطر وحده لا ينبت النبات الا بما ينضم اليه من الهوى والتراب وغير ذلك ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الافات المفسدة له والطعام والشراب لا يغذي الا بما جعل في البدن من الاعضا والقوى ومجموع ذلك لا يفيد ان لم يصرف المفسدات والمخلوق الذي يعطيك او يعطيك مع ان الله يخلق فيه الارادة والقوة والفعل فلا يتم ما يفعله الا باسباب كثيرة خارجة عن قدرته تعالى على مطلوبه ولو كان ملكا مطاعا ومن عرف هذا حق المعرفة انفتح له باب توحيد الله وعلم انه لا يستحق ان يدعى غيره ولا فرق بين الاسباب العلوية والسفلية من افعال الملائكة والانبياء والمؤمنين وشفاعتهم وغير ذلك من الاسباب فان من توكل على الشفاعة او المدعو من ملك او نبي او رجل صالح ونحو ذلك قيل له هذا ايضا سبب من الاسباب فهذا الشافع والمدعو لا يفعل ذلك الا بمشيئة الله تعالى وقدرته فليس احد يشفع عنده الا باذنه الاذن القدري الكوني فان شفاعته من جنس افعال العباد ولا تكون الا بمشيئته وقدرته فليس كالمخلوق الذي يشفع اليه الشافع بغير حول المشفوع اليه بل هو خالق شفاعة الشافع كسائر الحركات ولا حول ولا قوة الا به والحول يتضمن التحول من حال الى حال بحركة او ارادة او غير ذلك فالشافع لا حول له في الشفاعة ولا غيرها الا به ثم اهل الطاعة الذين يقبل شفاعتهم لا يشفعون الا لمن ارتضى فلا يطلبون منه ما لا يحب ان يطلب منه بل الملائكة لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وعلينا ان نكون معه ومع رسله هكذا فلا تقول في الدين حتى يقول لا نتقدم بين يدي الله ورسوله ولا نفعل الا بامره. واعلم ان هذا انما نفعل الا ما امر فلا تكون اعمالنا الا واجبة او مستحبة واذا كان هكذا في مثل هذه الاسباب فكيف من توكل او رجا اسباب غير هذه من الكواكب او غيرها او من افعال الادميين من الملوك والرؤساء والاصحاب والاصدقاء والمماليك والاتباع وغير ذلك ومما ينبغي ما قال طائفة من العلماء قالوا الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع وانما التوكل والرجاء معنى يتالف من موجب التوحيد والعقل والشرع وبيان ذلك ان الالتفات

الى السبب

الى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاءه والاستناد اليه وليس في المخلوقات ما يستحق هذا لانه ليس بمستقل ولابد له من شركاء واضداد ومع هذا كله فان لم يسخره مسبب الاسباب لم يتسخر وهذا مما يبين ان الله رب كل شيء ومليكه وان السموات والارض وما بينهما والافلاك وما حوته لها خالق مدبر غيرها وذلك ان كلما يقدر من فلك او كوكب او ملك او غير ذلك تجد ليس بمستقل باحداث شيء من الحوادث بل لابد له من مشارك معاون له وهو مع ذلك له معارضات ومنافيات من الاسباب الى ان يصل الى الرب الذي يدعى ويسئل ويتوكل عليه لابد ان يكون قيوما يقيم العبد في جميع اموره واحواله كما قال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال الله لا اله الا هو الحي القيوم فهذا من انواع النظر والاعتبار يوجب ان العبد لا يرجو الا الله ولا يتوكل الا عليه واما كونه لا يخاف الا ذنبه فلما علم انه لا يصيبه مصيبة الا بذنوبه وهذا يعلم بالايات القرآنية والانفس وبما اخبر به في كتابه كما هو مبسوط في غير هذا الموضع وهذا تحقيق ما ثبت في الصحيح الالهي حديث ابي ذر رضي يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فبين انما يجد العبد من الخير فليحمد الله عليه فان الله هو الذي انعم به عليه وان كل ما وجده من الشر فلا يلومن الا نفسه وفي الصحيح الصحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فقوله ابوء لك بنعمتك علي اعتراف واقرار بالنعمة وقوله وابوء بذنبي اقرار بالذنب ولهذا قال من قال من السلف اني اصبح بين نعمة وذنب فاريد ان احدث للنعمة شكرا وللذنب استغفارا لكن الشكر يكون بعد النعمة والتوكل والرجاء يكون قبل النعمة كما قال الخليل فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا فجمع بين حمده والاستعانة به والاستغفار له فقد تبين

ان الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد وهو ظلم وجهل وهذه حال من دعا
غير الله وتوكل على غير الله **واما قولهم محو الاسباب** ان تكون اسبابا نقص
في العقل فهو كذلك وهو في الشرع ايضا فان كثيرا من اهل الكلام انكروا الاسباب
بالكلية وجعلوا وجودها كعدمها والله تعالى يقول والله انزل من السما ماء
فاحيا به الارض وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وقال يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا وامثال ذلك فمن قال نفعل عندها لا بها فقد خالف القران
مع ان الحس والعقل يشهدان انها اسباب ونعلم الفرق بين الجبهة والعين في
اختصاص احدهما بقوة ليست في الاخرى وبين الخبز والحصى فان احدهما يحصل
به الغذاء دون الاخرى **واما قولهم الاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع**
بل هو ايضا قدح في العقل فان افعال العباد من اقوى الاسباب كما نيط به
فمن جعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض او جعل المتقين
كالفجار فهو من اعظم الناس واشدهم كفرا بل ما امر الله به من العبادات والدعوات
والعلوم والاعمال هي من اعظم الاسباب فيما نيط بها من السعادة لما علق به من الشقاوة
ومع هذا فقد قال خير الخلق انه لن يدخل الجنة احد منكم بعمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل ولما قال لهم ما منكم
من احد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله افلا نتكل
على الكتاب وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة
فسييسر لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فكذلك وكذلك الدعا
والتوكل من اعظم الاسباب لما جعل الله اسبابا له فمن قال ان كان قدر لي فهو يحصل لي
دعوت اولم ادع او توكلت اولم اتوكل فهو بمنزلة من يقول ان قسم لي من سعادة
والشقاوة فهو يحصل لي امنت اولم او من او اطعت او عصيت ومعلوم ان
هذا ضلال وكفر وان كان اله واليس مثل هذا من الضلال اذ ليس تعليق
الفاصل بالدعا والتوكل كتعليق سعادة الاخرة بالاعمال لكن لا ريب
ان ما جعل الله الدعا اسبابا له فهو بمنزلة ما جعل العمل الصالح سببا له
وهو قادر على ان يفعله سبحانه بدون هذا السبب وقد يفعله بسبب اخر
وكذلك في ترك الاسباب المشروعة المامور بها في جلب المنافع ودفع المضار
كان

بيان ... [illegible] هي الصفات ... [illegible]

كان قادحا في الشرع والسبب من اعلم **مسئلة هل الميت يسمع كلام
زائره ويرى شخصه وهل تعاد روحه الى جسده في ذلك الوقت ام تكون مرفرفة
على قبره في ذلك الوقت وغيره وهل يصل اليه القران والصدقة من مخلفيه وغيرهم
سوا كان من المال الموروث عنه وغيره وهل تجتمع روحه مع ارواح اهله واقاربه
الذين ماتوا قبله سوا كان مدفونا قريبا منهم او بعيدا وهل تنقل روحه
الى جسده في ذلك الوقت او يكون بدنه اذا مات في بلاد بعيدة ودفن بها منقولا
الى الارض التي ولد بها وهل يتاذى ببكاء اهله عليه والمسئول من اهل العلم
رضي الله عنهم الجواب عن هذه الفصول فصلا فصلا جوابا واضحا مستوعبا
لما ورد فيه من الكتاب والسنة وما نقل عن الصحابة رض وشرح مذاهب الائمة
والعلما اصحاب المذاهب مع اختلافهم وبالراجح من الاقوال ما جورين ان شا الله تعالى**

يصل

الجواب

الحمد لله رب العالمين نعم يسمع الميت في الجملة كما ثبت في الصحيحين
عن انس رض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ترك قتلى بدر ثلاثا ثم اتاهم فقام
عليهم فناداهم فقال يا ابا جهل بن هشام يا امية بن خلف يا عتبة بن ربيعة
يا شيبة بن ربيعة اليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت ما
وعدني ربي حقا فسمع عمر بن الخطاب رض قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا قال والذي نفسي
بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا ثم امر بهم
فسحبوا فالقوا في قليب بدر وكذلك في الصحيحين عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا وقال انهم يسمعون
الان ما اقول وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه انه كان يامر بالسلام
على اهل القبور ويقول قولوا السلام عليكم اهل الديار من المومنين والمسلمين
وانا ان شا الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستاخرين
نسال الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم
فهذا خطاب لهم وانما يخاطب من يسمع وروى ابن عبد البر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله
عليه روحه حتى يرد السلام وفي السنن عنه انه قال اكثروا علي من الصلاة

بلغ

يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي فقالوا يا رسول الله وكيف
تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يعني صرت رميما فقال ان الله تعالى حرم على
الارض لحوم الانبياء وفي السنن انه قال ان الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني
عن امتي السلام فهذه النصوص وامثالها تبين ان الميت يسمع في الجملة
ولا يجب ان يكون السمع له دائما بل قد يسمع في حال دون حال كما يعرض
للحي فانه قد يسمع احيانا خطاب من يخاطبه وقد لا يسمع لعارض يعرض له
وهذا السمع سمع ادراك ليس يترتب عليه جزاء ولا هو السمع المنفي بقوله
انك لا تسمع الموتى فان المراد بذلك سمع القبول والامتثال فان الله جعل
الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه كالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفقه
المعنى فالميت وان سمع الكلام وفقه المعنى لكنه لا يمكنه اجابة الداعي ولا
امتثال ما امر به ونهي عنه فلا ينتفع بالامر والنهي وهكذا الكافر لا
ينتفع بالامر والنهي وان سمع الخطاب وفهم المعنى كما قال تعالى ولو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم واما رؤية الميت فقد روي في ذلك آثار عن عائشة
رضي الله عنها وغيرها

فصل

واما قول القائل هل تعاد روحه
الى بدنه ذلك الوقت ام تكون ترفرف على قبره ذلك الوقت وغيره فان روحه
تعاد الى البدن ذلك الوقت كما جاء في الحديث وتعاد ايضا في غير ذلك الوقت
وارواح المؤمنين في الجنة كما في الحديث الذي رواه مسلم ومالك والشافعي وغيرهم
ان نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم
يبعثه وفي لفظ ثم تاوي الى قناديل معلقة الحديث فتتصل بالبدن متى شاء الله
وذلك في مثل اللحظة مثل نزول الملك وظهور الشعاع في الارض وانتباه النائم
وهذا جاء في عدة آثار ان الارواح تكون على افنية القبور وقال مجاهد ان الارواح
تكون على افنية القبور سبعة ايام من يوم الدفن لا تفارقه فهذا يكون
احيانا وقال مالك بن انس بلغني ان الارواح مرسلة تذهب حيث شاءت

فصل

واما وصول القراءة والصدقة ونحوهما فلا نزاع بين علماء السنة
والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية كالصدقة والعتق كما يصل اليه ايضا
الدعاء والاستغفار والصلاة عليه صلاة الجنازة والدعاء عند قبره وتنازعوا
في وصول الاعمال البدنية كالصوم والصلاة والقراءة والصواب ان الجميع يصل اليه
فقد

فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وعليه صيام صام
عنه وليه وثبت ايضا في الصحيح انه امر امرأة ماتت امها وعليها صوم
ان تصوم عن امها وفي المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص
لو ان اباك اسلم فتصدقت او اعتقت او صمت عنه نفعه ذلك وهذا مذهب
احمد وابي حنيفة وطائفة من اصحاب مالك والشافعي واما احتجاج بعضهم بقوله وان
ليس للانسان الا ما سعى فيقال له قد ثبت بالسنة المتواترة واجماع الامة
انه يصلى عليه ويدعى له ويستغفر له وهذا من سعي غيره وكذلك قد ثبت ما سلموا انه
ينتفع بالصدقة عنه والعتق وهو من سعي غيره وما كان جوابهم في موارد الاجماع
في جواب النافين عن مواقع النزاع وللناس في ذلك اجوبة متعددة لكن
التحقيق في ذلك ان الله سبحانه ولعله لم يقل ان الانسان لا ينتفع الا بسعي نفسه
وانما قال ليس للانسان الا ما سعى فهو لا يملك الا سعيه ولا يستحق غير ذلك واما سعي
غيره فهو له كما ان الانسان لا يملك الا مال نفسه ونفع نفسه ومال غيره ونفع
غيره هو كذلك للغير لكن اذا تبرع له الغير بذلك جاز وهكذا هذا اذا تبرع له
الغير بسعيه نفعه الله بذلك كما ينفعه بدعائه له والصدقة عنه وهو
ينتفع بكل ما يصل اليه من كل مسلم سواء كان من اقاربه او غيرهم كما ينتفع
بصلاة المصلين عليه ودعائهم له عند قبره

فصل

واما قوله هل تجتمع روحه
مع ارواح [illegible] واقاربه (في الهامش: اهله) ففي الحديث عن ابي ايوب رضي الله عنه وغيره من السلف ورواه ابو حاتم
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت اذا عرج بروحه تلقته الارواح يسألونه
عن الاحياء فيقول بعضهم لبعض دعوه حتى يستريح فيقولون ما فعل فلان
فيقول هي كذا فيقولون ما فعل فلان فيقول الم يقدم عليكم فيقولون
ذهب به الى امه الهاوية ولما كانت اعمال الاحياء تعرض على الموتى كان ابو الدرداء
الانصاري رضي الله عنه يقول اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله
بن رواحة فهذا اجتماعهم عند قدومه يسألونه ويجيبهم واما استقرارهم
فبحسب منازلهم عند الله فمن كان من المقربين كانت منزلته اعلى من منزلة
من كان من اصحاب اليمين لكن الاعلى ينزل الى الاسفل والاسفل لا يصعد

الى العلى فيجتمعون اذا شاء الله مع تفاوت منازلهم كما يجتمعون في الدنيا
ويتزاورون وسواء كانت المدائن متقاربة في الدنيا او متباعدة قد تجتمع
الارواح مع تباعد المدائن وتتفرق مع تقارب المدائن يدفن المؤمن
عند الكافر وروح هذا في الجنة وروح هذا في النار والرجلان يكونان جالسين
او نائمين في موضع واحد وقلب هذا ينعم وقلب هذا يعذب وليس حاشية
بين الروحين اتصال فالارواح كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والبدن لا ينقل
الى موضع الولادة بل قد جاء ان الميت يذر عليه من تراب حفرته ومثل هذا
لا يجزم به ولا يحتج به بل اجود منه حديث اخر انه ما من ميت يموت في غير
بلده الا قيس له من مسقط راسه الى منقطع اثره في الجنة والانسان يبعث من منقطع
حيث مات وبدنه في قبره مشاهد فلا تدفع المشاهدة بظنون لا حقيقة
لها بل هي مخالفة في العقل والنقل **فصل** واما قول السائل هل يتاذى بالبكاء
عليه فهذه المسالة فيها نزاع بين السلف والخلف والعلماء والصواب انه
يتاذى بالبكاء عليه كما نطقت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه وفي الحديث الصحيح ان عبد الله بن رواحة
لما اغمي عليه جعلت اخته تندب وتقول واعضداه واناصراه فلما افاق قال
ما قلت لي شيئا الا قيل الك كذلك انت وقد انكر ذلك طوائف كثيرة من السلف والخلف
واعتقدوا ان هذا من باب تعذيب الانسان بذنب غيره فهو مخالف لقوله
تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم تنوعت طرقهم في تلك الاحاديث الصحيحة فمنهم تلك
من غلط الرواة لها كعمر بن الخطاب وغيره وهذه طريقة عائشة رضي الله عنها والشافعي
وغيرهما ومنهم من حمل ذلك على ما اذا اوصى به فيعذب على الوصية وهو قول طائفة
كالمزني وغيره ومنهم من حمل ذلك على ما اذا كان عادتهم فيعذب على ترك النهي عن
المنكر وهو اختيار طائفة منهم جدي ابو البركات رحمه الله وكل هذه الاقوال
ضعيفة جدا والاحاديث الصحيحة الصريحة التي يرويها مثل عمر بن الخطاب
وابنه عبد الله وابي موسى الاشعري وغيرهم لا ترد بمثل هذا وعائشة ام المؤمنين
رضي الله عنها

رضي الله عنها لها مثل هذا نظائر ترد الحديث الصحيح بنوع من التاويل والاجتهاد
واعتقاد بطلان معناه ولا يكون الامر كذلك ومن تدبر هذا الباب وجد هذا
الحديث الصحيح الصريح الذي يرويه الثقة لا يرده احد بمثل هذا الا كان مخطئا
وعائشة رضي الله عنها روت عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظين وهي الصادقة فيما تنقله
فروت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله ان الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه
وهذا موافق لحديث عمر فانه اذا جاز ان يزيده عذابا ببكاء اهله جاز ان يعذب
غيره ابتداء ببكاء اهله ولهذا رد الشافعي في مختلف الحديث هذا الحديث نظرا الى
المعنى وقال الاشبه روايتها الاخرى انهم يبكون عليه وانه ليعذب في قبره والذين
اقروا هذا الحديث على مقتضاه ظن بعضهم ان هذا من باب عقوبة الانسان
بذنب غيره وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واعتقد هؤلاء ان الله يعاقب
الانسان بذنب غيره فجوزوا ان يدخل اولاد الكفار النار بذنوب آبائهم وهذا
وان كان قد قاله طوائف منتسبة الى السنة فالذي دل عليه الكتاب والسنة ان الله
لا يدخل النار الا من عصاه كما قال تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
فلا بد ان يملا جهنم من اتباع ابليس واذا امتلات منهم لم يبق لغيرهم فيها موضع
فمن لم يتبع ابليس لم يدخل النار واطفال الكفار اصح الاقوال فيهم الله اعلم بما كانوا
عاملين كما اجاب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وطائفة من اهل السنة وغيرهم
قالوا انهم كلهم في النار وذكر انه من نصوص احمد وهو غلط على احمد وطائفة جزموا انهم
كلهم في الجنة واختار ذلك ابو الفرج ابن الجوزي وغيرهم واحتجوا بحديث رؤيا النبي
صلى الله عليه وسلم لما راى ابراهيم الخليل وعنده اطفال المؤمنين قيل يا رسول الله
واطفال المشركين قال واطفال المشركين والصواب ان يقال الله اعلم بما كانوا عاملين
ولا نحكم لمعين منهم بجنة ولا نار وقد جاء في عدة احاديث انهم يوم القيامة في
عرصات القيامة يؤمرون وينهون فمن اطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار
وهذا هو الذي ذكره ابو الحسن الاشعري عن اهل السنة والجماعة والتكليف
انما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار واما عرصات القيامة فيمتحنون
فيها كما يمتحنون في البرزخ فيقال لاحدهم من ربك وما دينك ومن نبيك

قول في اطفال الكفار

وقال تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون الآية
وقد ثبت في الصحيح من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث تجلي الله لعباده
في الموقف اذ قيل ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون فيتبع المشركون آلهتهم ويبقى
المؤمنون فيتجلى لهم الرب في غير صورته التي يعرفون فينكرونه ثم يتجلى لهم
في صورته التي يعرفون فيسجد له المؤمنون وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر
يريدون السجود فلا يستطيعون وذكر قوله يوم يكشف عن ساق ويدعون
الى السجود فلا يستطيعون الآية والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا
الموضع والمقصود هنا ان الله تعالى لا يعاقب احدا في الآخرة الا بذنبه وانه لا تزر
وازرة وزر اخرى وقول ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه ليس فيه ان النائحة
لا تعاقب بل النائحة تعاقب على النياحة كما في الحديث الصحيح ان النائحة اذا لم تتب
قبل موتها فانها تلبس يوم القيامة درعا من جرب وسربالا من قطران فلا يحمل عنها
من نوح وزره احد واما تعذيب الميت فلم يقل ان الميت يعاقب ببكاء اهله عليه
بل قال يعذب والعذاب اعم من العقاب فان العذاب هو الألم وليس كل من تألم
بسبب كان ذلك عقابا له على ذلك الأمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم السفر قطعة
من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه فسمى السفر عذابا وليس هو عقابا على
على ذنب والانسان يعذب بالأمور المكروهة التي يعذب بها مثل الاصوات
الهائلة والارواح الخبيثة والصور القبيحة فهو يتعذب بسماع هذا وشم هذا
ولم يكن ذلك عملا له عوقب به فكيف ينكر ان يتعذب الميت بالنياحة وان لم تكن
النياحة عملا له يعاقب عليه والانسان في قبره يعذب بكلام بعض الناس
ويتألم برؤية بعضهم وسماع كلامه ولهذا افتى القاضي ابو يعلى
بان الموتى اذا عمل عندهم بالمعاصي فانهم يتألمون بها كما جاءت بذلك الآثار
فتعذيبهم بعمل المعاصي عند قبورهم كتعذيبهم بنياحة من ينوح عليهم ثم
النياحة سبب العذاب وقد يندفع حكم السبب بما يعارضه فكيف يكون من الحي
فيكون من الميت من قوة الكراهة ما يدفع عنه ذلك كما قد يكون
في بعض الناس من القوة ما يدفع به ضرر الاصوات الهائلة والارواح الخبيثة
والصور القبيحة

والصور القبيحة واحاديث الوعيد يذكر فيها السبب وقد يتخلف موجبه لموانع
تمنع ذلك عنه اما بتوبة مقبولة واما بحسنات ماحية واما بمصائب مكفرة
واما بشفاعة شفيع مطاع واما بفضل الله ورحمته ومغفرته فانه لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وما ينال المؤمن في الدنيا والبرزخ
والقيامة من الأمور التي هي عذاب فان ذلك مما يكفر الله به خطاياه كما ثبت
في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب
ولا هم ولا حزن ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي المسند
لما نزلت هذه الآية من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق يا رسول الله جاءت قاصمة
الظهر وأينا لم يعمل سوءا فقال يا ابا بكر ألست تنصب ألست تحزن ألست يصيبك
الأذى فان الجنة طيبة لا يدخلها الا طيب كما قال تعالى طبتم فادخلوها
خالدين وفي الحديث الصحيح انهم اذا عبروا على الصراط وقفوا على قنطرة بين
الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول
فاذا هذبوا
الجنة والكلام في غير هذا الموضع مبسوط في غير هذا الجواب والله اعلم بالصواب
وما ذكرناه من ان الموتى يسمعون الخطاب ويصل اليهم الثواب ويعذبون
بالنياحة بل وما لم يسأل عنه السائل من عقابهم في قبورهم وغير ذلك فقد
يكشف لكثير من ابناء زماننا يقظة ومناما ويعلمون ذلك ويتحققونه
أبناء زمننا
وعندنا من ذلك امور كثيرة لكن الجواب في المسائل العلمية يعتمد فيه
على ما جاء به الكتاب والسنة فانه على الخلق التصديق به وما كشف للانسان
من ذلك او اخبره به من هو صادق عنده فهذا ينتفع به من علمه ويكون ذلك مما
يزيده ايمانا وتصديقا بما جاءت به النصوص ولكن لا يجب على جميع الخلق
الايمان بغير ما جاءت به الانبياء فان الله اوجب التصديق بما جاءت به
النصوص ولكن لا يجب على جميع الخلق الا ما جاء عن الله كما في قوله تعالى
قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الآية وقال تعالى
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين الآية وقد ثبت
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الأمم قبلكم محدثون فان

يكن في امتي احد فعمر فالمحدث الملهم المكاشف من هذه الامة يجب عليه ان يزن
ذلك بالكتاب والسنة فان وافق ذلك صدق ما ورد عليه وان خالف ذلك لم
يلتفت اليه كما كان يجب على عمر بن الخطاب رضي وهو سيد المحدثين اذا القي في
قلبه شيء فكان مخالفا للسنة لم يقبل منه فانه ليس هو معصوما وانما
العصمة للنبوة ولهذا كان الصديق رضي لا يتلقى عن قلبه بل عن مشكاة النبوة
وهي معصومة والمحدث يتلقى تارة عن قلبه وتارة عن النبوة فما تلقاه عن
النبوة فهو معصوم يجب اتباعه وما الهم في قلبه فان وافق ما جاءت به
النبوة فهو حق وان خالف ذلك فهو باطل فلهذا لا يعتمد اهل العلم والايمان
في مثل مسائل العلم والدين الا على نصوص الكتاب والسنة واجماع الامة وان كان
عندهم في بعض ذلك شواهد وبينات مما شاهدوه ووجدوه مما عقلوه وعلموه
فتلك مما ينتفعون هم به في انفسهم واما حجة الله على عباده فهم رسله والا فهذه
المسائل فيها من الدلائل والاعتبارات العقلية والشواهد الحسية ما ينتفع به
من وجد ذلك وقياس بني ادم وكشفهم تابع لما جاءت به الرسل عن الله فالحق في
ذلك الموافق لما جاءت به الرسل عن الله لا لما خالفه ومع كونه حقا فلا يفصل الخلاف
بين الناس ولا يجب على من لم يحصل له ذلك التصديق به كما يجب التصديق بما عرف انه
معصوم وهو كلام الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لكن من حصل له مثل
هذه الامور ببصيرة او قياس او برهان كان ذلك نورا على نور قال بعض السلف بصيرة
المؤمن تنطق بالحكمة وان لم يسمع فيها الاثر فاذا جاء الاثر كان نورا على
نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال الله تعالى كان الناس امة واحدة
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين
الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

مسئلة ماقول العلماء رضي الله عنهم ما الذي يجب
على المكلف اعتقاده وما الذي يجب عليه علمه وما هو العلم المرغب فيه وما
هو اليقين وكيف يعلم وما العلم بالله

الجواب

الحمد لله اما قول

الحمد لله اما قول ما الذي يجب على المكلف اعتقاده فهذا فيه اجمال وتفصيل
اما الاجمال فانه يجب على المكلف ان يؤمن بالله ورسوله فيقر بجميع ما جاء به الرسول
من امر الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الاخر وما امر به الرسول بحيث
يقر بجميع ما اخبر به وما امر به فلا بد من تصديقه فيما اخبر والانقياد له فيما امر
واما التفصيل فعلى كل مكلف ان يقر بما ثبت عنده ان الرسول اخبر به وامر به واما
ما اخبر به الرسول ولم يبلغه انه اخبر به ولم يمكنه العلم بذلك فهو لا يعاقب على
ترك الاقرار به مفصلا وهو داخل في اقراره بالمجمل العام ثم ان قال خلاف ذلك
متأولا كان مخطئا يغفر له خطؤه اذا لم يحصل منه تفريط ولا عدوان ولهذا يجب على
العلماء من الاعتقاد ما لا يجب على احاد العامة ويجب على من نشأ بدار علم وايمان
من ذلك ما لا يجب على من نشأ بدار جهل واما ما علم ثبوته بمجرد القياس العقلي دون
الرسالة فهذا لا يعاقب من لم يعتقده واما قول طائفة من اهل الكلام ان الصفات
الثابتة بالعقل هي التي يجب الاقرار بها ويكفر تاركها بخلاف ما ثبت بالسنة
فانهم تارة ينفونه وتارة يتأولونه او يفوضون معناه وتارة يثبتونه
لكن يجعلون الايمان والكفر متعلقا بالصفات العقلية فهذا لا اصل له عند
سلف الامة وائمتها اذ الايمان والكفر هما من الاحكام التي تثبت بالرسالة
وبالادلة الشرعية يميز بين المؤمن والكافر لا بمجرد الادلة العقلية واما قول
ما الذي يجب عليه علمه فهذا ايضا يتنوع فانه يجب على كل مكلف ان يعلم ما امر الله به
فيعلم ما امر بالايمان به وما امر بعلمه بحيث لو كان له ما تجب فيه الزكاة لوجب عليه
علم الزكاة ولو كان له ما يحج به لوجب عليه تعلم علم الحج وكذلك امثال ذلك ويجب
على عموم الامة علم جميع ما جاء به الرسول بحيث لا يضيع من العلم الذي بلغه النبي
صلى الله عليه وسلم امته شيء وهو ما دل عليه الكتاب والسنة لكن القدر الزائد
على ما يحتاج اليه المعين فرض على الكفاية اذا قام به طائفة سقط عن الباقين
واما العلم المرغب فيه جملة فهو العلم الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم امته
لكن يرغب كل شخص في العلم الذي هو اليه احوج وهو له انفع وهذا
يتنوع فرغبة عموم الناس في معرفة الواجبات والمستحبات والاعمال والوعد *

والوعيد انفع لهم وكل شخص يرغب فيما يحتاج اليه ممن ذكرتموه وقع بقلبه شبهة
فقد يكون رغبته في عمل ينافيها انفع له من غير ذلك وأما اليقين فهو طمأ
نينة القلب واستقرار العلم فيه وهو ما يقولون ماء يقن اذا استقر عن الحركة
وضد اليقين الريب وهو نوع من الحركة والاضطراب يقال رابني يريبني ومنه
في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد ثم اليقين
ينتظم منه امران علم القلب وعمل القلب فان العبد قد يعلم علما جازما
بأمر ومع هذا فيكون في قلبه حركة واختلاج من العمل الذي يقتضيه ذلك العلم
كعلم العبد ان الله رب كل شيء ومليكه ولا خالق غيره وانه ما شاء كان وما لم
يشأ لم يكن فهذا قد تصحبه الطمأنينة الى الله والتوكل عليه وقد لا يصحبه العمل بذلك
اما لغفلة القلب عن هذا العلم والغفلة هي ضد العلم التام وان لم يكن
ضدا لأصل العلم واما للخواطر التي تسنح في القلب من الالتفات الى الاسباب
واما لغير ذلك وفي الحديث المشهور الذي رواه ابو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال سلوا الله اليقين والعافية فما اعطي احد بعد اليقين خيرا من العافية
فسلوهما الله فاهل اليقين اذا ابتلوا ثبتوا بخلاف غيرهم فان الابتلاء قد يذهب
ايمانه او ينقصه قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا
بآياتنا يوقنون الا ترى الى قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فهذه حال هؤلاء وقال
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها الى قوله هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا
واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
وقال تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب الاية وأما تعلم اليقين فثلاثة اشياء
احدها تدبر القرآن والثاني تدبر الآيات التي يحدثها الله في الانفس والآفاق
التي تبين انه حق والثالث العمل بموجب العلم قال تعالى سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق والضمير عائد على القرآن

كما قال تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد
سنريهم آياتنا الآية وأما قول طائفة من المتفلسفة ومن تبعهم من المتكلمة
والمتصوفة ان الضمير عائد الى الله وان المراد ذكر طريق من عرفه باصل الاستدلال
بالعلم وطريق من عرفه بالاستدلال بالعمل فتفسير الآية خطأ من وجوه كثيرة

وهو مخالف لما اتفق عليه سلف الامة وائمتها فيبين سبحانه انه يري الآيات
المشهودة ليبين صدق الآيات المسموعة مع ان شهيدا ذكر بالآيات المسموعة
كافية لانه سبحانه لم يدل عباده القرآن بمجرد الخبر كما يظنه طوائف من اهل الكلام
يظنون ان دلالة القرآن بطريق الخبر والخبر موقوف على العلم بصدق المخبر الذي
هو الرسول والعلم بصدقه موقوف على اثبات الصانع والعلم بما يجب ويجوز
ويمتنع عليه والعلم بجواز بعثة الرسل والعلم بالآيات الدالة على صدقهم ويسمون
هذه الاصول العقليات لان السمع عندهم موقوف عليها وهذا غلط عظيم وهو من
اعظم ضلال طوائف اهل الكلام والبدع فان الله سبحانه بين في كتابه كل ما يحتاج
اليه في اصول الدين من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد بالبراهين التي لا ينتهي
الى تحقيقها نظر خلاف المتكلمين من المسلمين والفلاسفة واتباعهم واحتج
فيها بالامثال المضروبة التي هي المقاييس العقلية المفيدة لليقين وقد بسطنا
الكلام في غير هذا الموضع وأما الآيات المشهودة فان ما يشهد وما يعلم
بالتواتر من عقوبات مكذبي الرسل ومن عصاهم ومن نصر الرسل واتباعهم على الوجه
الذي وقع وما علم من اكرام الله لاهل طاعته وجعل العاقبة لهم وانتقامه من
اهل معصيته وجعل الدائرة عليهم فيه عبرة تبين امره ونهيه ووعده ووعيده
وغير ذلك مما يوافق القرآن ولهذا قال تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم لاول الحشر الى قوله فاعتبروا يا اولي الابصار فهذا يبين
الاعتبار في اصول الدين وان كان قد بينا والاعتبار في فروعه وكذلك
قوله قد كانت لكم آية في فئتين التقتا الى قوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
وأما العمل فان العمل بموجب العلم يثبته ويقرره ومخالفته تضعفه
بل قد تذهبه قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال تعالى ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة وقال ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان

(٢٣٤)

خير الهم الايات وقال لقد جاكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام الايه وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين
من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به الايه واما العلم به فيراد به في الاصل نوعان
احدهما العلم به نفسه وبما هو متصف به من نعوت الجلال والاكرام وما دلت
عليه اسماؤه الحسنى وهذا العلم اذا رسخ في القلب اوجب خشية الله لا محالة فانه لا بد
ان يعلم ان الله يثيب على طاعته ويعاقب على معصيته كما شهد به القران والعيان
وهذا قول ابي حيان احد اتباع التابعين العلما ثلاثة عالم بالله ليس عالم بامر الله
وعالم بامر الله ليس عالم بالله وبامر الله فالعالم بالله الذي يخشى الله والعالم
بامر الله الذي يعرف الحلال والحرام وقال رجل للشعبي ايها العالم فقال انما العالم من
يخشى الله وقال عبد الله بن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا
والنوع الثاني يراد بالعلم به العلم بالاحكام الشرعية كما في الصحيح عن النبي صلى الله
انه ترخص في شي فبلغه ان قوما تنزهوا عنه فقال ما بال اقوام يتنزهون عن
اشيا اترخص فيها والله اني لاعلمهم بالله واخشاهم له وفي رواية والله اني
لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده فجعل العلم به هو العلم بحدوده ومن هذا
ذلك قول بعض التابعين في صفة امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضه حيث قال ان كان
الله في صدرك عظيما وان كنت من بنات الله لعليما اراد بذلك احكام الله فان لفظ
الذات في لغتهم لم يكن كلفظ الذات في اصطلاح المتاخرين بل يراد به ما يضاف الى الله
كما قال خبيب رضه وذلك في ذات الاله وان يشا يبارك على اوصال شلو ممزع
ومنه الحديث لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا ثلاث كذبات كلهن في ذات
الله ومنه قوله تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وهو عليم بذات الصدور
ونحو ذلك فان ذات تانيث ذو وهو يستعمل مضافا يتوصل به الى الوصف
بالاجناس فان كان الموصوف مذكرا قيل ذو وان كان مؤنثا قيل ذات
كما يقال ذات سوار فان قيل اصيب فلان في ذات الله فالمعنى في جهته ووجهته
اي فيما امر به واحبه ولاجله ثم ان الصفات لما كانت مضافة الى النفس
فيقال في النفس انها ذات علم وقدرة وكلام ونحو ذلك حذفوا
الاضافة وعرفوها فقالوا الذات الموصوفة اي النفس الموصوفة فاذا
قال هولاء المولدون فانما يعنون به النفس الحقيقية التي وصفوها
صفات

ثلاثة
وعالم بالله

(٢٣٥)

صفات والصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف
كقول الصحابي في قل هو الله احد احبها لانها صفة الرحمن وتارة يراد بها المعاني
التي دل عليها كالعلم والقدرة والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذه
وتقول انما الصفات مجرد العبارة التي يعبر بها عن الموصوف والكلابية
ومن تبعهم من الصفاتية قد يفرقون بين الصفة والوصف فيجعلون الوصف
هو القول والصفة المعنى القائم بالموصوف واما جماهير الناس فيعلمون
ان كل واحد من لفظ الصفة والوصف مصدر في الاصل كالوعد والعدة والوزن
والزنة وانه يراد به تارة هذا وتارة هذا ولما كان اولئك الجهمية ينفون ان يكون له وصف
قائم به علم او قدرة او كلام او ارادة وقد اثبتها المسلمون صاروا يقولون هولاء
اثبتوا صفات زائدة على الذات وقد صارت طائفة من مناظريهم الصفاتية
يوافقونهم على هذا الاطلاق ويقولون الصفات زائدة على الذات فيشعرون
الناس ان هناك ذات متميزة عن الذات وان لها صفات متميزة عن الذات
وشنع نفاة الصفات ليس هذا موضعه قد بينا فسادها في غير هذا الموضع
والتحقيق ان الذات الموصوفة لا تنفك عن الصفات اصلا ولا يمكن وجود
ذات خالية عن الصفات فدعوى المدعي وجود حي عليم قدير بصير لا حياة
ولا علم ولا قدرة كدعوى قدرة وحياة وعلم لا يكون الموصوف بها حيا عليما
قديرا بل دعوى شي موجود قائم بنفسه قديم او محدث عري عن جميع الصفات
ممتنع في صريح العقل ولكن الجهمية المعتزلة وغيرهم لما اثبتوا ذاتا مجردة
عن الصفات صار مناظرهم يقول انا اثبت الصفات زائدة على ما اثبتموه
من الذات اي لا اقتصر على مجرد اثبات ذات بلا صفات ولم يعن بذلك انه
في الخارج ذات ثابتة بنفسها ولها مع ذلك صفات هي زائدة على هذه
الذات متميزة عن الذات ولهذا كان من الناس من يقول الصفات غير الذات
كما يقول المعتزلة والكرامية ثم المعتزلة تنفيها والكرامية تثبتها ومنهم
من يقول الصفة لا هي الموصوف ولا هي غيره كما يقول طوائف من الصفاتية
كابي الحسن الاشعري وغيره ومنهم من يقول كما قالت الايمة لا نقول الصفة
هي الموصوف ولا نقول هي غيره لانا نقول لا هي هو ولا هي غيره فان لفظ

الغير فيه إجمال قد يراد به المباين للشيء أو ما قارن أحدهما الآخر وما قارنه بوجود
أو زمان أو مكان ويراد بالغيران ما جاز العلم بأحدهما مع عدم العلم
بالآخر وعلى الأول فليست الصفات غير الموصوف ولا بعض الجملة غيرها وعلى
الثاني فالصفة غير الموصوف وبعض الجملة غيرها فامتنع السلف والأئمة
من إطلاق لفظ الغير على الصفة نفيا وإثباتا لما في ذلك من الإجمال والتلبيس
حيث صار الجهمي يقول القرآن هو الله أو غير الله فتارة يعارضونه بعلمه
فيقولون علم الله هو الله أو غيره إن كان ممن يثبت العلم ولا يمكنه نفيه وتارة
يجعلون التسمية ويثبتون خطأ الإطلاق في النفي والإثبات لما فيه من التلبيس
بل يستفصل السائل فيقال له إن أردت بالغير ما يباين الموصوف في
الصفة لا تباينه فليست غيره وإن أردت بالغير ما يمكن فهم الموصوف
على سبيل الإجمال وإن لم يكن هذا هو بغير هذا الاعتبار والله أعلم

مسألة في قوله ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم والليلة سبعين
مرة هل المراد به ذكر الاستغفار باللفظ وأنه إذا استغفر ينوي بالقلب أنه لا
يعود إلى الذنب وهل إذا تاب من الذنب وعزم بالقلب أن لا يعود إليه
وأقام مدة ثم وقع فيه وأقام مدة ثم وقع فيه أفيكون ذلك الذنب القديم يضاف
إلى الثاني أو يكون مغفورا له بسبب التوبة المتقدمة وهل التائب من شرب الخمر
ولبس الحرير يشربه في الآخرة ويلبسه والتوبة النصوح ما شرطها

الجواب بل المراد به الاستغفار بالقلب مع اللسان فإن التائب
من الذنب كمن لا ذنب له كما في الحديث الآخر لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع
الإصرار فإذا أصر على الصغيرة صارت كبيرة وإذا تاب منها غفرت قال تعالى
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
الآية وإذا تاب توبة صحيحة غفرت ذنوبه فإن عاد إلى الذنب فعليه أن يتوب
أيضا وإذا تاب قبل الله توبته وقد تنازع العلماء في التائب عن الكفر
إذا ارتد بعد إسلامه ثم تاب بعد الردة وأسلم هل يعود عمله الأول على
قولين مبناهما على أن الردة هل تحبط العمل مطلقا أو تحبطه بشرط الموت
عليها فمذهب أبي حنيفة ومالك أنها تحبط مطلقا ومذهب الشافعي

إنما تحبط بشرط الموت عليها والردة ضد التوبة وليس من السيئات ما يمحو
جميع الحسنات إلا الردة وقد قال سبحانه وتعالى وتوبوا إلى الله توبة نصوحا
قال عمر بن الخطاب وغيره توبة نصوحا أن يتوب ثم لا يعود فهذه التوبة الواجبة
التامة ومن تاب من شرب الخمر ولبس الحرير فإنه يلبس ذلك في الآخرة كما جاء
في الحديث الصحيح من شرب الخمر ثم لم يتب منها حرمها وقد ذهب بعض الناس
كبعض أصحاب أحمد إلى أنه لا يشربها مطلقا وقد أخطأ والصواب هو الذي
عليه جمهور المسلمين والله أعلم وقال أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية على قوله تعالى
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها الآية **فصل** في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله
عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون وقوله ومن جاء
بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم
في النار الآية وقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات إلا ما كانوا يعملون وقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون روى ابن أبي حاتم في هذه الآيات الثلاث حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثني ابن فضيل عن الحسن عن عبيد الله عن جامع بن شداد عن
الأسود بن هلال عن عبد الله في قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال هي
لا إله إلا الله قال وروي عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة وعن [illegible] وسعيد بن جبير
والحسن ومجاهد وعطاء وأبي صالح ذكوان ومحمد بن كعب القرظي والنخعي والضحاك
والزهري وعكرمة وزيد بن أسلم وقتادة مثل ذلك السيئة قال حدثنا
محمد بن عزيز الأيلي حدثني سلامة عن عقيل عن ابن شهاب قال قال عقبة بن عامر
تلقاني أصحابي فقالوا قال النبي صلى الله عليه وسلم من جاء بالسيئة فقال هي
كلمة الإشراك وكذا روى الوالبي عن ابن عباس قال هي الشرك وروي عن عبد الله
بن مسعود وأنس بن مالك وأبي وائل وعطاء والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة
والنخعي والزهري وزيد بن أسلم ومحمد بن كعب والسدي وقتادة والضحاك مثله و
ذكر في قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون
فذكر بإسناده عن السدي من جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها في جميع الذنوب
وذلك عند الحسنات إذا حوسب ألغي بدل كل حسنة عشر سيئات فإن بقيت
حسنة واحدة أضعفت له ودخل الجنة وإن كانت سيئاته عند المقاصة

قف

[illegible]



كذا من جاء

اذا لقيت عشر حسنات اكثر من سيئاته فزاد سيئة واحدة كان جزاؤه النار
الا ان يغفر الله **قلت** تضعيف الحسنة الى عشر امثالها والى سبعمئة ضعف
قد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس وابي هريرة
وابي ذر وان بالسيئة لا يجزى العبد الا مثلها وان لهم بالحسنة حسنة ولهم بالسيئة
لا تكتب حتى يعملها فتكتب سيئة واحدة وان تركها خوفا منه كتبت حسنة
وقد جاء هذا التفضيل في اعمال كثيرة كقوله في حديث عبد الله بن عمرو صم
من كل شهر ثلاثة ايام فذلك صيام الدهر وقال من صام رمضان واتبعه ستا
من شوال كان كصيام الدهر الحسنة بعشر امثالها فهذا لان مجموع صيام
رمضان والستة الايام في بعض نقل صيام الدهر فانه صيام ستة وثلاثين
يوما وستين يوما وكذلك صيام ثلاثة ايام من كل شهر وفي احاديث
المعراج في الصلوات هي خمس وهي خمسون الحسنة بعشر امثالها لا يبدل القول
لدي فهي خمس في العمل خمسون في الاجر فالذين قالوا ان الحسنة هي التوحيد
والسيئة هي الشرك كما ذكروه عن الصحابة والتابعين ولم ينكروا في ذلك
خلافا دليل من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن
جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار لان جميع اعمال البر داخلة في التوحيد
فان التوحيد فهو معنى قول لا اله الا الله هو ان يعبد الله تعالى وهو سبحانه
انما يعبد بما امر به فهو العمل بامر الله كما قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو
محسن الاية فكل عمل من اعمال البر فهو جزء من التوحيد ومن العمل لله
ومن عبادة الله توحيده ومن فروع ذلك قال تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين
باذن ربها الى قوله ما لها من قرار فالكلمة الطيبة هي التوحيد وهي كالشجرة
والاعمال ثمارها في كل وقت فجميع الاعمال الصالحة الحسنة يقع نفعها لصاحبها
وجميعها من عبادة الله وحده وهي من فروع قول لا اله الا الله بل الاعمال الصالحة
تحقق قول لا اله الا الله فان الايمان قول وعمل قال النبي صلى الله عليه وسلم
الايمان بضع وسبعون شعبة او بضع وستون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق **فمن** قال الحسنة ~~هي الشجرة الجامعة~~
لا اله الا الله لم يرد ان هذه الكلمة وحدها هي الحسنة دون العمل بمقتضاها
بل هي عندهم

بل هي عندهم هي الشجرة الجامعة والاعمال داخلة فيها فهي ثمارها وفروعها
وكذلك السيئة هي العمل لغير الله وهذا هو الذكر فان الانسان همام حارث
لا بد له من عمل ولا بد له من مقصود ومعبود يعمل لاجله فالعمل لله هو الاخلاص
والتوحيد له والعمل لغيره هو شرك وان عمل العبد لله ولغيره فذلك
الفاشرك والذنوب كلها جزء من الشرك وفروع له فانها جميعها من
طاعة الشيطان واتباع خطواته قال الله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان
لا تعبدوا الشيطان الاية وقال تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقال
الشيطان اني كفرت بما اشركتموني من قبل وقد قال ابو هريرة سأل ابو بكر
النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلمه دعاء يدعو به اذا اصبح واذا امسى فقال قل
اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه
اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه قله اذا
اصبحت واذا امسيت واذا اخذت مضجعك ولكن اذا كان الانسان موحدا
لله وقد فعل بعض الذنوب نقص بذلك ايمانه وتوحيده بحسب ذلك كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ومن ليس بمؤمن
فليس بمخلص فان المخلص لله مؤمن كما روى البخاري عن ابي صالح عن ابي — وقد روى
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس
عبد الخميلة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ان — الخميصة
اعطي رضي وان منع سخط وقال من حلف بغير الله فقد اشرك وقال الشرك
في هذه الامة اخفى من دبيب النمل فقال ابو بكر فكيف ننجو منه يا رسول الله
فقال قل اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك شيئا وانا اعلم واستغفرك لما لا
اعلم فهذا مما يخفى على الانسان في نفسه فكيف بما لا يخفى لكن اذا لم يعدل
بالله غيره فيحب غير الله مثل ما يحب الله بل كان الله احب اليه واخوف عنده
وارجا عنده من كل مخلوق فهذا قد خلص من الشرك الاكبر **واما**
الشرك الاصغر فلا يخلص منه الا من خلص من الذنوب كلها وقد ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وهو يعلم لا اله الا الله دخل الجنة
ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وقال اسعد الناس بشفاعتي

يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه وقال ما من احد يشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله صادقا من قلبه الا حرمه الله على النار **وحقيقة التوحيد** انجذاب الروح
الى الله تعالى فمن شهد ان لا اله الا الله خالصا من قلبه وهو ان ينجذب اليه دخل
الجنة وقد ثبت انه قال لابي هريرة اخرج من لقيته يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا
بها قلبه فبشره بالجنة وقال من شهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما
عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة وقال لا يشهد احد ان لا اله الا الله واني رسول
الله فيدخل النار او قال فتطعمه النار وقال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على
ذلك الا دخل الجنة وان زنى وان سرق وقال البخاري هذا عند الموت او قبله اذا تاب
وندم وقال لا اله الا الله وقال الموجبتان من مات لا يشرك بالله شيئا دخل
الجنة ومن مات يشرك به شيئا دخل النار **فهذه الاحاديث** انما هي فيمن قالها
ومات عليها كما جاءت مقيدة وقالها خالصا من قلبه مستيقنا بها قلبه غير شاك
بصدق ويقين فان حقيقة التوحيد انجذاب الروح الى الله بان يتوب توبة
خالصة نصوحا فان مات على هذه الحال نال ذلك فانه قد تواترت الاحاديث
بانه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن
خردلة وما يزن ذرة وتواترت بان كثيرا ممن يقول لا اله الا الله يدخل النار ثم يخرج
منها وتواترت بان الله حرم على النار ان تاكل اثار السجود من ابن آدم فهؤلاء كانوا
يصلون ويسجدون لله وتواترت الاحاديث بانه يحرم على النار من قال لا اله الا الله
ومن شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال واكثر
من يقولها لا يعرف الاخلاص واليقين ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه ان يفتن عنها
عند الموت فيحال بينه وبينها وغالب من يقولها انما يقولها تقليدا او عادة ولم
يخالط الايمان بشاشة قلبه وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور امثال
هؤلاء كما في الحديث سمعت الناس يقولون شيئا فقلته وغالب اعمال هؤلاء انما
هي تقليد واقتداء بامثالهم وهم اقرب الناس من قوله انا وجدنا آباءنا على امة
وانا على آثارهم مقتدون كما قد بسط هذا في غير موضع وبينا فيه اهل الاخلاص
واليقين في توحيد الله من غيرهم وحينئذ فلا منافاة بين الاحاديث فانه
اذا قالها باخلاص ويقين في توحيد الله ومات على ذلك امتنع ان تكون سيئاته
راجحة على حسناته بل كانت حسناته راجحة فيحرم على النار لانه اذا قالها باخلاص
ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب فان كمال اخلاصه ويقينه
يوجب

يوجب ان يكون الله احب اليه من كل شيء واخوف عنده من كل شيء فاذا لا يبقى في
قلبه ارادة لما حرمه الله ولا كراهة لما امر الله وهذا هو الذي يحرم على النار
وان كانت له ذنوب قبل ذلك فان هذا الايمان وهذه التوبة وهذا الاخلاص وهذه
المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبا الا محي عنه كما يمحي الليل النهار فاذا قالها على
وجه الكمال المانع من الشرك الاكبر والاصغر ولم يات بعدها بما يناقض ذلك
فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات ويرجح بها ميزان الحسنات كما في
حديث البطاقة فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه
وهذا بخلاف من رجحت سيئاته على حسناته ومات وهو مصر على ذلك فانه
يستوجب النار وان قال لا اله الا الله وخلص بها من الشرك الاكبر لكنه لم يمت
على ذلك بل اتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيده فانه في حال
قوله لها كان مخلصا لكنه اتى بذنوب اوهنت ذلك التوحيد والاخلاص
فاضعفته وقويت نار الذنوب حتى احرقت ذلك بخلاف المخلص المستيقن
فان حسناته لا تكون الا راجحة على سيئاته ولا يكون مصرا على سيئة فان مات
على ذلك دخل الجنة وانما يخشى على المخلص ان ياتي بسيئات راجحة فيضعف ايمانه
فلا يقولها باخلاص ويقين مانع من جميع السيئات ويخشى عليه من الشرك الاكبر
والاصغر فان سلم من الاكبر بقي معه من الاصغر ثم يضيف الى ذلك سيئات تنضم اذ الاصغر جم
الى هذا الشرك فيرجح جانب السيئات فان السيئات تضعف الايمان واليقين
الذين بسببه ذلك قول لا اله الا الله فيمتنع الاخلاص في القلب فيصير المتكلم بها
كالهاذي والنائم او من يحسن صوته باية من القران من غير ذوق طعم
ولا حلاوة فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين بل قد ياتون بعدها بسيئات
تنقض ذلك الصدق واليقين بل يقولونها بغير صدق ويقين ويموتون على ذلك
ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة واذا كثرت الذنوب ثقل على اللسان
قولها وقسى القلب عن قولها وكره العمل الصالح وثقل عليه سماع القران واستبشر
بذكر غيره واطمان الى الباطل واستحلى الرفث واحب مخالطة اهل الغفلة
وكره مخالطة اهل الحق فمثل هذا اذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه وبفيه
ما لا يصدقه عمله كما قال الحسن ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر
في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال خيرا وعمل خيرا قبل منه ومن قال خيرا
وعمل شرا لم يقبل منه وقال بكر بن عبد الله المزني ما سبقهم ابو بكر رضي الله عنه

صدره) بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشئ وقر في قلبه فمن قال لا اله الا الله ولم يقم بموجبها
بل اكتسب مع ذلك ذنوبا وسيئات وكان صادقا في قولها موقنا بها لكن
ذنوبه اضعاف اضعاف صدقه ويقينه فانضاف الى ذلك الشرك الاصغر
العملي رجحت هذه الاشياء على هذه الحسنة ومات مصرا على الذنوب بخلاف
من يقولها بيقين وصدق تام فانه لا يموت مصرا على الذنوب اذا سلم من الشرك
فالذي قالها بيقين وصدق تام اما ان لا يكون مصرا على سيئة اصلا او
يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته والذين يدخلون
النار ممن قالها قد فاتهم احد هذين الشرطين اما انهم لم يقولوها بالصدق
واليقين التامين المنافيين للسيئات او لرجحان السيئات او قالوها
واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم فضعف لذلك صدقهم
ويقينهم ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين لان الذنوب قد اضعفت
الصدق واليقين من قلوبهم فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات
بل ترجح سيئاتهم على حسناتهم فقول السلف في قوله من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها وقوله وهم من فزع يومئذ آمنون ان هذه الحسنة قول لا اله الا الله
فانما هي حسنة وافى العبد بها ربه يوم القيمة لم يشبها بشائبة شرك لا الاكبر
ولا الاصغر ولا اضعفتها الذنوب بحيث رجحت السيئات عليها بل قالها
كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدق ويقين ثم مات على ذلك فان مثل هذا
يكون قائما بالواجبات مجتنبا المحرمات وتكون حسناته ارجح من سيئاته واما
السيئة التي من جاء بها كبت وجهه في النار فهي الشرك فان الله لا يغفر ان
يشرك به شئ والموجبتان من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن
مات يشرك به شيئا دخل النار وكثير من الناس واكثرهم يدخلون في الايمان
والتوحيد ثم ينافق من جهة كسب الذنوب ورينها على القلوب فيدخل في انواع
الشرك والنفاق والشرك نوعان اكبر واصغر فمن خلص منهما وجبت
له الجنة ومن مات على الشرك الاكبر وجبت له النار ومن خلص من الاكبر
وحصل له بعض الاصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة ناقص الدرجة
فان تلك الحسنات هي توحيد كثير مع يسير من الشرك الاصغر ومن
خلص من الاكبر ولكن كثر فيه من الشرك الاصغر حتى

حتى رجحت سيئاته على حسناته دخل النار فالشرك يؤاخذ به العبد سواء
كان اكبر او اصغر وقال بعض السلف هو داخل في عموم قوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به واما الاصغر القليل في جانب الاخلاص الكثير فلا يؤاخذ به والخلاص
في الاكبر او من اكثر الاصغر الذي يجعل السيئات راجحة على الحسنات صاحبه ناج
ومن نجي من الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله ورجحت حسناته على سيئاته
دخل الجنة واما قوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته الاية فقال ابو الفرج
ابن الجوزي السيئة هاهنا الشرك في قول ابن عباس وعكرمة وابي وائل وابي العالية
ومجاهد وقتادة ومقاتل ولم يحك الخلاف فلا نعتقد ان القول الاخر يقتضي
خلود اهل التوحيد في النار وليس هو قول اهل السنة فاعرض عنه كما اعرض في
قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة عن قول من قال منتظرة ثواب ربها
وكذلك البغوي اعرض في هذه الاية عن هذا القول فقال في اية البقرة بلى من كسب سيئة
يعني الشرك واحاطت به خطيئته والاحاطة الاحداق بالشيء من جميع نواحيه
كما احاطت قال ابن عباس وعطاء والضحاك والربيع وجماعة هي الشرك يموت عليه
وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة ان يصر عليها فيموت غير تائب منها قاله عكرمة
والربيع بن خشيم وقال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبا
ارتفع البناء في ذلك كالحائط حتى تغشى القلب وهو الرين وقال الكلبي اوبقته
ذنوبه دليله الا ان يحاط بكم اي الا ان تهلكوا عن اخركم قلت الصواب
ذكر اقوال السلف وان كان فيها مرجوحا فهي اولى من ذكر اقوال المتاخرين
وان قدر ان ذلك القول ضعيف فالحجة تبين ضعفه فلا يعدل عن ذكر
اقوالهم لكون بعض وافقها قول طائفة من اهل البدع بل يذكر ويبين ضعفها
بالحجة وهم ينقلون عن بعض السلف ان هذه الاية غلط اخطا فيها الكاتب
كما في قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه انما هو ووصى ربك وكذلك قالوا
في قوله واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل النبيين قالوا انما هو ميثاق
اهل الكتاب وكذلك هو في حرف عبد الله وقد انكر بعضهم كثيرا من القرآن وان كانت
هذه الاقوال خطا ومن انكر شيئا من القراءات بعد تواتره استتيب فان تاب
والا قتل واما قبل تواتره عنده فلا يستتاب ولا يقتل بل يبين له
ضعفه وكذلك الاقوال التي جاءت الاحاديث بخلافها مثل من قال ان الله

لا يرى في الاخرة ونحو ذلك واقوال السلف ليست مصرحة في هذه الاية بخلود كخلود الكفار
وليس في الاية ما يدل على ذلك فانه تعالى قال فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ولم ينقل ابن ابي حاتم ذكر الخلاف هنا ولم يذكره في الرؤية وكالذي في لابثين فيها احقابا
واما عبد بن حميد وامثاله من ائمة العلم فذكروا اقوال السلف في هذا وهذا وهذا
هو الصواب وهو اعطاء العلم حقه قال عبد الرحمن بن مهدي اهل العلم يكتبون
ما لهم وما عليهم واهل الاهواء لا يكتبون الا ما لهم وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد
الاشج حدثني عبد الحميد الحماني ثنا رجل يعني النضر الخزاز عن عكرمة عن ابن عباس
بلى من كسب سيئة قال الشرك قال ابو محمد وكذا روي عن ابي وائل وابي العالية ومجاهد
وعطاء وقتادة والحسن والربيع بن انس ومقاتل وروي عن الحسن قول اخر قال
السيئة الكبيرة من الكبائر وروي عن السدي نحو ذلك وقال مجاهد احاطت به
خطيئته تغلبه وتعلوه وعن ابن عباس من رواية ابن اسحق مثله وحدثنا محمد بن
ابي محمد عن سعيد بن جبير او عكرمة عن ابن عباس واحاطت به خطيئته قال من
عمل مثل اعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط ما له من حسنة وقال حدثنا عبد الله
ابن اسمعيل ثنا شريح بن يونس ثنا يحيى عن ابي بكر عن ابي وائل عن ابن عباس
وعن يحيى عن ابي ايوب عن ابي زرعة عن ابي هريرة واحاطت به خطيئته قال احاط به
شركه قال ابن ابي حاتم وروي في تفسير هذا الحرف ثلاثة اقاويل احدها ما تقدم
روايتنا له وكذا فسره ابو وائل وعطاء والحسن في رواية عباد بن منصور قال والوجه
الثاني حدثني ابو سعيد الاشج واحمد بن سنان قالا حدثنا ابو يحيى الحماني وفي لفظ
الحماني حدثنا الاعمش عن ابي رزين عن الربيع بن خثيم واحاطت به خطيئته قال
الذي يموت على خطاياه وعن ابي رزين والاعمش نحوه والوجه الثالث رواه من
طريق ابي جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية واحاطت به خطيئته
قال الكبيرة من الذنب الموجبة قال وروي عن الحسن من رواية سلام بن مسكين
ومجاهد وقتادة والربيع بن انس نحو ذلك **قلت** هؤلاء جعلوا اصحاب
الكبائر الذين يموتون عليها داخلين في هذا الوعيد لم يقولوا انهم لا يخرجون منها
بشفاعة ولا غيرها كما ظنه من يحكي اقوالهم بل الحسن البصري هو ممن قال
ذلك وقد ثبت عنه في الصحيحين انه روى حديث الشفاعة في اهل الذنوب
عن انس بن مالك

عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من كان في قلبه ذرة
من ايمان فيكون عند هؤلاء فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان خلودهم
فيها على قدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وهو لم يقل ابدا بل هذا خلود اهل الذنوب
من اهل التوحيد وقد جاء لفظ التأبيد في اصحاب الذنوب في مثل قوله صلى الله
عليه وسلم من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده في نار جهنم يتوجأ بها في بطنه
خالدا فيها مخلدا ابدا ومن تردى من مكان شاهق فمات فهو يتردى من شاهق
في جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا
فيها ابدا وقد قال تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا
والمعصية تتناول الذنوب والشرك وقد بسط الكلام على الفرق بين خلود
اهل التوحيد وخلود المشركين في غير هذا الموضع وبيان ان هؤلاء يخرجون
من النار بالشفاعة وغيرها وان اولئك لا يخرجون منها مع هؤلاء بل هم ماكثون
فيها ابدا لكن هل تفنى النار فيفنى عذابهم فيها على قولين كما روي
ذلك عن غير واحد من السلف في هذا وهذا اهل الفنيات كما قاله الجهمية او يدوم ما
ابدا او يفنى العذاب دون النعيم كما قال هذا طائفة من السلف والخلف
وهذه الاية قال فيها سيئة وقيدها بمن تحيط به خطيئته ولا نزاع ان من اتى
صغيرة ومات انه غير مخلد في النار فان هذا لم ينقل ممن تقدم ذكر قولهم
بل كلهم قولان قيل السيئة الشرك وقيل الكبيرة الموجبة **فيقال** الوعيد
في الاية متعلق بشيئين بكسب السيئة واحاطة الخطيئة فتقتضي شيئين
احدهما ان خطيئته موجبة وقد قرئ خطيئاته في القرآن المشهور
والثاني انه مات عليها فان اعظم الخطايا وهو الشرك لو تاب تاب الله
عليه ومجرد الاصرار على ذنب صغير لا يوجب هذا الوعيد فعلم ان احاطة
الخطيئة تتضمن اعظم الخطايا والموت عليه وقد فسرها السلف بهذا وبهذا
ففسروها بالموت عليه كثيرون اما بالموت على الشرك واما على غيره كما تقدم
ثم ذكرنا وقال مجاهد هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنبا ارتفعت
حتى تغشى القلب وهذا المعنى صحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد
نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد

زيد فيها حتى تعلو القلب فذلك الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون رواه الترمذي وغيره وهو في الصحيح والذي يغشى القلب يسمى رينا
وطبعا وختما وقفلا ونحو ذلك فهذا اراد به ما اصر عليه من الذنوب فلم
يتب منها وهو معنى قول ابي وائل مات عليها وكذلك قول ابن السائب اي اوبقته
ذنوبه اي اهلكته وانما تهلكه اذا اصر عليها ولم يتب واحاطة الخطيئة هو
احداقها به بحيث لا يمكنه الخروج منها وهذا يكون لمن اصر عليها حتى مات
وهذا هو تبسل بما كسبت نفسه كما قال تعالى وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت
ان تحبس عما فيه نجاتها في الدنيا والاخرة فان المعاصي قيد لصاحبها وحبس له
ومانع له عن الجولان في فضاء التوحيد وحائل بينه وبين ان يجتني من ثمار الصالحة الاعمال
فهو محبوس ههنا وهناك في الاخرة قال ابو الفرج اما ان يكون المعنى احاطت
بحسنته خطيئته بحيث ان المحيط اكثر من المحاط به فيكون كقوله وان جهنم لمحيطة
بالكافرين وقوله احاط بهم سرادقها او يكون المعنى احاطت به اهلكته كقوله الا ان
يحاط بكم **قلت** كلا المعنيين قد ذكرهما السلف فالاول قول مجاهد والثاني
قول ابن السائب وهما متلازمان ولفظ احاطة به يدل على انه مقهور مغلوب
مع المحيط به لكن هلاكه يعرف من خصوص المادة فلما كان الذي تحيط به الذنوب
فتغلب عليه الى ان يموت هالكا قيل المعنى اوبقته ذنوبه وقوله الا ان يحاط بكم
قيل الا ان تهلكوا جميعا وقيل الا ان يحال بينكم وبينه فلا تقدرون على الاتيان
به ويقال قد احاط به العدو وقد احيط به وقد احاطت الديون بماله فا
جتاحته والمعنى في الجميع الاستيلاء والقهر والخطيئة والخطايا انما تحيط بصاحبها
اذا لم يكن له منها مخرج بل وجب العذاب لا محالة **اذا تبين هذا**
فنقول اما من فسر ذلك بانه يأتي بكبيرة فيموت مصرا عليها فهو لقوله
من يقول ان صاحب الكبيرة مستحق للعذاب مطلقا والذين قالوا هذا من
السلف لم يقولوا انه لا يخرج بشفاعة ولا غيرها لكن من المنتسبين الى السنة
يقولون ان صاحب الكبيرة المصر عليها مستوجب للعذاب مطلقا كما يقولون
انه يفسق بالكبيرة التي يصر عليها ولذلك قال طائفة من الخوارج والمعتزلة
لكن

لكن يقولون انه لا يخرج من النار لا بشفاعة ولا غيرها والاكثرون على خلاف
هذا القول وان الله سبحانه يزن حسنات العبد وسيئاته فقد ترجح الحسنات
وان كان في السيئات كبيرة وقد لا ترجح الحسنات لكثرة السيئات وان لم يكن
فيها كبيرة وعلى هذا القول دل الكتاب والسنة وهذا معنى وزن الاعمال في قوله
والوزن يومئذ الحق الاية وكثير من الناس من اصحاب الذنوب يجوزون ان
يغفر لصاحب الكبيرة والسيئات الراجحة مع تعذيب صاحب الصغيرة مع الحسنات
الراجحة فهذه ثلاثة اقوال مشهورة واصحها الوسط وعلى هذا التفسير مجاهد فعلى
وابن السائب وغيرهما السيئة يدخل فيها الشرك وغيره لكن احاطة الخطيئة ان
تغلب على الحسنات وتموت عليها وعلى هذا فالخلود مجمل فخلود اهل الشرك
نوع وخلود اهل القبلة نوع كما فسرت النصوص النبوية هذا وهذا وعلى
تفسير الاكثرين فالسيئة الشرك فهذا اظهر الاقوال لانه سبحانه غاير بين
لفظ المكسوب والمحيط فقال بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
فلو كان المراد بهذا هذا لم يغاير بين اللفظين فعلم ان المراد بالسيئة الشرك
والمشرك له خطايا اخر غير الشرك فذكر ان خطاياه احاطت به فلم يتب
منها وعلى هذا فيكون الخلود في الاية خلود الكفار ولهذا قابله بخلود
المؤمنين فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون وايضا فقوله سيئة نكرة وليس المراد جنس الكثرة من السيئات
بالاتفاق فلو كسب شيئا من السيئات الصغائر ومات مصرا على ذلك مع
ايمانه وكثرة حسناته لم يستحق هذا الوعيد بالكتاب والسنة وايضا فلفظ
السيئة قد جاء في غير موضع واريد به الشرك وايضا فقوله انها السيئة او حكاية
سيئة ونحو ذلك كما في قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني حالا حسنة تعم الخير
كله وهذا اللفظ قد يكون صفة وقد ينقل من الوصفية الى الاسمية وهو معدول
عن السيئات وقد يستعمل لازما ومتعديا فيقال ساء هذا الامر وهو سيء
كما يقال قبح فهو قبيح وخبث فهو خبيث وهذا يقال في مقابلة الحسنة
وهي ما كان في نفسه حسنا جميلا وقد يقال ساءني هذا الامر ما يسوء فلانا
ومنه قوله ليسوءوا وجوهكم وكقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقوله ولما
سيئ

جاءت رسلنا لوطا سيء بهم فالسيئة هي في نفسها قبيحة وهي تسوء صاحبها
اي تضره كما ان الحسنة تسره وتحسن صاحبها والذي هي سيئة لا تمحو حسنة
هو الكفر فكان وصفه بسوء لازما له اي هو في نفسه سيء ويسوء صاحبه
واما ما دون الكفر فقد يغفر لصاحبه فلا يسوءه فلما قال واحاطت به خطيئته
دل على ان السيئة سائغة ودخلت في الخطايا التي احاطت به فلا يمكنه الخروج منها
لا بحسنات اخر ولا بغيرها فان الكفر لا يقابله شيء من الحسنات الا التوبة منه بالايمان
وايضا فقد قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة الى قوله والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها الى قوله هم فيها خالدون قال ابن عباس عملوا الشرك وذلك لانهم وصفهم
بانهم كسبوا السيئات فقط ولو كانوا مؤمنين لكانت لهم حسنات وسيئات وكذلك
لما قال من كسب سيئة ولم يذكر حسنة وهو سبحانه لا يظلم مثقال ذرة دل على انها
سيئة لا حسنة وهذا لا يكون الا سيئة الكفر وقال في قوم لوط ومن قبل كانوا
يعملون السيئات وكانوا الكفار من جهات من جهة استحلال الفاحشة ومن
جهة الشرك ومن جهة تكذيب الرسل هذا وهذا وهذا ولكن الشرك والتكذيب
مشترك بينهم وبين غيرهم والذي اختصوا به الفاحشة فلهذا عوقبوا عقوبة
تخصهم لم يعاقب غيرهم بمثلها وحصل جنس هذه العقوبة وهو الرجم وطمس
الابصار لما راودوه عن ضيفه وايضا فقد يقال كلاهما جاء بالفاحشة
والموبقة والمهلكة والداهية وجاء بالشنعاء ونحو ذلك وهو اسم لما يعظم من
الافعال فتكون خارجة عما يعتاد فكذلك لفظ السيئة قد يكون عاما وقد
يكون مطلقا فيراد به السيئة التي لا تقبل المحو عن صاحبها بل هي مهلكة وموبقة
وهذا الكفر **والعموم** نوعان عموم لجميع الافراد وعموم الكل لاجزائه مثلها اذا
قيل احسن الى فلان واكرمه ونحو ذلك فان الفعل نكرة فمقتضى هذا الفعل افعل
معه احسانا وليس المراد فرد من الافراد التي يسمى كل منها احسانا اليه بل المراد
افعل معه الاحسان الذي يتناول جميع ما يحتاج اليه مطلقا فاذا كان يتناول
المامور فكذلك السيئة تتناول المحظور فيدخل فيه الشرك الذي هو راس
السيئات كما يدخل في الاحسان الايمان الذي هو راس الحسنات كما فسروا
بذلك قوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن

جاء

[illegible]

جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار وقول السلف السيئة الشرك لم يريدوا به
ان سائر الذنوب لم يدخل في السيئة بل الشرك داخل فيها ويدخل معه سائر
السيئات ولهذا قال واحاطت به خطيئته وفي القراءة الاخرى خطاياه
والله سبحانه وتعالى اعلم **مسئلة فيمن يعتقد ان الخير من الله والشر من**
الشيطان وان الشر هو بيد العبد ان شاء فعله وان شاء تركه فاذا انكر عليه هذه الاشياء
يقول قال الله ان الله لا يامر بالفحشاء وان الله لا يرضى لعباده الكفر وان عقيدة
هذا ان الخير من الله والشر من نفسه فاذا اراد ان يفعل الشر فعله فانه قال ان لي مشيئة
فاذا اردت ان افعل الشر فعلته فهل له مشيئة فعالة املا الجواب الحمد لله
اصل هذا الكلام في مقدمتان احدهما ان العبد ان الله يامر بالايمان والعمل
الصالح ويحب الحسنات ويرضاها ويكرم اهلها ويثيبهم ويواليهم ويرضى عنهم
ويحبهم ويحبونه وهم جند الله المنصورون وحزبه المفلحون وهم اولياؤه المتقون
وعباده الصالحون اهل الجنة وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون
وهم اهل الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم وان الله نهى عن السيئات من الكفر
والفسوق والعصيان وهو يبغض ذلك ويمقت اهله ويلعنهم ويغضب عليهم
ويعاقبهم ويعاديهم وهم اعداء الله ورسوله وهم اولياء الشياطين وهم اهل
اهل النار لكنهم يتفاوتون في هذا ما بين كافر وفاسق وعاص ليس بكافر
ولا فاسق **والمقدمة** الثانية ان يعلم العبد ان الله رب كل شيء ومليكه
وخالقه لا رب غيره ولا خالق سواه وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا حول
ولا قوة الا به ولا ملجا منه الا اليه وانه على كل شيء قدير فجميع ما في السموات والارض
من الاعيان وصفاتها وحركاتها فهي مخلوقة له مقدرة له مصرفة بمشيته لا يخرج
شيء منها عن قدرته وملكه ولا يشركه في شيء من ذلك غيره بل هو سبحانه لا اله الا هو
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فالعبد فقير الى الله في
كل شيء محتاج اليه في كل شيء لا يستغني عن الله طرفة عين فمن يهد الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له فاذا ثبتت هاتان المقدمتان **فنقول**
اذا الهم العبد ان يسال الله الهداية ويستعينه على طاعته اعانه وهداه وكان ذلك
سبب سعادته في الدنيا والاخرة واذا خذل العبد فلم يعبد الله ولم يستعن به
ولم يتوكل عليه وكل الى حوله وقوته فوليه الشيطان وصده عن السبيل وشقي

بلغ
ان الله سبحانه وتعالى اذا وفق العبد الهمه [illegible]



في الدنيا والآخرة وكل ما يكون في الوجود هو بقضاء الله وقدره لا يخرج احد عن
القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المحفوظ وليس لاحد على الله حجة
بل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه
عدل وعلى العبد ان يؤمن بالقدر وليس له ان يحتج به على الله فالايمان به هدى
والاحتجاج به ضلال وغي بل الايمان بالقدر يوجب ان يكون العبد صبارا
شكورا صبورا على البلاء شكورا على الرخاء اذا اصابته نعمة علم انها من عند الله
فشكره سواء كانت النعمة حسنة فعلها او كانت خيرا حصل بسبب سعيها فان
الله هو الذي يسر عمل الحسنات وهو الذي تفضل بالثواب عليها فله الحمد
في ذلك كله وان اصابته مصيبة صبر عليها وان كانت تلك المصيبة قد جرت على
يدي غيره فالله هو الذي سلط ذلك الشخص وهو الذي خلق افعاله وكانت مكتوبة
على العبد كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه
قالوا هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم وعليه اذا اذنب
ان يستغفر ويتوب ولا يحتج على الله بالقدر ولا يقول اي ذنب لي وقد قدر
علي هذا الذنب بل يعلم انه هو المذنب العاصي الفاعل للذنب وان كان ذلك كله
بقضاء الله وقدره ومشيئته اذ لا يكون شيء الا بمشيئته وقدرته وخلقه لكن
العبد هو الذي اكل الحرام وفعل الفاحشة وهو الذي ظلم نفسه كما انه هو الذي
صلى وصام وحج وجاهد فهو الموصوف بهذه الافعال وهو المتحرك بهذه الحركات
وهو الكاسب لهذه المحدثات له ما كسب وعليه ما اكتسب والله خالق ذلك وغيره
من الاشياء لما له في ذلك من الحكمة البالغة بقدرته التامة ومشيئته النافذة
قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك فعلى العبد ان يصبر على المصائب
وان يستغفر من المعائب والله تعالى لا يامر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا
يحب الفساد وهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه ما شاء كان وما لم يشأ
لم يكن فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ومشيئة العبد للخير والشر
موجودة فان العبد له مشيئة للخير والشر وله قدرة على هذا وهذا وهو العامل
لهذا وهذا والله خالق ذلك كله وربه ومليكه لا خالق غيره ولا رب سواه ما شاء
كان وما لم يشأ لم يكن وقد اثبت الله المشيئتين مشيئة الرب ومشيئة

العبد وبين ان مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب في قوله ان هذه تذكرة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون الا ان يشاء الله وقال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء
منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين وقال تعالى اينما تكونوا
يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك الآية وبعض الناس يظن ان المراد هنا بالحسنات
والسيئات الطاعات والمعاصي فيتنازعون هذا يقول قل كل من عند الله وهذا يقول
الحسنة من الله والسيئة من نفسك وكلاهما خطأ في فهم الآية فان المراد هنا بالحسنات
والسيئات النعم والمصائب كما في قوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون
اي امتحناهم واختبرناهم بالسراء والضراء ومعنى الآية في المنافقين كانوا اذا اصابتهم
حسنة مثل النصر والرزق والعافية قالوا هذه من الله واذا اصابتهم مثل جدب ومرض وخوف
من العدو قالوا هذه من عندك يا محمد انت الذي جئت بهذا الدين الذي عادانا لاجله
الناس وابتلينا لاجله بهذه المصائب فقال الله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا انت انما امرتهم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر وما اصابك من
نعمة نصر وعافية ورزق فمن عند الله انعم بها عليك وما اصابك من سيئة فقر وذل
وخوف ومرض وغير ذلك فمن نفسك وذنوبك وخطاياك كما قال في الآية الاخرى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
فان الانسان كفور والانسان اذا اصابته المصائب بذنوبه وخطاياه
كان هو الظالم لنفسه واذا تاب واستغفر جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا
ورزقه من حيث لا يحتسب والذنوب مثل اكل السم فهو اذا اكل السم مرض او مات فهو الذي
يمرض ويتألم ويتعذب ويموت والله خالق ذلك كله وانما مرض بسبب اكله وهو
الذي ظلم نفسه باكل السم والترياق النافع كالتوبة النصوح فالعبد فقير الى الله تعالى
في كل حال فهو بفضله ورحمته يلهمه التوبة واذا تاب تاب عليه واذا دعاه على العبد صح
العبد استجاب له دعاءه كما قال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان الآية ومن قال لا مشيئة له في الخير ولا في الشر فقد كذب
ومن قال انه يشاء شيئا من الخير او الشر بدون مشيئة الله فقد كذب بل له مشيئة ان شاء شيئا

لكنما يفعله باختياره من خير وشر فكل ذلك انما يكون بمشيئة الله وقدرته فلابد
من الايمان بهذا وهذا ليحصل الايمان بالامر والنهي والوعد والوعيد والايمان
بالقدر خيره وشره وان ما اصاب العبد لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
ومن احتج بالقدر على المعاصي فحجته داحضة ومن اعتذر به فعذره غير مقبول بل
هولاء الضالون كما قال فيهم بعض العلماء انت عند الطاعة قدري وعند المعصية
جبري اي مذهب وافق هواك تمذهبت به فان هولاء اذا ظلمهم ظالم بل لو
فعل الانسان ما يكرهونه وان كان حقا لم يعذروه بالقدر بل يقابلوه بالحق
والباطل وان كان القدر حجة لهم فهو حجة لهولاء وان لم يكن حجة لهولاء لم يكن
حجة لهم وانما يحتج احدهم بالقدر عند هواه ومعصيته مولاه لا عند ما يوذيه
الناس ويظلمونه واما المومن فهو بالعكس في ذلك اذا اذاه الناس نظر الى القدر
فصبر واحتسب واذا هو اساء تاب واستغفر كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق
واستغفر لذنبك فالمومن يصبر على المصايب ويستغفر من الذنوب والمعايب
والمنافق بالعكس لا يستغفر من ذنبه بل يحتج بالقدر ولا يصبر على ما اصابه
فلهذا يكون شقيا في الدنيا والاخرة والمومن سعيد في الدنيا والاخرة والله سبحانه
وتعالى اعلم **مسئلة** في النهوض الذي يعده الناس من الاكرام والاحترام
عند قدوم شخص معتبر هل يجوز املا واذا كان يغلب على ظن المتقاعد عن ذلك ان القادم
يخجل او يتاذى باطنه وربما ادى ذلك الى بغض وحقد وعداوة وهذه الالقاب
بين الناس وفي المكاتبات والمحافل وغيرها وكذلك تحريك الرقاب الى جهة الارض
والانخفاض هل يجوز ام يحرم فان فعل ذلك رجل عادة وليس فيه قصد هل يحرم
املا وهل يجوز ذلك في حق الاشراف والائمة والصلحاء **الجواب**
لم يكن من عادة السلف على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ان يعتادوا
القيام للداخل المسلم كما يرون عليه السلام كما يعتاده كثير من الناس بل قال انس بن مالك
رضي الله عنه لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا
لما يعلمون من كراهته لذلك ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيا له
كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام لعكرمة وقال للانصار لما قدم سعد
قوموا الى سيدكم وكان سعد متمرضا بالمدينة وكان قدم الى بني قريظة شرقي
المدينة والذي ينبغي للناس ان يعتادوا ما كان عليه السلف على عهد

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم خير القرون وخير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد
صلى الله عليه وسلم فلا يعدل احد عن هدي خير الخلق وهدي خير القرون الى ما دونه
وينبغي للمطاع ان يقرر ذلك مع اصحابه بحيث اذا راوه لم يقوموا له ولا يقوم لهم في اللقاء المعتاد
فاما القيام لمن قدم من سفر ونحو ذلك تلقيا له فحسن واذا كان من عادة الناس
اكرام المجيء بالقيام ولو ترك ذلك لاعتقد ان ذلك لبخس حقه او قصد لخفضه
ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالاصلح ان يقام له لان في اصلاح ذات البين ذلك
وازالة للتباغض والشحنا واما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة فليس في ترك
ذلك ايذاء له وليس هذا القيام هو القيام المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم من سره
ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار فان ذلك ان يقوموا له
وهو قاعد ليس هو ان يقوموا لمجيئه اذا جاء ولهذا فرقوا بين ان يقال قمت اليه
وقمت له والقيام للقادم قد ساواه في القيام بخلاف القيام للقاعد وقد ثبت
في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى بهم قاعدا في مرضه وصلوا قياما
امرهم بالقعود وقال لا تعظموني كما يعظم الاعاجم بعضها بعضا فقد نهاهم
عن القيام في الصلاة وهو قاعد لئلا يتشبهوا بالاعاجم الذين يقومون لعظمائهم
وهم قعود وجماع ذلك ان الذي يصلح اتباع عادة السلف واخلاقهم والاجتهاد في
ذلك بحسب الامكان فمن لم يعتقد ذلك ولم يعرف انه العادة وكان في ترك معاملته
بما اعتاده الناس من الاكرام مفسدة راجحة فانه يدفع اعظم الفسادين بالتزام
ادناهما كما يحصل المصلحة بتفويت احدهما **فصل** واما الانخفاض عند التحية
فنهي عنه كما في الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم سألوه عن الرجل يلقى اخاه
اينحني له قال لا والانحناء والركوع والسجود لا يجوز فعله الا لله وان كان هذا كان على
وجه التحية في غير شريعتنا كما قال تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا فلا
يجوز عندنا السجود الا لله بل تقدم نهيه عن القيام لغير الله كما يفعل الاعاجم بعضهم
لبعض فكيف بالركوع والسجود وكذلك ما هو ركوع ناقص وسجود ناقص
تدخل في النهي عنه **فصل** واما الالقاب فكانت عادة السلف الاسماء
والكنى فاذا اكرموا الرجل سموه بابي فلان وبني فلان تارة يكنون الرجل بولده
وتارة بغير ولده كما يكنون من لا ولد له اما بالاضافة الى اسمه او اسم قريبه
او اسم ابيه او من يسميه او الى امر له به تعلق كما كنى النبي صلى الله عليه وسلم

عائشة ام عبد الله باسم ابن اختها عبد الله وكانوا يكنون داود ابا سليمان لكون اسم
داود الذي اسم ولده سليمان وكذلك كنية ابراهيم با اسحاق وكما كنوا عبد الله بن عباس
ابا العباس وكما كنى النبي صلى الله عليه وسلم ابا هريرة ابا هر باسم هر يكون معه وكان
الامر على ذلك في القرون الثلاثة حتى غلبت الدولة دولة الاعاجم كبني بويه فصاروا
يضيفونه الى الدولة فيقولون راس الدولة عضد الدولة بهاء الدولة ثم بعد هذا
حدثوا الاضافة الى الدين وتوسعوا في هذا ولا ريب ان الذي يصلح مع الامكان هو
ما كان السلف يعتادونه من المخاطبات والكنايات فمن امكنه ذلك فلا يعدل عنه
فان اضطر الى المخاطبة لاسما وقد نهى عن الاسماء التي فيها تزكية كما غير النبي صلى الله عليه وسلم
اسم برة فسماها زينب لئلا تزكي نفسها والمكاتبة بهذه الاسماء المحدثة خوفا من
تولد شر اذا عدل عنها فليقتصر على مقدار الحاجة وليتوق بين ذلك ان علم المخاطب
لا يلمح فيه معنى الصفة بمنزلة الاعلام المنقولة مثل اسد وكلب وثور ولا ريب
ان هذه المحدثات المنكرة احدثها الاعاجم وصاروا يزيدون فيها فيقولون
عز المسلمين وعز الدين عز الله والدين والحق وما اكثر ما يدخل في ذلك من الكذب
المبين بحيث يكون المنعوت بذلك احق بضد ذلك الوصف والذين يقصدون
هذه الامور فخرا وخيلاء يعاقبهم الله بنقيض قصدهم فيذلهم الله ويسلط
عليهم عدوهم والذين يتقون الله ويقومون بما امرهم به من عبادته وطاعته
يعزهم وينصرهم كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا
ويوم يقوم الاشهاد وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين الآية مسئلة
[illegible] الملائكة الموكلون بالعبد هل هما موكلان دائما ام كل يوم ينزل اليه ملكان غير
اولئك وهل موكل بالعبد ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وقوله عز وجل وهو القاهر
فوق عباده ويرسل عليكم حفظة الآية ما معنى الآية الجواب الحمد لله الملائكة
اصناف فمنهم من هو موكل بالعبد دائما ومنهم ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار
ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي
فيقولون اتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ومنهم ملائكة فضلا عن كتاب
الناس يتبعون مجالس الذكر واعمال العباد تجمع جملة وتفصيلا فترفع اعمال الليل
قبل اعمال النهار واعمال النهار قبل اعمال الليل وتعرض الاعمال على الله في كل اثنين وخميس
فهذا الكلام مما جاءت به الاحاديث الصحيحة واما انه كل يوم تبدل عليه الملكان فهذا ما بلغنا
فيه شيء والله اعلم

مسئلة في الحديث الذي ورد ان الله قبض قبضتين فقال هذه للجنة ولا ابالي
وهذه للنار ولا ابالي فهل هذا الحديث صحيح والله قبضها بنفسه ام امر احدا من الملائكة
يقبضها والحديث هو ان الله لما خلق آدم اراه ذريته عن اليمين والشمال ثم قال هؤلاء
الى النار ولا ابالي وهؤلاء الى الجنة ولا ابالي وهذا في الصحيح الجواب
نعم هذا المعنى مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة مثل ما في موطا مالك
وسنن ابي داود والنسائي وغيرهما عن مسلم بن يسار وفي لفظ عن نعيم بن ربيعة ان عمر
بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية واذ اخذ ربك من بني آدم ذريتهم الآية فقال عمر (من ظهورهم صح)
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية
فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون فقال يا رسول الله ففيم العمل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى
يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق الرجل للنار استعمله
بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار وفي حديث الحكم بن سفيان
عن ثابت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قبض قبضة فقال الى الجنة
برحمتي وقبض قبضة وقال الى النار ولا ابالي وهذا مثل الحديث ونحوه فيه
فصلان احدهما القدر السابق وهو ان الله سبحانه علم اهل الجنة من اهل النار
من قبل ان يعملوا الاعمال وهذا حق يجب الايمان به بل قد نص الائمة كمالك والشافعي
واحمد بن حنبل ان من جحد هذا فقد كفر بل يجب الايمان ان الله علم ما سيكون كله قبل
ان يكون ويجب الايمان بما اخبر به من انه كتب ذلك واخبر به قبل ان يكون كما في صحيح
مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر مقادير
الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء
وفي صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الله
ولا شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والارض
وفي لفظ ثم خلق السموات والارض وفي المسند عن العرباض بن سارية عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل
في طينته وسأنبئكم باول ذلك دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي حين
ولدتني انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام وفي حديث ميسرة

نبي

قلت يا رسول الله متى كتبت نبيا وفي لفظ متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد
وفي الصحيح عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك نطفة
ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه الملك فيؤمر باربع كلمات فيقال اكتب رزقه
وعمله واجله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح قال فوالذي نفسي بيده او قال فوالذي
لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وفي الصحيحين عن علي ابن ابي طالب
رضه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقيع الغرقد في جنازة فقال ما منكم من احد
الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة قالوا يا رسول الله افلا نتكل على
الكتاب وندع العمل قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة
فييسر لعمل اهل السعاده واما من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ
قوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى
فسنيسره للعسرى وفي الصحيح ايضا انه قيل يا رسول الله اعلم اهل الجنة من اهل النار قال
نعم فقيل له ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له فبين النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله علم اهل الجنة من اهل النار وانه كتب ذلك ونهاهم ان يتكلوا على هذا الكتاب
ويدعوا العمل كما يفعل الملحدون وقال كل ميسر لما خلق له وان اهل السعادة
ميسرون لعمل اهل السعاده واهل الشقاوة ميسرون لعمل اهل الشقاوة وهذا من
احسن ما يكون من البيان وذلك ان الله سبحانه يعلم الامور على ما هي عليه وهو قد جعل
للاشياء اسبابا تكون بها فيعلم انها تكون بتلك الاسباب كما يعلم ان هذا يولد
له بان يطأ امرأة فيحبلها فلو قال هذا اذا علم الله انه يولد لي فلا حاجة الى الوطي
كان احمق لان الله علم ان سيكون بما يقدره من الوطي وكذلك اذا علم ان هذا
ينبت من الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحب فلو قال اذا علم ان سيكون فلا ويبذره
حاجة الى البذر ولما كان جاهلا ضالا لان الله علم ان سيكون بذلك وكذلك
اذا علم الله ان هذا يشبع بالاكل وهذا يروى بالماء وهذا يموت بالقتل فلا بد من
الاسباب التي علم الله ان هذه الامور تكون بها وكذلك اذا علم ان هذا يكون
سعيدا في الاخرة وهذا شقيا في الاخرة قلنا ذلك لانه يعمل بعمل اهل الشقاء
فالله علم انه

فالله علم انه شقي بالعمل فلو قيل هو شقي وان لم يعمل كان باطلا لان الله لا يدخل
النار احدا الا بذنبه كما قال تعالى لاملئن جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين فاقسم ليملأنها من ابليس واتباعه ومن اتبع ابليس فقد عصى الله ولا يعاقب العبد
الله على ما علم انه يعلمه ولهذا لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اطفال المشركين قال الله
اعلم بما كانوا عاملين يعني الله يعلم ما يعملون لو بلغوا وقد روي انهم في القيمة
يبعث اليهم رسول فمن اطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار فيظهر ما علمه منهم من فيظهر
الطاعة والمعصية وكذلك الجنة خلقها الله لاهل الايمان به وطاعته
فمن قدر ان يكون فيهم يسره للايمان والطاعة فمن قال انا ادخل الجنة سواء كنت
مؤمنا او كافرا اذا علم الله اني من اهلها كان مفتريا على الله فان الله انما علم انه
يدخلها بالايمان فاذا لم يكن معه ايمان لم يكن هذا هو الذي علم الله انه يدخل
الجنة بل من لم يكن مؤمنا بل كان كافرا فان الله يعلم انه من اهل النار لا من اهل الجنة
ولهذا امر الناس بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الاسباب ومن قال
انا لا ادعو ولا اسئل اتكالا على القدر كان مخطئا ايضا لان الله جعل الدعاء والسؤال
من الاسباب التي ينال بها مغفرته ورحمته وهداه ونصره ورزقه واذا قدر للعبد خيرا
يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء وما قدره وعلمه من احوال العباد وعواقبهم
فانما قدره الله باسباب يسوق المقادير الى المواقيت فليس في الدنيا والاخرة شيء
الا بسبب والله خالق الاسباب والمسببات ولهذا قال بعضهم الالتفات الى الاسباب
بالكلية قدح في الشرع ومجرد الاسباب لا يوجب حصول المسبب فالمطر اذا نزل وبذر
الحب لم يكن ذلك كافيا في حصول النبات بل لا بد من ريح تربيه باذن الله تعالى ولا بد من
صرف الافات عنه فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع وكل ذلك بقضاء الله وقدره
وكذلك الولد هو لا يولد بمجرد انزال المني في الفرج بل كم من انزل ولا يولد له بل لا بد
من ان الله شاء خلقه فتحبل المرأة فيربيه في الرحم وسائر ما يتم به خلقه من ويربيه
الشروط وزوال الموانع وكذلك امر الاخرة ليس بمجرد العمل ينال الانسان السعادة بل
هي سبب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انه لن يدخل الجنة احد بعمله قالوا ولا
انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل وقد قال
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فهذه باء السبب اي بسبب اعمالكم والذي نفاه
النبي صلى الله عليه وسلم باء المقابلة كما يقال اشتريت هذا بهذا اي ليس العمل

فيعفو عوضا وثمنا كافيا في دخول الجنة بل لا بد من عفو الله ورحمته وفضله فيعفو ويمحو السيئات ويرحمه بالجزاء وبفضله ايضا على المكارم وفي هذا الموضع ضل طائفتان من الناس فريق آمنوا بالقدر وظنوا انه كاف في حصول المقصود فاعرضوا عن الاسباب الشرعيه والاعمال الصالحة وهولاء يوول الامر بهم الى ان يكفروا بكتب الله ورسله ودينه وفريق اخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الاجير المستاجر متكلين على اعمالهم وقوتهم وعلمهم وكما يطلبه المماليك وهولاء جهال ضلال فان الله لم يامر العباد بما امرهم به حاجة اليه ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به ولكن امرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم وهو سبحانه كما قال يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني فالملك والمالك اذا امر مملوكيه بامر امرهم لحاجته اليهم وهم فعلوه بقوتهم التي لم يخلقها لهم فيطالبون بجزاء ذلك والله تعالى غني عن العالمين فان احسنوا فلانفسهم وان اساوا فلها لهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وفي الحديث عن الله تعالى انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم وارسل اليهم رسولا يبين لهم ما يسعدهم ويشقيهم ثم انه هدى عباده المومنين لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فمن عليهم بالايمان والعمل الصالح فخلقه بفضله وارسال الرسول بفضله وهدايتهم بفضله وجميع ما ينالونه من الخير من قواهم وغير قواهم بفضله فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله وان كان اوجب ذلك على نفسه كما حرم على نفسه الظلم ووعدنا به فقال كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين فهو واقع لا محالة واجب بحكم ايجابه ووعده لا لان الخلق يوجبون على الله شيئا ويحرمون عليه شيئا بل هم اعجز من ذلك واقل من ذلك كل نعمة منه عدل كما في الحديث المتقدم انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وفي الصحيح سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت الى اخره من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة قوله ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي اعتراف بانعام الرب وذنب العبد كما قال

بلغ

كما قال بعض السلف اني اصبح بين نعمة تنزل من الله علي وبين ذنب يصعد مني الى الله فاريد ان احدث للنعمة شكرا وللذنب استغفارا فمن اعرض عن الامر والنهي والوعد والوعيد ناظرا الى القدر فقد ضل ومن طلب القيام بالامر والنهي معرضا عن القدر فقد ضل كما قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين فنعبده اتباعا للامر ونستعينه ايمانا بالقدر وفي الحديث الصحيح احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز الحديث فامر النبي صلى الله عليه وسلم بشيئين ان يحرص على ما ينفعه وهو امتثال الامر وهو العباده وهي طاعة الرسول وان يستعين بالله وهو يتضمن الايمان بالقدر انه لا حول ولا قوة الا بالله وانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن فمن ظن انه مطيع لله بلا معونته كما يزعم القدريه والمجوسيه فقد جحد قدرة الله تعالى التامة ومشيئته النافذة وخلقه لكل شيء ومن ظن انه اذا اعين على ما يريد ويسر له ذلك كان محمودا سواء وافق الامر الشرعي او خالفه فقد جحد دين الله وكذب بكتبه ورسله ووعده ووعيده واستحق من غضب الله وعقابه اعظم مما يستحقه الاول فان العبد قد يريد ما يرضاه الله ويحبه وقد يريد ما يبغضه الله ويسخطه فكل من هذين قد يسر له ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وقد قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها الايات وقال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين سبحانه انه ليس كل من يعطيه في الدنيا يكون قد اكرمه ولا كل من قدر عليه يكون قد اهانه بل هو يبتلي عبده بالسراء والضراء فالمومن يكون صبورا شكورا فيكون هذا وهذا خيرا له وليس ذلك الا للمومن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له والمنافق هلوع جزوع كما قال تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الى قوله في جنات مكرمون ولما كان العبد ميسرا لما لا ينفعه بل يضره من معصية الله والنظر والطغيان وقد يقصد عبادة الله وطاعته والعمل الصالح فلا يتاتى له ذلك امر في كل صلاة بقوله اياك نعبد واياك نستعين وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي الحديث وقال بعض السلف ان الله عز وجل ما ئة

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن

منعم عليه

كتاب واربعة كتب جمع علمها في الكتب الاربعة التوراة والانجيل والزبور والفرقان
وجمع الكتب الاربعة في القران وعلم القران في المفصل وعلم المفصل في الفاتحة وعلم
الفاتحة في اياك نعبد واياك نستعين فكل عمل يعمله العبد ولا يكون طاعة لله
وعبادة وعملا صالحا فهو باطل فان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله
وان نال بذلك العمل رياسة ومالا فغاية المترئس ان يكون كفرعون وغاية المتمول
ان يكون كقارون وقد ذكر الله في سورة القصص من قصة فرعون وقارون ما
فيه عبرة لاولي الالباب وكل عمل لا يعين الله العبد عليه فانه لا يكون ولا ينفع
فما لا يكون به لا يكون وما لا يكون له لا ينفع ولا يدوم فلذلك امر العبد ان
يقول اياك نعبد واياك نستعين والعبد له في المقدور حالان حال قبل
القدر وحال بعده فعليه قبل المقدور ان يستعين بالله ويتوكل عليه
ويدعوه فاذا قدر المقدور بغير فعله فعليه ان يصبر عليه او يرضى به وان كان
بفعله وهو نعمة حمد الله على ذلك وان كان ذنبا استغفر اليه من ذلك
وله في المامور حالان حال قبل الفعل والعزم على الامتثال والاستعانة بالله
على ذلك وحال بعد الفعل وهو الاستغفار من التقصير وشكر الله على ما انعم
من الخير وقال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك امره ان يصبر على المصائب
المقدرة ويستغفر من الذنب وان كان كل عبد لمحبة وان حسنات الابرار سيئات
المقربين وقال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال يوسف عليه السلام
انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فذكر الصبر على المصائب
والتقوى بترك المعائب وقال صلى الله عليه وسلم احرص على ما ينفعك واستعن بالله
ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما
شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فامره اذا اصابته المصائب ان ينظر الى
القدر عند المصائب والاستغفار عند المعائب قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا
باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال علقمة وغيره هو الرجل تصيبه
المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم والله سبحانه اعلم

مسئلة في عرض الاديان عند الموت هل له اصل في الكتاب
والسنة املا وقوله صلى الله عليه وسلم انكم لتفتنون في قبوركم ما المراد
بالفتنة واذا ارتد العبد والعياذ بالله هل يجازى باعماله الصالحة
قبل الردة

قبل الردة املا افتونا ماجورين الجواب الحمد لله اما عرض الاديان على
العبد وقت الموت فليس هو عاما لكل احد ولا هو ايضا منتفيا عن كل احد
بل من الناس من تعرض عليه الاديان قبل موته ايضا وذلك كله من فتنة المحيا التي
امرنا ان نتعوذ منها في صلواتنا ولكن وقت الموت احرص ما يكون الشيطان
على اغواء بني آدم لانه وقت الحاجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح الاعمال بخواتيمها وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخل
النار ولهذا روي ان الشيطان اشد ما يكون على ابن آدم حين الموت يقول
لاعوانه دونكم هذا فانه ان فاتكم لم تظفروا به ابدا وحكاية عبد الله بن احمد مع ابيه
لا بعد لا بعد مشهورة ولهذا قال من لم يحج يخاف عليه من ذلك لما روى انس بن مالك
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام
ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا كما قال الله ولله على الناس حج
البيت فقالوا لا نحج فقال الله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما الفتنة
في القبور فهي الاختبار والامتحان للميت حين يسأله الملكان فيقولان له
من ربك وما دينك ومن نبيك ويقولان ما كنت تقول في هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن الله ربي
والاسلام ديني ومحمد نبيي ويقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى
فآمنا به واتبعناه فينتهرانه انتهارة شديدة وهي آخر فتنة التي يفتن
بها المؤمن فيقولان له كما قالا له اولا وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وانس بن مالك وابي هريرة وغيرهم
رضي الله عنهم وهي عامة للمكلفين الا النبيين فقد اختلف فيهم وكذلك اختلف
في غير المكلفين كالصبيان والمجانين فقيل لا يفتنون لان المحنة لا تكون الا للمكلفين
وهذا قول القاضي وابن عقيل وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت وقيل يلقنون
ويفتنون ايضا وهذا قول ابي حكيم وابي الحسن بن عبدوس ونقل عن اصحاب
احمد وهو مطابق لقول من يقول انهم يمتحنون يوم القيمة كما قال اكثر اهل العلم
واهل السنة من اهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره ابو الحسن الاشعري
عن اهل السنة واختاره وهو مقتضى نصوص الامام احمد واما الردة عن

الاسلام بان يصير الرجل كافرا مشركا او كتابيا فانه اذا مات على ذلك حبط عمله باتفاق
العلماء كما نطق بذلك القران في غير موضع كقوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم الاية وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وقوله ولو اشركوا
لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولكن تنازعوا فيما
اذا ارتد ثم عاد الى الاسلام هل تحبط الاعمال التي عملها قبل الردة ام لا تحبط
الا اذا مات مرتدا على قولين مشهورين هما قولان للامام احمد والحبوط مذهب
ابي حنيفة ومالك والوقوف مذهب الشافعي وتنازع الناس ايضا في المرتد هل
يقال له ايمان صحيح يحبط بالردة ام يقال بالردة تبينا ان ايمانه كان فاسدا
وان الايمان الصحيح لا يزول والمسئلة على قولين لطوائف الناس وعلى ذلك ينبني
قول المستثني انا مؤمن ان شاء الله هل يعود الاستثناء الى كمال الايمان في الحال
او يعود الى الموافاة في المآل والله اعلم

مسئله مختصرة هي وجوابها ما
تقول السادة العلماء في اهل الصفة كم كانوا وهل كانوا بالمدينة او بمكة واين الموضع الذي
كانوا يقيمون فيه وهل كانوا مقيمين باجمعهم لا يخرجون الا خروج حاجة او كان منهم
من يقعد بالصفة ومنهم من يتسبب في القوت وما كان تسببهم هل يعملون بابدانهم
ام يشحذون وفيمن يعتقد ان اهل الصفة افضل من ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله
عنهم ومن سائر الباقين من العشرة وهل كان فيهم احد من العشرة وهل كان احد في ذلك
العصر ينذر لاهل الصفة وما قول العلماء في قوله تعالى واصبر مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي هل هي عامة ام مخصوصة باهل الصفة رضي الله عنهم وهذا الحديث
الذي يرويه العوام ما من جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي لله وهل تخفى حالة
الاولياء او طرقهم على اهل العلم وغيرهم ولماذا سمي الولي وليا وما المراد بالولي
وما الفقراء الذين يسبقون الاغنياء الى الجنة والفقراء الذين اوصى الله عليهم في كلامه
وذكرهم رسوله في سنته هل هم الذين لا يملكون كفايتهم اهل الفاقة والحاجة ام لا
وما قول العلماء في هؤلاء القلندرية من اي الطوائف يحسبون وهل يحل لمسلم
يؤمن بالله واليوم الآخر ان يدور في الاسواق ويقول من عنده نذر للشيخ
فلان وهل يأثم من يساعده ام لا افتونا ماجورين **اجاب شيخ الاسلام**
ابن تيمية رحمه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين اما الصفة فكانت في مؤخر

مسجد

مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في شمالي المسجد بالمدينة النبوية كان يأوي اليها
من فقراء المسلمين من ليس له اهل ولا مكان يأوي اليه وذلك ان الله سبحانه
لما امر نبيه والمؤمنين ان يهاجروا الى المدينة حين آمن به من آمن من اكابر
اهل المدينة وبايعهم بيعة العقبة عند منى وصار للمؤمنين دار عز ومنعة
جعل المؤمنون من اهل مكة وغيرهم يهاجرون الى المدينة وكان المؤمنون
السابقون بها صنفين المهاجرين هم الذين هاجروا اليها من بلادهم والانصار
هم اهل المدينة وكان من لم يهاجر من الاعراب وغيرهم من المسلمين لهم حكم آخر
وآخرون كانوا ممنوعين من الهجرة بالقيد والحبس وآخرون كانوا مقيمين
بين ظهراني الكفار المستظهرين عليهم وكل هذه الاصناف مذكورة في القرآن
وحكمهم باق الى يوم القيمة في اشباههم ونظرائهم قال الله تعالى الذين آمنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا الى قوله لهم مغفرة
ورزق كريم فهذا في السابقين ثم ذكر من يتبعهم الى يوم القيمة فقال والذين
آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم الاية وقال تعالى
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله
عنهم ورضوا عنه الاية وذكر في سورة الاعراب من المؤمنين وذكر المنافقين من
اهل المدينة ومن حولها وقال تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
قالوا فيم كنتم الايات فلما كان المؤمنون يهاجرون الى المدينة ومن حولها
كان فيهم من ينزل على الانصار باهله او بغير اهله لان المبايعة كانت على ان يؤووهم
ويواسوهم وكان في بعض الاوقات اذا قدم المهاجر اقترع الانصار على من ينزل
فيهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حالف بين المهاجرين والانصار وآخى وآخى
بينهم ثم صار المهاجرون يكثرون بعد ذلك شيئا بعد شيء فان الاسلام
صار ينتشر والناس يدخلون فيه والنبي صلى الله عليه وسلم يغزو الكفار تارة
بنفسه وتارة بسراياه فيسلم خلق تارة باطنا وظاهرا وتارة ظاهرا
فقط ويكثر المهاجرون الى المدينة من الاغنياء والفقراء والاهلين والعزاب
فكان من لم يتيسر له مكان يأوي الى تلك الصفة التي في المسجد ولم يكن جميع
اهل الصفة يجتمعون في وقت واحد بل منهم من يتأهل او ينتقل الى مكان

[illegible]

آخر يتيسر لهم ويجيء ناس بعد ناس وكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون فتارة
يكونون عشرة او اقل وتارة يكونون عشرين وثلاثين واكثر وتارة يكونون
ستين وسبعين واما جملة من آوى الى الصفة مع تفرقهم فقد قيل انهم كانوا
نحو اربعمائة من الصحابة وقيل كانوا اكثر ولم يعرف كل واحد منهم جمع اسماءهم
الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي في كتاب تاريخ اهل الصفة **فصل** واما حال
اهل الصفة وغيرهم من فقراء المسلمين الذين لم يكونوا في الصفة او كانوا يكونون
بها بعض الاوقات فكما وصفهم الله في كتابه حيث بين مستحقي الصدقة ومستحقي
الفيء فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
فهو خير لكم الى قوله للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وقال
في اهل الفيء للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا
من الله ورضوانا الآية وكان فقراء المسلمين من اهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند
امكان الاكتساب الذي لا يصدهم عما هو اوجب الى الله من الكسب واما اذا احصروا
في سبيل الله عن الكسب فكانوا يقدمون ما هو اقرب الى الله ورسوله فكان اهل الصفة
ضيف الاسلام يبعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون عنده فان الغالب عليهم
كان الحاجة لا تقوم بما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون اليه من رزق واما
المسألة فكانوا فيها كما ادبهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث حرمها على المستغني عنها
واباح منها ان يسأل الرجل حقه مثل ان يسأل ذا سلطان ان يعطيه حقه من مال الله
او يسأل اذا كان لا بد سائلا الصالحين الموسرين اذا احتاج الى ذلك ونهى خواص
اصحابه عن المسألة مطلقا حتى كان السوط يسقط من يد احدهم فلا يقول لاحد
ناولني اياه وهذا الباب فيه احاديث وتفصيل وكلام للعلماء لا يسعه هذا الكتاب
مثل قوله لعمر بن الخطاب ما اتاك من هذا المال وانت غير سائل له ولا مستشرف
فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك ومثل قوله من يستغن يغنه الله ومن يستعفف
يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من
الصبر ومثل قوله من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته خدوشا او خموشا
او كدوحا في وجهه ومثل قوله لان ياخذ احدكم حبله فيذهب فيحتطب خير

له

بلغ

له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه الى غير ذلك من الاحاديث واما الجائز منها
فمثل ما اخبر الله عز وجل عن موسى والخضر انهما اتيا اهل قرية استطعما اهلها
ومثل قوله لا تحل المسألة الا لذي دم موجع او غرم مفظع او فقر مدقع
ومثل قوله لقبيصة بن مخارق الهلالي يا قبيصة لا تحل المسألة الا لثلاثة
رجل اصابته جائحة اجتاحت ماله فسأل حتى يجد سدادا من عيش او قواما
من عيش ثم يمسك ورجل اصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجى من قومه يقولون لقد
اصابت فلانا فاقة فسأل حتى يجد سدادا من عيش او قواما من عيش ثم يمسك ورجل تحمل
حمالة فسأل حتى يجد حمالته ثم يمسك وما سوى ذلك من المسائل فانما هو سحت
ياكله صاحبه سحتا ولم يكن في الصحابة لا اهل الصفة او غيرهم من يتخذ مسألة
الناس ولا الالحاف في المسألة صنعة عمله وحرفته لا يبتغي الرزق الا بذلك كما لم يكن
في الصحابة ايضا اهل فضول من الاموال يتركون الانفاق ولا يؤدون الزكاة ولا ينفقون
اموالهم في سبيل الله ولا يعطون في النوائب بل هذان الصنفان الظالمان المصران
على الظلم الظاهر من مانعي الزكاة والحقوق الواجبة والمعتدين حدود الله في اخذ
اموال الناس كانا معدومين من الصحابة المثنى عليهم رضي الله عنهم **فصل**
واما تفضيل اهل الصفة على العشرة وغيرهم فخطأ وضلال بل خير هذه الامة بعد
نبيها ابو بكر ثم عمر كما تواتر ذلك عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب موقوفا ومرفوعا
وكما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وائمة العلم وبعدهما عثمان وعلي
وكذلك سائر اهل الشورى مثل طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وهؤلاء مع
ابي عبيدة بن الجراح امين هذه الامة ومع سعيد بن زيد هم العشرة المشهود لهم بالجنة
وقد قال تعالى في كتابه لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ففضل الله السابقين
قبل فتح الحديبية الى الجهاد باموالهم وانفسهم على التابعين بعدهم وقال لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقد ثبت في فضل البدريين ما تميزوا به
على غيرهم وهؤلاء الذين فضلهم الله ورسوله فمنهم من هو من اهل الصفة واكثرهم لم
يكونوا من اهل الصفة والعشرة لم يكن فيهم من هو من اهل الصفة الا سعد بن ابي وقاص
فقد قيل انه اقام بالصفة مدة واما اكابر المهاجرين والانصار مثل الخلفاء الاربعة

ومثل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر وابي ايوب الانصاري ومعاذ
بن جبل وابي بن كعب ونحوهم لم يكونوا من اهل الصفة بل عامة اهل الصفة انما كانوا من
فقراء المهاجرين لان الانصار كانوا في ديارهم ولم يكن احد ينذر لاهل الصفة
ولا لغيرهم **فصل** واما قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه فهي عامة فيمن تناوله هذا الوصف مثل الذين يصلون
الفجر والعصر في جماعة فانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
سواء كانوا من اهل الصفة او غيرهم امر الله نبيه بالصبر مع عباد الله الصالحين
الذين يريدون وجهه وان لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا وهذه
في الكهف وهي سورة مكية وكذلك الاية التي في سورة الانعام ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية وقد ذكر ان هاتين الايتين نزلتا في المؤمنين
المستضعفين لما طلب المستكبرون ان يبعدهم النبي صلى الله عليه وسلم عنه فنهاه الله
عن طرد من يريد وجهه وان كان مستضعفا ثم امره بالصبر معهم وكان ذلك
قبل الهجرة الى المدينة وقبل وجود الصفة لكن هي متناولة لكل من كان
بهذا الوصف من اهل الصفة وغيرهم والمقصود بذلك ان يكون مع المؤمنين
المتقين الذين هم اولياء الله وان كانوا فقراء ضعفاء فلا يقدم عند الله احد
بسلطانه وماله ولا بذله وفقره وانما يتقدم عنده بالايمان والعمل الصالح
فنهى الله نبيه ان يطاع اهل الرياسة والمال الذين يريدون ابعاد من كان
ضعيفا او فقيرا وامره ان لا يطرد من كان منهم يريد وجهه وان يصبر نفسه معهم
في الجماعة التي امر فيها بالاجتماع بهم كصلاة الفجر والعصر ولا يطيع امر الغافلين عن
ذكر الله المتبعين لاهوائهم **فصل** واما الحديث المروي ما من جماعة
يجتمعون الا وفيهم ولي لله فمن الاكاذيب ليس في دواوين الاسلام وكيف والجماعة
يكونون كفارا او فساقا يموتون على ذلك واولياء الله هم الذين امنوا وكانوا يتقون
كما ذكر الله ذلك في كتابه وهم قسمان المقتصدون اصحاب اليمين والمقربون السابقون
فولي الله ضد عدو الله قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين امنوا وكانوا يتقون وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة

الحديث

الحديث والولي من الولي وهو القرب كما ان العدو من العدو وهو البعد فولي الله
من والاه بالموافقة في محبوباته ومرضاته وتقرب اليه بما امر به من طاعته
وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح الصنفين المقتصدون
اصحاب اليمين وهم المتقربون الى الله بالواجبات والسابقون المقربون وهم
المتقربون اليه بالنوافل بعد الواجبات وذكرهم الله في سورة فاطر والواقعة
والانسان والمطففين واخبر ان الشراب الذي يروى به المقربون يشربهم اياه
صرفا ويمزج لاصحاب اليمين والولي المطلق هو من مات على ذلك
فصل واما الفقراء الذين ذكرهم الله في قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفي قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين
واذا ذكر في القران اسم المسكين وحده او الفقير وحده كقوله اطعام عشرة
مساكين فهو شيء واحد واذا ذكرا جميعا فهما صنفان والمقصود بهما اهل الحاجة
وهم الذين لا يجدون كفايتهم لا من مسئلة ولا من كسب يقدرون عليه فمن كان
كذلك من المسلمين استحق الاخذ من الصدقات المفروضة والموقوفة والمنذورة والموصى بها
وبين الفقهاء نزاع في بعض فروع هذه المسائل وضد هولاء الاغنياء الذين تحرم
عليهم الصدقة وهم نوعان نوع تجب عليه الزكاة وان كانت الزكاة تجب عليه فقد
تباح له عند جمهور العلماء ونوع لا تجب عليه وكل منهما قد يكون له فضل عن نفقاته
الواجبة وهم الذين قال الله فيهم ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وقد لا يكون له
فضل وهولاء الذين رزقهم الله قوتا وكفافا فهم اغنياء باعتبار غناهم عن
الناس وهم فقراء باعتبار انه ليس لهم فضول يتصدقون بها وانما يسبق
الفقراء الى الجنة بنصف يوم لعدم فضول الاموال التي يحاسبون على مخارجها
ومصارفها فمن لم يكن له فضل كان من هولاء وان لم يكن من اهل الزكاة ثم ارباب
الفضول ان كانوا محسنين في فضول اموالهم فقد يكونون بعد دخول الجنة
ارفع درجة من كثير من الفقراء الذين سبقوهم كما يقدم اغنياء الانبياء
والصديقين من السابقين وغيرهم على الفقراء الذين دونهم ومن هنا قال
الفقراء ذهب اهل الدثور بالاجور وقالهم لما ساووهم الاغنياء في العبادات
البدنية وامتازوا عنهم بالعبادات المالية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

[illegible]

فهذا هو الفقر في عرف الكتاب والسنة وقد يكون الفقرا سابقين وقد يكونون
مقتصدين وقد يكونون ظالمي لانفسهم كالاغنياء في كلا الطائفتين المؤمن
الصديق والمنافق الزنديق **فصل** واما هولاء القلندرية المحلقين
اللحا فمن اهل الضلالة والجهالة واكثرهم كافرون بالله ورسوله لا يرون وجوب
الصلاة والصيام ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق بل كثير
منهم اكفر من اليهود والنصارى وليسوا من اهل الملة ولا من اهل السنة وقد يكون
فيهم من هو مسلم لكنه مبتدع ضال او فاسق فاجر ومن قال ان قلندر كان
موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب وافترى بل قد قيل اصل هذا
الصنف انهم كانوا قوما من نساك الفرس يدورون على ما فيه راحة قلوبهم بعد
اداء الفرائض واجتناب المحارم هكذا فسرهم الشيخ ابو حفص السهروردي في
عوارفه ثم انهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات بمنزلة الملامتية
الذين كانوا يخفون حسناتهم ويظهرون ما لا ينافي صاحبه الصلاح من زي
الاغنياء ولبس العامة فهذا اقرب وصاحبه ماجور على نيته ثم حدث قوم فدخلوا
في امور مكروهة في الشريعة وزاد الامر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات
وترك الفرائض والواجبات وزعموا ان ذلك دخول منهم في الملامات ولقد صدقوا
في استحقاقهم اللوم والذم والعقاب من الله في الدنيا والاخرة وتجب عقوبتهم ٥٩
جميعهم ومنعهم من هذه الشعار الملعون كما يجب ذلك في كل معلن ببدعة
وفجور وليس ذلك مختصا بهم بل كل من كان من المتنسكة والمتفقهة والمتفقرة
والمتعبدة والمتزهدة والمتكلمة والمتفلسفة ومن وافقهم من الملوك والاغنياء
والكتاب والحساب والاطباء واهل الديوان والعامة خارج عن الهدى ودين
الحق الذي بعث الله به رسوله لا يقر بجميع ما اخبر الله به على لسان رسوله ولا يوجب
ما اوجبه الله ورسوله ولا يحرم ما حرمه الله ورسوله او يدين بدين يخالف الدين
الذي بعث الله به رسوله باطنا وظاهرا مثل من يعتقد ان شيخه يرزقه او ينصره
او يهديه او يغيثه او كان يعبد شيخه ويدعوه ويسجد له او يفضله على النبي صلى
الله عليه وسلم تفضيلا مطلقا او مقيدا في شيء من الفضل الذي يقرب الى الله
او كان يرى انه هو وشيخه مستغنيان عن متابعة الرسول فكل هولاء كفار ان
اظهروا ذلك ومنافقون ان ابطنوا وهولاء الاجناس وان كانوا قد كثروا في
هذه الازمان

هذه الازمان فلقلة دعاة العلم والايمان وفتور اثار الرسالة في اكثر البلدان واكثر هولاء
ليس عندهم من اثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى وكثير منهم لم يبلغهم ذلك
وفي اوقات الفترات وامكنة الفترات يثاب الرجل على ما معه من الايمان القليل
ويغفر الله له فيه ما لم تقم الحجة عليه ما لم يغفر لمن قامت عليه الحجة كما في الحديث
المعروف يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا صياما ولا حجا ولا عمرة
الا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون ادركنا اباءنا وهم يقولون لا اله الا الله فقيل
لحذيفة بن اليمان ما تغني عنهم لا اله الا الله قال تنجيهم من النار تنجيهم من النار
واصل ذلك ان المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والاجماع يقال هي كفر قولا مطلقا
كما دل على ذلك الدليل الشرعي فان الايمان والتكفير من الاحكام المتلقاة عن الله
ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم واهوائهم ولا يجب ان يحكم في كل شخص
قال ذلك بانه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه مثل من قال
ان الخمر والربا حلال لقرب عهده بالاسلام او لنشوئه ببلاد بعيدة او سمع كلاما
انكره ولم يعتقد انه من القران ولا انه من احاديث كما كان بعض السلف ينكر اشياء
حتى يثبت عنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قالها وكما كان الصحابة يشكون في اشياء
مثل رؤية الله وغير ذلك حتى يسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثل الذي
قال اذا انا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم لعلي اضل الله ونحو ذلك فان
هولاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة الرسالية كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل وقد عفى الله لهذه الامة عن الخطا والنسيان وقد اشبعنا
الكلام في القواعد التي في هذا الجواب في اماكنها والفتوى لا يحتمل البسط
اكثر من هذا **فصل** واما النذر للقبور او لسكان القبور والعاكفين على
القبور سواء كانت قبور الانبياء او الصالحين فهو نذر حرام باطل
يشبه النذر للاوثان سواء كان نذر زيت او شمع او غير ذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد
والسرج وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد يحذر ما فعلوا وقال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور

مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك وقال اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد من بعدي وقد اتفق ائمة الدين على انه لا يشرع بناء المساجد
على القبور ولا ان تعلق عليها الستور ولا ان ينذر لها النذور ولا ان يوضع
عندها الذهب والفضة بل حكم هذه الاموال ان تصرف في مصالح المسلمين
اذا لم يكن لها مستحق معين ويجب هدم كل مسجد بني على قبر كائنا الميت
من كان فان ذلك من اكبر اسباب عبادة الاوثان كما قال تعالى وقالوا لا تذرن
آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال طائفة من
السلف هذه اسماء قوم صالحين لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم عبدوهم
ومن نذر لها نذرا لم يجز الوفاء به لما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه وعليه
كفارة يمين لقول النبي صلى الله عليه وسلم كفارة النذر كفارة يمين ولما روي انه
قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين ومن العلماء من لا يوجب عليه
الا الاستغفار والتوبة ومن الحسن ان يصرف ما نذره في نظيره من المشروع نوع
مثل الصرف في الدهن الى تنوير المساجد والنفقة الى مصالح فقراء المسلمين الموصوفين وان كا
وان كانوا من اقارب الشيخ ونحو ذلك وهذا الحكم عام في قبر نفيسة ومن هو اكبر
من نفيسة من الصحابة مثل قبر طلحة والزبير وغيرهما بالبصرة وفي سلمان الفارسي
وغيره بالعراق ومن اعتقد ان النذر لها ينفع او اجرها فهو ضال جاهل فقد ثبت
في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج
به من مال البخيل وفي رواية انما يلقي ابن ادم الى القدر فاذا كان هذا في نذر
الطاعة فكيف في نذر المعصية فيعتقدون انها باب الحوائج الى الله وانها تكشف
الضر وتفتح الرزق او تحفظ مصر فهذا كافر مشرك يجب قتله وكذلك
من اعتقد في ذلك في غيرها كائنا من كان قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا
يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له
منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له والقران من اوله الى آخره
بل جميع الكتب والرسل انما بعثوا بان يعبد الله وحده لا شريك له

وان لا يجعلوا

وان لا يجعلوا مع الله الها آخر والاله من يالهه القلب عبادة واستعانة واجلالا
واكراما وخوفا ورجاء كما في حال المشركين في آلهتهم وانما اعتقد المشرك انما
يالهه مخلوق مصنوع كما كان المشركون يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك
لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال صلى الله عليه وسلم لحصين
الخزاعي يا حصين كم تعبد قال اعبد سبعة آلهة ستة في الارض وواحد
في السماء قال فمن الذي تعده لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء
قال يا حصين فاسلم حتى اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فلما اسلم قال
قل اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي الى آخر الدعاء والله تعالى اعلم

مسألة هل ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين ليلة الاسرى ببيت المقدس ام لا وهل كانت الصلاة
واجبة ام لا وهل هي الصلاة المعهودة ام الصلاة اللغوية التي هي الدعاء
وهل كان الاسرى في المنام او في اليقظة وهل كان مرة او مرتين وهل رأى
النبي صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه ليلة الاسرى بعيني راسه ام لا ومتى كان
الاسرى **الجواب** ثبت ان نبينا صلوات الله وسلامه عليه صلى بالانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ليلة الاسرى ببيت المقدس ثم يحتمل ان الصلاة
كانت قبل صعوده الى السماء ويحتمل انها كانت بعد نزوله واختلف العلماء في هذه
الصلاة فقيل انها الصلاة اللغوية وهي الدعاء والذكر وقيل هي الصلاة المعروفة
وهذا اصح لان اللفظ يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية وانما يحمل على اللغوية
اذا احتمل ولا تقرر هنا فوجب الحمل على الصلاة الشرعية وكانت الصلاة واجبة
قبل ليلة الاسرى وكان واجبا بعض قيام الليل كما نص الله تعالى في سورة المزمل
وكان الواجب اولا ما ذكره الله في اول السورة بقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل
الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ثم نسخ ذلك بعد سنة بما ذكر الله في آخر السورة
بقوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه ثم نسخ قيام الليل ليلة الاسرى واوجبت فيها
الصلوات الخمس وكان الاسرى سنة خمس او ست من النبوة وقيل سنة اثنا عشر منها
وقيل بعد سنة وثلاثة اشهر وقيل غير ذلك وكانت الليلة السابعة والعشرين من شهر
ربيع الاول وكان الاسرى به صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة
ورأى ربه ليلة الاسرى بعيني راسه هذا هو الصحيح الذي قال ابن عباس

واكثر الصحابة وعلمائها ومنعه طائفة من العلماء وليس لهم الى نفيه دليل
ظاهر وان ما احتجوا بقول عائشة رضي لا تدركه الابصار واجاب الجمهور
عنه بان الادراك هو الاحاطة والله لا يحاط به لكن يراه المؤمنون في
الدار الآخرة بغير احاطة وكذلك رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى
والله تعالى اعلم قال ابن القيم رحمه الله تعالى في

(٢٧٢) التبعية واما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وتنازع عائشة وابن عباس فقد بسطت
الكلام فيه في غير هذا الموضع وبينا ان الثابت عن ابن عباس ثم عن احمد ثم عن
احمد هو شيء واحد وهو اما اطلاق الرؤية واما تقييدها بالفؤاد واما
التقييد بانه رآه بعينه فلم يثبت عن ابن عباس ولا عن احمد بن حنبل ونحوهما
ولعل ما ذكر في المسئلة الاولى قد رجع عنه فانه قد رجع عن مسائل كثيرة
تبين له ان الصواب في خلافها وقد ذكر ابن القيم رحمه الله هذا الكلام الحسن
في اعلام الموقعين والله اعلم) ما قولكم رحمكم الله في قوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وان كانت اللام للصيرورة في عاقبة الامر فما صار ذلك
وان كان اللام للغرض فلزم الاستخلاف احد من المخلوقين عن عبادته وليس كذلك
فكيف التخلص من هذا المضيق وفيما وردت الاخبار والآيات من الرضا بقضاء
الله فكراهتها وبغضها كراهة وبغض لقضاء الله تعالى وفي قوله تعالى اصل السؤال
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان كان المخاطب موجودا
فتحصيل الحاصل محال وان كان معدوما فكيف يتصور خطاب المعدوم
وفي قوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن فما معنى قوله تعالى ادعوني
استجب لكم وان كان الدعاء ايضا مما هو كائن فما فائدة الامر به ولابد
من وقوعه وفي قوله صلوات الله عليه من فسر القرآن برأيه فليتبوأ
مقعده من النار فاختلف المفسرون في آية واحدة ان كان بالرأي
فكيف النجاة وان لم يكن بالرأي فكيف وقع الاختلاف والحق لا يكون
في طرفي نقيض افتونا ماجورين اثابكم الله الجواب اما
المسئلة الاولى فهي مبنية على اصلين احدهما الفرق بين خطاب

التكوين

التكوين الذي لا يطلب به سبحانه فعلا من المخاطب بل هو الذي يكون المخاطب به
ويخلقه بدون فعل من المخاطب او قدرة او ارادة او وجود له وبين خطاب التكليف (١٧٣)
الذي يطلب به من المأمور فعلا او تركا يفعله بقدرته وارادته وان كان ذلك جميعه
بحول الله وقوته اذ لا حول ولا قوة الا بالله وهذا الخطاب قد تنازع فيه الناس
هل يصح ان يخاطب به المعدوم بشرط وجوده ام لا يصح ان يخاطب به الا بعد وجوده
فلا نزاع بينهم انه لا يتعلق به حكم الخطاب الا بعد وجوده وكذلك تنازعوا في
الاول هل هو خطاب حقيقي ام هو عبارة عن الاقتدار وسرعة التكوين بالقدرة
والاول هو المشهور عند المنتسبين الى السنة والاصل الثاني ان المعدوم في حال
عدمه هل هو شيء ام لا فانه قد ذهب طوائف من متكلمة المعتزلة والشيعة الى انه
شيء في الخارج وذات وعين وزعموا ان الماهيات غير مجعولة ولا مخلوقة وان
وجودها زائد على حقيقتها وكذلك ذهب الى هذا طوائف من المتفلسفة
والاتحادية وغيرهم من الملاحدة والذي عليه جماهير الناس وهم قول متكلمة
اهل الاثبات والمنتسبين الى السنة والجماعة انه في الخارج عن الذهن قبل وجوده
ليس بشيء اصلا ولا ذات ولا عين وانه ليس في الخارج شيئان احدهما حقيقته
والآخر وجوده الزائد على حقيقته فان الله ابدع الذوات التي هي الماهيات
وكلها سواه سبحانه فهو مخلوق ومجعول ومبدع ومبروء له سبحانه لكن من هؤلاء
من يقول المعدوم ليس شيئا اصلا وان سمي شيئا باعتبار ثبوته في العلم
كان مجازا من اهل العلم ومنهم من يقول لا ريب ان له ثبوتا في العلم ووجودا فيه
فهو باعتبار هذا الثبوت والوجود هو شيء وذات وهؤلاء لا يفرقون بين
الوجود والثبوت كما فرق من قال المعدوم شيء ولا يفرقون في كون المعدوم
ليس بشيء بين الممكن والممتنع كما فرق اولئك اذ قد اتفقوا على ان الممتنع
ليس بشيء وانما النزاع في الممكن وحجة من جعله شيئا انما هو انه ثابت في العلم
وباعتبار ذلك صح ان يخص بالقصد والخلق والخبر عنه والامر به والنهي عنه
وغير ذلك قالوا وهذه التخصيصات تمتنع ان تتعلق بالعدم المحض فان
تخص الفرق بين الوجود الذي هو الثبوت العيني وبين الوجود الذي هو

الثبوت العلمي زالت الشبهة في هذا الباب وقوله تعالى انما قولنا اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون وذلك الشيء هو معلوم له قبل ابداعه وقبل توجيه هذا الخطاب اليه وبذلك
كان مقدرا مقضيا فان الله تعالى يقول ويكتب مما يعلمه ما يشاء كما ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وفي صحيح
البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء غيره
وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفي سنن ابي داود
وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال وما اكتب قال
اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة الى امثال ذلك من النصوص التي تبين ان المخلوق قبل
ان يخلق كان معلوما مخبرا عنه مكتوبا فهو شيء باعتبار وجوده العلمي الكلامي الكتابي
وان كانت حقيقته التي هي وجوده العيني ليس ثابتا في الخارج بل هو عدم محض ونفي صرف
وهذه المراتب الاربعة المشهورة موجودات وقد ذكرها الله سبحانه في اول سورة انزلها
على نبيه في قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق الى قوله علم الانسان
ما لم يعلم وقد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع واذا كان كذلك كان الخطاب
موجها الى من توجهت اليه الارادة وتعلقت به القدرة وخلق وكون كما قال انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فالذي يقال له كن هو الذي يراد وهو حين يراد
قبل ان يخلق له ثبوت وتميز في العلم والتقدير ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق
من غيره وبهذا يحصل الجواب عن التقسيم فان قول السائل ان كان الخطاب موجودا
فتحصيل الحاصل محال يقال له هذا اذا كان موجودا في الخارج وجوده الذي
هو وجوده ولا ريب ان المعدوم ليس موجودا ولا هو في نفسه شيء ولا ثابت واما اما
علم واريد وكان شيئا في العلم والارادة والتقدير فليس وجوده في الخارج محالا
بل جميع المخلوقات لا توجد الا بعد وجودها في العلم والارادة وقول السائل
ان كان معدوما فكيف يتصور خطاب المعدوم يقال له اما اذا قصد ان يخاطب
المعدوم في الخطاب بخطاب يفهمه ويمتثله فهذا محال اذ من شرط المخاطب
ان يتمكن من الفهم والفعل والمعدوم لا يتصور ان يفهم ويفعل فيمتنع
خطاب التكليف في حال عدمه بمعنى انه يطلب منه حين عدمه ان يفهم ويفعل

وكذلك ايضا يمتنع ان يخاطب المعدوم في الخارج خطاب تكوين بمعنى ان يعتقد
انه شيء ثابت في الخارج وانه يخاطب بان يكون واما الشيء المعلوم المذكور المكتوب اذا كان
توجيه خطاب التكوين اليه مثل توجيه الارادة اليه فليس ذلك محالا بل هو امر ممكن بل مثل
ذلك يجده الانسان في نفسه فيقدر امرا في نفسه يريد ان يفعله ويوجه ارادته وطلبه الى ذلك
المراد المطلوب الذي قدره في نفسه ويكون حصول المراد المطلوب بحسب قدرته فان
كان قادرا على حصوله حصل مع الارادة والطلب الجازم وان كان عاجزا لم يحصل وقد
يقول الانسان ليكن كذا ونحو ذلك من صيغ الطلب فيكون المطلوب بحسب قدرته عليه
والله سبحانه على كل شيء قدير وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فانما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون **فصل** واما المسئلة الثانية فقول السائل قوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان كانت هذه اللام للصيرورة في عاقبة الامر
فما صار ذلك وان كانت اللام للغرض لزم الا يتخلف احد من المخلوقين عن عبادته وليس
الامر كذلك فما التخلص من هذا المضيق فيقال هذه اللام ليست هي اللام التي يسميها
بعض النحاة لام العاقبة والصيرورة ولم يقل ذلك احد هنا اهل كما ذكره السائل حتى ان
ذلك لم يعرف الا عن قول من فسر ليعبدون بمعنى ليعرفون يعني المعرفة التي اقر بها المؤمن والكافر
لكن هذا قول ضعيف وانما زعم بعض الناس ذلك في قوله ولذلك خلقهم التي في اخر
سورة هود فان بعض القدرية زعم ان تلك اللام لام العاقبة والصيرورة اي صار
عاقبتهم الى الرحمة والى الاختلاف وان لم يقصد ذلك الخالق وجعلوا ذلك كقوله تعالى
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقول الشاعر لدوا للموت وابنوا للخراب
وهذا ايضا ضعيف هنا لان لام العاقبة انما تجيء في حق من لا يكون عالما بعواقب
الامور ومصايرها فيفعل الفعل الذي له عاقبة لا يعلمها كآل فرعون واما من يكون
عالما بعواقب الافعال ومصايرها فلا يتصور منه ان يفعل فعلا له عاقبة لا يعلم
عاقبته واذا علم ان فعله له عاقبة فلا يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون فان ذلك
تمني وليس بارادة واما اللام هي اللام المعروفة وهي لام كي ولام التعليل التي
اذا حذفت انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له وتسمى العلة الغائية
وهي متقدمة في العلم والارادة متأخرة في الوجود والحصول وهذه العلة هي
المراد المطلوب المقصود من الفعل لكن ينبغي ان يعرف ان الارادة في كتاب الله

على نوعين احدهما الارادة الكونية وهي الارادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال
فيها ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهذه الارادة في مثل قوله تعالى فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقوله
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال تعالى
ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وقال ولولا اذ دخلت جنتك قلت
ما شاء الله لا قوة الا بالله وامثال ذلك وهذه الارادة في مدلول اللام في قوله ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال السلف خلق فريقا للاختلاف وفريقا
للرحمة ولما كانت الارادة هنا كونية وقع المراد بها فقوم اختلفوا وقوم رحموا
واما النوع الثاني فهو الارادة الدينية الشرعية وهي محبة المراد ورضاه ومحبته
واهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما في قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر وفي قوله تعالى ما يريد الله عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم
ليجعل
وقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم الى قوله يريد الله
ان يخفف عنكم الاية فهذه الارادة لا تستلزم وقوع المراد الا اذا تعلق به النوع
الاول من الارادة ولهذا كانت الاقسام اربعة احدها ما تعلقت به الارادتان وهو
ما وقع في الوجود من الاعمال الصالحة فان الله اراده ارادة دين وشرع فامر به
واحبه ورضيه واراده ارادة كون فوقع ولولا ذلك لما كان والثاني ما تعلقت
به الارادة الدينية فقط وهو ما امر الله به من الاعمال الصالحة فعصى ذلك الامر الكفار
والفجار فتلك كلها ارادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولم تقع والثالث
ما تعلقت به الارادة الكونية فقط وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يامر بها
كالمباحات والمعاصي فانه لم يامر بها ولم يرضها ولم يحبها اذ هو لا يامر بالفحشاء ولا
يرضى لعباده الكفر ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لما كانت ولما وجدت فانه ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن والرابع ما لم تتعلق به هذه الارادة ولا هذه فهذا ما لم يكن
من انواع المباحات والمعاصي واذا كان كذلك فمقتضى اللام في قوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون هو الارادة الدينية الشرعية وهذه قد يقع مرادها
وقد لا يقع والمعنى ان الغاية التي يحبهم ويرضى لهم والتي امروا بفعلها هي
العبادة فهو العمل الذي خلق العباد له اي هو الذي يحصل به كمالهم وصلاحهم

الذي به

الذي به يكونون مرضيين محبوبين فمن لم تحصل منه هذه الغاية كان عادما لما
يحب ان يكون ويرضى ويراد له الارادة الدينية التي فيها سعادته ونجاته وعادما
لكماله وصلاحه العدم المستلزم فساده وعذابه وقول من قال العبادة هي
الغريزية هنا الفطرية فقولان ضعيفان فاسدان يظهر فسادهما من وجوه
متعددة . **فصل** واما المسالة الثالثة فقوله فيما وردت الاخبار والآيات
بالرضاء بقضاء الله فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وقدح
في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها وبغضها كراهة وبغض
لقضاء الله تعالى **فيقال** ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله آية ولا
حديث يامر العباد ان يرضوا بكل مقضي مقدر من افعال العباد حسنها وسيئها
فهذا اصل يجب ان يعتنى به ولكن على الناس ان يرضوا بما امر الله به فليس لاحد
ان يسخط ما امر الله به قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى ذلك بانهم اتبعوا
ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم وقال ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله الاية وذكر الرسول هنا يبين ان الايتاء الديني الشرعي لا الكوني القدري
وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبيا وينبغي للانسان ان يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب التي ليست
ذنوبا مثل ان يبتليه بفقر او مرض وذل او اذى الخلق له فان الصبر على المصائب
واجب واما الرضا بها فهو مشروع لكن هل هو واجب او مستحب على قولين لاصحاب
احمد وغيرهم اصحهما وبعضهم وهو القائل انه مستحب ليس بواجب ومعلوم ان من
اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقد امرنا الله ان نامر بالمعروف ونحبه
ونرضاه ونحب اهله وننهى عن المنكر ونبغضه ونسخطه ونبغض اهله ونجاهدهم
بايدينا والسنتنا وقلوبنا فكيف نتوهم انه ليس في المخلوقات ما نبغضه ونكرهه
وقد قال تعالى لما ذكر ما ذكر من المنهيات كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها
فاذا كان الله يكرهها وهو المقدر لها فكيف لا نكرهها من امرنا ان نكرهها
ونبغضها وهو القائل وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم
الراشدون وقال تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه

فاحبط اعمالهم وقال تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم وقال تعالى وغضب الله عليهم ولعنهم
وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى
من القول فاخبر انه من القول الواقع ما لا يرضاه وقال تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض الى قوله وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وقال
ورضيت لكم الاسلام دينا وقال ان تشكروا يرضه لكم فبين انه رضي الدين الذي امر به
فلو كان يرضى كل شيء لما كان له خصيصة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته وقال ان الله تعالى يغار وان المؤمن
يغار وغيرة الله ان يأتي العبد ما حرم عليه ولا بد في الغيرة من كراهة ما يغار منه
وبغضه وهذا باب واسع **فصل** واما المسألة الرابعة فقول اذا كان قد جف
القلم بما هو كائن فما معنى قوله تعالى ادعوني استجب لكم وان كان الدعاء ايضا مما
هو كائن فما فائدة الامر به ولا بد من وقوعه **فيقال** الدعاء في اقتضائه الاجابة
كسائر الاعمال الصالحة في اقتضائها الاثابة وكسائر الاسباب في اقتضائها
المسببات ومن قال ان الدعاء علامة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسؤول
ليس بسبب او هو عبادة محضة لا اثر له في حصول المطلوب وجودا ولا عدما
بل ما يحصل بالدعاء يحصل بدونه فهما قولان ضعيفان فان الله علق الاجابة
به تعليق المسبب بالسبب فقوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة
رحم الا اعطاه بها احدى خصال ثلاث اما ان يعجل له دعوته واما ان يدخر
له من الخير مثلها واما ان يصرف عنه من الشر مثلها قالوا يا رسول الله اذا نكثر
قال الله اكثر فعلق العطاء بالدعاء تعليق الوعد والجزاء بالعمل المامور به
قال عمر بن الخطاب اني لا احمل هم الاجابة وانما احمل هم الدعاء فاذا الهمت الدعاء فان
الاجابة معه وامثال ذلك كثير وايضا فالواقع المشهود يدل على ذلك ويبينه
كما يدل على مثله في سائر الاسباب وقد اخبر سبحانه من ذلك بما اخبر به في مثل
قوله ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون وقوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا
الى قوله فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقوله امن يجيب المضطر
اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وقوله تعالى عن زكريا رب

لا تذرني

لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه وقال تعالى
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقوله تعالى
ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره
الى قوله ما لهم من محيص فاخبر انه ان شاء اوبقهن فاجتمع اخذهم بذنوبهم وعفوه عن
كثير منها مع علم المجادلين في آياته انهم ما لهم من محيص لانه في مثل هذه الحال يعلم
المورد للشبهات في الدلائل الدالة على ربوبية الرب وقدرته ومشيئته ورحمته
انه لا مخلص له مما وقع فيه كقوله في الآية الاخرى وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال
فان المعارف التي تحصل في النفس بالاسباب الاضطرارية اثبت وارسخ من المعارف
التي ينتجها مجرد النظر القياسي فلهذا ينزع عن النفوس في مثل هذه الحال اهل الكتاب (يخلع النفوس)
موجب بذاته فلا يكون هو المحدث للحوادث ابتداء ولا يمكنه ان يحدث شيئا
ولا يغير العالم حتى يدعا ويسئل وهل هو عالم بالتفصيل والاجمال وقادر على
تغيير الاحوال حتى يسئل التحويل من حال الى حال ام ليس كذلك كما يزعمه من يزعمه
من المتفلسفة وغيرهم من الضلال فيجتمع مع العقوبة والعفو من ذي الجلال علم اهل المراء
والجدال انهم لا محيص لهم عما وقع بهم من جدالهم في آياته وهو شديد المحال وقد تكلمنا
على هذا واشباهه وما يتعلق به من المقالات والديانات في غير هذا الموضع والمقصود
هنا ان نعلم ان الدعاء والسؤال هو سبب لنيل المطلوب المسؤول ليس وجوده كعدمه
في ذلك ولا هو علامة بل علة محضة كما دل عليه الكتاب والسنة وان كان قد نازع
في ذلك طوائف من اهل القبلة وغيرهم وان ذلك يقر به جماهير بني آدم من المسلمين واليهود
والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين لكن طوائف من المشركين والصابئين
من المتفلسفة المشائين اتباع ارسطو ومن تبعهم من متفلسفة اهل الملل كالفارابي
وابن سينا ومن سلك سبيلهما ممن خلط ذلك بالكلام والتصوف والفقه ونحو هؤلاء
يزعمون ان تاثير الدعاء في نيل المطلوب كما يزعمون في تاثير سائر الممكنات
المخلوقات من القوى الفلكية والطبيعية والقوى النفسانية والعقلية فيجعلون
ما يترتب على الدعاء هو من تاثير النفوس البشرية من غير ان يثبتوا للخالق سبحانه
بذلك علما مفصلا او قدرة على تغيير العالم او ان يثبتوا انه لو شاء ان يفعل
غير ما فعل لامكنه ذلك فليس هو عندهم قادرا على ان يجمع عظام الانسان
ويسوي بنانه والله سبحانه هو الخالق لها ولقواها فلا حول ولا قوة الا بالله

واما قوله وان كان الدعاء مما هو كائن فما فائدة الامر به ولا بد من وقوعه
فيقال الدعاء المامور لا يجب كونه بل اذا امر الله العباد بالدعا فمنهم من يطيعه
فيستجاب دعاه وينال طلبته ويدل على ذلك على ان المعلوم المقدور هو الدعاء
والاجابة ومنهم من يعصيه فلا يدعوا فلا يحصل ما علق بالدعا فيدل ذلك
على انه ليس في المعلوم المقدور الدعا ولا الاجابة فالدعا الكائن هو الذي
تقدم العلم بانه كائن فان قيل فما فائدة الامر فيما علم انه يكون من الدعاء
قيل الامر هو سبب ايضا في امتثال المامور به كساير الاسباب فالدعا سبب يدفع
البلا فاذا كان اقوى منه رفعه وان كان سبب البلا اقوى لم يدفعه لكن قد
يخففه ويضعفه ولهذا امر عند الكسوف والايات بالصلاة والدعا والاستغفار
والصدقة والعتق

فصل

واما المسيلة الخامسة في قوله صلى الله عليه وسلم
من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار فاختلاف المفسرين غاية واحدة
ان كان بالراي فكيف النجاة وان لم يكن بالراي فكيف وقع الاختلاف والحق
لا يكون في طرفي نقيض فيقال ينبغي ان يعلم ان الاختلاف الواقع من
المفسرين وغيرهم على وجهين احدهما ليس فيه تضاد وتناقض بل يمكن ان
يكون كل منهما حقا وانما هو اختلاف تنوع او اختلاف في الصفات او العبارات
وعامة الاختلاف والحق الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين
هو من هذا الباب فان الله سبحانه اذا ذكر في القران اسما مثل قوله اهدنا الصراط
المستقيم فكل من المفسرين يعبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته
وكل ذلك حق بمنزلة ما يسمي الله ورسوله وكتابه باسماء كل اسم منها يدل على صفة
من صفاته فيقول بعضهم الصراط المستقيم هو كتاب الله او اتباع كتاب الله ويقول
الاخر الصراط المستقيم هو الاسلام او دين الاسلام ويقول الاخر الصراط المستقيم
هو السنة والجماعة او اتباع السنة والجماعة ويقول الاخر الصراط المستقيم طريق
العبودية او طريق الرضا والخوف والحب وامتثال المامور واجتناب
المحظور او متابعة الكتاب والسنة او العمل بطاعة الله او نحو هذه الاسماء
والعبارات ومعلوم ان المسمى هو واحد وان تنوعت صفاته وتعددت
اسمائه وعباراته كما اذا قيل محمد هو احمد وهو الحاشر وهو الماحي وهو العاقب
وهو خاتم المرسلين وهو نبي الرحمة وهو نبي الملحمة وكذلك اذا قيل القران

هو

هو الفرقان والنور والشفاء والذكر الحكيم والكتاب الذي احكمت اياته ثم
فصلت وكذلك اسماء الله الحسنى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو
بكل شيء عليم وهو الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى
فجعله غثاء احوى وهو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى وامثال ذلك فهو سبحانه واحد
صمد واسمائه الحسنى تدل كلها على ذاته ويدل هذا من صفاته على ما لا يدل عليه
الاخر فهي متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات فالاسم
يدل على الذات والصفة المعينة بالمطابقة ويدل على احدهما بطريق التضمن وكل اسم
يدل على الصفة التي دل عليها بالالتزام لانه يدل على الذات المتصفة به جميع الصفات
فكثير من التفسير والترجمة يكون من هذا الوجه ومنه قسم اخر وهو ان يذكر المفسر
والمترجم معنى اللفظ على سبيل التعيين والتمثيل لا على سبيل الحد والحصر مثل
ان يقول ما تكلم تعيين هذا الشخص وهذا كما اذا سئلوا عن قوله تعالى فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات او عن قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون او عن الصالحين او عن الظالمين ونحو ذلك من الاسماء العامة الجامعة التي
قد يتعسر او يتعذر على المستمع او المتكلم ضبط مجموع معناه او لا يكون محتاج
الى ذلك فيذكر من انواعه واشخاصه ما يحصل به غرضه وقد يستدل به على
نظائره فان الظالم لنفسه هو تارك المامور فاعل المحظور والمقتصد هو
فاعل الواجب وتارك المحرم والسابق هو فاعل الواجب والمستحب وتارك
المحرم والمكروه فيقول المجيب بحسب حال السائل الظالم الذي يفوت الصلاة
او الذي لا يسبغ الوضوء او الذي لا يتم الاركان ونحو ذلك والمقتصد الذي
يصلي في الوقت كما امر والسابق بالخيرات الذي يصلي الصلاة بواجباتها
ومستحباتها وياتي بالنوافل المستحبة معها وكذلك يقول مثل هذا في الزكاة والصوم
والحج وساير الواجبات وقد روي عن ابن عباس انه قال التفسير على اربعة اوجه
تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء
وتفسير لا يعلمه الا الله فمن ادعى علمه فهو كاذب فالصحابة اخذوا عن الرسول
لفظ القران ومعناه كما اخذوا عنه السنة وان كان من الناس من غير السنة فمن

الناس من غير بعض معاني القرآن اذا لم يتمكن من تغيير لفظه وايضا فقد يخفى
على بعض العلماء بعض معنى القرآن كما خفي عليه بعض السنة فيقع خطأ المجتهد
من هذا الباب والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم فمنقول من كلام الشيخ تقي الدين رحمة الله عليه
في الفروق التي يتبين بها كون الحسنة من الله والسيئة من النفس وقوله انما يخشى الله من
عباده العلماء كقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الى قوله وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون فانه نفى التحريم عن غيرها واثبته لها لكن هل المثبتة للجنس او لكل واحد من
العلماء كما يقال انما يحج المسلمون وذلك ان المستثنى هل هو مقتضي او شرط ففي هذه الآية
وامثالها هو مقتضي فهو عام فان العلم بما انذرت به الرسل يوجب الخوف فاذا كان
العلم يوجب الخشية الحاملة على فعل الحسنات وترك السيئات وكل عاص فهو جاهل
ليس بتام العلم تبين ما ذكرنا من اصل السيئات الجهل وعدم العلم واذا كان كذلك
فعدم العلم ليس شيئا موجودا بل هو مثل عدم القدرة وعدم السمع والبصر والعدم
ليس شيئا وانما الشيء الموجود والله خالق كل شيء فلا يضاف العدم المحض
الى الله لكن قد يقترن به موجود فاذا لم يكن عالما والنفس بطبعها متحركة فانها
حية والحركة الارادية من لوازم الحيوة ولهذا اصدق الاسماء الحارث وهمام وفي الحديث
مثل القلب مثل ريشة ملقاة الخ وفيه القلب اشد تقلبا من القدر اذا استجمعت غليانا
فاذا كان كذلك فان هداها الله علمها ما ينفعها وما يضرها فارادت ما ينفعها
وتركت ما يضرها والله سبحانه تفضل على بني آدم بامرين هما اصل السعادة احدهما
ان كل مولود يولد على الفطرة كما في الصحيحين ولمسلم عن عياض بن حمار مرفوعا اني خلقت
عبادي حنفاء الحديث فالنفس بفطرتها اذا تركت كانت محبة لله تعبده لا تشرك
به شيئا ولكن يفسدها من زين لها من شياطين الانس والجن قال تعالى واذ اخذ ربك من
بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية وتفسير هذه الآية مبسوط في غير هذا الثاني
ان الله هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم من العقل وبما انزل اليهم من الكتب
وارسل اليهم الرسل قال تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق الى قوله علم بالقلم وقال
الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق
فسوى والذي قدر فهدى وقال وهديناه النجدين ففي كل واحد مما يقتضي
معرفته بالحق ومحبته له وقد هداه الى انواع من العلم يمكنه ان يتوصل بها

مفعول يخشى

من ان

السعادة

السعادة الآخرة وجعل في فطرته محبته لذلك لكن قد يعرض للانسان بغير طلب
علم ما ينفعه وذلك الاعراض امر عدمي لكن النفس الارادة والحركة من لوازمها
فانها حية حياة طبيعية لكن سعادتها ان تحيى الحياة النافعة فتعبد الله فمتى
لم تحي هذه الحياة كانت ميتة وكان ما لها من الحياة الطبيعية موجبا لعذابها
فلا هي حية متنعمة بالحياة ولا ميتة مستريحة من العذاب قال تعالى لا يموت فيها
ولا يحيى فالجزاء من جنس العمل فلما كان في الدنيا ليس يحيى الحياة النافعة ولا ميتا
عديم الاحساس كان في الآخرة كذلك والنفس ان علمت الحق وارادته فذلك
من تمام نعمة الله عليها والا فهي بطبعها لا بد لها من مراد معبود غير الله ومراداتها
سيئة فهذا تركيب كونها لم تعرف الله ولم تعبده وهذا عدم والقدرية يعترفون
بهذا وبان الله خلق الانسان مريدا لكن يجعلونه مريدا بالقوة والقبول
اي قابلا لان يريد هذا وهذا واما كونه مريدا لهذا المعين وهذا المعين فهذا
عندهم ليس مخلوقا لله وغلطوا بل الله خالق هذا كله وهو الذي الهم النفس
فجورها وتقواها وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم آت نفسي تقواها الخ والله
سبحانه جعل ابراهيم واهل بيته ائمة يدعون بامره وجعل آل فرعون ائمة
يدعون الى النار لكن هذا يضيف الى الله من جهتين من جهة علته الغائية ومن جهة
سببه اما العلة الغائية فانه انما خلقه لحكمة هو باعتبارها خير وان كان
شرا اضافيا فاذا اضيف مفردا توهم المتوهم مذهب جهم ان الله خلق الشر
المحض الذي لا خير فيه لاحد لا لحكمة ولا لرحمة والكتاب والسنة والاعتبار
يبطل هذا كما اذا قيل محمد وامته يسفكون الدماء ويفسدون في الارض كان
هذا ذما لهم وكان باطلا واذا قيل يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا
ويقتلون من منعهم من ذلك كان هذا مدحا لهم وكان حقا واذا قيل ان الرب
حكيم رحيم احسن كل شيء خلقه وهو ارحم الراحمين والخير بيديه والشر ليس اليه
لا يفعل الا خيرا وما خلقه من الم لبعض الحيوان او من اعمالهم المذمومة فله فيه حكمة
عظيمة ونعمة جسيمة كان هذا حقا وهو مدح للرب واما اذا قيل يخلق الشر
الذي لا خير فيه ولا منفعة لاحد ولا له فيه حكمة ولا رحمة ويعذب الناس بلا ذنب

ينعم انعام الله

بلغ

بياض الاصل

لم يكن ملحا له بل العكس وقد بينا بعضها في خلق جهنم وابليس والسيئات
من الحكمة والرحمة وما لم نعلم اعظم والله سبحانه يستحق الحمد والحب والرضا لذاته
ولاحسانه هذا حمد شكر وذاك حمد مطلقا وقد ذكرنا في غير هذا انما خلقه
فهو نعمة يستحق عليها الشكر وهو من الآية ولهذا قال في آخر سورة النجم فبأي آلاء
ربك تتمارى وفي سورة الرحمن يذكر كل من عليها فان ونحو ذلك ويقول عقيبه
فبأي آلاء ربكما تكذبان قال طائفة واللفظ للبغوي ثم ذكر قوله يطوفون بينها
وبين حميم آن قال فكلما ذكر الله عز وجل من قوله كل من عليها فان مواعظ
وهو نعمة لانه زجر عن المعاصي وقال آخرون منهم الزجاج وابن الجوزي في الايات
اي هذه الاشياء لانها كلها نعم في دلالتها اياكم على توحيده ورزقه اياكم ما به
قوامكم هذا قالوه في سورة الرحمن وقالوا في قوله فبأي آلاء ربك تتمارى فبأي نعم
ربك التي تدل على وحدانيته تتشكك وقيل تشك وتجادل وقال ابن عباس تكذب
قلت ضمن تتمارى معنى تكذب ولهذا عداه بالتاء فانه تفاعل من المراء
يقال تمارينا في الهلال والمراء في القران كفر وهو يكون لتكذيب وتشكيك ويقال
لما كان الخطاب لهم قال تتمارى اي يتمارون ولم يقل تمتري لان التفاعل يكون
بين اثنين قالوا وان ليس للانسان الا ما سعى قبل الوليد بن المغيرة فانه قال
ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ثم التفت
اليه فقال وان ليس للانسان الا ما سعى كما قال خلق الانسان من صلصال كالفخار
وخلق الجان من مارج من نار فبأي آلاء ربكما تكذبان ففي كل ما خلقه احسان
الى عباده يشكر عليه وله فيه حكمة تعود اليه يستحق ان يحمد عليها لذاته فجميع المخلوقات
فيها انعام على عباده كالثقلين المخاطبين يقول فبأي آلاء ربكما تكذبان من جهة
انها آيات يحصل بها هدايتهم وتدل على وحدانيته وصدق انبيائه ولهذا
قال عقيبه هذا نذير من النذر الاولى قبل محمد وقبل القرآن وهما متلازمان يقول
هذا نذير انذر بما انذرت به الرسل والكتب الاولى وقوله من النذر الاولى
اي من جنسها فافضل النعم نعمة الايمان وكل مخلوق فهو من الآيات التي
يحصل بها ما يحصل من هذه النعمة قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي
الالباب

الالباب وقال تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وما يصيب الانسان ان كان
يسره فهو نعمة بينة وان كان يسوءه فهو نعمة لانه يكفر خطاياه ويثاب
عليه بالصبر ومن جهة ان فيه حكمة ورحمة لا يعلمها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم الآية وكلتا النعمتين تحتاج مع الشكر الى الصبر اما الضر فظاهر واما نعمة
السراء فتحتاج الى الصبر على الطاعة فيها كما قال بعض اهل السلف ابتلينا بالضراء
فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر ولهذا كان اكثر من يدخل الجنة المساكين
لكن لما كان في السراء اللذة وفي الضراء الالم اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء قال تعالى
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه الى قوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
الآية وايضا صاحب السراء احوج الى الشكر وصاحب الضراء احوج الى الصبر فان
صبر هذا وشكر هذا واجب واما صبر السراء فقد يكون مستحبا وصاحب الضراء
قد يكون الشكر في حقه مستحبا واجتماع الشكر والصبر يكون مع تألم النفس وتلذذها
وهذا حال يعسر على كثير وبسطه له موضع آخر والمقصود ان الله منعم بهذا كله وان كان
لا يظهر في الابتداء لاكثر الناس فان الله يعلم وانتم لا تعلمون واما ذنوب الانسان
فهي من نفسه ومع هذا فهي مع حسن العاقبة نعمة وهي نعمة على غيره بما يحصل له به
من الاعتبار وهذا منه قول اللهم لا تجعلني عبرة لغيري ولا تجعل غيري اسعد بما
علمتني مني وفي دعاء القران ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين كما فيه واجعلنا
للمتقين اماما واجعلنا ائمة لمن يقتدي بنا ولا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين كما فيه
لمن يضل بنا والآلاء في اللغة هي النعم وهي تتضمن القدرة والله تعالى في القران يذكر
آياته الدالة على قدرته وربوبيته ويذكر آياته التي يذكر فيها نعمه الى عباده
ويذكر آياته المبينة لحكمته وهي متلازمة لكن نعمة الانتفاع بالمآكل والمشارب
والمساكن والملابس ظاهرة لكل احد فلهذا استدل بها في سورة النحل وتسمى سورة
النعم كما قال قتادة وغيره وعلى هذا فكثير من الناس يقول الحمد اعم من الشكر
فائدة من جهة اسبابه فانه يكون على نعمة وغيرها والشكر اعم من جهة انواعه فانه يكون
بالقلب واللسان واليد فاذا كان كل مخلوق فيه نعمة لم يكن الحمد الا على نعمة
والحمد لله على كل حال لكن هذا فهم من عرف ما في المخلوقات من النعم والجهمية

والجبرية بمعزل عن هذا وكذلك القدرية الذين يقولون لا تعود الحكمة اليه بل ما ثم
الا نفع الخلق فما عندهم الا شكر كما ليس عند الجهمية الا قدرة والقدرة المجردة عن
نعمة وحكمة لا يظهر فيها وصف حمد وحقيقة مذهبهم انه لا يستحق الحمد فله ملك
بلا حمد كما انه عند المعتزلة نوع من الحمد بلا ملك وعند السلف له الملك والحمد
تاما وقد قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو الاية فله الوحدانية في الالهية وله العدل
وله العزة والحكمة وهذه الاربعة انما يثبتها السلف واتباعهم فمن قصر عن
معرفة السنة نقص الرب بعض حقه فالجهمي الجبري لا يثبت عدلا ولا حكمة ولا توحيد
الالهية بل توحيد ربوبيته والمعتزلي لا يثبت توحيد الالهية ولا عدلا ولا عزة
ولا حكمة وان قال انه يثبت حكمة بما معناها يعود الى غيره وتلك لا تكون حكمة فمن
فعل لا لأمر يرجع اليه بل لغيره فهذا عند العقلاء قاطبة ليس بحكيم واذا كان الحمد لا يقع
الا على نعمه فقد ثبت انه راس الشكر فهو اول الشكر والحمد وان كان على نعمته وعلى
حكمته فالشكر بالاعمال هو على نعمته وهو عبادة له لالهيته التي تتضمن حكمته
فقد صار مجموع الامور داخلا في الشكر ولهذا اعظم القران امر الشكر ولم يعظم
امر الحمد مجردا اذ كان نوعا من الشكر وشرع الحمد الذي هو الشكر مقولا امام كل
خطاب مع التوحيد ففي الفاتحة الشكر والتوحيد والخطب الشرعية لابد فيها
من الشكر والتوحيد والباقيات الصالحات نوعان فسبحان الله وبحمده فيها
الشكر والتنزيه والتعظيم ولا اله الا الله والله اكبر فيها التوحيد والتكبير
وقد قال تعالى فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وهل الحمد على
الامور الاختيارية كما قيل في الذم ام عام فيه نظر ليس هذا موضعه وفي الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع يقول ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الارض
وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد
لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد هذا لفظ الحديث
احق افعل التفضيل وقد غلط فيه طائفة فقالوا احق ما قال العبد وهذا
ليس بسديد فان العبد يقول الحق والباطل بل الحق ما يقوله الرب كما قال فالحق
والحق اقول ولكن احق خبر المبتدا محذوف اي الحمد احق ما قال العبد فخبر ان الحمد
احق ما قال العباد ولهذا وجب في كل صلاة واذا قيل يخلق ما هو شر محض

لم يكن

لم يكن هذا موجبا لمحبة العباد له وحمدهم بل بالعكس ولهذا كثير من هؤلاء ينطقون
بالذم والشتم نظما ونثرا وكثير من شيوخهم وعلمائهم يذكر ذلك وان لم ينطق بلسانه
فقلبه ممتلئ به لكن يرى ان ليس في ذكره منفعة او يخاف من المسلمين وفي شعر طائفة
من شيوخ ذكر نحو هذا او يقيمون حجة ابليس واتباعه على الله وهو خلاف ما وصف
به نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فقوله
احق ما قال العبد يقتضي ان حمده احق ما قاله العبد لانه لا يفعل الا الخير وهو
سبحانه خلقهم ونفسه متحركة بالطبع حركة لا بد فيها من الشر لحكمة بالغة ونعمة سابغة
فاذا قيل فلم لا خلقها على غير هذا الوجه قيل كان يكون ذلك خلقا غير الانسان وكانت
الحكمة بخلقه لا تحصل من هذا سؤال الملائكة حين قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء الاية اني اعلم ما لا تعلمون فعلم من الحكمة في خلق هذا ما لم تعلمه
الملائكة فكيف يعلمه احاد الناس ونفس الانسان خلقت كما قال ان الانسان
خلق هلوعا الاية وقال خلق الانسان من عجل فقد خلقت خلقة تستلزم
وجود ما خلق منها لحكمة عظيمة ورحمة عميمة فهذا من جهة الغاية مع ان الشر
لا يضاف اليه واما الوجه الثاني من جهة السبب فان هذا الشر انما وجد لعدم العلم
والارادة التي تصلح النفس فانها خلقت بفطرتها تقتضي معرفة الله ومحبته وقد
هديت الى العلوم والاعمال تعينها على ذلك وهذا كله من فضل الله واحسانه لكن النفس
المذنبة لما حصل لها من تزيين لها السيئات من شياطين الانس والجن مالت الى ذلك
وكان ذلك عدم كمال من عدم ما ينفع وهذا الاصل وجود هؤلاء العدم لا يضاف
الى الله وهؤلاء القول فيهم كالقول فيما خلقهم لحكمة فلما كان عدم ما يصلح به
هو الحسنات والشر المحض هو العدم المحض وهو ليس شيئا والله خالق كل شيء
فكانت السيئات منها باعتبار انها مستلزمة للحركة الارادية والعبد اذا اعترف
ان الله خالق افعاله فان اعترف اقرارا انه مخلوق لله لكل شيء وبكلماته التامات
واعترافه بفقره اليه وانه من لم يهده فهو ضال فخضع لعزته وحكمته فهذا حال
المؤمنين وان اعترفوا احتجاجا بالقدر فهذا الذنب اعظم من الاول وهذا من
اتباع الشيطان وهنا سؤال يسأله طائفة وهو انه لا يقضي للمؤمن
قضاء الا كان خيرا له وقد قضى عليه السيئات وعنه جوابان احدهما

ان اعمال العباد لم تدخل في الحديث ولكن ما يصيبه من النعم والمصائب ولهذا قال
ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له الخ وهذا ظاهر اللفظ فلا اشكال الثاني ان قدر
دخولها فقد قال صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو المؤمن فاذا
قضي له بان يحسن فهو مما يسره واذا قضي بسيئة فهو انما يستحق العقوبة اذا لم يتب
فان تاب ابدلت حسنة فيشكر عليها وان لم يتب ابتلي بمصائب تكفرها فيصبر
عليها فيكون ذلك خيرا له وهو قال لا يقضي الله للمؤمن والمؤمن المطلق هو الذي
لا يصر على الذنب بل يتوب منه فيكون حينئذ كما جاء في عدة آثار ان العبد ليعمل الذنب فيدخل
به الجنة يعمل فلا يزال يتوب منه حتى يدخل بتوبته منه الجنة والذنب يوجب ذل العبد
وخضوعه والاستغفار وشهود الفقر والفاقة اليه وفي قولي من نفسك فيه
فوائد ان العبد لا يطمئن الى نفسه فان الشر لا يجيء الا منها ولا يشتغل بملام الناس
وذمهم ولكن يرجع الى الذنوب فيتوب منها ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات
عمله ويسأل الله ان يعينه على طاعته فبذلك يحصل له الخير ويندفع عنه الشر
ولهذا كان انفع الدعاء واعظمه واحكمه دعاء الفاتحة اهدنا الصراط المستقيم
الخ فانه اذا هداه هذا الصراط اعانه على طاعته وترك معصيته فلم يصبه
شر لا في الدنيا ولا في الآخرة والذنوب من لوازم النفس وهو محتاج الى الهدى
كل لحظة وهو الى الهدى احوج منه الى الاكل والشرب ويدخل في ذلك من انواع
الحاجات ما لا يمكن احصاؤه ولهذا امر به في كل صلاة لفرط الحاجة اليه وانما
يعرف بعض قدره من اعتبر احوال نفسه ونفوس الانس والجن المامورين
بهذا الدعاء ورأى ما فيها من الجهل والظلم الذي يقتضي شقاءها في الدنيا والآخرة
فيعلم ان الله بفضله ورحمته جعل هذا الدعاء من اعظم الاسباب المقتضية
للخير المانعة من الشر ومما يبين ذلك ان الله لم يقص علينا في القرآن قصة احد
الا لنعتبر بها وانما يكون الاعتبار اذا قسنا الثاني بالاول وكانا مشتركين
في المقتضي والحكم فلولا ان في نفوس الناس من جنس ما كان في نفوس المكذبين
للرسل فرعون ومن قبله لم يكن بنا حاجة الى الاعتبار بمن لا نشبهه قط ولكن
الامر كما قال تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون وقال تعالى كذلك قال الذين من قبلهم

مثل قولهم

مثل قولهم

تشابهت قلوبهم وقال تعالى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم لتسلكن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب
لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقال لتأخذن امتي ما اخذ الامم
قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا يا رسول الله فارس والروم قال فمن وكلا الحديثين في
الصحيح ولما كان في غزوة حنين كان للمشركين سدرة يعلقون عليها اسلحتهم فقال
بعض الناس يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال الله اكبر قلتم كما قال
اصحاب موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم وقد بين
القرآن ان السيئات من النفس وان كانت بقدر الله فاعظمها جحود الخالق
والشرك به وطلب النفس ان تكون شريكة له او الها من دونه وكلا هذين وقع فان فرعون
وابليس يطلب ان يعبد ويطاع من دون الله وهذا الذي في فرعون وابليس غاية
الظلم والجهل وفي نفوس سائر الانس والجن شعبة من هذا وهذا ان لم يعن الله العبد
ويهديه والا وقع في بعضها وقع فيه فرعون وابليس بحسب الامكان قال بعض العارفين
ما من نفس الا وفيها ما في نفس فرعون الا انه قدر فاظهر وغيره عجز فاضمر وذلك
ان الانسان اذا اعتبر وتعرف نفسه والناس رأى الواحد يريد نفسه ان تطاع
وتعلو بحسب الامكان والنفوس مشحونة بحب العلو والرياسة بحسب امكانها
فتجده يوالي من يوافقه على هواه ويعادي من يخالفه في هواه وانما معبوده ما يهواه
ويريده قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا والناس عنده
في هذا كما هم عند ملوك الكفار من الترك وغيرهم يقال يا غمي اي صديقي وعدو
فمن وافق هواهم كان وليا وان كان كافرا وان لم يوافقه كان عدوا وان كان
من المتقين وهذه حال فرعون والواحد من هؤلاء يريد ان يطاع امره بحسب امكانه
لكنه لا يتمكن مما تمكن منه فرعون من دعوى الالهية وجحود الصانع وهؤلاء وان اقروا
بالصانع فاذا جاءهم من يدعوهم الى عبادته المتضمنة ترك طاعتهم عادوه كما عادى
فرعون موسى وكثير من الناس عنده عقل وايمان لا يطلب هذا الحد بل يطلب لنفسه
ما هو عنده فاذا كان مطاعا مسلما طلب ان يطاع في اغراضه وان كان فيها
ما هو ذنب ومعصية لله ويكون من اطاعه احب اليه واعز عنده ممن اطاع الله
وخالف هواه وهذه شعبة من حال فرعون وسائر المكذبين للرسل وان كان
عالما او شيخا احب من يعظمه دون من يعظم نظيره حسدا وبغيا كما فعلت

اليهود لما بعث الله من يدعوا الى مثل ما دعى اليه موسى قال واذا قيل لهم آمنوا بما
انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا الايه وقال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءتهم البينة وقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ولهذا اخبر عنهم بنظير ما اخبر به عن فرعون وسلط عليهم من انتقم به منهم
فقال تعالى عن فرعون ان فرعون علا في الارض الايه وقال وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولهذا قال تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والله سبحانه انما خلق الخلق لعبادته ليذكروه
ويشكروه ويعبدوه وارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده ويكون الدين كله
لله وتكون كلمة الله هي العليا قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون وقال واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون وقد امر الرسل كلهم بهذا وان لا يتفرقوا فيه فقال
ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا الايه قال قتادة اي دينكم دين واحد وربكم واحد والشريعة مختلفه
وكذلك قال الضحاك عن ابن عباس اي دينكم دين واحد قال ابن ابي حاتم وروى عن سعيد بن جبير
وقتادة وعبد الرحمن نحو ذلك قال الحسن بين لهم ما يتقون وما يأتون ثم قال ان هذه
سنتكم سنة واحدة وهكذا قال جمهور المفسرين والامة الملة والطريقة كما قال انا
وجدنا اباءنا على امة كما تسمى الطريقة اماما لان السالك فيها يؤتم به واخبر انه
كان امة وامر الله الرسل ان تكون امتهم ودينهم واحدا لا يتفرقون فيه كما في الصحيح
انا معاشر الانبياء ديننا واحد وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
الايه ولهذا كان يصدق بعضهم بعضا لا يختلفون مع تنوع شرائعهم فمن كان
من المطاعين من الامراء والعلماء والمشائخ متبعا للرسل امر بما امروا به ودعا اليه
واحب من دعا الى مثل ما دعا اليه فان الله يحب ذلك فيحب ما يحبه الله وان قصده
عبادة الله وحده وان يكون الدين لله ومن كره ان يكون له نظير يدعو الى ذلك فهذا
يطلب ان يكون هو المطاع المعبود وله نصيب من حال فرعون واشباهه فمن طلب
ان يطاع دون الله فهذا حال فرعون ومن طلب ان يطاع مع الله فهذا يريد من الناس
ان يتخذوا من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والله سبحانه امر ان لا يعبد الا اياه
ولا يكون الدين الا له وتكون الموالاة فيه والمعاداة فيه ولا يتوكل الا عليه ولا
يستعان الا به فالمتبع للرسل يامر الناس بما امرتهم به الرسل ليكون الدين لله
لا له فاذا امر غيره بمثل ذلك احبه واعانه وسر به واذا احسن الى الناس فانما

يحسن اليهم

[illegible] أمتهم

يحسن اليهم ابتغاء وجه ربه الاعلى ويعلم ان الله قد منّ عليه بان جعله محسنا فيرى
ان عمله لله وبالله وهذا مذكور في الفاتحة اياك نعبد واياك نستعين فلا يطلب ممن احسن اليه
جزاء ولا شكورا ولا يمن عليه بذلك فانه قد علم ان الله هو المان عليه اذ استعمله في
الاحسان فعليه ان يشكر الله اذ يسره لليسرى وعلى ذلك ان يشكر الله اذ يسر له ما ينفعه
ومن الناس من يحسن الى غيره ليمن عليه او يجزيه فلا عمل لله ولا عمل بالله فهو كالمرائي
وقد ابطل الله صدقة المنان وصدقة المرائي قال الله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى الايه قال قتادة تثبيتا من انفسهم احتسابا من عند انفسهم وقال الشعبي
يقينا وتصديقا من انفسهم وقيل يخرجونها طيبة بها انفسهم على يقين بالثواب وتصديق
بوعد الله يعلمون ان ما اخرجوه خير لهم مما تركوه قلت اذا كان المعطي محتسبا
للاجر من الله لا من الذي اعطاه فلا يمن عليه

الفرق السادس ان ما يبتلى به من الذنوب
وان كان خلقا لله فهو عقوبة له على عدم فعله ما خلقه الله له وفطره عليه فانه خلقه
لعبادته وحده ودله عليه الفطرة فلما لم يفعل ما خلق له وما فطر عليه عوقب على ذلك
بان زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي قال تعالى اذهب فمن تبعك منهم
فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا الى قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال تعالى
انه ليس له سلطان على الذين آمنوا الايه وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا الايه فتبين ان الاخلاص يمنع من تسلط الشيطان كما قال تعالى
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء الايه فكان الهامه لفجوره عقوبة له وعدم
فعل الحسنات ليس امرا موجودا حتى يقال ان الله خلقه ومن تدبر القرآن تبين
له ان عامة ما يذكر الله في خلق الكفر والمعاصي يجعله جزاء لذلك العمل كقوله فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الايه وقال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
وقال واما من بخل واستغنى الايه وهذا وامثاله لم يذكر فيه اعمالا عاقبهم بها على
فعل محظور وترك مامور ولا بد لهم من حركة وارادة فلما لم يتحركوا بالحسنات
حركوا بالسيئات عدلا من الله كما قيل نفسك ان لم تشغلها شغلتك وهذا
الوجه اذا حقق يقطع مادة كلام طائفتي القدرية المكذبة والجبرية الذين
يقولون خلقها والتعذيب عليها ظلم يقال لهم انما اوقعهم فيها وطبع على
قلوبهم عقوبة لهم فما ظلمهم ولكن ظلموا انفسهم يقال ظلمته اذا نقصته حقه
قال تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وكثير منهم يسلمون ان الله خلق

بلغ

[illegible]

خلق من الاعمال ما يكون جزاء على عمل متقدم ويقولون خلق طاعة للمطيع لكن ما خلق شيئا
من الذنوب ابتداء بل جزاء فيقولون اول ما يفعل العبد لم يحدثه الله وما ذكرنا يوجب
ان يكون الله خالق كل شيء لكن اولها عقوبة على عدم فعل لما خلق له والعدم لا يضاف
الى الله فما احدثه فاول عقوبة على هذا العدم وسائرها تكون على ما وجد وقد يكون عقوبة
على استمراره على العدم فما دام لا يخلص لله لا يزال مشركا والشيطان مسلطا عليه ثم تخصيصه
سبحانه لمن هداه بان استعمله ابتداء فيما خلق له تخصيص بفضله وهذا منه لا يوجب الظلم ولا يمنع
العدل ولهذا يقول تعالى والله يختص برحمته من يشاء وكذلك الفضل هو اعلم به كما خص بعض
الابدان بقوى لا توجد في غيرها وسبب عدم القوة قد يحصل امر ضر وجودية وغير ذلك
من حكمته وتحقيق هذا يدفع شبهات هذا الباب ومما ذكر فيه العقوبة على عدم الايمان
قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة الآية هذا من تمام قوله وما يشعركم
انها اذا جاءت لا يؤمنون فذكر ان هذا التقليب يكون لما لم يؤمنوا به اول مرة وهذا عدم
الايمان لكن يقال هذا بعد دعاء الرسول لهم وقد كذبوه وتركوا الايمان وهذه امور
وجودية لكن الموجب هو عدم الايمان وما ذكر شرط في التعذيب كارسال الرسول فانه
قد يشتغل عن الايمان بما جنسه مباح لا يستحق به العقوبة الا لانه شغله عن الايمان
ومن الناس من يقول ضد الايمان هو تركه وهو امر وجودي لا ضد له الا ذلك **الفرق
السابع** ان السيئات التي هي المصائب ليس لها سبب الا ذنبه الذي من نفسه وما يصيبه من الخير
لا ينحصر اسبابه لانه من فضل الله يحصل بعمله وبغير عمله من انعام الله عليه وهو سبحانه
لا يجزيه بقدر العمل بل يضاعفه فلا يتوكل الا على الله ولا يرجو الا الله فهو يستحق الشكر
المطلق العام التام وانما يستحق غيره من الشكر ما يكون جزاء على ما يسره الله على يديه
من الخير كشكر الوالدين فانه لا يشكر الله من لا يشكر الناس لكن لا يبلغ من حق احد وانعامه
ان يشكر بمعصية الله او يطاع بمعصيته فانه هو المنعم قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وجزاؤه على الطاعة والشكر وعلى
المعصية والكفر لا يقدر احد على مثله فلهذا لم يجز ان يطاع مخلوق في معصية الخالق
وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك
به علم فلا تطعهما الآية وقال في الاخرى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس

لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا والمقصود انه اذا عرف
ان النعم كلها من الله صار توكله ورجاؤه له واذا علم ما يستحقه من الشكر الذي لا يستحقه
غيره صار شكره له والشر انحصر سببه في النفس فعلم من اين يؤتى فاستغفر واستعان
بالله واستعاذ به مما لم يعمل بعد كما قال بعض السلف لا يرجون عبد الا ربه ولا
يخافن الا ذنبه وهذا خلاف قول الجهمية الذين يعذب عندهم بلا ذنب ويخافونه ولو لم يذنبوا
فاذا صدق بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك علم بطلان هذا القول وقد تقدم
قول ابن عباس وغيره ان ما اصابهم يوم احد كان بذنوبهم لم يستثن من ذلك احد
وهذا من فوائد تخصيص الخطاب لئلا يظن انه عام مخصوص **الفرق الثامن**
ان السيئة اذا كانت من النفس والسيئة خبيثة مذمومة ووصفها بالخبث في مثل
قوله الخبيثات للخبيثين قال جمهور السلف الكلمات الخبيثة للخبيثين وقال بعضهم
الاقوال والافعال الخبيثة للخبيثين وقال تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة الى قوله ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة وقال اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والاقوال
والافعال صفات القائل الفاعل فاذا كانت النفس متصفة بالسوء والخبث
لم يكن محلها الا ما يناسبه فمن اراد ان يجعل الحيات والعقارب يعاشرن الناس
كالسنانير لم يصلح ومن اراد ان يجعل الكذاب شاهدا لم يصلح وكذلك من اراد ان يجعل
الجاهل معلما او الاحمق سائسا فالنفوس الخبيثة لا تصلح ان تكون في الجنة الطيبة
بل اذا كان في النفس خبث طهرت وهذبت كما في الصحيح ان المؤمنين اذا نجوا من النار
وقفوا على قنطرة الحديث واذا علم ان السيئة من نفسه لم يطمع في السعادة التامة
مع ما فيه من الشر بل علم تحقيق قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وعلم ان الرب جارية افعاله على قانون العدل والاحسان وفي الصحيح
يمين الله ملأى الحديث وعلم فساد قول الجهمية الذين يجعلون الثواب والعقاب
بلا حكمة وهو سبحانه قد شهد انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط
وهم قصدوا مناقضة المعتزلة في القدر والوعيد مسلك المرجئة الغلاة كجهم
واتباعه وجهم اشتهر عنه نوعان من البدع نوع في الاسماء والصفات فغلا فيه
في النفي ووافقه على ذلك الباطنية والفلاسفة ونحوهم والمعتزلة في الصفات

دون الاسماء والكلابية ومن وافقهم من الفقهاء واهل الحديث في نفي الصفات الاختيارية
والكرامية ونحوهم وافقوه على اصل ذلك وهو امتناع دوام ما لا يتناهى وانه يمتنع
ان يكون لم يزل متكلما اذا شاء وفعالا لما يشاء لامتناع حوادث لا اول لها
وعلى هذا الاصل نفي وجود ما لا يتناهى في المستقبل وقال بفناء الجنة والنار
ووافقه ابو الهذيل امام المعتزلة على هذا لكن قال بتناهي الحركات فالمعتزلة في الصفات
مخانيث الجهمية واما الكلابية في الصفات في الجملة وكذلك الاشعرية ولكنهم كما قال
ابو اسماعيل الانصاري الجهمية الاناث وهم مخانيث المعتزلة ومن الناس من يقول
المعتزلة مخانيث الفلاسفة لانه لم يعلم ان جهما سبقهم الى هذا الاصل او لانهم مخانيثهم
في بعض الوجوه والشهرستاني يذكر انهم اخذوا ما اخذوا عن الفلاسفة لانه انما
يرى مناظرة اصحابه الاشعرية معهم بخلاف ائمة السنة فان مناظرتهم انما كانت
مع الجهمية وهم المشهورون عند السلف بنفي الصفات وبهذا تميزوا عند السلف — السلف
عن سائر الطوائف واما المعتزلة فامتازوا بالمنزلة بين المنزلتين لما احدثه عمرو
بن عبيد وكان هو واصحابه يجلسون معتزلين الجماعة فيقول قتادة وغيره
اولئك المعتزلة وكان ذلك بعد موت الحسن وبدعة القدرية حدثت قبل ذلك
بعد موت معاوية ولهذا تكلم فيهم ابن عمر وابن عباس وغيرهما وابن عباس قبل ابن
الزبير وابن عمر مات عقب موته وعقب ذلك تولى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين
فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز والشام والعراق واكثره كان بالشام
والعراق والبصرة واقل كان بالحجاز فلما حدثت المعتزلة وتكلموا بالمنزلة بين
المنزلتين وقالوا بانفاذ الوعيد وخلود اهل التوحيد وان النار لا يخرج منها
من دخلها ضموا الى ذلك القدر فانه به يتم زعمهم ولم يكن الناس اذ ذاك احدثوا — بياض
شيئا من نفي الصفات الى ان ظهر الجعد بن درهم وهو اولهم فضحى به خالد بن عبد الله
وقال ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم
ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا
كبيرا ثم نزل فذبحه وكان هذا بالعراق ثم ظهر جهم من ناحية المشرق من ترمذ
ومنها ظهر راي جهم ولهذا كان علماء السنة بالمشرق اكثر كلاما في رد مذهبهم

من اهل

من اهل الحجاز والشام والعراق مثل ابراهيم بن طهمان وخارجة بن مصعب ومثل
عبد الله بن المبارك وامثالهم وقد تكلم في ذمهم مالك وابن الماجشون وغيرهما
وكذلك الاوزاعي وحماد بن زيد وغيرهم وانما اشتهرت مقالتهم من حين محنة
الامام احمد وغيره من علماء السنة فانه من امارة المامون قووا وكثروا فانه
قد كان بخراسان مدة واجتمع بهم ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثمان عشرة ومائتين
وفيها مات وورد احمد الى الحبس ببغداد الى سنة عشرين وفيها كانت محنته
مع المعتصم ومناظرته لهم فلما رد عليهم ما احتجوا به وان طلبهم من الناس ان
يوافقوهم وامتحانهم اياهم جهل وظلم واراد المعتصم اطلاقه واشار عليه من
اشار بان المصلحة ضربه بان لا تنكسر حرمة الخلافة فلما ضربوه قامت الشناعة
في العامة وخافوا فاطلقوه وكان ابن ابي دؤاد قد جمع له من نفاة الصفات
من جميع الطوائف وعلماء السنة كابن المبارك واحمد واسحق والبخاري يسمون
جميعهم جهمية وصار كثير من المتاخرين من اصحاب احمد وغيرهم يظنون ان خصومه
كانوا هم المعتزلة وليس كذلك بل المعتزلة نوع منهم والمقصود هنا ان جهما
اشتهر عنه بدعتان احداهما نفي الصفات والثانية الغلو في القدر والارجاء
فجعل الايمان مجرد معرفة القلب وجعل العباد لا فعل لهم ولا قدرة وهذان مما
خالفه المعتزلة فيهما واما الاشعري فوافقه على اصل قوله لكن قد ينازعه
منازعات لفظية وجهم لا يثبت شيئا من الصفات لا الارادة ولا غيرها فاذا قال
ان الله يحب الطاعات ويبغض المعاصي فمعناه الثواب والعقاب والاشعري
يثبت الصفات كالارادة فاحتاج الكلام فيها هل هي المحبة او لا فقال المعاصي
يحبها الله ويرضاها كما يريدها وذكر ابو المعالي انه اول من قال ذلك
وان اهل السنة قبله على ان الله لا يحب المعاصي وشاع هذا القول في كثير من الصوفية
فوافقوا جهما في مسائل الافعال والقدر وخالفوه في الصفات كابي اسماعيل
الانصاري صاحب ذم الكلام فانه من المبالغين في ذم الجهمية في نفي الصفات
وله كتاب في تكفير الجهمية ويبالغ في ذم الاشعرية مع انهم من اقرب هذه الطوائف
الى السنة وربما كان يلعنهم وقال بعض الناس بحضرة نظام الملك انلعن

الاشعرية فقال من يقول ليس في السموات اله ولا في المصحف قرآن ولا في القبر نبي وقام
من عنده مغضبا وهو مع هذا في مسئلة ارادة الكائنات وخلق الافعال
ابلغ من الاشعرية لا يثبت سببا ولا حكمة بل يقول ان مشاهدة العارف الحكم
لا يبقي له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة والحكم عنده هو المشيئة لان العارف عنده
من يصل الى مقام الغنى والحسنة والسيئة يفترقان في حظ العبد لكونه يتنعم بهذه
ويعذب بهذه والالتفات الى هذا من حظوظ النفس ومقام الغنى ليس فيه الا مشاهدة
مراد الحق والاشعري لما اثبت الفرق بين هذا وهذا من جهة المخلوق كان اعقل منهم فانهم
يدعون ان العارف لا يفرق وغلطوا في جهة العبد وجهة الرب اما العبد فيلزمهم
ان يستوي عنده جميع الحوادث وهذا محال قطعا فغزلوا الفرق الرحماني وفرقوا
بالطبعي الهوائي الشيطاني ومن هنا وقع خلقهم في المعاصي وآخرون في الفسوق
واخرون في الكفر حتى جوزوا عبادة الاصنام ثم كثير منهم ينتقل الى الوحدة ويصرحون
بعبادة كل موجود والمقصود الكلام على نفي الحكم والاسباب والعدل في القدر
موافقة لجهم وهو بدعته الثانية بخلاف الارجا فانه منسوب الى طوائف غيره فهؤلاء
يقولون ان الرب يجوز ان يفعل كلما يقدر عليه ولهذا تجد من اتبعهم غير معظم للامر
والنهي والوعد والوعيد بل يتخلى عنه او عن بعضه او يتكلف لما يعتقده فانهم اذا
فقوا جهما والاشعري في ان الحسن والقبيح كونه مامورا او محظورا وذلك فرق يعود
الى حظ العبد وهم يدعون الفناء عن الحظوظ فتارة يقولون في امتثال الامر والنهي
انه من مقام التلبيس وتارة يقولون يفعل هذا لاجل اهل المارستان اي العامه
كما يقول الشيخ المغربي الى انواع اخر ومن سلك مسلكهم اذا عظم الامر والنهي غايته
ان يقول كما نقل عن الشاذلي يكون الجمع في قلبك مشهودا والفرق على لسانك
موجودا كما يوجد في كلامه وكلام غيره اقوال وادعية واحزاب تستلزم
تعطيل الامر والنهي مثل دعوى ان الله يعطيه على المعصية اعظم مما يعطيه على
الطاعة ونحو هذا مما يوجب انه يجوز عنده ان يجعل الذين اجترحوا السيئات
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات او افضل ويدعون بادعية فيها اعتداء كما يوجد
في حزب الشاذلي وآخرون من عوامهم يجوزون ان يكرم الله بكرامات الاولياء
من يكون فاجرا بل كافرا ويقولون هذه موهبة وعطية ويظنون ان تلك
من كرامات الاولياء ويكون من الاحوال الشيطانية التي يكون مثلها للسحرة والكهان

قال رحمه ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم الآيات وقد قال صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم
الحديث والمسلمون الذين جاءهم كتاب الله القرآن عدل كثير ممن اضله الشيطان من
المنتسبين اليهم الى ان نبذ كتاب الله وراء ظهره واتبع ما تتلوه الشياطين فلا يعظم
امر القرآن ونهيه ويوالي من امر القرآن بموالاته ويعادي من امر القرآن بمعاداته
بل يعظم من يراه يأتي ببعض الخوارق التي تأتي بمثلها السحرة والكهان باعانة
الشياطين ولكن يعظمه لهواه ويفضل على طريقة القرآن وهؤلاء كالذين قال
الله فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت الآية وهؤلاء ضاهوا الذين قال الله فيهم ولما جاءهم رسول من عند الله
مصدق لما معهم الى قوله ولكن الشياطين كفروا ومنهم من لا يعرف انه من الشياطين
وقد يقع في هذا طوائف من اهل الكلام والعلم واهل العبادة والتصوف حتى
جوزوا عبادة الكواكب والاصنام لما رأوه فيها من الاحوال العجيبة التي تعينهم
عليها الشياطين لما يحصل بها بعض اغراضهم من الظلم والفواحش فلم يبالوا بشركهم
بالله وبكفرهم به وبكتابه اذا نالوا ذلك ولم يبالوا بتعليم ذلك الناس وتعظيمهم
له لرياسته او مال ينالونه وان كانوا قد علموا الكفر والشرك ودعوا اليه بل حصل
عندهم ريب وشك فيما جاء به الرسول او اعتقاد انه خاطب الجمهور بما لا حقيقة
له في الباطن للمصلحة كما يقول ذلك من يقوله من الملاحدة الباطنيين ودخل في
رأيه هؤلاء طائفة من هؤلاء وهؤلاء وهذا مما ضاهوا به فارس والروم فان
فارس كانت تعظم الانوار وتسجد للشمس والنار والروم كانوا قبل النصرانية
مشركين يعبدون الكواكب والاصنام فهؤلاء شر من الذين اشبهوا اليهود
من اهل الكتاب لان هؤلاء ضاهوا اهل الكتاب فيما بدل او نسخ وهؤلاء ضاهوا
٥ وقال رحمه الله فالنفوس مفطورة على علم ضروري موجود فيها
بالخالق الذي خلق السموات والارض وانه خلق السموات والارض كما خلق الناس كما قال موسى لفرعون لما قال وما رب العالمين قال رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين وقال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى

وهم كثيرا ما يتلون ... الشياطين ... يعرفون ان هذا من الشياطين

قال شيخ الاسلام رحمه الله في الرد على الرافضي وانما انتسابهم الى اولئك الائمة
بمنزلة كثير من اتباع المشايخ الذين ينتسبون الى شيخ قد مات من مدة ولا يدرون
بماذا امر ولا عماذا نهى عنه بل له اتباع ياكلون اموالهم بالباطل ويصدونهم عن
سبيل الله عز وجل يامرونهم بالغلو في ذلك الشيخ وخلفائه وان يتخذوهم
اربابا كما ان شيوخ الشيعة اتباعهم وشيوخ النصارى اتباعهم فهم يامرونهم
بالاشراك بالله وعبادة غير الله ويصدونهم عن سبيل الله فيخرجون عن
حقيقة شهادة لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان حقيقة التوحيد ان يعبد الله
وحده ولا يدعى الا هو ولا يخشى ولا يتقى الا هو ولا يتوكل الا عليه ولا يكون الدين
الا له لا لاحد من الخلق وان لا يتخذ الملائكة والنبيين اربابا فكيف بالائمة
والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم فالرسول هو المبلغ عن الله امره ونهيه فلا
يطاع مخلوق طاعة مطلقة الا هو فاذا جعل الشيخ والامام كانه اله يدعى
مع مغيبه وموته ويستغاث به ويطلب منه الحوائج كان الميت مشبها
بالله والحي مشبها بالرسول فيخرجون عن حقيقة الاسلام الذي اصله شهادة
ان لا اله الا الله وشهادة ان محمدا رسول الله قال الشيخ تقي الدين رحمه الله
في الرد على بعض ائمة اهل الكلام لما تكلموا في المتاخرين من اهل الحديث وذموهم
بقلة الفهم وانهم لا يفهمون معاني الحديث ولا يميزون بين صحيحه وضعيفه
ويفتخرون عليهم بحذقهم ودقة علومهم وتدقيقهم فيها فقال رحمه الله
لا ريب ان هذا موجود في بعضهم يحتجون باحاديث موضوعة في مسائل
الفروع والاصول وآثار مفتعلة وحكايات غير صحيحة ويذكرون من القران
والحديث ما لا يفهمون معناه وقد رايت من هذا عجائب لكن هم بالنسبة
الى غيرهم في ذلك كالمسلمين بالنسبة الى بقية الملل فكل شر في بعض المسلمين
فهو في غيرهم اكثر وكل خير يكون في غيرهم فهو فيهم اعظم وهكذا اهل
الحديث بالنسبة الى غيرهم وبازاء تكلم اولئك باحاديث لا يفهمون معناها
تكلف هؤلاء من القول بغير علم ما هو اعظم من ذلك واكثر وما احسن
قول الامام احمد ضعيف الحديث خير من الراي وقد امر الشيخ ابو عمرو

بن الصلاح

ابن الصلاح بانتزاع مدرسة معروفة من ابي الحسن الآمدي وقال اخذها منه افضل
من اخذ عكا مع ان الآمدي لم يكن في وقته اكثر تبحرا في فنون الكلامية والفلسفة
منه وكان من احسنهم اسلاما وامثلهم اعتقادا ومن المعلوم ان الامور الدقيقة سواء
كانت حقا او باطلا ايمانا او كفرا لا تدرك الا بذكاء وفطنة فلذلك اهله يستجهلون
من لم يشركهم في علمهم وان كان ايمانه احسن من ايمانهم اذا كان منه قصور في الذكاء
والبيان وهم كما قال الله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم
يتغامزون الآيات فاذا تقلدوا عن طواغيتهم ان كل ما لم يحصل بهذه الطرق القياسية
ليس بعلم وقد لا يحصل لكثير منهم منها ما يستفيد به الايمان الواجب فيكون كافرا
زنديقا منافقا جاهلا ضالا مضلا ظلوما كفورا ويكون من اكابر اعداء الرسل ومنافقي
الملة من الذين قال الله فيهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وقد يحصل
لبعضهم ايمان ونفاق ويكون مرتدا اما عن اصل الدين او بعض شرائعه اما ردة نفاق
واما ردة كفر وهذا كثير غالب لا سيما في الاعصار والامصار التي تغلب فيها الجاهلية
والكفر والنفاق فلهؤلاء من عجائب الجهل والظلم والكذب والكفر والنفاق والضلال
ما لا يتسع لذكره المقال واذا كان في المقالات الخفية فقد يقال انه فيها مخطئ ضال
لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الامور الظاهرة
التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين انها من دين المسلمين بل اليهود والنصارى
والمشركون يعلمون ان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل امره
بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة احد سوى الله من الملائكة والنبيين
او غيرهم فان هذا اظهر شعائر الاسلام ومثل معاداة اليهود والنصارى
والمشركين ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك ثم تجد كثيرا من
رؤوسهم وقعوا في هذه الانواع فكانوا مرتدين وان كانوا قد يتوبون من ذلك
او يعودون كرؤوس القبائل مثل الاقرع وعيينة ونحوهم ممن ارتد عن الاسلام
ثم دخل فيه ففيهم من كان يتهم بالنفاق ومرض القلب وفيهم من لم يكن كذلك
فكثير من رؤوس هؤلاء هكذا تجده تارة يرتد عن الاسلام ردة صريحة وتارة
يعود اليه ولكن مع مرض في قلبه ونفاق وقد يكون له حال ثالثة يغلب
الايمان فيها النفاق لكن قل ان يسلموا من نوع نفاق والحكايات عنهم

بلغ

بن المكشوف وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفا في اول مختلف الحديث
وقد حكى اهل المقالات بعضهم عن بعض من ذلك طرفا كما ذكره ابو الحسن الاشعري
والقاضي ابو بكر بن الباقلاني وابو عبد الله الشهرستاني وغيرهم وابلغ من ذلك
ان منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام كما صنف الرازي كتابه
في عبادة الكواكب واقام الادلة على ذلك حسنه ومنفعته ورغب فيه وهذه ردة
عن الاسلام باتفاق المسلمين وان كان قد يكون عاد الى الاسلام وجميع ما
يامرون به من العلوم والاعمال والاخلاق لا يكفي في النجاة من عذاب الله فضلا ان يكون
محصلا للنعيم الاخروي قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الاية وقال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا
بما عندهم من العلم الى اخر السورة فاخبر هنا بمثل ما اخبر به في الاعراف وان هؤلاء
المعرضين عما جاءت به الرسل لما راوا باس الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم ينفعهم ذلك
وكذلك اخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد والرسالة انه لما ادركه الغرق
قال امنت الاية وقال تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم الاية
وهذا في القران في مواضع يبين ان الرسل امروا بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا
عن عبادة شيء من المخلوقات سواه وان اهل السعادة هم اهل التوحيد وان
المشركين هم اهل الشقاوة ويبين ان الذين لم يومنوا بالرسل مشركون فعلم ان التوحيد
والايمان بالرسل متلازمان وكذا الايمان باليوم الاخر فالثلاثة متلازمة ولهذا
يجمع بينهما في مثل قوله ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يومنون بالاخرة
الاية واخبر في غير موضع ان الرسالة عمت جميع بني ادم فهذه الاصول الثلاثة توحيد الله
والايمان برسله وباليوم الاخر امور متلازمة ولهذا قال سبحانه وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض القول المزخرف وهو المزين
المحسن يغرون به والغرور التلبيس والتمويه وهذا شان كل كلام وكل عمل يخالف
ما جاءت به الرسل من المتكلمة وغيرهم من الاولين والاخرين ثم قال ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يومنون بالاخرة فعلم ان مخالفة الرسل وترك الايمان بالاخرة
متلازمان فمن لم يومن بالاخرة صغى الى زخرف اعدائهم مخالف الرسل كما هو
موجود في اصناف الكفار والمنافقين في هذه الامة وغيرها ولهذا قال تعالى ولقد

جئناهم بكتاب فصلناه على علم الى قوله هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول
الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق وهذا كما قال تعالى ومن اعرض عن
ذكري فان له معيشة ضنكا الايتين اخبر ان الذين تركوا اتباع اياته يصيبهم
ما ذكر فقد تبين ان اصل السعادة والنجاة من العذاب هو توحيد الله بعبادته وحده
لا شريك له والايمان برسله واليوم الاخر والعمل الصالح وهذه الامور ليست في حكمتهم
فليس فيها الامر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة المخلوقات بل كل شرك
في العالم انما حدث براي جنسهم فهم الامرون بالشرك والفاعلون له ومن لم يامر
بالشرك منهم فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وان رجح الموحدين ترجيحا ما
فقد يرجح غيره المشركين وقد يعرض عن الامرين جميعا فتدبر هذا فانه نافع جدا
وقد راينا من مصنفاتهم في عبادة الكواكب والملائكة وعبادة الانفس المفارقة لنفس
الانبياء وغيرهم ما هو اصل الشرك وهم اذا ادعوا التوحيد فانما توحيدهم
بالقول لا بالعبادة والعمل والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد
باخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شيء لا يعرفونه والتوحيد
الذي يدعونه انما هو تعطيل حقائق الاسماء والصفات وفيه من الكفر والضلال
ما هو من اعظم اسباب الاشراك فلو كانوا موحدين بالقول والكلام وهو
ان يصفوا الله بما وصفته به رسله لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفي
في السعادة والنجاة بل لا بد ان يعبد الله وحده ويتخذه الها دون ما سواه
وهذا معنى قول لا اله الا الله فكيف وهم في القول والكلام معطلون جاحدون
لا موحدون ولا مخلصون فاذا كان ما تحصل به السعادة والنجاة من
الشقاوة ليس عندهم اصلا كان ما يامرون به من الاخلاق والاعمال والسياسات
كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد
جعل الله لكل شيء قدرا والقوم وان كان لهم ذكاء وفطنة وفيهم زهد
واخلاق فهذا القدر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب الا بالاصول
المتقدمة وانما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن والارادة فالذي يؤتي فضائل
علمية وارادية بدون هذه الاصول بمنزلة من يؤتى قوة في جسمه
وبدنه بدون هذه الاصول واهل العلم والراي بمنزلة اهل الملك والامارة

وكل من هؤلاء وهؤلاء لا ينفعه ذلك شيئا إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له ويؤمن
برسله واليوم الآخر ولما كان كل واحد من أهل الملك والعلم قد يعارضون الرسل
وقد يتابعونهم ذكر الله ذلك في غير موضع فذكر فرعون والذي حاج إبراهيم في ربه
لما آتاه الله الملك والملأ من قوم نوح وعاد وغيرهم وذكر قول علمائهم كقوله تعالى
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم الآية وقال ما يجادل في
آيات الله إلا الذين كفروا إلى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق إلى قوله الذين
يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا
والسلطان هو الوحي المنزل من عند الله وقد ذكر في هذه السورة حم غافر من حال
مخالفي الرسل من الملوك والعلماء ومجادلتهم ما فيه عبرة مثل قوله الذين يجادلون في
آيات الله أنى يصرفون إلى قوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
وكذلك في سورة الأنعام والأعراف وعامة السور المكية وطائفة من السور المدنية
فإنها تشتمل على خطاب هؤلاء وضرب الأمثال والمقاييس لهم وجعلنا لهم سمعا وأبصارا
وأفئدة الآية فأخبر بما مكنوا فيه من أصناف الإدراكات والحركات وأخبر أن ذلك
لم يغن عنهم شيئا حيث جحدوا بآيات الله والرسالة ولهذا حدثني ابن الشيخ الفقيه
الخضري عن والده شيخ الحنفية في زمنه قال كان فقهاء بخارى يقولون في ابن سينا
كان كافرا ذكيا وقال تعالى أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف عاقبة الذين كانوا
من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض الآية والقوة تعم قوة الإدراك
النظرية وقوة الحركة العملية وقال في الآية الأخرى كانوا أكثر منهم وأشد قوة فأخبر
بفضلهم في الكم والكيف وأنهم أشد في أنفسهم وفي آثارهم في الأرض وقد قال
سبحانه عن أتباع هؤلاء الأئمة من أهل الملك والعلم المخالفين للرسل يوم تقلب وجوههم
في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا إلى قوله والعنهم لعنا كبيرا وقال
وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل
أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ومثل هذا في القرآن كثير وقد ذكر الله سبحانه
ما ذكره من أقوال أعداء الرسل وأفعالهم وما أوتوه من قوى الإدراكات والحركات
التي لم تنفعهم لما خالفوا الرسل وقد ذكر الله سبحانه ما في المنتسبين إلى أتباع
الرسل من العلماء والعباد والملوك من النفاق والضلال في مثل قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل

ويصدون

يوجد هذا السؤال والجواب في صحيفة ٣٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل رحمه الله تعالى عن رجلين اختلفا في الاعتقاد فقال أحدهما من لم يعتقد أن الله
في السماء فهو ضال وقال الآخر إن الله لا ينحصر في مكان وهما شافعيان فبينوا لنا ما نتبعه
الجواب الحمد لله اعتقاد الشافعي رحمه الله هو اعتقاد سلف الإسلام كمالك والثوري
والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم
كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم فإنه ليس بين هؤلاء
الأئمة وأمثالهم نزاع في أصول الدين وكذلك أبو حنيفة رحمة الله عليه فإن الاعتقاد الثابت عنه
في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء الأئمة وهو ما عليه الصحابة والتابعون لهم
بإحسان وهو ما نطق به الكتاب والسنة قال الشافعي رحمه الله في أول خطبة الرسالة الحمد لله
الذي هو كما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله
لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث وكذلك
مذهب سائرهم أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف
ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يثبتون ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات
العلى ويعلمون أنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإنه كما أن ذاته
ليست كالذوات المخلوقة فصفاته ليست كالصفات المخلوقة بل هو سبحانه موصوف
بصفات الكمال منزه عن كل نقص وعيب وهو تعالى في صفات الكمال لا يماثله شيء فهو
حي قيوم سميع بصير عليم قدير رؤوف رحيم وهو الذي خلق السموات والأرض وما
بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش وهو الذي كلم موسى تكليما وتجلى للجبل
فجعله دكا ولا يماثله شيء من الأشياء في شيء من صفاته فليس كعلمه علم أحد ولا كقدرته
قدرة أحد ولا كرحمته رحمة أحد ولا كاستوائه استواء أحد ولا كسمعه وبصره
سمع أحد وبصره ولا كتكليمه تكليم أحد ولا كتجليه تجلي أحد والله سبحانه وتعالى قد
أخبرنا أن في الجنة لحما ولبنا وعسلا وماء وحريرا وذهبا وقد قال ابن عباس رضي الله عنه
ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء فإذا كانت المخلوقات الغائبة ليست كهذه
المخلوقات المشاهدة مع اتفاقهما في الأسماء فالخالق أعظم علوا ومباينة لخلقه
من مباينة المخلوق للمخلوق وإن اتفقت الأسماء وقد سمى نفسه عليما حيا سميعا بصيرا وبعض عباده
رؤوفا رحيما وسمى بعض عباده بذلك فليس الحي كالحي ولا العليم كالعليم ولا السميع
كالسميع ولا البصير كالبصير ولا الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم قال الله تعالى
الله لا إله إلا هو الحي القيوم وقال تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي وقال تعالى وهو العليم الحكيم وقال وبشروه بغلام عليم وبشرناه بغلام
حليم وقال إن الله كان سميعا بصيرا وقال إنا خلقنا الإنسان من نطفة فجعلناه

سميعا بصيرا وقال إن الله بالناس لرؤوف رحيم وقال لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وهو سبحانه [illegible] في كتابه
ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل
عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها
فإنها مؤمنة وهذا الحديث رواه مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ومسلم في صحيحه
وغيرهم لكن ليس معنى ذلك أن الله في جوف السماء وأن السموات تحصره
وتحويه فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هم متفقون على أن
الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا
في ذاته شيء من مخلوقاته وقد قال مالك بن أنس رحمه الله إن الله في السماء
وعلمه في كل مكان وقالوا لعبد الله بن المبارك بماذا نعرف ربنا قال بأنه
فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وقال أحمد بن حنبل رحمه الله كما قال [illegible]
وقال الشافعي رحمه الله خلافة أبي بكر حق قضاها الله في سمائه وجمع الله
عليها قلوب أوليائه وقال الأوزاعي رحمه الله كنا والتابعون متوافرون نقر
بأن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته فمن اعتقد
أن الله في جوف السماء محصور محاط به أو أنه مفتقر إلى العرش أو غير العرش
من المخلوقات وأن استواءه على عرشه كاستواء المخلوق على كرسيه فهو ضال
مبتدع جاهل ومن اعتقد أنه ليس فوق السموات إله يعبد ولا على العرش
رب يصلى له ويسجد وأن محمدا لم يعرج به إلى ربه أو أنزل القرآن من عنده
فهو معطل فرعوني ضال مبتدع فإن فرعون كذب موسى في أن ربه فوق
السموات وقال يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب فاطلع إلى إله موسى
وإني لأظنه كاذبا ومحمد صلى الله عليه وسلم صدق موسى عليه السلام في أن ربه فوق السموات
فلما كان ليلة المعراج وعرج به إلى الله وفرض عليه خمسين صلاة ذكر أنه رجع
إلى موسى وقال له ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك
لا تطيق ذلك وهذا الحديث في الصحاح فمن وافق فرعون وخالف موسى
ومحمدا فهو ضال ومن مثل الله بخلقه فهو ضال قال نعيم بن حماد من شبه الله
بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف
به نفسه ولا رسوله تشبيها وقد قال الله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه وقال يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي
وقال تعالى

دنا لها

وقال تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم وقال تعالى وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون وقال تعالى وقربناه نجيا فدل بذلك على أن من كان
عنده قريبون وإن كانت المخلوقات كلها تحت قدرته فالقائل الذي قال من
لا يعتقد أن الله في السماء فهو ضال إن أراد بذلك من لا يعتقد أن الله في
جوف السماء بحيث تحصره وتحيط به فقد أخطأ وإن أراد بذلك من لم يعتقد
ما جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الله فوق
سمواته على عرشه بائن من خلقه فقد أصاب فإن من لم يعتقد ذلك يكون مكذبا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم متبعا غير سبيل المؤمنين بل يكون في الحقيقة معطلا لربه
نافيا له فلا يكون له في الحقيقة إله يعبده ولا ~~[illegible]~~ وهذا قول
الجهمية ونحوهم من أتباع فرعون المعطل والله قد فطر العباد عربهم وعجمهم على
أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو لا يقصدونه تحت أرجلهم ولهذا
قال بعض العارفين ما قال عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه قبل أن يتحرك لسانه
معنى يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة والقائل الذي قال إن الله لا يتحيز
في مكان إن أراد به أن الله لا يتحيز في جوف المخلوقات وأن الله لا يحتاج إلى
شيء منها فقد أصاب وإن أراد أن الله ليس فوق السموات ولا هو على العرش
وليس هناك إله يعبد ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يعرج به إلى الله فهذا فرعوني جهمي
معطل ~~[illegible]~~ أن صفات الرب كصفات خلقه فيظن أن الله محتاج
إلى عرشه كالملك على سريره فهذا تمثيل وضلال وذلك أن الملك مفتقر إلى سريره
ولو زال سريره لسقط والله سبحانه غني عن العرش وعن كل شيء والعرش وما سواه
فقير إلى الله وهو حامل العرش وحملة العرش وعلوه عليه لا يوجب افتقاره إليه
فإن الله قد جعل المخلوقات عاليا وسافلا وجعل العالي غنيا عن السافل
جعل الهواء فوق الأرض وليس هو مفتقر إليها وجعل السموات فوق
الهواء وليست محتاجة إليه فالعلي الأعلى رب السموات والأرض وما بينهما
أولى أن يكون غنيا عن العرش وسائر المخلوقات وإن كان عاليا عليها سبحانه وتعالى عما
يقول الظالمون علوا كبيرا والأصل في هذا الباب أن كل ما ثبت في كتاب الله
والسنة وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك
وأما الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات مثل قول القائل هو في جهة أو ليس هو في جهة
وهو متحيز أو ليس بمتحيز ونحو ذلك من الألفاظ التي تنازع فيها الناس

وليس مع احدهم نص لا عن الرسول ولا عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا ائمة
المسلمين فان هولاء لم يقل احد منهم ان الله في جهة ولا قال ليس هو في جهة ولا
هو متحيز ولا ما هو بمتحيز ولا قال هو جسم او جوهر ولا قال ليس بجسم ولا
جوهر فهذه الالفاظ ليست منصوصة في الكتاب ولا في السنة ولا الاجماع
والناطقون بها قد يريدون معنا صحيحا وقد يريدون معنا فاسدا فمن اراد
معنا صحيحا موافقا للكتاب والسنة كان ذلك المعنى [illegible] فاذا قال ذلك
القائل ان الله في جهة قيل له ما تريد بذلك اتريد ان الله في جهة موجودة
تحصره وتحيط به مثل ان يكون في السماء ام تريد بالجهة امرا عدميا وهو ما فوق
العالم فانه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات فان اردت بالجهة الوجودية وجعلت
الله محصورا في المخلوقات فهذا باطل وان اردت الجهة العدمية واردت ان الله
وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق وليس في هذا ان شيئا من المخلوقات
حصره ولا احاط به ولا علا عليه بل هو العالي عليها والمحيط بها وقد قال الله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
يقبض الارض يوم القيمة ويطوي السموات بيمينه ثم يهزهن ثم يقول انا الملك
اين ملوك الارض وقال ابن عباس ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن
وما بينهما في يد الرحمن الا كخردلة في يد احدكم وفي حديث اخر انه يرميهن كما يرمي
الصبيان بالكرة فمن تكون المخلوقات الى قبضته في هذا الصغر والحقارة
كيف تحصره وتحيط به ومن قال ان الله ليس في جهة قيل له ما تريد بذلك
فان اراد بذلك انه ليس فوق السموات رب يعبد ولا على العرش اله يصلى له
ويسجد ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يعرج به الى الله ولا ترفع الايدي في الدعاء الى الله
ولا تتوجه القلوب اليه فهذا فرعوني معطل جاحد لرب العالمين وان كان
معتقدا انه مقر به فهو جاهل متناقض في كلامه ومن هنا دخل اهل
الحلول والاتحاد كابن عربي وابن سبعين وقالوا ان الله بذاته في كل مكان وان
وجود المخلوقات هو وجود الخالق وان قال مرادي بقولي ليس في جهة انه
لا تحيط به المخلوقات بل هو باين من المخلوقات فقد اصاب في هذا المعنى ولكن
قال ان الله ليس بمتحيز او بمتحيز وان اراد بقوله متحيز ان المخلوقات
تحوزه وتحيط به فقد اخطا وان اراد به انه منحاز عن المخلوقات
فقد اصاب وان اراد انه ليس ببائن عنها بل هو لا داخلا ولا
خارجا عنها فقد اخطا والناس في هذا على ثلاثة اصناف اهل الحلول
والاتحاد واهل النفي والجحود واهل الايمان والتوحيد والسنة فاهل
الحلول

وفي قال ليس بمتحيز ان اراد ان المخلوقات لا تحوزه فقد اصاب

إن شيئا

قال ليس

باين عنها عال عليها

الحلول يقولون انه بذاته في كل مكان وقد يقولون بالاتحاد والوحدة
فيقولون وجود المخلوقات وجود الخالق كما هو مذهب ابن عربي صاحب
الفصوص وابن سبعين ونحوهما واما اهل النفي والجحود فيقولون لا هو
داخل ولا خارج ولا باين عنه ولا حال فيه ولا فوق العالم ولا فيه ولا ينزل منه
شيء ولا يصعد اليه شيء ولا يتقرب اليه شيء ولا يدنو منه شيء ولا يتجلى
لشيء ولا يراه احد ونحو ذلك وهذا قول متكلمة الجهمية المعطلة كما ان
الاول قول عباد الجهمية فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا ومتعبدة الجهمية
يعبدون كل شيء وكلاهما مرجعه الى التعطيل والجحود الذي هو قول فرعون
وقد علم ان الله كان قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلقهما فاما ان يكون
داخلا فيهما وهذا حلول باطل واما ان يكونا داخلين فيه وهو ابطل
الباطل واما ان يكون باينا عنهما لم يدخل فيهما ولم يدخلا فيه وهذا قول اهل
الحق والتوحيد والسنة ولاهل الجحود والتعطيل في هذا الباب شبهات يعارضون
بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اجمع عليه سلف الامة وائمتها وما فطر الله
عليه عباده وما دلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة فان هذه الادلة كلها
متفقة على ان الله سبحانه فوق مخلوقاته عال عليها قد فطر الله على ذلك العجائز
والاعراب والصبيان في الكتاب كما فطرهم على الاقرار بالخالق تعالى وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء
حتى تكونوا انتم تجدعونها ثم يقول ابو هريرة اقرءوا ان شئتم فطرة الله
التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وهذا كقول عمر بن عبد العزيز
عليك بدين الاعراب والصبيان في الكتاب عليك بما فطرهم الله عليه فان
الله فطر عباده على الحق والرسل صلوات الله وسلامه عليهم بعثوا بتكميل الفطرة
وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها واما اعداء الرسل كالجهمية والفرعونية
ونحوهم فيريدون ان يغيروا فطرة الله التي فطر الناس عليها ويوردون على الناس
شبهات بكلمات مشتبهات لا يفهم كثير من الناس مقصودهم ولا يحسن ان
يجيبهم وقد بسط الكلام في غير هذا الموضع واصل ضلالهم تكلمهم بكلمات
مجملة لا اصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا قالها احد من ائمة المسلمين
كلفظ التحيز والجسم والجهة ونحو ذلك فمن كان عارفا بشبهاتهم بينها
ومن لم يكن عارفا بذلك فليعرض عن كلامهم ولا يقبل الا ما جاء به الكتاب
والسنة كما قال تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى

الكتابة والسنة
فهو ضال في حديث غيره ومن تكلم في الله واسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة
فهو من الخائضين في ايات الله بالباطل وكثير من هولاء ينسب الى الائمة الدين ما لم
يقولوه فينسبون الى الشافعي رضي الله واحمد بن حنبل وابي حنيفة من الاعتقادات
الباطلة ما لم يقولوه ويقولون لمن تبعهم هذا اعتقاد الامام الفلاني فاذا
طولبوا بالنقل الصحيح عن الائمة تبين كذبهم في ذلك كما تبين كذبهم فيما ينقلونه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ويضيفونه الى سنته من البدع والاقوال الباطلة ومنهم من اذا
طولب بتحقيق نقله يقول هذا القول قاله العقلا والامام الفلاني لا يخالف
العقلا ويكون اولئك العقلا طائفة من اهل الكلام الذين ذمهم الائمة
فقد قال الشافعي رضي حكمي في اهل الكلام ان يضربوا بالجريد والنعال ويطاف
بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واقبل
على الكلام فاذا كان هذا حكمه فيمن اعرض عنهما فكيف حكمه فيمن عارضهما
بغيرهما وكذلك قال ابو يوسف القاضي من طلب الدين بالكلام تزندق وكذلك
قال الامام احمد بن حنبل ما ارتدى احد بالكلام فافلح وقال علماء الكلام زنادقة
وكثير ممن وكثيرا من كتب اهل الكلام فيها شبهات اضلتهم ولم يهتدوا
لجوابهم فانهم يجدون في تلك الكتب ان الله لو كان فوق الخلق للزم التجسيم
والتحيز والجهة وهم لا يعرفون حقائق هذه الالفاظ وما اراد بها اصحابها
فان ذكر الجسم من اسماء الله وصفاته بدعة لم ينطق بها الكتاب والسنة
ولا قالها احد من الامة ولا ائمتها لم يقل احد منهم ان الله جسم ولا
ان الله ليس بجسم ولا ان الله جوهر ولا ان الله ليس بجوهر ولفظ الجسم
مجمل فمعناه في اللغة البدن ومن قال ان الله مثل بدن الانسان فهو مفتر على الله
ومن قال ان الله ليس بجسم واراد بذلك ان الله لا يماثل شيئا من المخلوقات
فالمعنى صحيح وان كان اللفظ بدعة واما من قال ان الله ليس بجسم واراد
بذلك انه لا يرى في الاخرة وانه لا يتكلم بالقران بل القران العربي مخلوق
او هو تصنيف جبرائيل ونحو ذلك فهو مفتر على الله فيما نفاه عنه وهذا اصل
ضلال الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم على مذهبهم فانهم يظهرون للناس
التنزيه وحقيقة كلامهم التعطيل فيقولون انا لا نجسم بل يقولون ان الله
ليس بجسم ومرادهم بذلك نفي حقيقة اسماء الله وصفاته فيقولون ليس له
علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا يرى في الاخرة وانه لا يتكلم
بالقران بل القران مخلوق او كلام جبرئيل وامثال ذلك من مقالات
المعطلة

المعطلة الفرعونية الجهمية والله تعالى يقول في كتابه لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار اي لا تحيط به فكما انه يعلم ولا يحاط به علما فهو سبحانه يرى
ولا يحاط به رؤية فهو سبحانه نفى الادراك ولم ينف الرؤية ونفي الادراك يدل على عظمته وان عظمته
لا يحاط به واما نفي الرؤية فلا مدح فيه فان المعدومات لا ترى ولا مدح
لشيء من المعدومات انما المدح ان يكون بالامور الثبوتية لا بالامور العدمية
وانما يحصل المدح بالعدم اذا تضمن ثبوته كقوله تعالى الله لا اله الا هو
الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم فتنزه نفسه عن السنة والنوم
لان ذلك يتضمن كمال حياته وقيوميته كما قال تعالى وتوكل على الحي الذي
لا يموت فهو سبحانه حي لا يموت قيوم لا ينام وقوله سبحانه وتعالى
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب
فنزه نفسه المقدسة عن مس اللغوب وهو الاعيا والتعب ليتبين كمال
قدرته فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال منزه عن كل نقص وعيب
موصوف بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام متنزه عن
الموت وضد الجهل والعجز والصمم والعمى والبكم وهو سبحانه لا مثل له
في شيء من صفات الكمال وهو منزه عن كل نقص وعيب قدوس
سلام تمتنع عليه النقائص والعيوب بوجه من الوجوه وهو سبحانه
لا مثل له في شيء من صفات كماله بل هو الاحد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولهذا كان مذهب سلف الامة وائمتها
انهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله
صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فيثبتون
له ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات وينزهونه عن مماثلة
المخلوقات اثباتا بلا تمثيل [illegible] بلا تعطيل قال تعالى ليس كمثله شيء (وتنزيها) ح
رد على الممثل وهو السميع البصير رد على المعطلة قال بعض العلماء
المعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما الممثل اعشى والمعطل اعمى
ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه وقال تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والسنة في
الاسلام كالاسلام في الملل فاهل السنة وسط في الصفات

بين اهل التعطيل والتمثيل وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فنسأل الله ان يجعلنا وسائر
أخواننا منهم بفضله ورحمته انه على كل شئ قدير
وبالاجابة جدير وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم والحمد لله
رب العالمين

تم والله الحمد والمنة بقلم الفقير محمد بن حسن المرزوقي ثالث ذي الحجة ١٣١٣
عصرية الجمعة اللهم اغفر لي ولوالدي وجميع المؤمنين وصلى الله على محمد

الكلام فاتنه شيخ عبد الرحمن بن حسن ... نفع الله بكم

ويصدون يستعمل لازما يقال صد صدودا اي اعرض كقوله رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا ويقال صد غيره يصده والوصفان يجتمعان فيهم ومثل قوله الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الاية وفي الصحيح عن
ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذي يقرأ القران مثل الاترجة طعمها
طيب وريحها طيب والمؤمن الذي لا يقرأ القران مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها
ومثل المنافق الذي لا يقرأ القران مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها
الذين يقرؤن القران مؤمنين ومنافقين واذا كان سعادة الاولين والاخرين
هي اتباع المرسلين فمن المعلوم ان احق الناس بذلك اعلمهم باثار المرسلين
واتبعهم لذلك فالعالمون باقوالهم وافعالهم المتبعون لها هم اهل السعادة
في كل زمان ومكان وهم اهل الطائفة الناجية من اهل كل ملة وهم اهل
السنة والحديث من هذه الامة وارسل عليهم البلاغ المبين وقد بلغوا البلاغ
المبين وخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم انزل الله كتابه مصدقا لما بين يديه
من الكتاب ومهيمنا عليه فهو الامين على جميع الكتب وقد بلغ البلاغ
واتمه واكمله وكان انصح الخلق لعباد الله وكان بالمؤمنين رؤفا
رحيما بلغ الرسالة وادى الامانة وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله
حتى اتاه اليقين فاسعد الخلق واعظمهم نعيما واعلاهم درجة اعظمهم
اتباعا له وموافقة علما وعملا والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ما قولكم دام فضلكم في تعريف العبادة وتعريف توحيد العبادة وانواعه وتعريف
الاخلاص وما بين الثلاث في العموم والخصوص وهل هو ... وتعريف
معنى الاله وما معنى الطاغوت الذي امرنا باجتنابه والكفر به وهل هو خاص او عام ... الجواب

الحمد لله رب العالمين اما العبادة في اللغة فهي من الذل يقال بعير معبد اي مذلل
وطريق معبد اذا كان مذللا قد وطئته الاقدام وكذلك الدين ايضا من الذل يقال
دنته فدان اي اذللته فذل واما معناه في الشرع فقد اختلف عباراتهم
في تعريفها والمعنى واحد فعرفها طائفة بقولهم هي ما امر به شرعا من غير اطراد
عرفي ولا اقتضاء عقلي وعرفها طائفة بانها كمال الحب مع كمال الخضوع

وقال ابو العباس رحمه الله تعالى هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة فالصلوة والزكوة والصيام والحج وصدق الحديث واداء الامانة وبر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الادميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وامثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وامثال ذلك فالدين كله داخل في العبادة انتهى ومن عرفها بالحب مع الخضوع فلان الحب التام مع الذل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له فالعبد هو الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته له فمحبة العبد لربه وذله له يتضمن عبادته وحده لا شريك له والعبادة المامور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له كما قال ابن القيم رحمه الله

ليس العبادة غير توحيد المحبة ... مع خضوع القلب والاركان
والحب نفس وفاقه فيما يحب ... وبغض ما لا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتباعك امره ... والقصد وجه الله ذي الاحسان

فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح فمن احب شيئا وخضع له فقد تعبد قلبه له فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة ولا الخضوع بلا محبة عبادة فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة فلا يكون احدهما عبادة بدون الاخر فمن يخضع لانسان مع بغضه له لم يكن عابدا له ولو احب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له كما قد يحب ولده وصديقه ولهذا لا يكفي احدهما في عبادة الله تعالى بل يجب ان يكون الله احب الى العبد من كل شيء وان يكون الله اعظم عنده من كل شيء بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام الا الله سبحانه واذا عرفت ذلك فتوحيد العبادة هو افراد الله سبحانه بانواع العبادة المتقدم تعريفها وهو نفس العبادة المطلوبة شرعا ليس احدهما اعم من الاخر ولهذا قال ابن عباس كلما ورد في القران من العبادة فمعناه التوحيد وهذا هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل وابى عن الاقرار به المشركون واما العبادة من حيث هي فهي اعم من كونها توحيدا عموما مطلقا فكل موحد عابد لله وليس كل من عبد الله يكون موحدا ولهذا

يقال عن

يقال عن المشرك انه يعبد الله مع كونه مشركا كما قال الخليل صلى الله عليه وسلم افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال عليه السلام انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين فاستثنى الخليل ربه من معبوديهم فدل انهم يعبدون الله سبحانه فان قيل ما معنى النفي في قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد قيل انما نفى عنهم الفعل الدال على الوصف والثبوت لم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد وقد نبه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف في بدائع الفوائد فقال في اثناء كلامه على سورة قل يا ايها الكافرون واما المسئلة الرابعة وهو انه لم يات النفي في حقهم الا باسم الفاعل وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارة وباسم الفاعل اخرى وذلك والله اعلم لحكمة بديعة وهي ان المقصود الاعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت فاتى اولا بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد ثم اتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت فافاد في النفي الاول ان هذا لا يقع مني وافاد في الثاني ان هذا ليس وصفي ولا شاني فكانه قال عبادة غير الله لا تكون فعلا لي ولا وصفا فاتى بنفيين مقصودين بالنفي واما في حقهم فانما اتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل اي الوصف الثابت اللازم للعابد لله منتف عنكم فليس هذا الوصف ثابتا لكم وانما ثبت لمن خص الله وحده بالعبادة لم يشرك معه فيها احدا وانتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه وان عبدتموه في بعض الاحيان فان المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره كما قال اهل الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله اي اعتزلتم معبوديهم الا الله فانكم لم تعتزلوه وكذا قول المشركين عن معبوديهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فهم لما كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره لم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم ونفى الوصف لان من عبد غير الله لم يكن ثابتا على عبادة الله موصوفا بها فتامل هذه النكتة البديعة كيف تجد في طيها انه لا يوصف بانه عابد لله وعبده والمستقيم على عبادته الا من انقطع اليه بكليته وتبتل اليه تبتيلا لم يلتفت الى غيره ولم يشرك به احدا في عبادته وانه ان عبده واشرك به غيره فليس عابدا لله ولا عبدا له وهذا من اسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التي هي احدى سورتي الاخلاص التي تعدل ربع القران كما جاء في بعض السنن وهذا لا يفهمه كل احد ولا يدركه الا من منحه الله فهما من عنده فلله الحمد والمنة انتهى كلامه رحمه الله واما الاخلاص فحقيقته ان يخلص العبد لله في اقواله وافعاله وارادته ونيته وهذه هي

الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام التي امر الله عباده كلهم بها لا يقبل من احد غيرها وهي
حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين
وهي ملة ابراهيم التي من رغب عنها فهو من اسفه السفهاء ومن يرغب عن ملة ابراهيم
الا من سفه نفسه وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على اشتراط
الاخلاص للاعمال والاقوال الدينية وان الله لا يقبل منها الا ما كان خالصا له وابتغي
به وجهه ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم
ويرون الاخلاص اعز الاشياء واشقها على النفس وذلك لمعرفتهم بالله وما يحبه
ويبطل الاعمال وآفاتها ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم وانما يهمهم سلامة العمل
وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه او المنقصة له قال الامام احمد رحمه الله امر
النية شديد وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد علي من نيتي لانها
تتقلب علي وقال يوسف بن اسباط تخليص النية من فسادها اشد على العاملين
من طول الاجتهاد وقال سهل بن عبد الله ليس على النفس شيء اشق من الاخلاص لانه ليس
لها فيه نصيب وقد عرفه شيخ الاسلام ابن تيمية ان الاخلاص محبة الله وارادة
وجهه وقال يوسف بن الحسين اعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في اسقاط
الرياء عن قلبي وكانه ينبت فيه على لون آخر فيجب على من نصح نفسه ان يكون اهتمامه
بتصحيح نيته وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء لان الاعمال بالنيات
ولكل امرئ ما نوى واما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص وهل هو من وجه
او مطلق فقد قدمنا ان العبادة من حيث هي اعم من توحيد العبادة عموما
مطلقا وان العبادة المطلوبة شرعا هي نفس توحيد العبادة ودل كلام ابن القيم
رحمه الله على ان توحيد العبادة اعم من الاخلاص حيث قال

هذا وثاني نوعي التوحيد توحيد العبادة منك للرحمن ان لا تكون لغيره عبدا ولا
تعبد بغير شريعة الايمان فتقوم بالاسلام والايمان والاحسان في سر وفي اعلان
والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد كالركنين للبنيان وحقيقة الاخلاص توحيد
الى ان قال المراد فلا يزاحمه مراد ثان والصدق توحيد الارادة وهو بذل الجهد لا كسلا ولا متوان
والسنة المثلى لسالكها فتوحيد الطريق الاعظم السلطان فلواحد كن واحدا في واحد
اعني سبيل الحق والايمان

فقوله رحمه الله والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد
جعل الاخلاص احد ركني توحيد العبادة والصدق ركنه الآخر وفسر الصدق

[illegible]

بما ذكر

بما ذكر وقال في بعض كلامه ومقام الصدق جامع للاخلاص والعزم فباجتماعهما
يصح له مقام الصدق فعرفنا رحمه الله ان توحيد العبادة اعم من الاخلاص ولم يذكر
الا عموما مطلقا واما العموم الوجهي فالظاهر ان المراد به اذا كان احد الشيئين
اعم من وجه واخص من وجه والعموم الذي بين مطلق العبادة وبين توحيد العبادة
وبين التوحيد والاخلاص مطلق لا وجهي والله اعلم واما الاله فهو الذي تألهه
القلوب بالمحبة والخضوع وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستعانة
والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع انواع العبادة الظاهرة والباطنة فهو اله
بمعنى مألوه اي معبود واجمع اهل اللغة ان هذا معنى الاله قال الجوهري أله بالفتح
الاهة اي عبد عبادة قال ومنه قولنا الله واصله الاه على فعال بمعنى مفعول
لانه مألوه بمعنى معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لانه مؤتم به قال والتأله
التعبد والتأله التنسك والتعبد قال رؤبة سبحن واسترجعن من تألهي انتهى
وقال في القاموس أله الهة والوهة والوهية عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة
واختلف فيه على عشرين قولا يعني في لفظ الجلالة قال واصله الاه بمعنى مألوه
وكلما اتخذ معبودا اله عند متخذه قال والتأله التنسك والتعبد انتهى
وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بانه
المعبود وانما غلط في ذلك بعض ائمة المتكلمين فظن ان الاله هو القادر
على الاختراع وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش اذا تصوره العامي العاقل
تبين له بطلانه وكان هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله سبحانه عن المشركين
في مواضع من كتابه ولم يعلم ان مشركي العرب وغيرهم يقرون بان الله هو القادر
على الاختراع وهم مع ذلك مشركون وان ابعد الاشياء ان عاقلا يمتنع من
التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويعترف به ليلا ونهارا سرا وجهارا هذا ما لا يفعله
من له ادنى مسكة من عقل قال ابو العباس رحمه الله وليس المراد بالاله هو
القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من ائمة المتكلمين حيث ظن ان الالوهية
هي القدرة على الاختراع وان من اقر بان الله هو القادر على الاختراع دون
غيره فقد شهد ان لا اله الا الله فان المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد
كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى
قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون

الآيات وقال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون قال ابن عباس تسألهم من
خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره وهذا التوحيد
من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به الواجب ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي
هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله بل لا بد أن يخلص لله الدين فلا يعبد إلا إياه فيكون
دينه لله والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب فهو بمعنى مألوه لا بمعنى آله انتهى وقد
دل صريح القرآن على معنى الإله وأنه هو المعبود كما في قوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه
إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه
قال المفسرون هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله باقية في عقبه أي ذريته قال قتادة
لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده والمعنى جعل هذه الموالاة والبراءة من كل
معبود سواه كلمة باقية في عقبه إبراهيم يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض (صح ذريته)
وهي كلمة لا إله إلا الله فتبين أن موالاة الله بعبادته والبراءة من كل معبود سواه
هو معنى لا إله إلا الله إذا تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئا من أنواع العبادة التي
المتقدم ذكرها كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح (تعريفها)
والنذر وغير ذلك فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلها وأشركه مع الله في خالص
حقه وإن فر من تسميته فعل ذلك تألها وعبادة وشركا ومعلوم عند كل عاقل
أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها فلو سمي الزنا والربا والخمر بغير
أسمائها لم يخرج تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمرا ونحو ذلك ومن
المعلوم أن الشرك إنما حرم لقبحه في نفسه وكونه متضمنا مسبة الرب وتنقصه وتشبيهه
بالمخلوقين فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه كتسميته توسلا وتشفعا وتعظيما
للصالحين وتوقيرا لهم ونحو ذلك فالمشرك مشرك إن شاء أو أبى كما أن الزاني زان
إن شاء أو أبى والمرابي مراب شاء أم أبى وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن طائفة
من أمته يستحلون الربا باسم البيع ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها وذمهم على ذلك
فلو كان الحكم دائرا مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحقوا الذم وهذا من أعظم مكائد
الشيطان لبني آدم قديما وحديثا حيث أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم
الصالحين وتوقيرهم وغير اسمه بتسميته إياه توسلا وتشفعا ونحو ذلك
والله الهادي إلى سواء السبيل وأما تعريف الطاغوت فهو

مشتق من طغا وتقديره طغووت ثم قلبت الواو ألفا قال النحويون وزنه فعلوت
والتاء زائدة قال الواحدي قال جميع أهل اللغة الطاغوت كل ما عبد من دون الله
يكون واحدا وجمعا يذكر ويؤنث قال الله تعالى يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت
وقد أمروا أن يكفروا به فهذا في الواحد وقال في الجمع والذين كفروا أولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقال في المؤنث والذين اجتنبوا
الطاغوت أن يعبدوها قال ومثله من الأسماء الفلك يكون واحدا وجمعا
ومذكرا ومؤنثا ثم قال البغوي قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل
اللغة الطاغوت كل ما عبد من دون الله وقال الجوهري الطاغوت الكاهن
والشيطان وكل رأس في الضلال وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف
كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم
وكثير من المفسرين الطاغوت الشيطان قال ابن كثير وهو قول قوي جدا فإنه
يشمل كل ما كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار
بها وقال الواحدي عند قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت كل
معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت قال ابن عباس في رواية عطية
الجبت الأصنام والطاغوت تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم
يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس وقال في رواية الوالبي الجبت الكاهن
والطاغوت الساحر وقال بعض السلف في قوله سبحانه يريدون أن يتحاكموا
إلى الطاغوت إنه كعب بن الأشرف وقال بعضهم حيي بن أخطب وإنما استحقا هذا
الاسم لكونهما من رؤوس الضلال ولإفراطهما في الطغيان وإغوائهما الناس
ولطاعة اليهود لهما في معصية الله فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت
قال ابن كثير رحمه الله قوله تعالى يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت لما ذكر ما قيل
أنها نزلت فيمن طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف أو إلى حكام الجاهلية وغير ذلك
قال والآية أعم من ذلك كله فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما
سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هاهنا فتحصل من مجموع كلامهم
رحمهم الله أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله وكل رأس في الضلال
يدعو إلى الباطل ويحسنه ويشمل أيضا كل من نصبه الناس للحكم بينهم

باحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ويشمل ايضا الكاهن والساحر
وسدنة الاوثان الداعين الى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبونه من الحكايات
المضلة للجهال الموهمة ان المقبور ونحوه يقضي حاجة من توجه اليه وقصده
وانه فعل كذا وكذا مما هو كذب او من فعل الشياطين ليتوهم الناس ان المقبور
ونحوه يقضي حاجة من قصده فيوقعونهم في الشرك الاكبر وتوابعه واصل
هذه الانواع كلها واعظمها الشيطان فهو الطاغوت الاكبر والله اعلم
ماذكره الشيخ عبدالله من تعداد افراد الطاغوت حسن واتى بالمقصود
مع الايضاح وقد عرفه ابن القيم رحمه الله بتعريف جامع مانع ينبغي ان يذكر هنا
قال رحمه الله الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود او متبوع او مطاع
انتهى املاه الشيخ عبدالرحمن بن حسن

مسئلة فيمن يعتقد الجهة هل
هو مبتدع او كافر اولا **الجواب** اما من اعتقد الجهة فان كان يعتقد
ان الله في داخل المصنوعات تحويه المخلوقات وتحصره السموات ويكون بعض المخلوقات
فوقه وبعضها تحته فهذا مبتدع ضال وكذلك ايضا ان كان يعتقد ان الله يفتقر
الى شيء يحمله العرش وغيره فهو ايضا مبتدع ضال وكذلك ان جعل صفات الله مثل
صفات المخلوقين فيقول استواء الله كاستواء المخلوق او نزوله كنزول المخلوق
ونحو ذلك فهذا مبتدع ضال فان الكتاب والسنة مع العقل دلت على ان الله لا تماثله المخلوقات
في شيء من الاشياء ودلت على ان الله غني عن كل شيء ودلت على ان الله مباين عن
المخلوقات عال عليها وان كان يعتقد ان الخالق تعالى باين عن المخلوقات وانه
فوق سمواته على عرشه باين من مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في
ذاته شيء من مخلوقاته وان الله غني عن العرش وعن كل ما سواه لا يفتقر الى شيء من
المخلوقات بل هو مع استوائه على عرشه يحمل العرش وحملة العرش بقدرته ولا يمثل
استواء الله باستواء المخلوقين بل يثبت لله ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات
وينفي عنه مماثلة المخلوقات ويعلم ان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته
ولا في افعاله فهذا مصيب في اعتقاده موافق لسلف الامة وائمتها فان مذهبهم انهم
يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل
ومن غير تكييف ولا تمثيل فيعلمون ان الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير
وانه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش وانه
كلم موسى تكليما وتجلى للجبل فجعله دكا هشيما ويعلمون ان الله ليس كمثله شيء

في جميع

ويعلمون انه ليس له كفوا احد في شيء من صفات الكمال صح

في جميع ما وصف به نفسه وينزهون الله عن صفات النقص والعيب ويثبتون
له صفات الكمال قال نعيم بن حماد الخزاعي من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد
ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه
والله اعلم **مسئله** في اقوام يقولون المشيئة مشيئة الله في الماضي والمستقبل
واقوام يقولون المشيئة في المستقبل لا في الماضي فما الصواب **الجواب**
الماضي مضى بمشيئة الله والمستقبل لا يكون الا بمشيئة الله فمن قال في الماضي ان الله
خلق السموات ان شاء الله وارسل محمدا ان شاء الله فقد اخطأ ومن قال خلق الله
السموات بمشيئة الله وارسل محمدا بمشيئة الله ونحو ذلك فقد اصاب ومن قال انه
يكون في الوجود شيء بدون مشيئة الله فقد اخطأ فان الله خلق السموات بمشيئته قطعا وارسل
محمدا صلى الله عليه وسلم بمشيئته قطعا والانسان الموجود خلقه الله بمشيئته قطعا وان شاء الله
ان يغير المخلوق من حال الى حال فهو قادر على ذلك ثم ما خلقه فقد كان بمشيئته قطعا
وان شاء ان يغيره غيره بمشيئته قطعا والله سبحانه اعلم **مسئلة** في كمال الايمان
بالله ورسوله هل فوقه مقام من المقامات او حال من الاحوال املا
وهل يدخل فيه جميع المقامات والاحوال المحمودة عند الله ورسوله املا وهل يدخل فيه
وهل يكون صفة الايمان نورا يوقعه الله في قلب العبد صلى الله عليه وسلم ويعرف العبد عنده وقوعه
في قلبه الحق من الباطل املا وهل يكون الاول حصوله بسبب من الاسباب مثل رؤية
اهل الخير ومجالستهم او صحبتهم او تعلم علم او عمل من الاعمال او غير ذلك فان كان
الاول حصوله بسبب فما هو ذلك السبب وما الاسباب ايضا التي يقوى بها الايمان
الى ان يكمل على ترتيبها هل يبدأ بالزهد حتى يصح ام بالعلم حتى يرسخ فيه
ام بالعبادة حتى يجهد نفسه ام يجمع بين ذلك على حسب طاقته ام كيف يتوصل
الى حقيقة الايمان الذي مدح الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بينوا لنا الاسباب
وانواعها وشرحها التي يتوصل بها الى حقيقة الايمان وما وصف صاحبه
رضي الله عنكم **الجواب** الحمد لله رب العالمين اسم الايمان يستعمل
مطلقا ويستعمل مقيدا واذا استعمل مطلقا فجميع ما يحبه الله ورسوله من
اقوال العبد واعماله الباطنة والظاهرة يدخل في مسمى الايمان عند
عامة السلف والائمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين يجعلون
الايمان قولا وعملا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويدخلون

جميع الطاعات فرضها ونفلها في مسماه وهذا مذهب الجماهير من اهل الحديث
والتصوف والكلام والفقه من اصحاب مالك والشافعي واحمد وغيرهم ويدخل
في ذلك ما قد يسمى مقاما وحالا مثل الصبر والشكر والخوف والرجا والتوكل
والرضا والخشية والانابة والاخلاص والتوحيد وغير ذلك وهذا ما
اخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وستون او بضع
وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
والحيا شعبة من الايمان فذكر في الحديث اعلا شعب الايمان وهو قول لا اله
الا الله فانه لا شيء افضل منها كما في الموطا وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال افضل الدعاء يوم عرفة وافضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفي الترمذي
وغيره عنه انه قال من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وفي
الصحيح عنه انه قال لعمه عند الموت يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها
عند الله وقد تظاهرت الدلائل على ان احسن الحسنات هو التوحيد كما ان
اسوى السيئات هو الشرك وهو الذنب الذي لا يغفره الله كما قال تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به وتلك الحسنة التي لا بد من سعادة صاحبها كما ثبت في
الصحيح عنه حديث الموجبتين موجبة السعادة وموجبة الشقاوة من
مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار
وذكر في الحديث ادنى شعب الايمان وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لوفد عبد القيس آمركم بالايمان بالله اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتؤدوا الخمس
من المغنم فجعل هذه الاعمال من الايمان وقد جعلها من الاسلام في حديث جبريل
الصحيح لما اتاه في صورة اعرابي وسأله عن الايمان فقال الايمان ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره
وشره وسأله عن الاسلام فقال ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت وفي حديث
في المسند قال الاسلام علانية والايمان في القلب فاصل الايمان في القلب
وهو قول القلب وعمله وهو اقرار القلب بالتصديق والحب والانقياد

وما كان في القلب فلا بد ان يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح واذا لم يعمل
بموجبه ومقتضاه دل على عدمه او ضعفه ولهذا كانت الاعمال الظاهرة من
موجب ايمان القلب ومقتضاه وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه و
شاهد له وهي شعبة من مجموع الايمان المطلق وبعض له لكن ما في القلب
هو الاصل لما على الجوارح كما قال ابو هريرة ان القلب ملك والاعضاء جنوده
فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وفي
الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها
سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهي القلب وبهذا
ظن طوائف من الناس ان الايمان انما هو في القلب خاصة وما على الجوارح
ليس داخلا في مسماه ولكن هو من ثمراته ونتائجه الدالة عليه حتى
آل الامر بغلاتهم كجهم واتباعه الى ان قالوا يمكن ان يصدق بقلبه ولا يظهر
بلسانه الا كلمة الكفر مع قدرته على اظهارها فيكون الذي في القلب ايمانا نافعا له في الاخرة
وقالوا حيث حكم الشارع بكفر احد بعمل او قول فلكونه دليلا لم يجز الاستدلال به على
الكفر الباطن والسياق في غير موضع يبين ان تحقيق الايمان وتصديقه بما هو من
الاعمال الظاهرة والباطنة انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا
تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
وقال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع
لم يذهبوا حتى يستاذنوه وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فاذا
قال القائل هذا يدل على ان الايمان ينتفي عند انتفاء هذه الامور فلا يدل
على انها من الايمان قيل له هذا اعتراف بانه ينتفي الايمان الباطن مع عدم
مثل هذه الامور الظاهرة فلا يجوز ان يدعي انه يكون في القلب ايمان
نافع في الاخرة بدون امور ظاهرة لا قول ولا عمل وهو المطلوب وذلك
وذلك تصديق وذلك لان القلب اذا تحقق ما فيه اثر في الظاهر ضرورة لا يمكن
انفكاك احدهما عن الآخر فالارادة الجازمة للفعل مع القدرة التامة توجب
وقوع المقدور فاذا كان في القلب حب الله ورسوله ثابتا استلزم موالاته

على انتفاء ما في القلب [illegible] اذا كان ذلك لازما مستلزما
لانتفاء [illegible] الذي [illegible] في القلب
[illegible]

موالاة اوليائه ومعاداة اعدائه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من
حاد الله ورسوله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء
فهذا التلازم امر ضروري ومن جهة ظن انتفاء اللازم غلط غالطون كما غلط آخرون
في جواز وجود ارادة جازمة مع القدرة التامة بدون الفعل حتى تنازعوا هل
يعاقب على الارادة بلا عمل وقد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع وبينا ان الهمة التي
لم يقترن بها فعل ما يقدر عليه الهام ليست ارادة جازمة وان الارادة الجازمة لا بد
ان يوجد معها ما يقدر عليه العبد والعفو وقع عمن هم بسيئة ولم يفعلها لا عمن اراد
وفعل المقدور عليه وعجز عن تمام مراده كالذي اراد قتل صاحبه فقاتله حتى قتل
احدهما فان هذا يعاقب لانه اراد وفعل المقدور من المراد ومن عرف الملازمات
التي بين الامور الباطنة والظاهرة زالت عنه شبهات كثيرة في مثل هذه المواضع
التي كثر اختلاف الناس فيها **بقي ان يقال فهل اسم الايمان** للاصل فقط او له
ولفروعه والتحقيق ان الاسم المطلق يتناولهما وقد يخص الاسم وحده بالاسم مع
الاقتران وقد لا يتناول الا الاصل اذا لم يخص الا هو كاسم الشجر فانه يتناول الاصل
والفرع اذا وجدت ولو قطعت الفروع لكان اسم الشجر يتناول الاصل وحده وكذلك
اسم الحج هو اسم لكل ما يشرع فيه من ركن وواجب ومستحب وهو حج ايضا تام بدون
المستحبات وهو حج ناقص بدون الواجبات التي يجبرها دم والشارع صلى الله عليه وسلم
لا ينفي الايمان عن العبد لترك مستحب لكن لترك واجب بحيث يترك ما يجب من
كماله وتمامه لا بانتفاء ما يستحب من ذلك ولفظ الكمال والتمام قد يراد به الكمال الواجب
والكمال المستحب كما يقول بعض الفقهاء الغسل ينقسم الى كامل ومجزئ فاذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له ولا يزني الزاني حين يزني وهو
مؤمن ونحو ذلك كان لانتفاء بعض ما يجب فيه لا لانتفاء الكمال المستحب
والايمان يتبعض ويتفاضل الناس فيه كالحج والصلاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان ومثقال شعيرة من ايمان
واما اذا استعمل اسم الايمان مقيدا كما في قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ونحو ذلك فهنا قد يقال
انه متناول لذلك وان عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام
كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم

ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وقد يقال ان دلالة الاسم
على مسماه بالافراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين فان احدهما اذا افرد تناول
الاخر واذا جمع بينهما كانا صنفين كما في اية الصدقة ولا ريب ان مجموع الايمان
مع اصوله كالمعطوفة وهي مع جميعه كالبعض مع الكل ومن هذا الموضع
نشأ نزاع واشتباه هل الاعمال داخلة في الايمان ام لا لكونها قد عطفت
عليه ومن هذا الباب قد يعطف على الايمان بعض شعبه العالية وبعض انواعه
الرفيعة كاليقين والعلم ونحو ذلك فيشعر العطف بالمغايرة فيقال اهل
الايمان اي اليقين والعلم ارفع من المؤمن الذي ليس معه هذا اليقين والعلم
قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ومعلوم
ان الناس يتفاضلون في نفس الايمان والتصديق تفاضلا في قوته وضعفه
وفي عمومه وخصوصه وفي بقائه ودوامه وفي موجبه ومقتضاه وغير
ذلك من اموره فيختص احد نوعيه باسم يفضل به على النوع الاخر ويبقى اسم الاعم
ومثل ذلك متناولا للقسم الاخر كما يفعل في نظائر ذلك كما يقال الانسان خير من
الحيوان والانسان خير من الدواب وان كان الانسان يدخل في الدواب
في مثل قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فاذا عرف
هذا فحيث وجد في كلام مقبول تفضيل شيء على الايمان فانما هو تفضيل
نوع خاص على عموما وتفضيل لبعض شعبه العالية على غيرها واسم الايمان قد
يتناول النوعين جميعا وقد يخص احدهما كما تقدم وقد قيل اكثر اختلاف
العقلاء من جهة اشتراك الاسماء **فصل** واما قول القائل هل
يكون صفة الايمان نورا يوقعه الله في قلب العبد ويعرف العبد عند وقوعه
في قلبه الحق من الباطل **فيقال له** قد قال الله تعالى الله نور السموات والارض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب وغيره مثل نوره في قلب
المؤمن الى قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال تعالى اومن كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس فالايمان الذي
يهبه الله لعبده سماه نورا وسمى الوحي النازل من السماء الذي به
يحصل الايمان نورا كما قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما
كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من

نشاء من عبادنا وقال تعالى فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
الذي انزل معه واشباه ذلك ولا ريب ان المؤمن يفرق بين حق وباطل
بل يفرق بين اعظم الحق لكن لا يمكن ان يقال بان كل من له ايمان يفرق بمجرد
ما اعطيه من الايمان بين كل حق وكل باطل **فصل** واما قوله هل يكون لاول
حصوله سبب فلا ريب انه يحصل بسبب مثل سماع القران وتدبره ومشاركة اهل
الايمان والنظر في احوالهم ومثل معرفة احوال النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته
والنظر في ذلك ومثل النظر في ايات الله تعالى ومثل التفكر في احوال الانسان نفسه
ومثل الضرورات التي يحدثها الله للعبد التي تضطره الى الذل لله والاستسلام
له والالتجاء اليه فقد يكون هذا سببا لشيء من الايمان وهذا سببا لشيء اخر
بل كل ما يكون في العالم من الامور فلا بد له من سبب وسبب الايمان وشعبه
تكون تارة من العبد وتارة من غيره مثل من يقيض له من يدعوه الى الايمان
ويامره بالخير وينهاه عن الشر ويبين له اعلام الدين ودلائله وبراهينه
وما يعتبر به ويستدل به ويتعظ به وغير ذلك من الاسباب **فصل**
واما قوله فالاسباب التي يقوى بها الايمان الى ان يكمل على ترتيبها هل يبدا
بالزهد او بالعلم او بالعبادة ام يجمع بين ذلك على حسب طاقته **فيقال له** لا بد
في الايمان الواجب من العبادة الواجبة والزهد الواجب ثم الناس يتفاضلون
في الايمان كتفاضلهم في شعبه وكل انسان يطلب ما يمكنه طلبه ويقدم ما يقدر
على تقديمه والناس يتفاضلون في هذا الباب منهم من يكون العلم ايسر عليه من
الزهد ومنهم من يكون الزهد ايسر عليه ومنهم من يكون العبادة ايسر عليه منهما
فالمشروع لكل انسان ان يفعل ما يقدر عليه من الخير كما قال تعالى فاتقوا الله
ما استطعتم واذا ازدحمت شعب الايمان قدم ما كان ارضى لله وهو عليه
اقدر فقد يكون على المفضول اقدر منه على الفاضل ويحصل له افضل مما يحصل له
من الفاضل فالافضل لهذا ان يطلب ما هو انفع له وهو في حقه افضل ولا يطلب
ما هو افضل مطلقا اذا كان متعذرا في حقه او متعسرا يفوته ما هو افضل منه
وانفع كمن يقرا القران بالليل فيتدبره وينتفع بتلاوته والصلاة تثقل عليه
ولا ينتفع منها بطائل او ينتفع بالذكر اعظم مما ينتفع بالقراءة ذلك فاي
عمل كان له انفع ولله اطوع افضل في حقه من تكليف عمل لا ياتي
به على وجهه بل على وجه ناقص ويفوته به ما هو انفع له ومعلوم ان
الصلاة اكمل من قراءة القران وقراءة القران افضل من الذكر والدعاء

ومعلوم

ومعلوم ايضا ان الذكر في فعل الخاص كالركوع والسجود افضل من قراءة القران
في ذلك المحل فان الذكر والقراءة والدعاء عند طلوع الشمس وغروبها خير من الصلاة
والزهد هو ضد الرغبة وهو كالبغض المخالف للمحبة والكراهة المخالفة للارادة
وكل من الارادة والكراهة له اقسام في نفسه وفي متعلقه فالزهد انقسام
الى الزهد فيه والى نفس الزهد اما الاول فان الزهد واما نفس الزهد الذي
هو ضد الرغبة وهو الكراهة والبغض فحقيقة المشروع منه ان يكون كراهة
العبد وبغضه وحبه تابعا لحب الله وبغضه ورضاه وسخطه فيحب ما
احبه الله ويبغض ما ابغضه الله ويرضى ما يرضاه الله ويسخط ما يسخط الله
بحيث لا يكون تابعا لهواه بل لامر مولاه فان كثيرا من الزهاد في الحياة في الدنيا
اعرضوا عن فضولها ولم يقبلوا على ما يحبه الله ورسوله وليس مثل هذا
الزهد مما يامر الله به ورسوله ولهذا كان في المشركين زهاد وفي اهل
الكتاب زهاد وفي اهل البدع زهاد ومن الناس من يزهد طلبا للراحة
من تعب الدنيا ومنهم من يزهد لمسالمة اهلها والسلامة من اذاهم ومنهم
من يزهد في المال طلبا للرياسة الى امثال هذه الانواع التي لا يامر الله بها
ولا رسوله وانما يامر الله ورسوله ان يزهد فيما لا يحبه الله ورسوله ويرغب فيما
يحبه الله ورسوله فيكون زهده هو الاعراض عما لا يامر الله به ورسوله امر
ايجاب ولا امر استحباب سواء كان محرما او مكروها او مباحا مستوى
الطرفين في حق العبد ويكون مع ذلك مقبلا على ما امر الله به ورسوله والا
فترك المكروه بدون فعل المحبوب ليس بمطلوب وانما المطلوب بالقصد
الاول فعل ما يحبه الله ورسوله وترك المكروه معين لذلك به تزكو النفس
كما ان الحسنات اذا نفيت عنها السيئات زكت ففي الزكاة تطهير النفس
من الخبائث وتعظيم في المطلوبات كما ان الزرع اذا ازيل عنه الدغل زكى
وظهر وعظم **فصل** واما طريق الوصول الى ذلك فبالاجتهاد في فعل
المامور وترك المحظور والاستعانة به على ذلك كما في صحيح البخاري ومسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن
الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن
وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله

ما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان وفي السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم [redacted]
يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذ [redacted] حسبي الله ونعم الوكيل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك امر فقل
حسبي الله ونعم الوكيل فامر النبي صلى الله عليه وسلم العبد بان يحرص على ما ينفعه
وان يستعين بالله على ذلك فالحرص على ما ينفعه هو الاجتهاد في الخير وهو العبادة
فان كل ما ينفع العبد فهو مامور بطلبه وانما نهى عن طلب ما يضره وان
اعتقد انه ينفعه كما يطلب المحرمات وهي تضره ويطلب الفضول الذي لا
تنفعه والله تعالى اباح للمؤمنين الطيبات وهي ما ينفعهم وحرم عليهم
الخبائث وهي ما يضرهم **مسئلة** ما الحكمة في ان المشتغلين بالذكر
والفكر والرياضة ومجاهدة النفس وما اشبهه يفتح عليهم من الكشوفات والكرامات
وما سوى ذلك من الاحوال مع قلة علمهم وجهل بعضهم ما لا يفتح على المشتغلين بالعلم
ودرسه والبحث عنه حتى لو بات الانسان متوجها مشتغلا بالذكر والحضور
لا بد ان يرى واقعة او يفتح عليه بشئ ولو بات ليلته يكرر على باب من ابواب
الفقه لا يجد ذلك حتى ان كثيرا من المتعبدين يجد للذكر حلاوة ولذة لا يجد
ذلك عند قراءة القران مع انه قد وردت السنة بتفضيل العالم على العابد لا سيما
اذا كان العابد محتاجا الى علم هو مشتغل به من العبادة ففي الحديث ان
الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وان العلماء ورثة الانبياء
وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وفي الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة فيقول الله عز وجل للعابدين والمجاهدين
ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى
لهم انتم عندي كملائكتي اشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وغير ذلك
من الحديث والاثر ثم ان كثيرا من المتعبدين يؤثر العبادة على طلب العلم
مع جهله بما يبطل كثيرا من عبادته كنواقض الوضوء ومبطلات الصلواة
والصوم وربما يحكي بعضهم حكاية في هذا المعنى بان رابعة العدوية رحمة
الله عليها اتت ليلة بالقدس تصلي الى الصباح والى جانبها بيت فقيه فقيه
يكرر على باب الحيض الى الصباح فلما اصبحت رابعة قالت له يا هذا وصل
الواصلون الى ربهم وانت مشتغل بحيض النساء او نحوها فما المانع ان يحصل
للمشتغل بالعلم ما يحصل للمشتغل بالعبادة مع فضله عليه **الجواب**
الحمد لله رب العالمين لا ريب ان الذين اوتوا العلم والايمان ارفع درجة

من الذين

من الذين اوتوا الايمان فقط كما دل على ذلك الكتاب والسنة والعلم الممدوح الذي
دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثته الانبياء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان العلماء هم ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وانما ورثوا
العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهذا العلم ثلاثة اقسام علم بالله واسمائه
وصفاته وما يتبع ذلك وفي مثله انزل الله سورة الاخلاص واية الكرسي ونحوهما
والقسم الثاني العلم بما اخبر الله به مما كان من الامور الماضية وما يكون من الامور
المستقبلة وما هو كائن من الامور الحاضرة وفي مثل هذا انزل الله ايات القصص
والوعد والوعيد وصفة الجنة والنار ونحو ذلك **والقسم الثالث** العلم بما
امر الله به من الامور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الايمان بالله من معارف
القلوب واحوالها واقوال الجوارح واعمالها وهذا العلم يندرج فيه العلم باصول
الايمان وقواعد الاسلام ويندرج فيه العلم بالاقوال والافعال الظاهرة وهذا
القسم يندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم باحكام الافعال الظاهرة
فان ذلك جزء من جزء من جزء من علم الدين كما ان المكاشفات التي تكون لاهل
هل الصفاء جزء من جزء من جزء من علم الامور الكونية والناس كثيرا ما يغلطون
في هذه المسائل لانهم يفهمون مسميات الاسماء الواردة في الكتاب والسنة
ولا يعرفون حقائق الامور الموجودة **فرب رجل** يحفظ حروف العلم التي
اعظمها حفظ حروف القران ولا يكون له من الفهم بل ولا من الايمان ما يتميز به على من
اوتي القران ولم يؤت حفظ حروف العلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق
عليه مثل المؤمن الذي يقرأ القران مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب
ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القران مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق
الذي لا يقرأ القران مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ
القران كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر فقد يكون الرجل حافظا لحروف
العلم وسوره ولا يكون مؤمنا بل يكون **منافقا** فالمؤمن الذي لا يحفظ حروف
العلم وسوره خير منه وان كان ذلك المنافق ينتفع به الغير كما ينتفع بالريحان
واما الذي اوتي العلم والايمان فهو مؤمن عليم فهو افضل من المؤمن الذي
ليس مثله في العلم مع اشتراكهما في الايمان فهذا اصل يجب معرفته **وهنا**
اصل اخر وهو انه ليس عملا اورث كشوفا او تصرفا في الكون يكون افضل
من العمل الذي لا يورث كشفا وتصرفا فان الكشف والتصرف ان لم يكن مما

يستعان به على دين الله والا كان من متاع الحياة الدنيا وقد يحصل ذلك للكفار
من المشركين واهل الكتاب وان لم يحصل لاهل الايمان الذين هم اهل الجنة واولئك
اصحاب النار ففضائل الاعمال ودرجاتها لا تتلقى من مثل هذا وانما تتلقى من دلالة
الكتاب والسنة وهذا كما ان كثيرا من الاعمال يحصل لصاحبه في الدنيا رياسة ومال
فاكرم الخلق عند الله اتقاهم ومن عبد الله بغير علم فقد افسد اكثر مما يصلح
وان حصل له كشف وتصرف وان اقتدى به خلق كثير من العامة وقد بسطنا
الكلام في هذا الباب في مواضعه فهذا اصل ثاني **واصل ثالث** ان تفضيل
العمل على العمل قد يكون مطلقا مثل تفضيل اصول الايمان على فروعه وقد يكون
مقيدا فقد يكون احد العملين في حق زيد افضل من الاخر والاخر في حق عمرو افضل
وقد يكونا متماثلين في حق الشخص وقد يكون المفضول في وقته افضل من
الفاضل وقد يكون المفضول في حق من لم يقدر عليه وينتفع به افضل من الفاضل
في حق من ليس كذلك **مثال ذلك** ان قراءة القران افضل من مجرد الذكر بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة والاعتبار ثم يخالف ذلك من جملة
العبادة ثم الركوع والسجود ينهى فيه عن قراءة القران ويؤمر فيه بالذكر وكذلك
الدعاء في طواف وعرفة ونحوهما افضل من قراءة القران وكذلك الاذكار المشروعة
مثل ما يقال عند سماع النداء ودخول المسجد والمنزل والخروج منها وعند سماع الديك
والحمار ونحو ذلك افضل من قراءة القران في هذه المواطن وايضا فاكثر السالكين
اذا قرؤوا القران لا يفهمونه وهم لعدم ذوقهم حلاوة الايمان الذي يزيدهم به
القران ايمانا فاذا اقبلوا على الذكر اعطاهم الذكر من الايمان ما يجدون حلاوته
ولذته فيكون الذكر انفع لهم حينئذ من قراءة لا يفهمونها ولا معهم من الايمان
ما يزداد بقراءة القران اما اذا اوتي الرجل القران والايمان فالقران يزيده مع
الايمان بالذكر المجرد ويحصل له بالقران من الهدى والشفاء والرحمة والنور
والقران ما لا يحصل بمجرد الذكر فهذا اصل ثالث **واصل رابع** وهو ان الرجل
قد ياتي بالعمل الفاضل من غير قيام بشروطه والاخلاص فيه فيكون بتفويته
شرائطه دون من اتى بالمفضول المكمل فهذه الاصول ونحوها تبين جواب
هذه المسائل وان كان تفصيل ذلك لا تتسع له الورقة والله اعلم
مسئله في قول اهل التقاويم في ان الرابع عشر من هذا الشهر يخسف
القمر وفي التاسع والعشرين تكسف الشمس فهل يصدقوا في ذلك

واذا

واذا خسفا هل يصلى لهما ام يسبح واذا صلى كيف الصلاة ويذكر لنا اقوال العلماء
الجواب الحمد لله الخسوف والكسوف لهما اوقات مقدرة كما ان لطلوع الهلال وقت
مقدر وذلك مما اجرى الله عادته بالليل والنهار والشتاء والصيف وسائر ما يتبع جريان
الشمس والقمر وذلك من ايات الله كما قال تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب الاية وقال تعالى الشمس والقمر بحسبان
وقال فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا الاية وقال
ويسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وقال ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا في كتاب الله الاية وقال واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون
والشمس تجري لمستقر لها الى قوله كل في فلك يسبحون وكما ان العادة التي اجراها الله
ان الهلال لا يستهل الا ليلة الثلاثين من الشهر او ليلة احدى وثلاثين وان الشهر
لا يكون الا ثلاثين يوما او تسعة وعشرين فمن ظن ان الشهر يكون اكثر من ذلك او اقل
فهو غالط فكذلك اجرى الله العادة ان الشمس لا تكسف الا وقت الاستسرار
وان القمر لا يخسف الا وقت الابدار ووقت ابداره هي الليالي البيض التي يستحب
صيام ايامها ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فالقمر لا يخسف الا في هذه الليالي
والهلال يستسر اخر الشهر اما ليلة واما ليلتين كما يستسر ليلة تسع وعشرين وثلاثين
والشمس لا تكسف الا وقت استسراره وللشمس والقمر ليالي معتادة من عرفها
عرف الكسوف والخسوف كما ان من علم كم مضى من الشهر يعلم ان الهلال يطلع
في الليلة الفلانية او التي قبلها لكن العلم بالعادة في الهلال علم عام يشترك
فيه جميع الناس واما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف فانما يعرفه من يعرف
حساب جريانها **وليس خبر الحاسب** بذلك من علم الغيب ولا من باب ما
يخبر به من الاحكام التي يكون كذبه فيها اعظم من صدقه فان ذلك قول
بلا علم ثابت وبناء على غير اصل صحيح وفي سنن ابي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد
وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اتى عرافا فسأله عن شيء لم
يقبل الله له صلاة اربعين يوما والكهان اعلم بما يقولونه من المنجمين
في الاحكام ومع هذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن اتيانهم ومسألتهم
فكيف بالمنجم وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع عن هذا الجواب

(٢٢٢) وأما ما يعلم بالحساب فهو مثل العلم بأوقات الفصول كأول الربيع والصيف والخريف
والشتاء لمحاذاة الشمس أوائل البروج التي يقولون فيها إن الشمس نزلت في برج كذا أي
حاذته ومن قال من الفقهاء إن الشمس تكسف في غير وقت الاستسرار فقد غلط وقال
ما ليس له به علم وما روي عن الواقدي من ذكره أن إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم
مات يوم العاشر من الشهر وهو اليوم الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف
غلط والواقدي لا يحتج بمسانيده فكيف بما أرسله من غير أن يسنده إلى أحد وهذا
فيما لم يعلم أنه خطأ فأما هذا فيعلم أنه خطأ ومن جوز هذا فقد قفا ما ليس
له به علم ومن حاج في ذلك فقد حاج فيما ليس له به علم وأما ما ذكره طائفة من
الفقهاء من اجتماع صلاة العيد والكسوف فهذا ذكروه في ضمن كلامهم فيما إذا اجتمع
صلاة الكسوف وغيرها من الصلوات فقد روى اجتماعها مع الوتر والظهر وذكروا
صلاة العيد مع عدم استحضارهم هل يمكن ذلك في العادة أو لا يمكن فلا يوجد
في كلامهم تقديرهم ذلك العلم بوجود ذلك في الخارج لكن استفاد من ذلك العلم على
ذلك على تقدير وجوده كما يقدرون مسائل يعلم أنها لا تقع لتحرير القواعد
وتمرين الأذهان على ضبطها وأما تصديق المخبر بذلك وتكذيبه فلا يجوز
أن يصدق إلا أن يعلم صدقه ولا يكذب إلا أن يعلم كذبه كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فإما أن يحدثوكم بحق
فتكذبوهم وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوهم والعلم بوقت الكسوف والخسوف
وإن كان ممكنا لكن هذا المخبر المعين قد يكون عالما بذلك وقد لا يكون وقد
يكون ثقة في خبره وقد لا يكون وخبر المجهول لم يقبل لكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب
على ذلك فلا يكادون يخطئون ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي
فإن صلاة الكسوف والخسوف لا تصلى إلا إذا شاهدنا ذلك وإذا جوز
الإنسان صدق المخبر بذلك أو غلب على ظنه فنوى أن يصلي الكسوف والخسوف
عند ذلك واستعد ذلك الوقت لرؤية ذلك كان هذا حسنا من باب المسارعة
إلى طاعة الله تعالى وعبادته فإن الصلاة عند الكسوف متفق عليها عند
المسلمين وقد تواترت بها السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواها أهل
الصحيح والسنن والمسانيد من وجوه كثيرة واستفاض عنه أنه صلى بالمسلمين
صلاة الكسوف يوم مات ابنه إبراهيم وكان بعض الناس ظن أن كسوفها

الذي لا يوثق بعلمه وصدقه ولا يعرف كذبه موقوف
ولو أخبر مخبر بوقت الصلاة وهو مجهول لم يقبل خبره

كان

كان لأجل موت إبراهيم لأن إبراهيم مات فخطبهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الشمس والقمر
آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا
إلى الصلاة وفي رواية في الصحيح ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده
بما يخافونه إذا عصوه وعصوا رسله وإنما يخاف الناس مما يضرهم فلولا
(٢٢٣) إمكان حصول الضرر بالناس عند الخسوف ما كان ذلك تخويفا قال تعالى
وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا وأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بما يزيل الخوف أمر بالصلاة والدعاء والاستغفار و
الصدقة والعتق حتى يكشف ما بالناس وصلى بالمسلمين في الكسوف صلاة
صلاة طويلة وقد روي في صفة صلاة الكسوف أنواع لكن الذي استفاض
عند أهل العلم كمالك والشافعي وأحمد أنه صلى بهم ركعتين في كل ركعة ركوعان
يقرأ قراءة طويلة ثم يركع ركوعا طويلا دون القراءة ثم يقوم ويقرأ قراءة طويلة
دون القراءة الأولى ثم يركع ركوعا دون الركوع الأول ثم يسجد سجدتين
طويلتين وثبت عنه في الصحيح أنه جهر بالقراءة فيها والمقصود أن تكون
الصلاة وقت الكسوف إلى أن يتجلى فإن فرغ من الصلاة قبل التجلي ذكر الله
ودعاه إلى أن يتجلى والكسوف يطول زمنه تارة ويقصر أخرى بحسب ما يكسف
منها فقد تكسف كلها وقد يكسف نصفها أو ثلثها فإذا عظم الكسوف طول
الصلاة حتى يقرأ بالبقرة ونحوها في أول ركعة وبعد الركوع الثاني يقرأ بدون
ذلك وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه كله
مثل ما في الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري قال انكسفت الشمس يوم مات
إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الناس انكسفت الشمس لموت إبراهيم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان
لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة وفي
الصحيح عن أبي موسى أنه صلى الله عليه وسلم قال هذه الآيات التي يرسلها الله
لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن الله يخوف بها عباده فإذا رأيتم شيئا
من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره وفي الصحيحين
من حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله

وانهما لا ينكسفان لموت احد من الناس فاذا رايتم شيئا من ذلك فصلوا حتى تنجلي
(224) وفي رواية عن ابي مسعود فاذا رايتم شيئا منها فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم
وفي رواية لعايشة حتى يفرج الله ما بكم وفي الصحيحين عن عايشة ان الشمس خسفت
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فقام
فكبر وصف الناس وراه وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قراة طويلة ثم كبر فركع
ركوعا طويلا ثم رفع راسه فقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم قام فاقرا
قراة طويلة هي ادنى من القراة الاولى ثم كبر فركع ركوعا طويلا هو ادنى من
الركوع الاول ثم قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم سجد ثم فعل في الركعة الاخرى
مثل ذلك حتى استكمل اربع سجدات واربع ركعات وانجلت قبل ان ينصرف
وقد جاء اطالة السجود في حديث صحيح وكذلك الجهر بالقراة لكن روي في القراة
المخافتة والجهر اصح واما تطويل السجود فلم يختلف فيه الحديث لكن في كل حديث
زيادة في الاخرى والاحاديث الصحيحة كلها متفقة لا تختلف والله اعلم
مسئلة في رجلين تنازعا في كيفية السموات والارض هل هما جسمان
كريان فقال احدهما كريان وانكر الاخر هذه المقالة وقال ليس لها اصل وردها
فما الصواب **الجواب** السموات مستديرة عند علماء المسلمين وقد حكى اجماع
المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء ائمة الاسلام مثل ابي الحسين احمد بن جعفر
المنادي احد الاعيان الكبار من الطبقة الثانية من اصحاب الامام وله نحو اربع
مائة مصنف وحكى الاجماع على ذلك الامام ابو محمد بن حزم وابو الفرج بن الجوزي
وروى العلماء ذلك بالاسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين وذكروا ذلك
من كتاب الله وسنة رسوله وبسطوا القول في ذلك بالدلايل السمعية وان كان قد
اقيم على ذلك ايضا دلايل حسابية ولا اعلم في علماء المسلمين المعروفين من انكر
ذلك الا فرقة يسيرة من اهل الجدل لما ناظروا المنجمين فافسدوا عليهم فاسد
مذهبهم في الاحكام والتاثير خلطوا الكلام معهم بالمناظرة في الحساب وقالوا
على سبيل التجويز يجوز ان تكون مربعة او مسدسة او غير ذلك ولم ينفوا ان تكون
مستديرة لكن جوزوا ضد ذلك وما علمت من قال انها غير مستديرة وجزم
بذلك الا من لا يؤبه له من الجهال ومن الادلة على ذلك قوله تعالى وهو الذي
خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وقال تعالى لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون قال ابن
عباس

عباس وغيره من السلف في فلكة مثل فلكة المغزل وهذا صريح بالاستدارة
والدوران واصل ذلك ان الفلك في اللغة هو الشيء المستدير يقال تفلك ثدي الجارية
اذا استدار ويقال لفلكة المغزل المستديرة فلكة لاستدارتها فقد اتفق اهل التفسير
واهل اللغة على ان الفلك هو المستدير والمعرفة لمعاني كتاب الله انما توخذ من هذين
الطريقين من اهل التفسير الموثوق بهم من السلف ومن اللغة التي نزل القران بها
وهي لغة العرب وقال تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قالوا والتكوير
التدوير يقال كورت العمامة وكورتها اذا دورتها ويقال للمستدير كارة واصله كورة
تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا ويقال ايضا كرة واصله كورة وانما حذفت
عين الكلمة كما قيل في ثبة وقلة والليل والنهار وساير احوال الزمان تابعة
للحركة فان الزمان مقدار الحركة والحركة قايمة بالجسم المتحرك فاذا كان
(225) الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفا بالاستدارة كان الجسم اولى
بالاستدارة وقال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وليس في امكان
الاجسام ما هو متشابه فاما التثليث والتربيع والتخميس والتسديس
وغير ذلك ففيها تفاوت واختلاف بالزوايا والاضلاع لا اختلاف فيه ولا تفاوت
اذ الاستدارة التي هي الجوانب وفي الحديث المشهور في سنن ابي داود وغيره
عن جبير بن مطعم ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
جهدت الانفس وهلك المال وجاع العيال فاستسق لنا ربك فانا
نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله فسبح رسول الله صلى الله عليه
حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على احد
من خلقه شان الله اعظم من ذلك ان عرشه على سمواته هكذا وقال بيده
مثل القبة وانه ليئط به اطيط الرحل الجديد براكبه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ان العرش على السموات مثل القبة وهذا اشارة الى العلو والاستدارة
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله الجنة فاسالوه
الفردوس فانها اعلى الجنة واوسط الجنة وسقفه عرش الرحمن والاعلى
لا يكون اوسط الا في المستدير وقال اياس بن معاوية السماء على الارض
مثل القبة والاثار في ذلك لا تحتملها الفتوى وانما كتبت هذا على عجل
والحس مع العقل يدل على ذلك فان من تامل دوران الكواكب القريبة

من القطب في مدار ضيق حول القطب الشمالي ثم دوران الكواكب المتوسطة في السماء في مدار واسع وكيف يكون في اول الليل وفي اخره علم ذلك وكذلك من راى حال الشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها في الاوقات الثلاثة على بعد واحد وشكل واحد ممن يكون على ظهر الارض علم انها تجري في فلك مستدير وانه لو كان مربعا لكانت وقت الاستواء اقرب الى من تحاذيه منها وقت الطلوع والغروب ودلائل هذا متعددة **واما من ادعى** ما يخالف الكتاب والسنة فهو مبطل في ذلك وان زعم ان معه دليلا حسابيا وهذا كثير فيمن ينظر في الفلك واحواله كدعوى جماعة من الجهال انهم يضبطون وقت طلوع الهلال بمعرفتهم وقت ظهوره بعد استسراره بمعرفة بعده عن الشمس بعد مفارقتها وقت الغروب وضبطهم قوس الرؤية وهو الخط المفروض مستديرا قطعة من دائرة وقت الاستهلال فان هذه دعوى باطلة اتفق علماء الشريعة الاعلام على تحريم العمل بذلك في الهلال واتفق اهل الحساب العقلاء على ان معرفة ظهور الهلال لا ينضبط بالحساب ضبطا تاما قط ولذلك لم يتكلم فيه حذاق الحساب بل انكروه وانما تكلم فيه قوم من متاخريهم تقريبا وذلك ضلال عن دين الله وتغيير له شبيه بضلال اليهود والنصارى عما امروا به من الهلال الى غاية الشمس ووقت اجتماع القرصين الذي هو الاستسرار وليس الشهور الهلالية ونحو ذلك والنسيء الذي كان في العرب الذي هو زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما كما ذكر ذلك علماء الحديث والسير والتفسير وغيرهم وقد ثبت في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا امية لا نكتب ولا نحسب صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فمن اخذ علم الهلال الذي جعله الله مواقيت للناس والحج بالكتاب والحساب فهو فاسد العقل والدين والحاسب اذا صح حسابه اكثر ما يمكنه ضبط المسافة التي بين الشمس والقمر وقت الغروب مثلا وهو الذي يسمى بعد القمر عن الشمس لكونه يرى لا محالة او لا يرى بحال لا يعلم بذلك فان الرؤية تختلف بعلو الارض وانخفاضها وصفاء الجو وكدره وكذلك البصر وحدته ودوام التحديق وقصره وتصويب التحديق وخطاه وكثرة المترائين وقلتهم وغلط الهلال وقد لا يرى وقت الغروب ثم بعد ذلك يزداد بعده عن الشمس فيزداد نورا ويتخلص من الشعاع المانع من رؤيته

أمة صح

فيرى

فيرى حينئذ ولكن لكم لم يتفقوا على قوس واحد للرؤية بل اضطربوا فيه كثيرا ولا اصل له وانما مرجعه الى العادة وليس لها ضابط حسابي فمنهم من ينقصه عن عشر درجات ومنهم من يزيد وفي الزيادة والنقص اقوال متقابلة من جنس اقوال من رام الضبط عدد التواتر الموجب لحصول العلم بالخبر وليس له ضابط عددي اذ للعلم اسباب وراء العدد كما للرؤية وهذا كله اذا فسر الهلال بما طلع في السماء وجعل وقت الغيم المطلق شكا اما اذا فسر الهلال بما استهله الناس وادركوه وظهر لهم واظهروا الصوت به اندفع هذا بكل حال والخلاف في ذلك مشهور بين العلماء في مذهب الامام احمد وغيره والمنافي قول الشافعي وغيره والله اعلم

مسألة

في آدم لما خلقه الله ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته هل سجد ملائكة السماء والارض ام ملائكة الارض خاصة وهل كان جبرائيل وميكائيل مع من سجد له ولما اهبط هل اهبط من السماء الى الارض ام من ارض الى ارض مثل بني اسرائيل وهل كانت الجنة التي سكنها جنة الخلد الموعودة ام جنة في الارض خلقها الله

الجواب الحمد لله بل سجد له جميع الملائكة كما نطق بذلك القرآن في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون فهذه ثلاث صيغ مقررة للعموم والاستغراق فان قوله الملائكة يقتضي جميع الملائكة فان اسم الجمع المعرف بالالف واللام يقتضي العموم كقوله رب الملائكة والروح فهو رب جميع الملائكة **الثاني** قوله كلهم وهذا من ابلغ العموم **الثالث** قوله اجمعون وهذا توكيد للعموم فمن قال انه لم يسجد له جميع الملائكة بل ملائكة الارض فقد رد القرآن بالكذب والبهتان وهذا القول ونحوه ليس من اقوال المسلمين واليهود والنصارى وانما هو من اقوال الملاحدة المتفلسفة الذين يجعلون الملائكة قوى النفس الصالحة والشياطين قوى النفس الخبيثة ويجعلون سجود الملائكة طاعة القوى للعقل وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثة للعقل ونحو ذلك من المقالات التي يقولها اصحاب رسائل اخوان الصفا وامثالهم من القرامطة الباطنية ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة والمتعبدة وقد يوجد نحو هذه الاقوال في اقوال المفسرين التي لا اسناد لها

يعتمد عليه ومذهب المسلمين واليهود والنصارى ما اخبر الله به في القران ولم يكن
في المامورين بالسجود احد من الشياطين لكن ابوهم ابليس هو كان مامورا فا
متنع وعصى وجعله بعض الناس من الملائكة لدخوله في الامر بالسجود وبعضهم
من الجن لان له قبيلا وذرية ولكونه خلق من نار والملائكة خلقوا من نور
والتحقيق انه كان منهم باعتبار صورته وليس منهم باعتبار اصله ولا باعتبار
مثاله ولم يخرج عن السجود لادم احد من الملائكة لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا
غيرهما وما ذكره صاحب خواص القران وامثاله من خلاف ذلك فاقوالهم باطلة
قد بينا فسادها وبطلانها بكلام مبسوط ليس هذا موضعه **وهذا مما**
استدل به اهل السنة على ان ادم وغيره من الانبياء والاولياء افضل من جميع
الملائكة لان الله امر الملائكة بالسجود له اكراما له ولهذا قال ابليس ارايتك هذا الذي
كرمت علي فدل ذلك على ان ادم كرم على من سجد له **والجنة** التي اسكنها ادم
وزوجته عند سلف الامة واهل السنة والجماعة هي جنة الخلد ومن قال انها جنة
في الارض بارض الهند او بارض جدة او غير ذلك فهو من المتفلسفة والمعتزلة
والملحدين او من اخوانهم المتكلمين المبتدعين فان هذا القول يقوله من يقوله من المتفلسفة
والمعتزلة والكتاب والسنة يرد هذا القول وسلف الامة وائمتها متفقون على
بطلان هذا القول قال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
الى قوله وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين
فقد اخبر انه سبحانه امرهم بالهبوط وان بعضهم عدو لبعض ثم قال ولكم في
الارض مستقر ومتاع الى حين وهذا يبين انهم لم يكونوا في الارض وانما اهبطوا
الى الارض فانهم لو كانوا في الارض وانتقلوا الى ارض اخرى كما انتقل قوم موسى
من ارض الى ارض لكان مستقرهم ومتاعهم الى حين في الارض قبل الهبوط وبعده
وكذلك قال في الاعراف لما قال ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فقوله اهبط منها فما يكون
لك ان تتكبر فيها يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم فان الضمير
في قوله منها عائد الى معلوم غير مذكور في اللفظ وهذا بخلاف قوله
اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم فانه لم يذكر هناك ما اهبطوا فيه
وقال

بلغ

وقال هنا اهبطوا لان الهبوط يكون من علو الى سفل وعند ارض السراة حيث كان
بنو اسرائيل حيال السراة المشرف على المصر الذي يهبطون اليه ومن هبط من جبل
الى واد قيل له هبط والضافان بني اسرائيل كانوا يسيرون ويرحلون والذي
يسير اذا جاء بلدة يقال نزل فيها لان في عادته ان يركب في سيره فاذا
وصل نزل عن دوابه فيقال نزل العسكر بارض كذا ونزل القفل بارض كذا
لنزولهم عن الدواب ولفظ النزول كلفظ الهبوط فلا يستعمل هبط ونزل
الا اذا كان من علو الى سفل وقوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا الايتين فقوله هنا بعد قوله اهبطوا
بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين يبين انهم
اهبطوا الى الارض من غيرها وقال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
دليل على انهم لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه
يخرجون وانما صاروا اليه لما اهبطوا من الجنة والنصوص في ذلك كثيرة
ولكن للكلام السلف والائمة وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال احتج ادم وموسى فقال موسى يا ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه واسجد لك ملائكته فلماذا اخرجتنا ونفسك وذريتك
من الجنة فقال له ادم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه فهل
تجد في التوراة وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال فلماذا تلومني على امر
قدره الله علي قبل ان اخلق قال فحج ادم موسى وموسى انما لام ادم لما
حصل له ولذريته بالخروج من الجنة من المشقة والنكد فلو كان ذلك بستانا
في الارض لكان غيره من بساتين الارض يعوض عنه وادم عليه السلام احتج
بالقدر لان العبد مامور ان يصبر على ما قدره من المصائب ويتوب اليه
ويستغفر من الذنوب والمعائب والله اعلم **مسئلة** ما عمل اهل
الجنة وما عمل اهل النار **الجواب** الحمد لله رب العالمين عمل اهل الجنة الايمان والتقوى
وعمل اهل النار الكفر والفسوق والعصيان فاعمال اهل الجنة الايمان بالله
وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الاخر والايمان بالقدر خيره وشره والشهادتان

شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم
رمضان وحج البيت وان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومن
اعمال اهل الجنة صدق الحديث واداء الامانة والوفا بالعهود وبر الوالدين
وصلة الارحام والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الادميين
والبهائم ومن اعمال اهل الجنة الاخلاص لله والتوكل عليه والمحبة له ولرسوله
وخشية الله ورجاء رحمته والانابة اليه والصبر على حكمه والشكر لنعمته ومن
اعمال اهل الجنة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله للكفار
والمنافقين ومن اعمال اهل الجنة ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا
عمن ظلمك فان الله اعد الجنة للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ومن اعمال اهل الجنة العدل في جميع
الامور وعلى جميع الخلق حتى الكفار وامثال هذه الاعمال **واما عمل اهل
النار** فمثل الاشراك بالله والتكذيب للرسل والكفر والحسد والكذب والخيانة
والظلم والفواحش والغدر وقطيعة الرحم والجبن عن الجهاد والبخل
واختلاف السر والعلانية واليأس من روح الله والامن من مكر الله والجزع عند
المصائب والفخر والبطر عند النعم وترك فرائض الله واعتداء حدوده وانتهاك
حرماته وخوف المخلوق دون الخالق ورجاء المخلوق دون الخالق والتوكل على
المخلوق دون الخالق والعمل رياء وسمعة ومخالفة الكتاب والسنة وطاعة
المخلوق في معصية الخالق والتعصب بالباطل والاستهزاء بايات الله وجحد
الحق والكتمان لما يجب اظهاره من علم وشهادة ومن عمل اهل النار السحر وعقوق
الوالدين وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق واكل مال اليتيم والربا والفرار من
الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وتفصيل الجملتين لا يمكن
لكن اعمال اهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله ورسوله واعمال اهل النار
كلها تدخل في معصية الله ورسوله فمن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين

والله اعلم

مسألة في قوله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب **الجواب** الحمد لله قد قال
طوائف من العلماء ان قوله تعالى ما دامت السموات والارض اراد بها سماء الجنة
وارض الجنة كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سألتم الله
الجنة فاسألوه الفردوس فانه اعلى الجنة واوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن
وقال بعض العلماء في قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون هي ارض الجنة وعلى هذا فلا منافاة بين انطواء هذه السماء
وبقاء السماء التي هي سقف الجنة اذ كل ما علا فانه يسمى في اللغة سماء كما يسمى
السحاب سماء والسقف سماء وايضا فان السموات وان طويت وكانت كالمهل
واستحالت عن صورتها فان ذلك لا يوجب عدمها وفسادها واصلها بل تحويلها
من حال الى حال كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات واذا
بدلت فانه لا تزال سماء دائمة وارض دائمة **مسألة** في حديث نقل
عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق
الفناء النار وسكانها والجنة وسكانها واللوح والقلم والكرسي والعرش فهل هذا
الحديث صحيح ام لا **الجواب** هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي صلى
الله عليه وسلم وانما هو من كلام بعض العلماء وقد اتفق سلف الامة وائمتها
وسائر اهل السنة والجماعة على ان من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية
كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات الا طائفة من
اهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم
وهذا قول باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله واجماع سلف الامة وائمتها
كما في ذلك من الدلالة على بقاء الجنة واهلها وبقاء غير ذلك مما لا تتسع
هذه الورقة لذكره وقد استدل طوائف من اهل الكلام والمتفلسفة
على امتناع فناء جميع المخلوقات بادلة عقلية والله اعلم **مسألة**
في قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله اني لاجد
نفس الرحمن من جهة اليمن وقوله تعالى استوى على العرش وقوله يد الله

اليمن

فوق ايديهم وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا **الجواب** اما الحديث الاول
قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد لا يثبت والمشهور انما هو عن ابن عباس
قال الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه او استلمه فكانما صافح الله
وقبل يمينه ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له انه لا اشكال فيه وانما يشكل
على من لا يتدبره فانه قال يمين الله في الارض فقيده بقوله في الارض ولم يطلقه
فيقول يمين الله وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم اللفظ المطلق ثم قال فمن استلمه
وصافحه فكانما صافح الله وقبل يمينه ومعلوم ان المشبه غير المشبه به
وهذا صريح في ان المصافح له لم يصافح يمين الله اصلا ولكن شبه بمن يصافح الله فاول
الحديث واخره يبين ان الحجر ليس من صفات الله كما هو معلوم عند كل عاقل
ولكن يبين ان الله كما جعل للناس بيتا يطوفون به جعل لهم ما يستلمونه ليكون
ذلك بمنزلة تقبيل يد العظماء فان ذلك تقريب للمقبل وتكريم له كما جرت
العادة والله ورسوله لا يتكلمون بما فيه ضلال الناس من ان يبين لهم
ما يتقون فقد بين في الحديث ما ينفي من التمثيل **واما الحديث الثاني**
فقوله ايضا من اليمن يبين مقصود الحديث فانه ليس لليمن اختصاص
بصفات الله تعالى حتى يظن ذلك ولكن منها جاء الذين يحبهم ويحبونه
الذين قال فيهم من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه وقد روي انه لما نزلت هذه الاية سئل عن هؤلاء فذكر انهم قوم
ابي موسى الاشعري وجاءت الاحاديث الصحيحة مثل قوله اتاكم اهل اليمن هم
ارق قلوبا والين افئدة الايمان يماني والحكمة يمانية وهؤلاء هم
الذين قاتلوا اهل الردة وفتحوا الامصار فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين
الكربات ومن خصص ذلك باويس فقد ابعد **واما الاية** فقد ثبت
انه سئل عنها مالك بن انس وقال له السائل الرحمن على العرش استوى
كيف استوى فاطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال الاستواء معلوم
والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا
مبتدع ا رجل سوء ثم امر به فاخرج وجميع ائمة الدين كابن الماجشون
والاوزاعي

والاوزاعي والليث بن سعد وحماد بن زيد والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم كلامهم
يدل على ما دل عليه كلام مالك من ان العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا لان العلم
بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف فاذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته
امتنع ان تعلم كيفية الصفة وعدم العلم بالكيفية لا يمنع ان يعلم من ذلك ما بين لنا
وان كان فيه اجمال ولا نعلم كنهه فانه كما قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة
الا الاسماء فاذا كان المخلوق قد علم من وجه دون وجه فالخالق الذي لا احاط به
علما ولا تدركه الابصار ولا يحصي الخلق ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه ابعد
عن ان يحيط العباد بكيفية صفاته ومن جنب المؤمن طريق التحريف والتعطيل
وطريق التمثيل سلك سواء السبيل فانه قد علم بالكتاب والسنة والاجماع ما يعلم
بالعقل ايضا من ان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله
فلا يجوز ان يوصف بشيء من خصائص المخلوقين لغاية الكمال منزه عن جميع
النقائص وكلما استلزم حدوثه او نقصه فهو سبحانه منزه عنه ومن اعتقد
ان الله مفتقر الى عرش او غيره نقلا او عقلا فهو ضال باتفاق المسلمين وبشهادة
القران مع العقل فانه سبحانه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه مفتقر اليه ومن
زعم ان القران دل على ذلك فقد كذب على القران فليس في كلام الله ولله الحمد
ما يوجب وصفه بذلك بل قد يؤتى الانسان من سوء فهمه فيفهم من كلام الله
ورسوله معاني يجب تنزيه الله عنها ولا يكون كلامه دالا عليها بل قد يكون في
كلامه ما يدل على نفيها وتنزيه الله عنها ولكن حال المبطل مع كلام الله ورسوله
كما قيل ٭ وكم من عائب قولا صحيحا ٭ وآفته من الفهم السقيم ٭ ويجب
على اهل العلم ان يبينوا نفي ما تظنه الجهال من النقص في صفات الله تعالى
ويبينوا ايضا صون كلام الله ورسوله عن الدلالة على شيء من ذلك وان القران
بيان وهدى وشفاء وان ضل به من ضل فانما هو من جهة تفريطه كما قال
تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا وقال قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وقال تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من
يقول ايكم زادته هذه ايمانا الى قوله وهم كافرون وهذه المسئلة تحتمل
بسطا كثيرا كما قد بسطناه في غير هذه الفتوى وذكرنا اقوال السلف

[illegible]

والائمة في ذلك فمن اراد الجواب المبسوط فليتامل ذلك وذكر مذاهب الناس جميعهم
في ذلك ودلائل كل فريق فقد اوضحناه في القواعد الكبار المشتملة على عدة
اسفار والله اعلم **فصل وقال رحمه الله** والمبطل لتاويل من تاول استوى
بمعنى استولى من وجوه **احدها** ان هذا التفسير لم يفسره احد من
السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين فانه لم يفسره احد في الكتب الصحيحة
عنهم بل اول من قال ذلك بعض الجهمية والمعتزلة كما ذكره ابو الحسن الاشعري في كتاب
المقالات وكتاب الابانة **الثاني** ان معنى هذه الكلمة مشهور ولهذا لما سئل
ربيعة بن ابي عبد الرحمن ومالك بن انس عن قوله الرحمن على العرش استوى فقال
الاستوى معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولم
يرد ان الاستوى معلوم في اللغة دون الاية لانه سئل عن الاستوى في الاية كما
يستوي الناس **الثالث** انه اذا كان معلوما في اللغة التي نزل بها القرآن
كان معلوما في القرآن **الرابع** انه لو لم يكن معنى استوى في الاية معلوما لم يحتج
ان يقول والكيف مجهول لان نفي العلم بالكيف لا ينفي الا ما قد علم اصله كما نقول انا
نقر بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو **الخامس** الاستيلاء سواء كان بمعنى
القدرة والقهر ونحو ذلك هو عام في المخلوقات كالربوبية والعرش وان كان
اعظم المخلوقات ونسبة الربوبية اليه لا تنفي نسبتها الى غيره كما في قوله قل من
رب السموات والارض السبع ورب العرش العظيم وكما في دعاء الكرب فلو كان
استوى بمعنى استولى كما هو عام في الموجودات كلها لجاز مع اضافته الى
العرش ان يقال هو مستو على السماء وعلى الهوى والبحار والارض وعليها
ودونها اذ هو مستو على العرش والاشياء كلها فلما اتفق المسلمون على انه
استوى على العرش ولا يقال استوى على هذه الاشياء مع انه يقال استولى على
العرش والاشياء علم ان معنى استوى خاص بالعرش ليس عاما كعموم
الاشياء **السادس** انه اخبر بخلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش واخبر ان عرشه كان على الماء قبل خلقها وثبت ذلك في صحيح
البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الله ولا شيء
غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات
والارض

والارض مع ان العرش كان مخلوقا قبل ذلك فمعلوم انه ما زال مستوليا عليه
قبل وبعد فامتنع ان يكون الاستيلاء العام هذا الاستيلاء الخاص
كما كان مختصا بالعرش **السابع** انه لم يثبت لفظ استوى في اللغة
بمعنى استولى اذ الذي قالوه عمدتهم البيت المشهور
ثم استوى بشر على العراق … من غير سيف ودم مهراق
ولم يثبت نقل صحيح
انه شعر عربي ولا غيره وان غير واحد من ائمة اللغة انكروه وقالوا بيت
مصنوع لا يعرف في اللغة وقد علم انه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاحتاج الى صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف اسناده وقد طعن
فيه ائمة اللغة وذكر عن الخليل كما ذكره ابو الحسن في كتابه الافصاح قال
سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى فقال هذا ما لا
تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها وهو من ائمة اللغة على ما عرف من حاله
فحينئذ حمله على ما لا يعرف حمل باطل **الثامن** انه روي عن جماعة من
اهل اللغة انهم قالوا لا يجوز استوى بمعنى استولى الا في حق من كان
عاجزا ثم ظهر والله سبحانه لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال
فامتنع ان يكون بمعنى استولى فاذا تبين هذا فقول الشاعر ثم
استوى بشر على العراق لفظ مجازي لا يجوز حمل الكلام عليه الا مع
قرينة تدل على ارادته واللفظ المشترك بطريق الاولى ومعلوم
انه ليس في الخطاب قرينة تبين انه اراد بالاية الاستيلاء وايضا
فاهل اللغة قالوا لا يكون استوى بمعنى استولى الا فيمن كان
منازعا مغالبا فاذا غلب احدهما صاحبه قيل استولى والله
لم ينازعه احد في العرش فلو ثبت استعماله في هذا المعنى
الاخص مع النزاع في ارادة المعنى الاعم لم يجب حمله عليه بمجرد قول
بعض اهل اللغة مطلقا والاستوى في القرآن في غير موضع

مع تنازعهم فيه هؤلاء الذين ادعوا انه بمعنى استولى في اللغة مطلقا صح

قوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك واستوت على الجودي
لتستووا على ظهوره وفي حديث عدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتي بدابة فلما وضع رجله في الغرز قال بسم الله فلما استوى على
ظهرها قال الحمد لله **التاسع** انه لو اثبت انه من اللغة العربية لم يجب
ان يكون من لغة العرب العرباء ولو كان من لفظ بعض العرب العرباء لم
يجب ان يكون من لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه ولو كان من لغته
لكان بالمعنى المعروف في الكتاب والسنة هو الذي يراد به ولا يجوز ان يراد به
معنى آخر **العاشر** انه لو حمل على هذا المعنى لادى الى محذور يجب تنزيه
بعض الائمة عنه فضلا عن الصحابة فضلا عن الله ورسوله فلو كان
الكلام في الكتاب والسنة كلاما يفهم منه معنى ويريدون به آخر لكان
في ذلك تدليس وتلبيس ومعاذ الله ان يكون ذلك فيجب ان يكون
استعمال هذا الشاعر في هذا اللفظ في هذا المعنى ليس حقيقة بالاتفاق
بل حقيقة في غيره ولو كان حقيقة فيه للزم الاشتراك والمجاز فيه واذا كان
مجازا عن بعض العرب او مجازا اخترعه من بعده فنترك اللغة التي
كان يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بها امته **الحادي عشر** ان هذا
اللفظ الذي تكرر في الكتاب والسنة والدواعي متوفرة على فهم معناه
من الخاصة والعامة عادة ودينا اذا حمل الطريقة الى فهمه ببيت شعر
احدث فيؤدي الى محذور ولو حمل على معنى هذا البيت للزم تخطئة
الائمة الذين لهم مصنفات في الرد على من تأول ذلك ولكن يؤدي
الى الكذب على الله ورسوله والصحابة والائمة والزم ان الله
امتحن عباده بفهم هذا دون هذا مع ما تقرر في نفوسهم وما ورد به
نص الكتاب والسنة والله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسا الا وسعها
وهذا مستحيل على الله ورسوله والصحابة والائمة **الثاني عشر**
ان معنى الاستوى كان معلوما علما ظاهرا بين الصحابة والتابعين

وتابعيهم

وتابعيهم فيكون التفسير المحدث بعده باطلا قطعا وهذا قول يزيد بن هارون
الواسطي وقال ان من قال ان الرحمن على العرش استوى خلاف ما تقرر في نفوس
العامة فهو جهمي ومنه قول مالك الاستوى معلوم وليس المراد ان هذا
اللفظ في القرآن معلوم كما قال بعض الناس استوى اولا وانه سئل
عن الكيفية وما لكم جعله معلوما والسؤال عن نزول لفظ الاستوى
ليس بدعة والكلام فيه فقد تكلم فيه الصحابة والتابعون
وانما البدعة السؤال عن الكيفية والله اعلم **مسئلة** في الايام والليالي
مثل ان يقال السفر يكره يوم الاربعا او الخميس او السبت او يكره التفصيل او الخياطة
او الغزل في هذه الايام او يكره الجماع في ليلة من الليالي او يخاف على الولد
الجواب هذه كله باطل لا اصل له بل الرجل اذا استخار الله وفعل شيئا
مباحا فليفعله في اي وقت تيسر ولا يكره التفصيل ولا الخياطة ولا الغزل
ولا نحو ذلك من الافعال في يوم من الايام ولا يكره الجماع في ليلة من الليالي ولا يوم
من الايام والنبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التطير كما ثبت في صحيح مسلم عن معاوية
بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله ان منا قوما يأتون الكهان قال فلا
تأتهم قلت ومنا قوما يتطيرون قال ذلك شيء يجده احدهم في نفسه فلا يصدنكم
فاذا كان قد نهى ان يصد الطير عما عزم عليه فكيف بالايام والليالي
ولكن يستحب السفر يوم الخميس ويوم السبت ويوم الاثنين من غير نهي عن
سائر الايام الا يوم الجمعة اذا كانت الجمعة تفوت بالسفر ففيه نزاع بين
العلماء واما الصناعات والجماع فلا يكره في شيء من الايام والله اعلم
مسئلة من كلام الفقها في اقوام يرقصون على الغنا بالدف
ثم يسجد بعضهم لبعض **الجواب** لا يجوز السجود
لغير الله واتخاذ الضرب بالدف والغنا والرقص عبادة
هو من البدع التي لم يفعلها سلف الامة ولا اكابر
شيوخنا كالفضيل بن عياض وابراهيم بن ادهم

وابي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد والسري السقطي
وغير هولاء وكذلك شيوخ المتاخرين مثل الشيخ عبد القادر
والشيخ عدي والشيخ ابي مدين والشيخ ابي البيان وغير هولاء
فانهم لم يحضروا السماع البدعي بل كانوا يحضرون الشرعي سماع الانبياء
واتباعهم كسماع القران والله اعلم

مسئلة فيما ذكره الاستاذ القشيري في باب الرضا عن الشيخ ابي سليمان انه
قال الرضا ان لا يسئل الله الجنة ولا يستعيذه من النار فهل هذا الكلام صحيح
الجواب الحمد لله رب العالمين الكلام على هذا القول من وجهين احدهما
من جهة ثبوته عن الشيخ والثاني من جهة صحته في نفسه وفساده اما المقام الاول
فينبغي ان يعلم ان الاستاذ ابا القسم لم يذكر هذا عن الشيخ ابي سليمان باسناد
وانما ذكره مرسلا عنه وما يذكره ابو القسم في رسالته عن النبي صلى الله عليه وسلم
والصحابة والتابعين والمشايخ وغيرهم تارة يذكره باسناد وتارة يكون
اسناده صحيحا وتارة يكون ضعيفا بل موضوعا وما يذكره مرسلا
ومحذوف القائل اولى وهذا كما يوجد في مصنفات الفقها فان فيها
من الاحاديث والاثار ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف ومنها ما هو ضعيف
فالموجود في كتب الرقائق والتصوف من الاثار المنقولة فيها الصحيح
وفيها الضعيف وفيها الموضوع وهذا الامر متفق عليه بين جميع المسلمين
لا يتنازعون ان هذه الكتب فيها هذا وفيها هذا بل نفس الكتب المصنفة
في التفسير فيها هذا وهذا مع ان اهل الحديث اقرب الى معرفة المنقولات
وفي كتبهم هذا وهذا فكيف غيرهم والمصنفون قد يكونون ائمة في الفقه
والتصوف والحديث ويروون هذا تارة لانهم لم يعلموا انه كذب وهو الغالب
على اهل الدين فانهم لا يحتجون بما يعلمون انه كذب وتارة يذكرونه
وان علموا انه كذب اذ قصدهم رواية ما روي في ذلك الباب ورواية
الاحاديث المكذوبة مع بيان كونها كذبا جائز واما روايتها مع الامساك
عن ذلك رواية عمل فانه حرام عند العلما كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من حدث عني حديثا وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين
وقد فعل ذلك كثير من العلما متاولين انهم لم يكذبوا وانما نقلوا ما رواه
غيرهم وهذا يسهل اذ رووه لتعريف انه روي لا لاجل العمل به والاعتماد
عليه والمقصود هنا انه ما يوجد في الرسالة وامثالها من كتب الفقه
والصوفية واهل الحديث من المنقولات عن النبي صلى الله عليه وسلم
وغيره من السلف فيه الصحيح والضعيف والموضوع فالصحيح الذي قام

في نفسه

فاما ما قامت الدلالة على صدقه والموضوع الذي قامت الدلالة على كذبه والضعيف
الذي رواه من لم يعلم صدقه اما لسوء حفظه واما لاتهامه ولكن يمكن ان
يكون صادقا فيه فان الفاسق قد يصدق والغالط قد يحفظ وغالب
ابواب الرسالة فيها الاقسام الثلاثة ومن ذلك باب الرضا فانه ذكر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه وان
الاسناد لم يذكر ان مسلما رواه لكنه رواه باسناد صحيح وذكر في اول هذا
الباب حديثا ضعيفا بل موضوعا وهو حديث جابر الطويل الذي رواه من
حديث الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر فهو وان كان
اول حديث ذكره في الباب فان حديث الفضل بن عيسى مما اوهى الاحاديث
واسقطها ولا نزاع بين الائمة انه لا يعتمد عليها ولا يحتج بها فان الضعف
ظاهر عليها وان كان هولا لا يتعمد الكذب فان كثيرا من الفقها لا يحتج
بحديثهم لسوء الحفظ لا لاعتماد الكذب وهذا الرقاشي قد اتفقوا على تضعيفه كما يعرف
ذلك ائمة هذا الشان حتى قال ايوب السختياني لو ولد اخرس لكان خيرا له
وقال سفيان بن عيينه لا شي وقال الامام احمد والنسائي هو ضعيف وقال
يحيى بن معين رجل سوء وقال ابو حاتم وابو زرعة منكر الحديث ولكن بعد ما ذكره
من الاثار فانه ذكر اثارا حسنة باسانيد حسنة مثل ما رواه عن الشيخ ابي سليمان
الداراني انه قال اذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض فان هذا رواه
عن شيخه ابي عبد الرحمن السلمي باسناده والشيخ ابو عبد الرحمن كان له عناية
بجمع كلام هولاء المشايخ وحكاياتهم وصنف في الاسماء كتاب طبقات
الصوفيه وكتاب زهاد السلف وغير ذلك وصنف في الابواب
كتاب مقامات الاوليا وغير ذلك ومصنفاته تشتمل على الاقسام
الثلاثة وذكر عن الشيخ ابي عبد الرحمن انه قال سمعت النصراباذي
يقول من اراد ان يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه فان
هذا الكلام في غاية الحسن فانه من لزم ما يرضى الله من امتثال اوامره
واجتناب نواهيه لا سيما اذا قام بواجبها ومستحبها فان الله
يرضى

يرضى عنه كما ان من لزم محبوبات الحق احبه الله كما في الحديث الصحيح الذي
في البخاري من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي
بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فاذا احببته الحديث وذلك ان الرضا نوعان احدهما الرضا بفعل
ما امر به وترك ما نهى عنه ويتناول ما اباحه من غير تعد الى المحظور
كما قال والله ورسوله احق ان يرضوه وقال تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله
ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله
راغبون وهذا الرضا واجب ولهذا ذم من تركه بقوله ومنهم من يلمزك في
الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله
من فضله ورسوله والنوع الثاني الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل
فهذا الرضا مستحب في احد قولي العلما وليس بواجب وقد قيل انه واجب والصحيح
ان الواجب هو الصبر كما قال الحسن الرضا غريزة ولكن الصبر معول المومن
وقد روي في حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان استطعت
ان تعمل بالرضا مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا
واما الرضا بالكفر والفسوق والعصيان فالذي عليه ائمة الدين انه لا يرضى
بذلك فان الله لا يرضاه كما قال ولا يرضى لعباده الكفر وقال والله لا يحب
الفساد وقال تعالى فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
وقال تعالى فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما وقال تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط
اعمالهم وقال تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها هي حسبهم وقال تعالى لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم
وفي العذاب هم خالدون وقال تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم فاذا كان الله
سبحانه لا يرضى لهم ما عملوه بل يسخط ذلك وهو يسخط عليهم ويغضب عليهم
فكيف يشرع للمومن ان يرضى ذلك وان لا يسخط ويغضب لما يسخط الله
ويغضبه وانما ضل هنا فريقان من الناس قوم من اهل الكلام المنتسبين

الى السنة ثم مناظرة القدرية ظنوا ان محبة الحق ورضاه وغضبه وسخطه
يرجع الى ارادته وقد علموا انه مريد لها ثم اخذوا يحرفون الكلم عن
مواضعه فقالوا لا يحب الفساد بمعنى لا يريد الفساد اي لا يريده للمؤمنين
ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يريده لعباده المؤمنين وهذا غلط عظيم
فان هذا عندهم بمنزلة ان يقال لا يحب الايمان ولا يرضى لعباده الايمان
اي لا يريده للكافرين ولا يرضاه للكافرين وقد اتفق اهل الاسلام على ان
ما امر الله به فانه يكون مستحبا ليس بواجب ثم قد يكون مع ذلك واجب
وقد يكون مستحبا ليس بواجب سواء فعل او لم يفعل والكلام على هذا
مبسوط في غير هذا الموضع والفريق الثاني من غالطي المتصوفة شربوا
من هذا العين فشهدوا ان الله رب الكائنات جميعها وعلموا انه قدر على
كل شيء وشاءه وظنوا انهم لا يكونوا راضين حتى يرضوا بكل ما يقدره
ويقضيه من الكفر والفسوق والعصيان حتى قال بعضهم المحبة نار تحرق
من القلب كلما سوى مراد المحبوب قالوا والكون كله مراد المحبوب وضل
هؤلاء ضلالا عظيما حيث لم يفرقوا بين الارادة الدينية والكونية
والاذن الكوني والديني والامر الكوني والديني والبعث الكوني والديني
والارسال الكوني والديني كما بسطناه في غير هذا الموضع وهؤلاء يؤول الامر
بهم الى ان لا يفرقوا بين المحظور والمأمور واولياء الله واعدائه والانبياء
والمتنبئين ويجعلون الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ويجعلون المتقين كالفجار ويجعلون المسلمين كالمجرمين ويعطلون
الامر والنهي والوعد والوعيد والشرائع وربما سموا هذا حقيقة
ولعمري انه حقيقة كونية لكن هذه الحقيقة الكونية قد عرفها عباد
الاصنام كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل افلا تذكرون الايات فالمشركون الذين يعبدون الاصنام كانوا
مقرين بان الله خالق كل شيء وربه ومليكه فمن كان هذا منتهى
تحقيقه

مطلب ضل هؤلاء

المامور

تحقيقه كان ان يكون كعباد الاصنام والمؤمن انما فارق الكفر بالايمان
بالله ورسله وتصديقهم فيما اخبروا وطاعتهم فيما امروا والاتباع للذي
يرضاه الله ويحبه دون ما يقدره ويقضيه من الكفر والفسوق
والعصيان ولكن يرضى بما اصابه من المصائب لا بما فعله من المعائب
فهو في الذنوب يستغفر وعلى المصائب يصبر فهو كما قال تعالى فاصبر
ان وعد الله حق واستغفر لذنبك فيجمع بين طاعة الامر والصبر
على المصائب كما قال تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا
وقال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال يوسف انه
من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين والمقصود ههنا
ما ذكره القشيري عن النصراباذي من احسن الكلام حيث قال من اراد
ان يبلغ محل الرضاء فليلزم ما جعل الله رضاه فيه وكذلك قول
الشيخ ابي سليمان اذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض وذلك ان العبد
انما يمنعه من الرضاء والقناعة طلب نفسه لفضول شهواتها فاذا لم يحصل
سخط فاذا سلا عن شهوات نفسه رضي بما قسم الله له من الرزق وكذلك
ما ذكره عن الفضيل بن عياض انه قال لبشر الحافي الرضا افضل من الزهد
في الدنيا لان الراضي لا يتمنى فوق منزلته كلام حسن اشك في سماع بشر الحافي
من الفضيل بن عياض وكذلك ما ذكره معلقا قال قال الشبلي بين يدي
الجنيد لا حول ولا قوة الا بالله فقال الجنيد قولك ذا ضيق صدر وضيق
الصدر لترك الرضا بالقضا فان هذا من احسن الكلام وكان الجنيد
رضي الله عنه سيد الطائفة ومن احسنهم تعليما وتاديبا وتقويما وذلك
ان هذه الكلمة كلمة استعانة لا كلمة استرجاع وكثير من الناس
يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع ويقولها جزعا لا صبرا
فالجنيد انكر على الشبلي حاله في سبب قوله لها اذ كانت حالا
تنافي الرضا ولو قالها على الوجه المشروع لم ينكر عليه وفيما ذكرناه
اثار ضعيفة فيما ذكره معلقا قال وقيل قال موسى الهي دلني على

سلا

عملا اذا عملته رضيت عني فقال انك لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا
متضرعا فاوحى الله اليه يا ابن عمران رضائي في رضاك عني فهذه الحكاية
الاسرائيلية فيها نظر فانه قد يقال ان يحكى مثلها عن موسى بن عمران لا يصلح
ومعلوم ان هذه الاسرائيليات ليس لها اسناد ولا يقوم بها حجة في شيء
من الدين الا اذا كانت منقولة لنا نقلا صحيحا مثل ما ثبت عن نبينا
انه حدثنا به عن بني اسرائيل ولكن منه ما نعلم كذبه مثل هذه فان موسى
من اعظم اولي العزم واكابر المرسلين فكيف يقال انه لا يطيق ان يعمل ما
يرضى الله عنه والله تعالى راض عن السابقين الاولين من المهاجرين والا
نصار والذين اتبعوهم باحسان افلا يرضى عن موسى بن عمران كليم الرحمن
وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم
عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله
عنهم ورضوا عنه ومعلوم ان موسى بن عمران عليه السلام من افضل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم ان الله تعالى خص موسى بمزية فوق
الرضا حيث قال والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ثم ان قوله
له في الخطاب فيه نوع غضاضة كما تظهر ومثلها ما ذكر انه قيل كتب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري اما بعد فان الخير كله
في الرضا فان استطعت ان ترضى والا فاصبر فهذا الكلام كلام حسن
وان لم يعلم اسناده واذا تبين فيما ذكره مسندا ومرسلا ومعلقا
ما هو صحيح فهذه الكلمة لم يذكرها عن ابي سليمان الا مرسلة ومثل
ذلك لا يثبت عن ابي سليمان باتفاق الناس فانه وان قال بعض الناس
ان المرسل حجة فهذا لم يعلم ان المرسل هو مثل الضعيف وغير الضعيف
فاما اذا عرف ذلك فلا يبقى حجة باتفاق العلماء كمن علم انه تارة
يحفظ الاسناد وتارة يغلط فيه والكتب المصنفة في اخبار هؤلاء
المشايخ وكلامهم مثل كتاب حلية الاولياء لابي نعيم وطبقات
الصوفية لابي عبد الرحمن وصفة الصفوة لابن الجوزي وامثال ذلك

[illegible]

وصفوة الصفوة

فذكروا

فذكروا فيها عن الشيخ ابي سليمان الاثر الذي رواه مسندا حيث
قال لاحمد بن ابي الحواري يا احمد لقد اوتيت من الرضا نصيبا لو القاني في النار
لكنت بذلك راضيا فهذا الكلام ماثور عن ابي سليمان بالاسناد
ولهذا اسنده عنه القشيري من طريق شيخه ابي عبد الرحمن بخلاف تلك الكلمة
فانها لم تسند عنه فلا اصل لها عن الشيخ ابي سليمان ثم ان القشيري قرن بين
هذه الكلمة الثابتة عن ابي سليمان بكلمة احسن منها فانه قبل ان يرويها
قال وسئل ابو عثمان الحيري النيسابوري عن قول النبي صلى الله عليه وسلم
اسألك الرضا بعد القضا فقال لان الرضا بعد القضا هو الرضا فهذا
الذي قاله الشيخ ابو عثمان كلام حسن سديد ثم اسند بعد هذا
عن الشيخ ابي سليمان انه قال ارجو ان اكون قد عرفت طرفا من الرضى
لو انه ادخلني النار لكنت بذلك راضيا فتبين بذلك انما قاله ابو سليمان
ليس هو رضاء وانما هو عزم على الرضاء وانما الرضا ما يكون بعد القضا
وان كان هذا عزما فالعزم قد يدوم وقد ينفسخ وما اكثر انفساخ
العزائم خصوصا الصوفية ولهذا قيل لبعضهم بما ذا عرفت ربك قال
بفسخ العزائم ونقض الهمم وقد قال لمن هو افضل من هؤلاء المشايخ
ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون
وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كانهم بنيان مرصوص وفي الترمذي ان بعض الصحابة قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمنا اي العمل احب الى الله لعملناه
فانزل الله تعالى هذه الاية وقد قال الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب الاية فهؤلاء الذين

كانوا قد عزموا على الجهاد واحبوه فلما ابتلوا به كرهوه وفروا منه واين
الم الجهاد من الم النار وعذاب الله الذي لا طاقة لاحد به ومثل هذا ما
يذكرونه عن سمنون المحب انه كان يقول وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني
فاخذه الاسر من ساعته اي حصر بوله فكان يدور على المكاتب ويفرق الجوز
على الصبيان ويقول ادعوا لعمكم الكذاب وحكى ابو نعيم الاصبهاني عن
ابي بكر الواسطي انه قال سمنون يا رب قد رضيت بكل ما تقضيه علي فا
حتبس بوله اربعة عشر يوما فكان يتلوى كما تتلوى الحية يتلوى يمينا
وشمالا فلما اطلق بوله قال رب قد تبت اليك قال ابو نعيم فهذا الرضا
الذي ادعاه سمنون ظهر غلطه فيه بادنى بلوى مع ان هذا سمنون كان
يضرب به المثل وله في المحبة مقام مشهور حتى روي عن ابراهيم بن فاتك
انه قال رايت سمنون يتكلم على الناس في المسجد الحرام فجاء طائر صغير
فلم يزل يدنو منه حتى جلس على يده ثم لم يزل يضرب بمنقاره الارض
حتى سقط منه دم ومات الطائر قال رايته يوما يتكلم في المحبة
فاصطفقت قناديل المسجد وكسر بعضها بعضا وقد ذكر القشيري خ بيان فاصطفقت
في باب الرضا عن رويم المقري رفيق سمنون حكاية تناسب هذه
حيث قال قال رويم الرضى ان لو جعل جهنم عن يمينه ما سأل الله
ان يحولها عن يساره فهذا يشبه قول سمنون فكيفما شئت
فامتحني واذا لم يطق الصبر على عسر البول افيطيق ان تكون النار عن
يمينه والفضيل بن عياض كان اعلى طبقة من هولاء وابتلي بعسر البول
فغلبه الالم حتى قال بحبي لك الا فرجت عني فخرج عنه ورويم وان كان
من رفقاء الجنيد فليس هو عندهم من هذه الطبقة بل الصوفية يقولون
انه رجع الى الدنيا وترك التصوف حتى روي عن جعفر الخلدي
صاحب الجنيد انه قال من اراد ان يستكتم سرا فليفعل كما فعل
رويم كتم حب الدنيا اربعين سنة فقيل وكيف يتصور ذلك
قال ولي اسماعيل بن اسحاق القاضي قضاء بغداد وكان بينهما
مودة اكيدة

مودة اكيدة فجذبه اليه وجعله وكيلا على بابه فترك لبس التصوف
الى لبس الخز والقصب والديبقي واكل الطيبات وبناء الدور واذا
كان هو يكتم حب الدنيا ما لم يجدها فلما وجدها اظهر ما كان
يكتم من حبها هذا مع انه كان له من العبادات ما هو معروف وكان على
مذهب داود وهذه الكلمات التي تصدر عن صاحب حال لم يفكر
في لوازم اقواله وعواقبها لا تجعل طريقة ولا تتخذ سبيلا ولكن
قد يستدل بها على ما لصاحبها من الرضا والمحبة ونحو ذلك وما معه بلغ
من التقصير في معرفة حقوق الطريق وما يقدر عليه من التقوى والصبر
وما لا يقدر عليه من التقوى والصبر والرسل صلوات الله عليهم اعلم
بطريق سبيل الله واهدى وانصح فمن خرج عن سنتهم وسبيلهم كان
منقوصا مخطئا محروما وان لم يكن عاصيا او فاسقا او كافرا
ويشبه هذا الاعرابي الذي دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مريض كالفرخ فقال هل كنت تدعو الله بشيء قال كنت اقول اللهم
ما كنت معذبي به في الاخرة فاجعله في الدنيا فقال سبحان الله لا
تستطيعه ولا تطيقه هلا قلت ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار فهذا ايضا حمله خوفه من عذاب النار
ومحبته لسلامة عاقبته على ان يطلب تعجيل ذلك في الدنيا وكان
مخطئا في ذلك غالطا والخطا والغلط مع حسن القصد وسلامته
وصلاح الرجل في فضله ودينه وزهده وورعه وكراماته كثير
جدا فليس من شرط ولي الله ان يكون معصوما من الخطا والغلط
بل ولا من الذنوب وافضل اولياء الله بعد الرسل ابو بكر الصديق
رضي الله عنه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له لما عبر
الرؤيا اصبت بعضا واخطات بعضا ويشبه والله اعلم
ان ابا سليمان لما قال هذه الكلمة لو القاني في النار لكنت بذلك

راضيا ان يكون بعض الناس حكاه بما فهمه من المعنى انه قال الرضى ان
لا تسئل الله الجنة ولا تستعيذه من النار وتلك الكلمة التي قالها ابو
سليمان مع انها لا تدل على رضاه بذلك ولكن تدل على عزمه بالرضى
بدليل نحن نعلم ان هذا العزم لا يستمر بل ينفسخ وان هذه الكلمة كان
تركها احسن من قولها وانها مستدركة كما استدركت دعوى سمنون
ورويم وغير ذلك فان بين هذه الكلمة وتلك فرقا عظيما فان تلك الكلمة
مضمونها ان من سئل الله الجنة واستعاذ من النار لا يكون راضيا
وفرق بين من يقول انا اذا فعل كذا كنت راضيا وبين من يقول لا يكون
راضيا الا من لا يطلب خيرا ولا يهرب من شر وبهذا وغيره نعلم ان الشيخ
ابا سليمان كان اجل من ان يقول مثل هذا الكلام فان الشيخ ابا سليمان
من اجلاء المشايخ وساداتهم ومن اتبعهم للشريعة حتى انه قال ليمر
قلبي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة
فمن لا يقبل نكت قلبه الا بشاهدين يقول مثل هذا الكلام وقال الشيخ
ابو سليمان ايضا ليس لمن الهم شيئا من الخير ان يفعله حتى يسمع فيه باثر فاذا سمع
فيه باثر كان نورا على نور بل صاحبه احمد بن ابي الحواري كان من اتبع المشايخ
للسنة فكيف ابو سليمان وتمام تزكية ابي سليمان من هذا الكلام تظهر
بالكلام في المقام الثاني وهو قول القايل كائنا من كان الرضى ان
لا يسئل الله الجنة ولا يستعيذ من النار وتقدم قبل ذلك مقدمة
تبين بها اصل ما وقع في مثل هذه الكلمات من الاشتباه والاضطراب
وهو ذلك ان قوما كثيرا من الناس من المتفقهة والمتصوفة
والمتكلمة وغيرهم ظنوا ان الجنة هي عبارة عن التنعم بالمخلوقات من اكل وشرب
ونكاح ولباس وسماع اصوات طيبة وشم روائح طيبة ولم يدخلوا
في مسمى الجنة نعيما غير ذلك ثم صاروا حزبين حزب انكروا ان
يكون المؤمنون يرون ربهم كما ذهب الى ذلك الجهمية من المعتزلة
وغيرهم ومنهم من اقر بالرؤية اما الرؤية التي اخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم

كما هو مذهب

كما هو مذهب اهل السنة والجماعة واما برؤية فسروها بزيادة كشف او علم
او جعلها بحاسة سادسة ونحو ذلك من الاقوال التي ذهب اليها ضرار بن عمرو
وطوائف من اهل الكلام المنتسبين الى نصر اهل السنة في مسئلة الرؤية
وان كان ما يثبتونه من جنس ما تنفيه المعتزلة والضرارية والنزاع بينهم
لفظي ونزاعهم مع اهل السنة معنوي ولهذا كان بشر وامثاله يفسرون
الرؤية بنحو من تفسير هؤلاء والمقصود هنا ان مثبتة الرؤية منهم من
انكر ان يكون المؤمن متنعما بنفس رؤيتهم ربهم قالوا لانه لا مناسبة
بين المحدث والقديم كما ذكر ذلك الاستاذ ابو المعالي الجويني في
الرسالة النظامية وكما ذكره ابو الوفا ابن عقيل انه سمع رجلا يقول
اسئلك لذة النظر الى وجهك فقال يا هذا هب ان له وجها أتتلذذ
بالنظر اليه وذكر ابو المعالي ان الله يخلق لهم نعيما ببعض
المخلوقات مقارنا للرؤية فاما التنعم بنفس الرؤية فانكره وجعل
هذا من اسرار التوحيد واكثر مثبتي الرؤية يفسرون بتنعيم
المؤمنين برؤية ربهم وهو مذهب سلف الامة وائمتها ومشايخ
الطريق كما في الحديث الذي في النسائي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني اذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني
اذا كانت الوفات خيرا لي اللهم اسئلك خشيتك في الغيب والشهادة
واسئلك كلمة الحق في الغضب والرضى واسئلك القصد في الفقر والغنى
واسئلك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع واسئلك الرضا بعد القضا
وبرد العيش بعد الموت واسئلك لذة النظر الى وجهك واسئلك الشوق
الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان
واجعلنا هداة مهتدين وفي صحيح مسلم وغيره عن صهيب عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد
يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو
الم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار

قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه
وكلما كان الشيء احب كانت اللذة بنيله اعظم وهذا متفق عليه بين السلف
والائمة ومشايخ الطريق كما روي عن الحسن البصري انه قال لو علم العابدون
انهم لا يرون ربهم في الاخرة لذابت نفوسهم في الدنيا شوقا اليه وكلامهم في
ذلك كثير ثم هولاء الذين وافقوا السلف والائمة والمشايخ على التنعم بالنظر
الى الله تنازعوا في مسئلة المحبة التي هي اصل ذلك فذهب طوائف من المتكلمة والمتصوفة
والفقهاء الى ان الله لا يحب نفسه وانما المحبة محبة طاعته وعبادته وقالوا
هو ايضا لا يحب عباده المؤمنين وانما محبته ارادته للاحسان اليهم وولايتهم
كذا قالوا ودخل في هذا القول بعض من ينتسب الى السنة من اهل الكلام حتى وقع
فيه طوائف من اصحاب مالك والشافعي واحمد كالقاضي ابي بكر والقاضي ابي
يعلى وابي المعالي الجويني وامثال هولاء وهذا في الحقيقة شعبة من التجهم
والاعتزال فان اول من انكر المحبة في الاسلام الجعد بن درهم استاذ
الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسري وقال ايها الناس
ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم فانه زعم ان الله
لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه
والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه الامة وائمتها ومشايخ
الطريق ان الله يحب ويحب ولهذا وافقهم على ذلك من تصوف من
اهل الكلام كابي القسم القشيري وابي حامد الغزالي وامثالهما ونصر ذلك
ابو حامد في الاحياء وغيره وكذلك ابو القسم ذكر ذلك في الرسالة على
طريق الصوفية كما في كتاب ابي طالب المسمى بقوت القلوب وابو
حامد مع كونه في ذلك تابع الصوفية فاستند في ذلك بما وجد
في كتب الفلاسفة من اثبات نحو ذلك حيث قال يعشق ويعشق

وقد بسط الكلام على هذه المسئلة العظيمة في القواعد الكبار
فليس هذا موضعه وقد قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى والذين
امنوا اشد حبا لله وقال احب الكلام الى الله ما احبه الله ورسوله

وفي الصحيحين

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة
الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله
ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار
والمقصود هنا ان هولاء الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم والذين ينكرون
حقيقة المحبة يلزمهم ان ينكروا التلذذ بالنظر اليه ولهذا ليس في
الحقيقة الا التنعم بالاكل والشرب ونحو ذلك وهذا القول باطل
بالكتاب والسنة واتفاق سلف الامة ومشايخها فهذا احد الحزبين
الغالطين والحزب الثاني طوائف من المتصوفة والمتفقهة والمتكلمة
وافقوا هولاء على ان المحبة ليست الا هذه الامور التي يتنعم فيها بالمخلوق
ولكن وافقوا السلف والائمة على اثبات رؤية الله والتنعم بالنظر اليه
وافقوا في ذلك وجعلوا يطلبون هذا النعيم وتسمو همتهم ويخافون
فوته وصار احدهم يقول ما عبدتك شوقا الى جنتك او خوفا من
نارك ولكن لانظر اليك واجلالا لك وامثال هذه الكلمات مقصودهم
بذلك ما هو اعلى من الاكل والشرب والتمتع بالمخلوق لكن غلطوا في
اخراج ذلك من الجنة وقد يغلطون ايضا في ظنهم انهم يعبدون الله
بلا حظ ولا ارادة وان كلما يطلب منه فهو حظ النفس وتوهموا ان
البشر يعمل بلا ارادة ولا مطلوب ولا محبوب وهو سوء معرفة بحقيقة
الايمان والدين والاخرة وسبب ذلك ان همة احدهم المتعلقة
بمطلوبه ومحبوبه ومعبوده تفنيه عن نفسه حتى لا يشعر بنفسه
وارادتها فيظن انه يفعل لغير مراده والذي طلبه وعلق به همته
غاية مراده ومطلوبه ومحبوبه وهذا كحال كثير من الصالحين
الصادقين وارباب الاحوال والمقامات يكون لاحدهم وجد
صحيح وذوق سليم لكن ليس له عبارة تبين كلامه فيقع
في كلامه غلط وسوء ادب مع صحة مقصوده وان كان من

الناس من يقع منه في مراده واعتقاده فهولاء الذين قالوا مثل هذا الكلام
اذا عنوا به طلب رؤية الله اصابوا في ذلك اخطاؤا من جهة انهم جعلوا
ذلك خارجا عن الجنة فاسقطوا حرمة اسم الجنة ولزم من ذلك امور من
منكرة نظير ذلك ما ذكره عن الشبلي رحمه الله انه سمع قاريا يقرأ منكم من
يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة فصرخ فقال اين مريد الله فيحمد
منه كونه اراد الله ولكن غلط في ظنه ان الذين ارادوا الاخرة ما ارادوا الله
وهذه الاية في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه باحد
وهم افضل الخلق فان لم يريدوا الله فمن يريد الله من هو دونهم كالشبلي
وامثاله ومثل ذلك ما اعرفه عن بعض المشايخ انه سئل مرة عن قوله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
فيقتلون ويقتلون قال فاذا كانت الاموال والانفس في ثمن الجنة فالرؤية
بماذا تنال فاجابه مجيب بما يشبه هذا السؤال والواجب ان يعلم ان كلما
اعده الله للاولياء من نعيم بالنظر اليه وما سوى ذلك هو في الجنة كما ان
كلما وعد به اعداءه هو في النار وقد قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر فكثير ما اطلعتهم عليه واذا علم ان
جميع ذلك داخل في الجنة فالناس في الجنة على درجات متفاوتة
كما قال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا وكل مطلوب للعبد بعبادة او دعاء او غير ذلك من
مطالب الاخرة هو في الجنة وطلب الجنة والاستعاذة من النار
طريق انبياء الله ورسله وجميع اوليائه السابقين المقربين
واصحاب اليمين كما في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل بعض
اصحابه كيف تقول في دعائك قال اقول اللهم اني اسألك الجنة
واعوذ

واعوذ بك من النار اما اني لا احسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال
حولها ندندن فقد اخبر انه هو صلى الله عليه وسلم ومعاذ وهو افضل الائمة
الراتبين بالمدينة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم انما يدندنون حول الجنة
افيكون قول احد فوق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ ومن يصلي
خلفهما من المهاجرين والانصار ولو طلب هذا العبد ما طلبه كان في الجنة
واهل الجنة نوعان سابقون مقربون وابرار اصحاب يمين قال تعالى
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم
يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في
وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب
بها المقربون قال ابن عباس يمزج لاصحاب اليمين مزجا ويشربها
المقربون صرفا وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي
مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا ذلك العبد
فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيمة فقد اخبر ان
الوسيلة التي لا تصلح الا لعبد واحد من عباد الله ورجا ان يكون
هو ذلك العبد وهي درجة في الجنة فهل يبقى بعد الوسيلة شيء
اعلا منها يكون خارجا عن الجنة يصلح للمخلوق وثبت في الصحيح
ايضا في حديث الملائكة الذين يلتمسون الناس في مجالس الذكر قال
يقولون للرب تبارك وتعالى وجدناهم يسبحونك ويحمدونك ويكبرونك
قال فيقول وما يطلبون قالوا يطلبون الجنة قال فيقول وهل
رأوها قال فيقولون لا قال فيقول فكيف لو رأوها قال فيقولون
لو رأوها لكانوا اشد لها طلبا قال ومما يستعيذون قالوا يستعيذون

من النار. قال فيقول فهل رأوها قال فيقولون لا قال فيقول فكيف
لو رأوها قالوا لو رأوها لكانوا اشد منها استعاذة قال فيقول
اشهدكم اني اعطيتهم ما يطلبون واعذتهم مما يستعيذون او كما
قال قال فيقولون فيهم فلان الخطاء جاء لحاجة فجلس معهم قال
هم القوم لا يشقى بهم جليسهم فهؤلاء الذين هم من افضل اولياء الله
كان مطلوبهم الجنة ومهربهم من النار والنبي صلى الله عليه وسلم لما بايع الانصار
ليلة العقبة وكان الذين بايعوه من افضل السابقين الاولين الذين هم افضل
من هؤلاء المشايخ كلهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك
ولاصحابك قال اشترط لنفسي ان تنصروني مما تنصرون منه انفسكم
واهليكم واشترط لاصحابي ان تواسوهم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما
لنا قال لكم الجنة قالوا امدد يدك فوالله لا نقيلك ولا نستقيلك
وقد قال له في اثناء البيعة ان بيننا وبين القوم حبالا وعهودا وانا
ناقضوها فهؤلاء الذين من اعظم خلق الله محبة لله ورسوله وبذلا
انفسهم واموالهم في رضا الله ورسوله على وجه لا يلحقهم فيه احد من لنفوسهم
هؤلاء المتأخرين قد كان غاية ما طلبوه بذلك الجنة فلو كان لهم
هناك مطلوب اعلا من ذلك لطلبوه ولكن علموا ان في الجنة كل محبوب
ومطلوب بل وفي الحقيقة ما لا تشعر به النفوس لتطلبه فان الطلب
والحب والارادة فرع على الشعور والاحساس والتصور فما لا يتصوره
الانسان ولا يحسه ولا يشعر به يمتنع ان يطلبه ويحبه ويريده
فالجنة فيها هذا وهذا كما قال تعالى لهم ما يشاؤون فيها ولدينا
مزيد وقال وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ففيها
ما يشتهونه وفيها مزيد على ذلك وهو ما لم يبلغ علمهم ليشتهوه
كما قال صلى الله عليه وسلم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وهذا باب واسع فاذا عرفت هذه المقدمة فقول
القائل الرضى ان لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذه من النار
ان اراد بذلك ان لا يسأل الله ما هو داخل في مسمى الجنة
الشرعية

الشرعية فلا يسأله النظر اليه ولا غير ذلك مما هو مطلوب جميع (٢٥٥)
الانبياء والاولياء وانك لا تستعيذه من احتجابه ولا من تعذيبك
في النار فهذا الكلام مع كونه مخالفا لجميع الانبياء والمرسلين وسائر
المؤمنين فهو متناقض في نفسه فاسد في صريح المعقول وذلك
ان الرضى الذي لا يسأل ان ما لا يسأله لرضاه عن الله ورضاه
عنه انما هو بعد معرفته به ومحبته له واذا لم يبق معه رضى
عن الله ولا محبة لله فكانه قال يرضى ان لا يرضى وهذا جمع بين
النقيضين ولا ريب انه كلام من لم يتصور ما يقول ولا عقله يوضح
ذلك ان الرضى انما يحمله على احتمال المكاره والالام ما يجده من لذة
الرضى وحلاوته فاذا فقد تلك الحلاوة واللذة امتنع ان يحتمل ألما
ومرارة فكيف يتصور ان يكون راضيا وليس معه من حلاوة الرضى
ما يحمل به مرارة المكاره وانما هذا من جنس كلام السكران والفاني الذي
وجد في نفسه حلاوة الرضى فظن ان هذا يبقى معه على اي حال كان
وهذا غلط عظيم منه كغلط سمنون كما تقدم وان اراد بذلك ان لا
يسأل التمتع بالمخلوق بل يسأل ما هو اعلا من ذلك فقد غلط من
وجهين من جهة انه لم يجعل ذلك المطلوب من الجنة وهو اعلا نعيم
الجنة ومن جهة انه ايضا اثبت انه طالب مع كونه راضيا فاذا كان
الرضى لا ينافي هذا الطلب فلا ينافي طلبا آخر اذا كان محتاجا
الى مطلوبه ومعلوم ان تنعمه بالنظر لا يتم الا بسلامته من النار
وبتنعمه في الجنة بما هو دون النظر وما لا يتم المطلوب الا به فهو مطلوب
فيكون طلبه حصول المنفعة ودفع المضرة عنه ولا طلب حصول الجنة
ودفع النار ولا غيرهما مما هو من لوازم النظر فتبين تناقض قوله
وايضا فاذا لم يسأل الله الجنة ولا يستعيذه من النار فاما ان يطلب
من الله ما هو دون ذلك مما يحتاج اليه من طلب منفعة ودفع مضرة
واما لا يطلبه فان طلب ما هو دون ذلك واستعاذ مما هو دون ذلك

فطلبه للجنة اولى واستعاذته من النار اولى وان كان الرضى ان لا يطلب
شيئا قط ولو كان مضطرا اليه ولا يستعيذ من شيء قط وان كان مضرا
فلا يخلوا اما ان يكون ملتفتا بقلبه الى الله في ان يفعل به ذلك
واما ان يكون معرضا عن ذلك فان التفت بقلبه الى الله فهو
طالب مستعيذ بحاله ولا فرق بين الطلب بالحال والمقال وهو بها
اكمل واتم فلا يعدل عنه وان كان معرضا عن جميع ذلك فمن المعلوم
انه لا يحيى ويبقى الا بما يقيم حياته ويدفع مضاره بذلك الذي به
يحيى من المنافع ودفع المضار اما ان يحبه ويطلبه ويريده من احد
او لا يحبه ولا يطلبه ولا يريده فان احبه وطلبه واراده من غير الله
كان مشركا مذموما فضلا عن ان يكون محمودا وان قال لا احبه
واطلبه واريده لا من الله ولا من خلقه قيل هذا ممتنع في الحي فان
الحي ممتنع عليه ان لا يحب ما به يبقى وهذا امر معلوم بالحس ومن كان
بهذه المثابة امتنع ان يوصف بالرضى فان الرضى موصوف بحب وارادة
خاصة اذ الرضى مستلزم لذلك فكيف يسلب عنه ذلك كله فهذا
وامثاله مما يبين فساد هذا الكلام واما في سبيل الله وطريقه ودينه
فمن وجوه احدها ان يقال الراضي لا بد ان يفعل ما يرضاه الله
والا فكيف يكون راضيا عن الله من لا يرضاه الله وكيف يسوغ رضى يكرهه الله
ويسخطه ويذمه وينهى عنه وبيان هذا ان الرضى المحمود اما ان يكون الله
يحبه ويرضاه واما ان لا يحبه ولا يرضاه فان لم يحبه ويرضاه لم يكن
هذا الرضى مامورا به لا امر ايجاب ولا امر استحباب فان من الرضى ما هو كفر
كرضى الكفار بالشرك وقتل الانبياء وتكذيبهم ورضاهم بما يسخط الله
ويكرهه قال تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فـ
احبط اعمالهم فمن اتبع ما اسخط الله برضاه وعمله فقد اسخط الله
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الخطيئة اذا عملت في الارض كان من غاب
عنها ورضيها كمن عملها حضرها ومن شهدها وسخطها كان كمن غاب
عنها وانكرها

فصل [illegible]

عنها وانكرها وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي امراء يعرفون وينكرون
فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع وقال تعالى يحلفون لكم
لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
فرضانا عن القوم الفاسقين ليس مما يحبه الله ويرضاه وهو لا يرضى
عنهم وقال تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا
في الاخرة الا قليل فهذا رضا قد ذمه الله وقال تعالى ان الذين لا
يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها فهذا ايضا رضى
مذموم وسواء هذا وهذا كثير فمن رضي بكفره وكفر غيره وفسقه
وفسق غيره ومعاصيه ومعاصي غيره فليس هو متبعا لرضى الله
ولا هو مؤمن بالله بل مسخط لربه وربه غضبان عليه لاعن له
ذام له متوعد له بالعقاب وطريق الله التي يامر بها المشايخ
المهتدون انما هي الامر بطاعة الله والنهي عن معصيته فمن امر
او استحب او مدح الرضى الذي يكرهه الله ويذمه وينهى عنه
ويعاقب اصحابه فهو عدو لله لا ولي لله وهو يصد عن سبيل الله
وطريقه ليس بسالك لطريقه وسبيله واذا كان الرضى الموجود
في بني آدم منه ما يحبه الله ومنه ما يكرهه ويسخطه ومنه ما هو مباح
لا من هذا ولا من هذا كسائر اعمال القلوب من الحب والبغض وغير
ذلك كلها تنقسم الى محبوب لله ومكروه لله ومباح فاذا كان الامر
كذلك فالراضي الذي لا يسأل الله الجنة ولا يستعيذ من النار يقال له سؤال الله
الجنة واستعاذته من النار اما ان تكون واجبة واما ان تكون مستحبة
واما ان تكون مباحة واما ان تكون مكروهة ولا اقول مسلم انها محرمة
ولا مكروهة وليست ايضا مباحة مستوية الطرفين ولو قيل انها
كذلك ففعل المباح المستوي الطرفين لا ينافي الرضى اذ ليس من شرط
الراضي ان لا ياكل ولا يشرب ولا يلبس ولا يفعل امثال هذه الامور

تراجع هذه الكلمة من الحديث الوارد في ذلك



فاذا كان ما يفعله من هذه الامور لا ينافي رضاه اينا في رضاه دعاء وسوال هو
مباح واذا كان الدعاء والسوال كذلك واجبا او مستحبا فمعلوم ان الله يرضى
بفعل الواجبات والمستحبات فكيف يكون الراضي الذي هو من اولياء الله لا
يفعل ما يرضاه ويحبه بل يفعل ما يسخط ويكرهه وهذه صفة اعداء الله
لا اولياء الله والقشيري قد ذكر في اول باب الرضى فقال اعلم ان الواجب
على العبد ان يرضى بقضاء الله وقدره الذي امر بالرضى به اذ ليس كل ما
هو بقضائه يجوز للعبد او يجب على العبد الرضى به كالمعاصي وفنون
محن المسلمين وهذا الذي قاله قاله قبله وبعده معه غير واحد من العلما
كالقاضي ابي بكر والقاضي ابي يعلى وامثالهما لما احتج عليهما القدرية
بان الرضى بقضاء الله مامور به فلو كانت المعاصي بقضاء الله لكنا
مامورين بالرضى به والرضى بما نهى الله عنه لا يجوز فاجابهم اهل السنة
عن ذلك بثلاثة اجوبة احدها وهو جواب هولاء وجماهير الائمة ان هذا
العموم ليس بصحيح فلسنا مامورين ان نرضى بكل ما قضيه وقدره ولم
يجي في الكتاب والسنة امر بذلك ولكن علينا ان نرضى بما امرنا ان
نرضى به كطاعة الله ورسوله وهذا هو الذي ذكره ابو القسم والجواب
الثاني انهم قالوا انا نرضى بالقضاء الذي هو صفة الله او فعله
لا بالمقضي الذي هو مفعوله وفي هذا الجواب ضعف قد بيناه
في غير هذا الموضع الثالث انهم قالوا هذه المعاصي لها وجهان
وجه الى العبد من حيث هي فعله وصنعه وكسبه ووجه الى الرب
من حيث هو خلقها وقضاها وقدرها فيرضى من الوجه الذي يضاف
به الى الله ولا يرضى من الوجه الذي يضاف به الى العبد اذ كونها
شرا وقبيحة ومحرما وسببا للعذاب والذم ونحو ذلك انما هو من
جهة كونها مضافة الى العبد وهذا مقام فيه من كشف الحقائق
والاسرار ما قد ذكرنا منه ما قد ذكرنا في غير هذا الموضع ولا يحتمله
هذا المكان فان هذا متعلق بمسائل الصفات والقدر وهما من
اعظم مطالب الدين واشرف علوم الاولين والآخرين وادقها

على عقول

على عقول اكثر العالمين والمقصود هنا ان مشايخ الصوفية والعلماء وغيرهم
قد بينوا ان من الرضى ما يكون جائزا ومنه ما لا يكون جائزا فضلا عن كونه
مستحبا او من صفات المقربين وان ابا القاسم ذكر ذلك في الرسالة ايضا فانه
قبل هذا الذي ذكرته امر بين واضح ثم ايضا غلط من قال ان الراضي لا يسئل الله
الجنة ولا يستعيذ به من النار وغلط من يستحسن مثل هذا الكلام كائنا من كان
فقيل غلطوا في ذلك لانهم راوا ان الرضى بالامر لا يطلب غير ذلك الامر
فالعبد اذا كان في حال من الاحوال فمن رضاه ان لا يطلب غير تلك الحال
ثم انهم راوا ان اقصى مطالب الجنة واقصى المكاره النار فقالوا ينبغي
ان لا يطلب شيئا ولو انه الجنة ولا يكره ما ينال ولو انه النار وهذا
وجه غلطهم ودخل عليهم الضلال من وجهين احدهما ظنهم ان الرضى
بكل ما يكون يحبه الله ويرضاه وان هذا من اعظم طرق اولياء الله
فجعلوا الرضى بكل حادث وكائن او بكل حال يكون فيها العبد طريقا
الى الله فضلوا ضلالا مبينا والطريق الى الله انما هي ان يرضيه
بان يفعل ما يحبه ويرضاه ليس ان ترضى بكل ما يحدث
ويكون فانه هو لم يامرك بذلك ولا رضيه لك ولا احبه بل هو سبحانه
يكره ويسخط ويبغض على اعيان وافعال موجودة لا يحصيها
الا هو وولاية الله موافقته بان يحب ما يحب ويبغض ما يبغض
ويكره ما يكره ويسخط ما يسخط ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي
فاذا كنت تحب وترضى ما يكرهه ويسخطه كنت عدوه لا وليه
وكان كل ذم نال من رضي ما اسخط الله قد نالك فتدبر هذا
فانه ينبه على اصل عظيم ضل فيه من طوائف النساك والصوفية
والعباد والعامة من لا يحصيهم الا الله الوجه الثاني انهم لم يفرقوا
بين الدعاء الذي امروا به امر ايجاب وامر استحباب وبين الدعاء
الذي نهوا عنه او لم يامروا به ولم ينهوا عنه فاما دعاء العبد لربه

ومسئلته اياه ثلاثة انواع نوع امر العبد به اما امر ايجاب واما امر استحباب
مثل قوله اهدنا الصراط المستقيم ومثل دعائه في آخر الصلاة كالدعاء الذي
كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر به اصحابه فقال اذا قعد احدكم في الصلاة
فليستعذ بالله من اربع من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات
وفتنة المسيح الدجال فهذا دعاء امرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعوا
به في آخر صلاتهم وقد اتفقت الامة على انه مشروع يحبه الله ورسوله
ويرضاه وتنازعوا في وجوبه فاوجبه طاوس وطائفة وهو قول في مذهب
احمد رضي الله عنه والاكثرون قالوا هو مستحب والادعية التي كان النبي
صلى الله عليه وسلم يدعو بها لا تخرج عن ان تكون واجبة او مستحبة
وكل واحد من الواجب والمستحب يحبه الله ويرضاه ومن فعله رضي الله عنه
وارضاه فهل يكون من الرضى ترك ما يحبه ويرضاه ونوع من الدعاء
ينهى عنه كالاعتداء مثل ان يسئل الرجل ما لا يصلح من خصائص
الانبياء وليس هو بنبي وربما هو من خصائص الرب سبحانه وذلك مثل
ان يسئل لنفسه الوسيلة التي لا تصلح الا لعبد من عباده او يسئل الله تعالى
ان يجعله بكل شيء عليم او على كل شيء قدير وان يرفع عنه كل حجاب
يمنعه من مطالعة الغيوب وامثال ذلك ومثل من يدعوه ظانا انه
محتاج الى عبادة وانهم يبلغون ضره ونفعه فيطالبه بذلك الفعل
ويذكر انه اذا لم يفعل حصل له من الخلق خير وهذا ونحو جهل بالله
واعتداء في الدعاء وان وقع في ذلك طائفة من الشيوخ ومثل ان يقول
اللهم اغفر لي ان شئت فيظن ان الله قد يفعل الشيء مكرها وقد
يفعله مختارا كالملوك فيقول اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان
شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له ومثل ان يقصد
السجع في الدعا ويتشهق ويتشدق وامثال ذلك فهذه الادعية
منهي عنها ونحوها في الدعاء ما هو مباح كطلب الفضول التي
لا معصية فيها

وقال ﷺ لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت [illegible] ليعزم المسألة [illegible]

لا معصية فيها والمقصود ان الرضى الذي هو من طريق الله لا يتضمن ترك
واجب ولا ترك مستحب فالدعاء الذي هو واجب او مستحب لا يكون
تركه من الرضا كما ان ترك سائر الواجبات لا يكون من الرضى المشروع
ولا فعل المحرمات من المشروع فقد تبين غلط هولاء من جهة ظنهم
ان الرضى مشروع بكل مقدور ومن جهة انهم لم يميزوا بين الدعاء المشروع
ايجابا او استحبابا والدعاء الغير المشروع وقد علم بالاضطرار
من دين الاسلام ان طلب الجنة من الله والاستعاذة به من النار
هو من اعظم الادعية المشروعة لجميع المرسلين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وان ذلك لا يخرج عن كونه واجبا او مستحبا
وطريق اولياء الله التي يسلكونها لا تخرج عن فعل واجبات
ومستحبات اذ ما سوى ذلك محرم او مكروه او مباح لا منفعة فيه
في الدين ثم انه لما اوقع هولاء في هذا الغلط انهم وجدوا كثيرا من
الناس لا يسئلون الله جلب المنافع ودفع المضار حتى طلب الجنة
والاستعاذة من النار من جهة كون ذلك عبادة وطاعة وخيرا
بل من كون النفس تطلب ذلك فرأوا ان من الطريق ترك ما تختاره النفس
وتريده وان لا يكون لاحدهم ارادة اصلا بل مطلوبه الجريان تحت
القدر كائنا من كان وهذا هو الذي ادخل كثيرا منهم في الرهبانية
والخروج عن الشريعة حتى تركوا من الاكل والشرب واللباس والنكاح
ما يحتاجون اليه ومما لا تتم مصلحة دينهم الا به فانهم راوا العامة
تفعل هذه الامور بحكم الطبع والهوى والعادة ومعلوم ان الافعال
التي على هذا الوجه لا تكون عبادة ولا طاعة ولا قربة فراوا ان
الطريق الى الله ترك هذه العبادات والافعال الطبيعيات فلازموا
من الجوع والسهر والخلوة والصمت وغير ذلك مما فيه ترك الحظوظ

واحتمال المشاق مما اوقعهم في ترك واجبات ومستحبات وفعل مكروهات
ومحرمات وكلا الامرين غير محمود ولا مامور به ولا طريق الى الله وطريق المفرطين
الذين فعلوا هذه الافعال المحتاج اليها على غير وجه العبادة والتقرب الى الله
وان يشكر الله قال الله تع كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تع
وكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله فالامر بالاكل والشكر فمن
اكل ولم يشكر كان مذموما ومن لم ياكل ولم يشكر كان مذموما وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد ان
ياكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وقال النبي صلى
الله عليه وسلم انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها
درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امراتك وفي الصحيح ايضا انه
قال نفقة المؤمن على اهله يحتسبها صدقة فكذلك الادعية هذه
من الناس من يسئل الله جلب المنفعة له ودفع المضرة عنه طبعا
وعادة لا شرعا وعبادة فليس من المشروع ان ادع الدعاء مطلقا
لا نقص هذا وتفريطه بل افعله انا شرعا وعبادة ثم اعلم ان الذي
يفعله شرعا وعبادة انما يسعى في مصلحة نفسه وطلب حظوظه
المحمودة فهو يطلب مصلحة دنياه واخرته بخلاف الذي يفعله طبعا
فانه انما يطلب مصلحة دنياه فقط كما قال تع ومنهم من يقول ربنا
اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في
الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب
مما كسبوا والله سريع الحساب وحينئذ فطالب الجنة والمستعيذ من
النار انما يطلب حسنة الاخرة فهو محمود ومما يبين الامر في ذلك ان يرد
قول هؤلاء ان العبد لا يفعل مامورا ولا يترك محظورا فلا
يصلي ولا يصوم ولا يتصدق ولا يحج ولا يجاهد ولا يفعل شيئا

من

وطريق المقتصدين الذين فعلوا هذه الافعال بنية التقرب الى الله ... صح

بها صح

من جميع ذلك فان ذلك انما فائدته حصول الثواب ودفع العقاب فاذا
كان هؤلا يطلب حصول الثواب الذي هو الجنة ولا دفع العقاب الذي
هو النار فلا يفعل مامورا ولا يترك محظورا ويقول انا راض بكلما
يفعله بي وان كفرت وفسقت وعصيت بل يقول انا اكفر وافسق واعصي
حتى يعاقبني وارضى بعقابه فانال درجة الرضا بقضائه وهذا قول
من هو اجهل الخلق واحمقهم واضلهم واكفرهم اما جهله وحمقه فلان
الرضى بذلك ممتنع متعذر لان ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين
واما كفره فلانه مستلزم لتعطيل دين الله الذي بعث به رسله
وانزل به كتبه ولا ريب ان ملاحظة القضا والقدر اوقعت كثيرا
من اهل الارادة من المتصوفة في ان تركوا من المامور وفعلوا من المحظور
ما صاروا به اما ناقصين محرومين واما عاصين واما فاسقين
واما كافرين وقد رأيت من ذلك الوانا ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور وهؤلاء المعتزلة ونحوهم من القدرية طرفا نقيض هؤلاء
يلاحظون القدر ويعرضون عن الامر واولئك يلاحظون الامر
ويعرضون عن القدر والطائفتان تظن ان ملاحظة الامر والقدر
متعذر كما ان طائفة تجعل ذلك مخالفا للحكمة والعدل وهذه
الاصناف الثلاثة القدرية المجوسية والقدرية المشركية والقدر... ية
الابليسية وقد بسطنا الكلام عليهم في غير هذا الموضع واصل
ما يبتلى به الناس لكون اهل الارادة والعامة في هذا الزمان هي القدرية
المشركية فيشهدون القدر ويعرضون عن الامر كما قال فيهم بعض
العلماء انت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري اي مذهب
وافق هواك تمذهبت به وانما المشروع العكس وهو ان يكون عند
الطاعة يستعين الله عليها قبل الفعل ويشكره عليها بعد الفعل
ويجتهد ان لا يعصي فاذا اذنب وعصى بادر الى التوبة والاستغفار

كما في الحديث سيد الاستغفار ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي وكما
في الحديث الصحيح الالهي يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم
اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا
نفسه وفي هذا الباب دخل قوم من اهل الارادة في ترك الدعاء
وآخرون جعلوا التوكل والمحبة من مقامات العامة وامثال هذه
الاغاليط التي تكلمنا عليها في غير هذا الموضع وبينا الفرق بين الصواب
والخطا في ذلك ولهذا يوجد في كلام هولاء المشايخ الوصية باتباع
العلم والشريعة حتى قال سهل بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له
الكتاب والسنة فهو باطل وقال الجنيد بن محمد علمنا مقيد بالكتاب
والسنة فمن لم يقرا القران ويكتب الحديث لا يصلح ان يتكلم في علمنا
والله سبحانه اعلم **مسألة** في قوله تعالى وان احد من بلغ
المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فسماه هنا كلام الله وقال
في مكان اخر انه لقول رسول كريم فما معنى ذلك فان طائفة ممن يقول بالعبارة
يدعون ان هذا حجة لهم ثم يقولون انتم تعتقدون ان موسى صلوات الله
عليه سمع كلام الله عز وجل حقيقة من غير واسطة ويقولون ان الذي تسمعونه
كلام الله حقيقة وتسمعونه من وسائط باصوات مختلفة فما الفرق بين
ذلك ويقولون ان القران صفة لله وان صفات الله قديمة فان قلتم
ان هذا نفس كلام الله فقد قلتم بالحلول وانتم تكفرون الحلولية
وان قلتم غير ذلك قلتم بمقالتنا ونحن نطلب منكم جوابا نعتمد عليه
ان شاء الله تعالى **الجواب** الحمد لله رب العالمين هذه الاية حق كما
قال الله وليست احدى الايتين معارضة للاخرى بوجه من الوجوه ولا في
واحدة منها حجة لقول باطل وان كان كل من الايتين قد يحتج به بعض
الناس لقول باطل وذلك ان قوله وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله فيه دلالة على انه يسمع كلام الله من التالي المبلغ بين ان
وانما يقراه المسلمون هو كلام الله كما في حديث جابر الذي في السنن ان وان ما
النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول الا

رجل

رجل يحملني الى قومه لابلغ كلام ربي فان قريشا منعوني ان ابلغ كلام ربي
وفي حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه لما خرج على المشركين فقرا عليهم
الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون قالوا هذا كلامك
ام كلام صاحبك فقال ليس بكلامي ولا بكلام صاحبي ولكنه كلام الله
وقد قال تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين
شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا
سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر
ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر ان هذا
الا قول البشر فمن قال ان هذا قول البشر كان قوله مضاهيا لقول
الوحيد الذي اصلاه الله سقر ومن المعلوم لعامة العقلاء ان من بلغ
كلام غيره كالمبلغ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرئ ما نوى اذا سمعه الناس من المبلغ قالوا هذا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو قال المبلغ هذا كلامي وقولي لكذبه الناس لعلمهم بان الكلام كلام
من قاله مبتديا منشئا لا لمن اداه راويا مبلغا فاذا كان مثل هذا
معلوما في تبليغ كلام البشر في الخالق الذي هو اولى ان لا يجعل كلاما
لغير الخالق وقد اخبر تعالى بانه تعالى تنزيل منه فقال والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقال حم تنزيل من الرحمن الرحيم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس
وكلاهما مبلغ له كما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقال
الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا
ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل
ولا لمحمد فيه الا التبليغ والاداء كما ان المعلمين له في هذا الزمان والتالين له

في الصلاة او خارج الصلاة ليس لهم فيه الا ذلك لم يجد لوا منه حروفه ولا معانيه
قال الله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الى قوله
واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم
لا يعقلون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى
وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين كان بعض المشركين يزعم ان النبي
صلى الله عليه وسلم تعلمه من بعض الاعاجم الذي بمكة اما عبد الحضرمي
واما غيره كما ذكر ذلك المفسرون فقال تعالى لسان الذي يلحدون اليه
يضيفون اليه التعليم لسان اعجمي وهذا الكلام عربي وقد اخبر انه نزله
روح القدس من ربك بالحق فهذا بيان ان هذا القرآن العربي تعلمه من
~~ربك به روح القدس الذي تعلمه من غيره نزل وبيان ان هذا والقرآن حروفه~~
~~من الاعجمي معانيه ان يكون تلقى اذ يمكن لو كان كذلك لحروفه ونظمه ثم~~
~~يكن هو المحدث من غيره بالحق~~ فدل على ان القرآن منزل من الرب سبحانه
وتعالى لم ينزل معناه دون حروفه ومن المعلوم ان من بلغ كلام غيره كمن بلغ
كلام النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من الناس او انشد شعر غيره
كما لو انشد منشد قول لبيد ... الا كل شيء ما خلا الله باطل
او قول عبد الله بن رواحة حيث قال ... شهدت بان وعد الله حق
وان النار مثوى الكافرينا ... وان العرش فوق الماء طاف
وفوق العرش رب العالمينا
وقوله وفينا رسول الله يتلو كتابه ... اذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات ان ما قال واقع
وهذا الشعر قاله منشيه لفظه ومعناه
وهو كلامه الكلام غيره بحركته وصوته ومعناه القائم بقلبه ثم
اذا انشده المنشد وبلغه علم انه شعر ذلك المنشي وكلامه ونظمه
وقوله

والقرآن [illegible] حروفه ومعانيه [illegible] وبيان ان هذا الذي نزل به روح القدس من ربك بالحق [illegible]

وقوله مع ان هذا الثاني انشده بحركة نفسه وقام بقلبه من المعنى
نظير ما قام بقلب الاول وليس الصوت المسموع من المنشد هو الصوت المسموع
من المنشي والشعر شعره لا شعر المنشد والمحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا روى قوله انما الاعمال بالنيات بلغه بحركته وصوته مع ان النبي صلى الله
عليه وسلم تكلم به بحركته وصوته وليس صوت المبلغ صوت النبي صلى الله عليه وسلم
ولا حركته كحركته والكلام كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كلام المبلغ له عنه
فاذا كان هذا معلوما معقولا فكيف لا يعقل ان يكون القارئ اذا قرأ
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ان يقال هذا
الكلام كلام البارئ وان كان الصوت صوت القارئ فمن ظن ان
الاصوات المسموعة من القراء صوت الله فهو ضال مفتر مخالف لصريح
المعقول ولصحيح المنقول قائل قولا لم يقله احد من ائمة المسلمين
بل قد انكر الامام احمد وغيره على من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق وبدعوه
كما جهموا من قال لفظي بالقرآن مخلوق وقالوا القرآن كلام الله غير مخلوق
كيف بمن قال لفظي به قديم او صوتي به قديم فابتداع هذا
وضلاله اوضح فمن قال ان لفظه بالقرآن غير مخلوق او صوته او فعله
او شيئا من ذلك فهو مبتدع وهؤلاء قد يحتجون بقوله حتى يسمع كلام الله
ويقولون هذا كلام الله غير مخلوق فهذا غير مخلوق ونحن لا نسمع الا صوت
القارئ وهذا جهل منهم فان سماع كلام الله بل وسماع كل كلام يكون تارة
من المتكلم به بلا واسطة الرسول المبلغ له قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ومن
قال ان الله كلمنا بالقرآن كما كلم موسى بن عمران او انا نسمع كلامه كما سمعه
موسى بن عمران فهو من اعظم الناس جهلا وضلالا ولو قال قائل منهم انا
نسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه الصحابة منه لكان ضلاله واضحا
فكيف من يقول انا نسمع كلام الله منه كما سمعه موسى وان كان الله كلم
موسى تكليما بصوت سمعه موسى فليس صوت المخلوقين صوتا للخالق

وكذلك ناداه بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وتكلمه بالوحي
حتى يسمع اهل السموات صوته كجر السلسلة على الصفا وامثال ذلك
مما جاءت به النصوص والاثار كلها ليس فيها ان صفة المخلوقين هي صفة
الخالق ولا مثلها بل فيها الدلالة على الفرق بين صفة الخالق وبين
صفة المخلوق فليس كلامه مثل كلامه ولا معناه مثل معناه ولا حرفه
مثل حرفه ولا صوته مثل صوته كما انه ليس علمه مثل علمه ولا قدرته
مثل قدرته ولا سمعه مثل سمعه ولا بصره مثل بصره فان الله ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله ولما استقر
في فطر الخلق كلهم الفرق بين سماع الكلام من المتكلم به ابتداء وبين سماعه
من المبلغ عنه كان ظهور هذا الفرق في سماع كلام الله من المبلغين عنه
اوضح من ان يحتاج الى الاطناب وقد بين ائمة السنة والعلم كالامام احمد
والبخاري صاحب الصحيح في كتابه في خلق افعال العباد وغيرهما
من ائمة السنة من الفرق بين صوت الله المسموع منه وصوت العباد
بالقران وغيره ما لا يخالفهم فيه احد من العلماء اهل العقول والدين

فصل واما قوله تعالى وانه لقول رسول كريم فهذا قد ذكره
في موضعين فقال في الحاقة انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون فالرسول هنا
هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال في التكوير انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق
المبين فالرسول هنا جبرئيل فاضافه الى الرسول من البشر تارة والى
الرسول من الملائكة تارة باسم الرسول ولم يقل انه لقول ملك ولا نبي
لان لفظ الرسول يبين انه مبلغ عن غيره ليس من عنده وما على الرسول
الا البلاغ المبين فكان قوله انه لقول رسول بمنزلة قوله لتبليغ رسول
او مبلغ من رسول كريم اذ لو كان منشئا لم يكن رسولا فيما انشاه وابتداه
ومعلوم ان الضمير عائد الى القران مطلقا وايضا فلو كان احد الرسولين
انشا حروفه ونظمه امتنع ان يكون الرسول الاخر هو المنشئ المؤلف لها
فبطل ان تكون اضافته الى الرسول لاجل احداث لفظه ونظمه ولو جاز
ان تكون الاضافة

الاضافة هنا لاجل احداث الرسول له او لشيء منه لجاز ان يقول انه قول
البشر وهذا قول الوحيد الذي اصلاه الله سقر فان قال قائل فالوا جعل
الجميع قول البشر ونحن نقول ان الكلام العربي قول البشر واما معناه
فهو كلام الله فيقال لهم هذا نصف قول الوحيد ثم هذا باطل من وجه اخر
وهو ان معاني هذا النظم معان متعددة متنوعة وانتم تجعلون ذلك
المعنى معنى واحدا هو الامر والنهي والخبر والاستخبار وتجعلون ذلك المعنى
اذا عبر عنه بالعربية كان قرانا واذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة واذا
عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة من العقل
والدين فان التوراة اذا عربناها لم يكن معناها معنى القران والقران
اذا ترجمناه بالعبرانية لم يكن توراة وايضا فان معنى اية الكرسي ليس
هو معنى اية الدين وانما يشتركان في مسمى الكلام ومسمى كلام الله كما
تشترك الاعيان في مسمى النوع فهذا الكلام وهذا الكلام كله يشتركان
في انه كلام الله اشتراك الاشخاص في انواعها كما ان الانسان وهذا
الانسان وهذا الانسان يشتركون في مسمى الانسان وليس في الخارج
شخص بعينه هو هذا وهذا وهذا وكذلك ليس في الخارج كلام واحد
هو معنى التوراة والانجيل والقران وهو معنى اية الدين واية الكرسي
ومن خالف هذا كان في مخالفته لصريح العقول من جنس من قال ان اصوات
العباد وافعالهم قديمة ازلية فاضرب بكلام المبتدعين راس قائلهما
والزم الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وبسبب هاتين البدعتين الحمقاوين ثارت
الفتن وعظمت الاحزاب وان كان كل من اصحاب القولين قد يقررونهما
بما قد يلتبس على كثير من الناس كما قرر من قال ان الصوت المسموع
من العبد او بعضه قديم فان القديم ظهر في المحدث من غير حلول فيه
واما افعال العباد فرايت بعض المتاخرين يقول بانها قديمة خيرها
وشرها وفسر ذلك بان الشرع الذي هو كلام الله والمشروع الذي
هو المامور به والمنهي عنه ولم يفرق بين القدر الذي هو علم الله

وكلامه وبين القدر الذي مخلوقاته والعقلاء كلهم يعلمون بالاضطرار
ان الامر والخبر نوعان للكلام لفظه ومعناه ليس الامر والخبر صفات
لموصوف واحد فمن جعل الامر والنهي والخبر صفات للكلام لا انواعا
له فقد خالف ضرورة العقل اذ لم يفرق بين الواحد بالنوع والواحد
بالعين فان انقسام الموجود الى القديم والمحدث والواجب والممكن والخالق
والمخلوق والقائم بنفسه والقائم بغيره كانقسام الكلام الى الامر والخبر او الى
الانشاء والاخبار او الى الامر والنهي والخبر فمن قال الكلام ~~الى الامر والخبر~~
~~او الى الانشاء والاخبار~~ معنى واحد هو الامر والخبر فهو كمن قال الوجود
واحد هو الخالق والمخلوق او الواجب والممكن وكما ان حقيقة هذا
تؤول الى تعطيل الخالق فحقيقة هذا تؤول الى تعطيل كلامه وتكليمه وهذا تؤول الى صح
حقيقة قول فرعون الذي انكر الخالق وتكليمه لموسى ولهذا آل الامر بمحققي
هؤلاء الى تعظيم فرعون وتوليته وتصديقه في قوله انا ربكم الاعلى والى
تعظيم على موسى والى الاستحقار بتكليم الله لموسى كما قد بسط في غير
هذا الموضع وايضا فيقال لما يقول في كلام الله كل متكلم اذا نقل عنه غيره بلغ
كما ينقل كلام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والعلماء والشعراء وغيرهم
ويسمع من الرواة او المبلغين ان ذلك المسموع من المبلغ بصوت المبلغ
هو كلام المبلغ او كلام المبلغ عنه فان قال كلام المبلغ لزم ان يكون
القرآن كلام الكل من سمع منه فيكون القرآن المسموع كلام الف قارئ
لا كلام الله وان يكون قوله انما الاعمال بالنيات كلام كل من رواه
لا كلام الرسول وحينئذ لا فضيلة للقرآن في انه لقول رسول كريم فانه
على قول هؤلاء قول كل منافق قرأه والقرآن يقرؤه المؤمن والمنافق
كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن الذي يقرأ
القرآن مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ
القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ
القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها وعلى هذا التقدير فلا يكون
القرآن قول بشر واحد بل قول الف الف بشر واكثر من ذلك
وفساد هذا

وفساد هذا في العقل والدين واضح وان قال كلام المبلغ عنه علم ان الرسول
المبلغ للقرآن ليس هو كلامه ولكنه كلام الله ولكن لما كان الرسول الذي قد يقال انه
شيطان بين الله انه تبليغ ملك كريم لا تبليغ شيطان رجيم ولهذا قال
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين الى قوله وما هو بقول
شيطان رجيم وبين في هذه الآية ~~ان صاحبه تلقى الاعمى ان كان الانطق~~
~~ان النعمة به علينا لما في ذلك من الصاحب يتهم ذكره بانه على الغيب وما هو على~~
~~بضنين~~ ليس بمجنون ووصفناه منه الذي ~~صحبناه الرسول البشري~~ وكان من
جنسنا كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم وقالوا لو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون كما في الآية الاخرى قال والنجم اذا
هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وبين ان الرسول الذي من انفسنا
والرسول الملكي انهما مبلغان فكان هذا في تحقيق انه كلام الله فلما
كان الرسول البشري يقال انه مجنون او مفتر نزهه عن هذا وهذا
وكذلك في السورة الاخرى قال انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر
قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب
العالمين وهذا مما يبين انه اضافه اليه لانه بلغه واداه لا لانه احدثه
وانشاه فانه قال وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين فجمع
بين قوله انه لقول رسول كريم وبين قوله وانه لتنزيل رب العالمين
والضميران عائدان الى واحد فلو كان الرسول احدثه وانشاه لم يكن
تنزيلا من رب العالمين بل كان يكون تنزيلا من الرسول ومن جعل
الضمير في هذا عائدا الى غير ما يعود اليه الضمير الآخر مع انه ليس في
الكلام ما يقتضي اختلاف الضميرين ومنه قال ان هذا عبارة
عن كلام الله فقل له هذا الذي نزل هو عبارة عن العبارة
التي احدثها الرسول الملكي او البشري على زعمك ام هو نفس تلك
العبارة فان جعلت هذا عبارة عن تلك العبارة جاز ان تكون

ليس هو

ان الرسول البشري صاحبه ووصفناه منه ليس بمجنون وما هو على الغيب بضنين

عبارة جبرئيل او الرسول عبارة عن عبارة الله وحينئذ فيبقى النزاع لفظيا
فانه من قال ان محمدا سمعه من جبرئيل جميعه وجبرئيل سمعه من الله جميعه
والمسلمون سمعوه من الرسول جميعه فقد قال الحق وبعد هذا فقول عبارة
لاجل التفريق بين التبليغ والمبلغ كما سنبينه وان قلت ليس هذا عبارة
عن تلك العبارة بل هي نفس تلك العبارة فقد جعلت ما يسمع من
المبلغ هو بعينه كما يسمع من المبلغ عنه اذ جعلت هذه العبارة هي
بعينها عبارة جبرئيل فحينئذ هذا يبطل اصل قولك واعلم
ان اصل المقول بالعبارة ان محمدا ابا عبد الله بن كلاب وهو اول من
قال في الاسلام ان معنى القرآن كلام الله وحروفه ليست كلام الله فاخذ
بنصف قول المعتزلة ونصف قول اهل السنة والجماعة وكان قد ذهب
الى اثبات صفات الله وخالف المعتزلة واثبت العلو لله على العرش
ومباينته المخلوقات وقرر ذلك تقريرا هو اكمل من تقرير اتباعه بعده
وكان الناس قد تكلموا فيمن بلغ كلام غيره هل يقال له حكاية عنه ام لا
واكثر المعتزلة قالوا هذا حكاية عنه فقال ابن كلاب القرآن العربي
حكاية عن كلام الله ليس بكلام الله فجاء بعده ابو الحسن فسلك مسلكه
في اثبات اكثر الصفات وفي مسئلة القرآن ايضا واستدرك عليه قوله
ان هذا حكاية وقال الحكاية انما يكون مثل المحكي فهذا انما يناسب قول المعتزلة
وانما يناسب قولنا ان نقول هو عبارة عن كلام الله لان الكلام ليس
من جنس العبارة فانكر اهل السنة والجماعة عليهم عدة امور احدها
قولهم ان المعنى كلام الله وان القرآن العربي ليس كلام الله وكانت المعتزلة
تقول هو كلام الله مخلوق فقال هؤلاء هو مخلوق وليس بكلام الله لان
من اصول اهل السنة ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل
فاذا قام الكلام بمحل كان هو المتكلم به كما ان العلم والقدرة اذا
قاما بمحل كان هو العالم القادر به وكذلك الحركة وهذا مما
احتجوا به على المعتزلة وغيرهم من الجهمية في قولهم ان كلام الله
مخلوق

مخلوق خلقه في بعض الاجسام قالوا لهم لو كان كذلك لكان الكلام كلام
ذلك الجسم الذي خلقه فيه فكانت الشجرة هي القائلة انني انا الله رب
العالمين فقال ائمة الكلابية ان كان القرآن العربي مخلوقا فليس كلام الله
فقال طائفة من متاخريهم بل نقول الكلام مقول بالاشتراك بين المعنى
المجرد وبين الحروف المنظومة فقال لهم المحققون فهذا يبطل اصل حجتكم
على المعتزلة فانكم سلمتم انما هو كلام الله حقيقة لا يكن قيامه بنفسه بل بغيره
امكن المعتزلة ان يقولوا ليس كلامه الا ما خلقه في غيره الثاني قولهم ان ذلك
المعنى هو الامر والنهي والخبر وهو معنى التوراة والانجيل والقرآن وقال
اكثر العقلاء هذا الذي قالوه معلوم الفساد بالضرورة الثالث
انما نزل به جبرئيل من المعنى واللفظ وما بلغه محمد لامته من المعنى
واللفظ ليس هو كلام الله ومسئلة القرآن لها طرفان احدهما
تكلم الله به وهو اعظم الطرفين والثاني تنزيله الى الخلق والكلام
في هذا سهل بعد تحقيق الاول وقد بسطنا الكلام في ذلك في عدة
مواضع وبينا مقالات اهل الارض كلهم في هذه المسائل وما دخل
في ذلك من الاشتباه وماخذ كل طائفة ومعنى قول السلف القرآن
كلام الله غير مخلوق وانهم قصدوا به ابطال قول من يقول ان الله
لم يقم بذاته كلام ولهذا قال الائمة كلام الله من الله ليس ببائن منه
وذكرنا اختلاف المنتسبين الى السنة هل يتعلق الكلام بمشيئته
وقدرته ام لا من قال من ائمة السنة لم يزل الله متكلما اذا شاء وان دوام
قول السلف منه بدا لم يريدوا انه فارق ذاته وحل في غيره فكيف
يجوز ان يفارق ذات الله كلامه او غيره من صفاته بل قالوا منه
بدا اي هو المتكلم به ردا على المعتزلة والجهمية وغيرهم الذين
قالوا بدا من المخلوق الذي خلق فيه وقولهم اليه يعود اي علمه فلا

يبقى في المصاحف منه حرف ولا في الصدور منه آية والمقصود هنا جواب
مسائل السائل

فصل

واما قول القائل انتم تعتقدون
ان موسى سمع كلام الله منه حقيقة من غير واسطة وتقولون ان الذي تسمعونه
كلام الله حقيقة وتسمعونه من وسائط باصوات مختلفة فما الفرق
بين ذلك فيقال له بين هذا وهذا من الفرق اعظم مما بين القدم والفرق
فان كل عاقل يميز بين سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه بغير واسطة
كسماع الصحابة منه وبين سماعه منه بواسطة المبلغين عنه كابي هريرة
وابي سعيد وابن عمر وابن عباس وكلاهما سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم
حقيقة وكذلك من سمع شعر حسان بن ثابت او عبد الله بن رواحة
او غيرهما من الشعراء منه بلا واسطة ومن سمعه من الرواة عنه يعلم الفرق بين
هذا وهذا وهو في الموضعين شعر حسان لا شعر غيره والانسان اذا
تعلم شعر غيره فهو يعلم ان ذلك الشاعر انشا معانيه ونظم حروفه بالا
صوات المقطعة رديه بحركة نفسه واصوات نفسه فاذا كان هذا
الفرق معقولا في كلام المخلوقين بين سماع الكلام من المتكلم به ابتدا
وسماعه بواسطة الراوي عنه او المبلغ عنه فكيف لا يعقل ذلك
من سماع كلام الله وقد تقدم ان من ظن ان المسموع من القراء هو صوت الرب
فهو الى تاديب المجانين اقرب منه الى خطاب العقلاء وكذلك من توهم
ان الصوت قديم وان المداد قديم فهذا لا يقوله ذو حس سليم بل ما بين
لوحي المصحف كلام الله وكلام الله ثابت في مصاحف المسلمين لا
كلام غيره فمن قال ان الذي في المصحف ليس كلام الله بل كلام غيره فهو
ملحد مارق ومن زعم ان كلام الله فارق ذاته وانتقل الى غيره كما
كتب في المصاحف وان المداد قديم ازلي فهو ايضا مارق وهو لم يفارق
ذواتهم فكيف لا يعقل مثل هذا في كلام الله والشبهة تنشا في
مثل هذا من جهة ان بعض الناس لا يفرق بين المطلق من الكلام
والمقيد مثال ذلك ان الانسان يقول رايت الشمس في السماء
والقمر

والقمر والهلال اذا راه بغير واسطة وهذه الرؤية المطلقة وقد يراه في ماء
او مراة فهذه رؤية مقيدة فاذا اطلق قوله رايته او ما رايته حمل على
مفهوم اللفظ المطلق واذا قال القدر رايت الشمس في الماء وفي المراة
فهو كلام صحيح مع التقييد واللفظ يختلف معناه بالاطلاق والتقييد
فاذا وصل بالكلام ما يغير معناه كالشروط والاستثناء ونحوهما
من التخصيصات المتصلة كقوله الف سنة الا خمسين عاما كان هذا
المجموع دالا على تسع مائة وخمسين سنة بطريق الحقيقة عند جماهير
الناس ومن قال ان هذا مجاز فقد غلط فان هذا المجموع لم يستعمل
في غير موضعه وما يقترن باللفظ من القراين اللفظية الموضوعة
هي من تمام الكلام ولهذا لا يحتمل الكلام معها معنيين ولا يجوز نفي
مفهومها بخلاف استعمال لفظ الاسد في الرجل الشجاع مع ان
قول القائل هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز نزاع لفظي وهو
مستند من انكر المجاز في اللغة وفي القران ولم ينطق بهذا احد من
السلف والائمة ولم يعرف لفظ المجاز في كلام احد من الائمة الا في كلام
الامام احمد فانه فيما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية هذا من مجاز
القران واول من قال ذلك مطلقا ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه الذي
صنفه في مجاز القران ثم ان هذا كان معناه عند الاولين مما يجوز
في اللغة ويسوغ فهو مشتق عندهم من الجواز كما يقول الفقهاء عقد
لازم وكثير من المتاخرين جعله من الجواز الذي هو العبور من
معنى المجاز ثم انه لا ريب ان المجاز قد يشيع ويشتهر حتى يصير المقصود
ان القائل اذا قال رايت الشمس او القمر او الهلال او غير ذلك في الماء
والمراة فان العقلاء متفقون على الفرق بين هذه الرؤية وبين رؤية
ذلك بلا واسطة واذا قال قائل ما رايت ذلك بل رايت مثاله او خياله
او الشعاع المنعكس او نحو ذلك لم يكن هذا مانعا لما يعلمه الناس

ويقولون عنه انه رآه في الماء والمرآة وهذه الروية في الماء والمرآة حقيقة
مقيدة وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني حقا
فان الشيطان لا يتمثل في صورتي هو كما قال صلى الله عليه وسلم رآه حقا فمن
قال ما رآه في المنام حقا فقد اخطأ ومن قال ان رؤيته في اليقظة بلا
واسطة كالروية المقيدة في النوم فقد اخطأ ولهذا يكون لهذه تاويل
وتعبير دون تلك وكذلك ما سمعه منه من الكلام في المنام هو سماع منه
في المنام وليس هذا كالسماع منه في اليقظة وقد يرى الرائي في المنام
اشخاصا ويخاطبونه والمرئيون لا شعور لهم بذلك وانما رأى امثالهم
ولكن يقال رآهم في المنام حقيقة فيحترز بذلك عن الرؤيا التي هي
حديث النفس فان الرؤيا ثلاثة اقسام رؤيا من الله ورؤيا تحزين
من الشيطان ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في المنام
وقد ثبت هذا التقسيم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
الرؤيا يظهر لكل احد الفرق بينهما وبين اليقظة ما لا يظهر في غيرها فكما
ان الرؤية تكون مطلقة وتكون بواسطة المرآة والماء او غير
ذلك ففيه ان المرئي يختلف باختلاف المرآة فاذا كانت كبيرة
مستديرة رأى ذلك فكذلك في السماع يفرق بين من سمع كلام غيره
منه ومن سمعه بواسطة المبلغ ففي الموضعين المقصود سماع كلامه
كما ان هناك في الموضعين يقصد رؤيته لكن اذا كان بواسطة
اختلف باختلاف الواسطة فيختلف باختلاف اصوات المبلغين
كما يختلف المرئي باختلاف المرايا قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
فجعل التكليم ثلاثة انواع الوحي المجرد والتكليم من وراء الحجاب
كما كلم موسى عليه السلام والتكليم بواسطة ارسال الرسول كما كلم الرسل
بارسال الملائكة وكما نبأ الله من اخبار المنافقين بارسال محمد صلى الله عليه وسلم
والمسلمون متفقون على ان الله امرهم بما امرهم به من القرآن ونهاهم عنه بما نهاهم
في القرآن

في القرآن واخبرهم به من القرآن فامره ونهيه واخباره بواسطة الرسول
فهذا المعنى اوجب الشبهة والنبي صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه ويخبر عن
ربه فهذا يذكر ما يذكره عن ربه من كلامه الذي قاله راويا حاكيا عنه فلو قال
من قال ان القرآن حكاية ان محمدا حكى به عن الله كما يقال بلغه عن الله
واداه عن الله لكان قد قصد معنى صحيحا لكن يقصدون ما يقصد
القائل بقوله فلانا يحكي فلانا اي يفعل مثل فعله وهو انما يتكلم بمثل
كلام الله فهذا باطل قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
ونكتة الامر ان العبرة بالحقيقة المقصودة لا بالوسائل المطلوبة
لغيرها فلما كان مقصود الرائي ان يرى الوجه مثلا فرآه في المرآة
وكذلك من كان مقصوده ان يسمع القول الذي قاله غيره الذي الف
الفاظه وقصد معانيه فاذا سمعه منه او من غيره حصل هذا
المقصود وان كان سماعه من غيره هو بواسطة صوت ذلك الغير
باختلاف الصوتين والقلوب وانما اشير الى المقصود لا الى الظاهر به
المقصود كما في الاسم والمسمى فان القائل اذا قال جاء زيد وذهب عمرو
لم يكن مقصوده الاخبار بالمجيء والاتيان عن لفظ زيد ولفظ عمرو
كان مبطلا فكذلك كما اذا قال القائل هذا كلام الله وكلام الله غير
مخلوق فالمقصود بواسطة حركة التالي وصوته فمن ظن ان المشار
اليه هو صوت القاري وحركته كان مبطلا ولهذا لما قرأ ابو طالب المكي
على الامام احمد رحمه الله قل هو الله احد وسأله هل هذا كلام الله وهل هو
مخلوق فاجابه كلام الله وهو غير مخلوق ونقل عنه ابو طالب خطاء منه
انه قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فاستدعاه وغضب عليه وقال
انا قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق قال لا ولكن قرأت عليك قل هو الله
احد وقلت لك هذا غير مخلوق فقلت نعم قال فلم تحكي عني ما لم اقل
لا تقل هذا فان هذا لم يقله عالم وقصته مشهورة حكاها عبد الله
وصالح وحنبل والمروذي وفوران وبسطها الخلال في كتاب السنة

وصنف المروزي في مسئلة اللفظ مصنفا ذكر فيه قول الائمة وهذا
الذي ذكره احمد من احسن الكلام وادقه فان الاشارة اذا اطلقت انصرفت
الى المقصود وهو كلام الله الذي تكلم به لا ما وصل به الينا من افعال
العباد واصواتهم فاذا قيل لفظي جعل نفس الوسائط غير مخلوقة
وهذا باطل كما ان من راى في مراة فقال اكرم الله هذا الوجه واحياه
او قبحه كان دعاؤه على الوجه الموجود في الحقيقة الذي راه بواسطة
المراة لا على الشعاع المنعكس فيها وكذلك اذا راى القمر في الماء فقال
قد ابدر فانما مقصوده القمر الذي في السما لا خياله وكذلك من
سمعه يذكر رجلا فقال هذا رجل صالح او رجل فاسق علم ان المشار
اليه هو شخص الرجل المسمى بالاسم لا نفس الصوت المسموع من الناطق
فلو قال هذا الصوت او صوت فلان صالح او فاسق فسد المعنى
وكان بعضهم يقول لفظي بالقران مخلوق فان الخلق انما يقع على القران
يقول كما ان المقصود بالضرب يده واللباس واسطة فهكذا هو
المقصود بالتلاوة كلام الله وصوتك واسطة فاذا قلت مخلوق وقع
ذلك على المقصود كما اذا سمعت قائلا يذكر رجلا فقلت انا احب
هذا او انا ابغض هذا انصرف الكلام الى مسمى المقصود بالاسم لا
الى الصوت الذاكر ولهذا قال الائمة القران كلام الله غير مخلوق كيف ما
تصرف بخلاف افعال العباد واصواتهم فانه لو نفى عنها الخلق
كان مبتدعا ضالا واما قول القائل تقولون ان القران صفته
وان صفات الله غير مخلوقة فان قلتم ان هذا نفس كلام الله فقد
قلتم بالحلول وانتم تكفرون الحلولية والاتحادية فان قلتم غير ذلك
قلتم بمقالتنا فمن تبين له ما نبهنا عليه سهل عليه الجواب عن
هذا وامثاله فان منشا الشبهة ان قول القائل هذا كلام الله يجعل
احكامه واحدة سواء كان كلامه مسموعا منه او كلامه مبلغا عنه
ومن هنا ضلت طوائف من الناس فطائفة قالت هذا كلام الله
وهذا حروف واصوات مخلوقة وكلام الله مخلوق وطائفة قالت
هذا مخلوق

[illegible]

بلغ

هذا مخلوق وكلام الله ليس بمخلوق وهذا ليس كلام الله وطائفة قالت هذا
كلام الله وكلام الله ليس بمخلوق هذا الفاظنا وتلاوتنا فالفاظنا وتلاوتنا
غير مخلوقة ومنشا ضلال الجميع من عدم الفرق في المشار اليه في هذا
وهذا الكلام انت تقول لمن سمعه من قائله فتقول هذا الكلام حق وصدق
وصواب وكلام حكيم وكذلك اذا سمعته من ناقله تقول هذا الكلام صدق
وحق وصواب وهو كلام حكيم فالمشار اليه في الموضعين واحد وتقول
ايضا ان هذا صوت حسن وهذا كلام من وسط القلب فالمشار اليه
هنا ليس هو المشار اليه هناك بل المشار الى ما يختص به هذا
من صوته وقلبه واذا كتب الكلام في صفحتين كالمصحفين تقول في كل
منهما هذا قران كريم وهذا كتاب مجيد وهذا كلام الله فالمشار اليه واحد
ثم تقول هذا خط حسن وهذا قلم النسخ او الثلث وهذا خط احمر
او اصفر والمشار اليه هنا ما يختص به كل من المصحفين عن الاخر فاذا
ميز الانسان من المشار اليه بهذا وهذا تبين المتفق والمفترق وعلم
ان هذا القران كلام الله غير مخلوق وان المشار اليه الكلام من حيث هو
مع قطع النظر عما به وصل الينا من حركات العباد واصواتهم ومن قال هذا
مخلوق واشار به المجرد صوت العبد وحركته لم يكن له في هذا حجة
على ان القران نفسه حروفه ومعانيه الذي تعلمه هذا القارى من غيره وبلغه
بحركته وصوته مخلوق فقد اخطا وضل ويقال لهذا هذا الكلام الذي
اشير اليه كان موجودا قبل ان يخلق هذا القاري فهب ان القاري لم
يخلق ولا وجدت لا افعاله ولا اصواته فمن اين يلزم ان الكلام نفسه
الذي كان موجودا قبله يعدم بعدمه ويحدث بحدوثه فاشارته
بالخلق ان كان الى ما يختص به هذا القاري من افعاله واصواته فالقران
غني عن هذا القاري وموجود قبله فلا يلزم من عدم هذا عدمه وان
كانت الى الكلام الذي يعلمه الناس بعضهم من بعض فهذا هو الكلام

المنزل من الله الذي جاء به جبريل الى محمد وبلغه محمد لامته وهو كلام الله الذي تكلم
به وذلك يمتنع ان يكون مخلوقا لكان كلاما لمحله الذي خلق فيه ولم يكن كلاما
لله ولانه لو كان سبحانه اذا خلق كلاما كان كلامه كان ما انطقه
كل ناطق كلامه وكان ما نطق به الناطقين كل كلامه مثل تسبيح الجبال وشهادة
الجلود بل كان كل كلام في الوجود وهذا قول الحلولية الذين يقولون وكل كلام
في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه ومن قال القران مخلوق فهو بين
امرين اما ان يجعل كل كلام في الوجود كلامه وبين ان يجعله غير متكلم بشيء
اصلا فيجعل العباد المتكلمين اكمل منه وشبهه بالاصنام والجمادات كالعجل
الذي لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا فيكون قد فر عن اثبات صفات وشبهه
بالجامد والموات وكذلك قول القائل هذا نفس كلام الله او عين كلام الله
وهذا الذي في المصحف هو عين كلام الله ونفس كلام الله وامثال هذه
العبارات هذه مفهومها عند الاطلاق في فطر المسلمين انه كلامه لا كلام (قوله)
غيره وانه لا زيادة فيه ولا نقصان فان من ينقل كلام غيره ويكتبه
في كتاب قد يزيد فيه وينقص كما جرت عادة الناس في كثير من مكاتبات
الملوك وغيرها فاذا جاء كتاب السلطان فقيل هذا الذي فيه كلام السلطان هو (السلطان)
بعينه بلا زيادة ولا نقص يعني لم يزد فيه الكاتب ولا نقص وكذلك
من نقل كلام بعض الائمة في مسئلة من تصنيفه قيل هذا الكلام كلام
فلان بعينه يعني لم يزد فيه ولم ينقص كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
نضر الله امرأ سمع حديثا فبلغه كما سمعه فقوله فبلغه كما سمعه لم يرد
انه يبلغه بحركاته واصواته التي سمعها وبكن عجمها ولكن اراد انه يأتي
بالحديث على وجهه لا يزيد فيه ولا ينقص فيكون قد بلغه كما سمعه
فالمستمع له من المبلغ يسمعه كما قاله صلى الله عليه وسلم ويكون قد سمع
كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قاله وذلك معنى قولهم وهذا كلامه
بعينه وهذا نفس كلامه لا يريدون ان هذا هو اصواته وحركاته وهذا
لا يقوله عاقل ولا يخطر ببال عاقل ابتدا ولكن اتباع الظن وما تهوى

الانفس

الانفس يلجي صاحبه الى القرمطة في السمعيات والسفسطة في العقليات
ولو ترك الناس على فطرتهم لكانت صحيحة سليمة فان من تكلم بكلام سمع
منه او نقل عنه او كتبه في كتاب لا يقول العاقل ان ما قام بالمتكلم
من المعاني التي في قلبه والالفاظ القائمة بلسانه فارقته وانتقلت الى المستمع
والمبلغ عنه ولا فارقته وحلت في الورق بل ولا يقول ان نفس ما قام
من المعاني والالفاظ هو نفس المداد الذي في الورق بل ولا يقول ان نفس
الفاظه التي هي اصواته هي اصوات المبلغ عنه فهذه الامور كلها ظاهرة
لا يقولها عاقل في كلام المخلوق اذا سمع وبلغ وكتب في كتاب فكيف يقال
ذلك في كلام الله الذي سمع منه وبلغ عنه او كتبه سبحانه كما كتب التوراة
لموسى وكما كتب القران في اللوح المحفوظ يكون كما كتب في مصاحفهم واذا كان
من سمع كلام مخلوق فبلغه عنه بلفظه ومعناه بل شعر مخلوق كما يبلغ
شعر حسان وابن رواحة ولبيد وامثالهم من الشعراء ويقول الناس
هذا شعر حسان بعينه وهذا هو نفس شعر حسان وهذا شعر لبيد بعينه
كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل ومع هذا فيعلم كل عاقل ان
رواة الشعر ومنشديه لم يسلبوا الشعراء نفس صفاتهم حتى حلت
بهم ولا عين ما قام باولئك من صفاتهم وافعالهم كاصواتهم وحركاتهم
حلت بالرواة والمنشدين فكيف يتوهم متوهم ان صفات البارى
كلامه وغير كلامه فارق ذاته وحل في مخلوقاته وان ما قام بالمخلوق
من صفاته وافعاله كحركاته واصواته هي صفات البارى حلت فيه
وهم لا يقولون مثل ذلك في المخلوق بل يمثلون العلم بنور السراج يقتبس منه
المتعلم ولا ينقص ما عند العالم كما يقتبس المقتبس ضوء السراج فيحدث الله
له ضوءا كما يقال ان الهوى ينقلب نارا بمجاورة الفتيلة للمصباح
من غير ان تتغير تلك النار التي في المصباح والمقرئ يقرئ القران

ويعلم العلم ولم ينقص مما عنده شيء بل يصير عند المتعلم مثلما عنده ولهذا
يقال فلان ينقل علم فلان وينقل كلامه ويقال العلم الذي كان عند فلان صار
الى فلان وامثال ذلك كما يقال نقلت ما في الكتاب او نقلت الكتاب ونسخته
وهم لا يريدون ان نفس الحروف التي في الكتاب الاول عدمت منه وحلت في
الثاني بل لما كان المقصود من نسخ الكتاب ونقلها من جنس نقل العلم
والكلام وذلك يحصل بان يجعل في الثاني مثل ما في الاول فيبقى المقصود
بالاول منقولا منسوخا وان كان لم يتغير الاول بخلاف نقل الاجسام وتوابعها
فان ذلك اذا انتقل من موضع الى موضع زال عن الاول وذلك لان الاشياء
لها وجود في انفسها هو وجودها العيني ولها ثبوتها في العلم ثم في اللفظ
المطابق للعلم ثم في الخط وهذا الذي يقال وجود في الاعيان ووجود
في الاذهان ووجود في اللسان ووجود في البيان ووجود عيني ووجود
علمي ولفظي ورسمي ولهذا افتتح الله كتابه بقوله تعالى اقرأ باسم ربك
الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم فذكر الخلق عموما وخصوصا وذكر التعليم عموما
وخصوصا فالخط يطابق اللفظ واللفظ يطابق العلم والعلم يطابق
المعلوم ومن هنا غلط من غلط فظن ان القرآن في المصحف كالاعيان
في الورق فظن ان قوله انه لقول رسول كريم في كتاب مكنون كقوله الذي
يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فجعل اثبات القرآن الذي
هو كلام الله في المصاحف كاثبات الرسول في المصاحف وهذا غلط
وكاثبات اسم الرسول هذا كلام وهذا كلام واما اثبات الرسول فهذا
كاثبات الاعمال او كاثبات القرآن في زبر الاولين قال تعالى وكل شيء فعلوه
في الزبر وقال تعالى وانه لفي زبر الاولين فثبوت الاعمال في الزبر وثبوت
القرآن في زبر الاولين هو مثل كون الرسول مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل ولهذا مثل سبحانه بلفظ الزبر والكتب زبر يقال زبرت
الكتاب اذا كتبته والزبور بمعنى المزبور اي المكتوب فالقرآن
نفسه ليس عند بني اسرائيل ولكن ذكره كما ان محمدا ليس عندهم
ولكن

ولكن ذكره فثبوت الرسول في كتبهم كثبوت القرآن في كتبهم بخلاف ثبوت
القرآن في اللوح المحفوظ وفي المصاحف فانه نفس القرآن اثبت فيها فمن
جعل هذا مثل هذا كان ضلاله بينا وهذا مبسوط في موضعه والمقصود
هنا ان نفس الموجودات وصفاتها اذا انتقلت من محل الى محل حلت في ذلك
المحل الثاني واما العلم بها والخبر عنها فياخذه الثاني عن الاول مع بقائه في
الاول وان كان الذي عند الثاني هو نظير ذلك ومثله لكن لما كان المقصود
بالعلمين واحدا في نفسه صار وحدة المقصود توجب وحدة التابع له
والدليل عليه ولم يكن للناس غرض في تعدد التابع كما في الاسم مع المسمى
فان اسم الشخص وان ذكره اناس متعددون ودعا به اناس متعددون
فالناس يقولون انه اسم واحد لمسمى فاذا قال اشهد ان لا اله الا الله اشهد
ان محمدا رسول الله وقال ذلك هذا المؤذن وهذا المؤذن وقاله غير المؤذن فالناس
يقولون ان هذا المكتوب هو اسم الله واسم رسوله كما ان المسمى هو الله
ورسوله واذا قال اقرأ باسم ربك وقال اركبوا فيها بسم الله وقال سبح
اسم ربك الاعلى وقال بسم الله ففي الجميع المذكور هو اسم الله وان تعدد
الذكر والذاكر فالخبر الواحد عن المخبر الواحد من مخبر والامر الواحد
بالمامور به من الامر الواحد بمنزلة الاسم الواحد لمسماه هذا في المؤلف
نظير هذا في المفرد وهذا هو باعتبار الحقيقة وباعتبار اتحاد
المقصود وان تعدد من يذكر ذلك الاسم والخبر وتعددت
حركاتهم واصواتهم وسائر صفاتهم واما قول القائل ان قلتم هذا
نفس كلام الله فقد قلتم بالحلول وانتم تكفرون الحلولية والاتحادية
فهذا قياس فاسد مثاله رجل ادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم يحل بذاته
في بدن غيره الذي يقرأ حديثه فانكر الناس ذلك عليه وقالوا النبي
صلى الله عليه وسلم لا يحل في بدن غيره فقال انتم تقولون ان المحدث
يقرأ كلامه وانما يقرأ هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم فاذا قلتم ذلك
فقد قلتم بالحلول ومعلوم ان هذا في غاية الفساد والتناقض

والناس متفقون على اطلاق القول بان كلام زيد في هذا الكلام وهذا الذي
سمعناه كلام زيد ولا يستجيز العاقل اطلاق اللفظ بانه هو نفسه في هذه
المتكلم او في هذا الورق وقد نطقت النصوص بان القران في الصدور
كقول النبي صلى الله عليه وسلم استذكروا القران فلهو اشد تفلتا من
صدور الرجال من النعم في عقلها وقوله الجوف الذي ليس فيه شيء من
القران كالبيت الخرب وامثال ذلك وليس هذا عند عاقل مثل ان يقال
الله في صدورنا واجوافنا ولهذا لما ابتدع شخص يقال له الصوري
بان من قال القران في صدورنا فقد قال بقول النصارى فقيل لاحمد
قد جاءت جهمية رابعة الى جهمية الخلقية واللفظية والواقفة
وهذه الواقعة اشد نكيره لذلك وقال هذا اعظم من الجهمية وهو كما
قال فان الجهمية ليس غرضهم من تنكر ان يقال القران في الصدور ولا
يشبه بقول النصارى بالحلول الا من هو في غاية الضلالة والجهالة فان
النصارى يقولون الاب والابن وروح القدس اله واحد وان الكلمة
التي هي اللاهوت تدرعت الناسوت وهو عندهم اله يخلق ويرزق
ولهذا كانوا يقولون ان الله هو المسيح بن مريم ويقولون المسيح ابن الله
ولهذا كانوا متناقضين فان الذي تدرع المسيح كان هو الاله الجامع
للاقانيم فهو الاب نفسه وان كان هو صفة من صفاته فالصفة
لا تخلق ولا ترزق وليست الها والمسيح عندهم اله ولو قال النصارى
ان كلام الله في صدر المسيح كما هو في صدور الانبياء والمؤمنين
لم يكن في قولهم ما ينكر فالحلولية المشهورون بهذا الاسم من يقول بحلول
الله في البشر كما قالت النصارى والغالية من الرافضة وغلاة اتباع
المشائخ يقولون بحلوله في كل شيء كما قالت الجهمية انه بذاته في كل
مكان وهو سبحانه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من ذاته
مخلوقاته وكذلك من قال باتحاده بالمسيح وغيره او قال باتحاده
بالمخلوقات كلها او قال وجود المخلوقات او نحو ذلك واما قول
القائل ان كلام الله في قلوب انبيائه وعباده المؤمنين وان
الرسل

وان الرسل بلغته كلام الله والذي بلغته هو كلام الله وان الكلام في الصحيفة
ونحو ذلك فهذا لا يسمى حلولا ومن سماه حلولا لم يكن بتسميته لذلك مبطلا
للحقيقة وقد تقدم ان ذلك لا يقتضي مفارقة صفة المخلوق له وانتقالها
لغيره فكيف صفة الخالق تبارك وتعالى ولكن لما كان فيه شبهة ٣٨٦
الحلول تنازع الناس في اثبات لفظ الحلول ونفيه عنه هل يقال ان كلام الله
حال في المصحف او حال في الصدور وهل يقال كلام الناس المكتوب حال
في المصحف او حال في قلوب حافظيه فمنهم طائفة نفت الحلول كالقاضي
ابي يعلى وامثاله وقالوا ظهر كلام الله في هذا ولا نقول حل
لان حلول صفة الخالق في المخلوق او حلول القديم في المحدث ممتنع
وطائفة اطلقت القول بان كلام الله حال في المصحف كابي اسمعيل
الانصاري الهروي الملقب بشيخ الاسلام وقالوا ليس هذا هو الحلول
المحذور الذي نفيناه بل نطلق القول بان الكلام في الصحيفة ولا
يقال بان الله في الصحيفة او في صدور الانسان كذلك نطلق
القول بان كلامه حال في ذلك دون ذاته وطائفة قالت كابي
علي بن ابي موسى قالوا لا نطلق الحلول نفيا ولا اثباتا لان في اثبات
ذلك يوهم انتقال صفة الرب الى المخلوقات وفي نفي ذلك يوهم
نفي نزول القران الى الخلق فلا نطلق ما اطلقه محذور لما في ذلك فاطلاق ما اطلقه صح بيان
من الاجمال واما قول القائل ان قلتم بالحلول قلتم بمقالة
فجواب ذلك ان المقالة المنكرة هنا تتضمن ثلاثة امور فاذا
زالت لم يبق منكرا احدها من يقول ان القران العربي لم يتكلم الله
به وانما احدثه غير الله كجبريل او محمد او ان الله خلقه في غيره
الثاني قول من يقول ان كلام الله ليس الا معنى واحدا هو الامر
والنهي والخبر وان كتب الالهية تختلف باختلاف العبارات
لا لاختلاف المعاني فيجعل معنى التوراة والانجيل والقران واحدا
وكذلك معنى اية الدين واية الكرسي كمن يقول ان معاني
اسماء الله الحسنى معنى واحد فمعنى العليم والقدير والرحيم

والحليم معنى واحد فهذا الالحاد في اسمائه وصفاته واياته كما ان الثالث
قول من يقول انما بلغه الرسل عن الله من المعنى والالفاظ ليس هي
كلام الله بل كلام التالين لا كلام رب العالمين فهذه الاقوال الثلاثة ٣٨٧
باطلة باي عبارة عبر عنها واما قول من قال ان القران العربي
كلام الله نقله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تارة يسمع
من الله وتارة من رسله وهو كلام الله حيث تصرف وكلام الله
تكلم به لم يخلقه في غيره ولا يكون كلام الله مخلوقا ولو قراه الناس
وكتبوه وسمعوه ومن قال مع ذلك ان افعال العباد واصواتهم
وسائر صفاتهم مخلوقة فهذا لا ينكر عليه واذا نفى الحلول واراد به
ان صفة الموصوف لا تفارقه وتنتقل الى غيره فقد اصاب
في هذا المعنى لكن عليه مع ذلك ان يؤمن ان القران العربي
كلام الله وليس هو ولا شيء منه كلاما لغيره ولكن بلغته
عنه رسله واذا كان كلام المخلوق يبلغ عنه مع العلم بانه
كلامه حروفه ومعانيه ومع العلم بان شيئا من صفاته
لم تفارق ذاته فالعلم بمثل هذا من كلام الله اولى واظهر
والله اعلم بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة

لا تكتب لانها من زيادة الناسخ

الفرق بين التوبة والاستغفار مع الاقتران اما مع الانفراد فاحدهما يتضمن الاخر
الاستغفار طلب وقاية شر ما مضى والتوبة الرجوع وطلب وقاية ما
يخافه في المستقبل من سيئات اعماله فههنا ذنبان ذنب قد مضى فالاستغفار
طلب وقاية شره وذنب يخاف وقوعه فالتوبة العزم على ان لا يفعله
والرجوع الى الله يتناول النوعين رجوع اليه ليقيه شر ما مضى ورجوع
اليه ليقيه شر ما يستقبل من نفسه وسيئات اعماله

يكتب على الحاشية فقط

بسم الله الرحمن الرحيم مسألة مفيدة وردت على شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

ما يقول السادة العلماء ائمة الدين وعلماء المسلمين رضي الله عنهم اجمعين
فيمن يزور القبور ويستنجد بالمقبور في مرض له او في فرسه او بعيره
يطلب ازالة الالم الذي بهم ويقول يا سيدي انا في حسبك فلان (في الهامش: جيرتك)
ظلمني فلان قصد اذيتي ويقول ان المقبورين يكونون واسطة
بينه وبين الله وفيمن ينذر للمساجد والزوايا والمشايخ حيهم
وميتهم بالدراهم والابل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك يقول
ان سلم ولدي فللشيخ علي كذا وكذا وامثال ذلك وفيمن يستغيث
بشيخه اذا اصابته نائبة او عثر او سمع حسا خلفه ازعجه
استغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه وفيمن يجيء الى شيخه ويستلم
القبر ويمرغ وجهه عليه ويمسح القبر بيديه ويمسح بهما وجهه واشباه
ذلك وفيمن يقصد حاجته فيقول يا شيخ فلان ببركتك او يقول
قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ وفيمن يعمل السماع فيجيء
الى القبر فيكشف ويحط بين يدي شيخه ساجدا على الارض بوجهه
وفيمن قال ان ثم قطبا غوثا فردا جامعا في الوجود افتونا
ما جورين وابسطوا القول في ذلك

الجواب

الحمد لله رب العالمين الدين الذي بعث الله تعالى به رسوله وانزل به
كتبه هو عبادة الله وحده واستعانته والتوكل عليه ودعاؤه
بجلب المنافع ودفع المضار كما قال تعالى تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا
له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم

فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار وقال تعالى وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال تعالى قل امر ربي بالقسط واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقال تعالى قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الى محذورا
قالت طائفة من السلف كان اقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة
قال الله تعالى هولاء الذين تدعونهم عبادي كما انتم عبادي ويرجون رحمتي
كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ويتقربون الي
كما تتقربون الي فاذا كان هذا حال من يدعو الانبياء والملائكة فكيف
بمن دونهم وقال تعالى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني
اولياء الاية وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فبين سبحانه ان من يُدعى من دون
الله من جميع المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم انهم لا يملكون مثقال
ذرة في ملكه وانه ليس له شريك في ملكه بل هو سبحانه له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير وانه ليس له عون يعاونه كما يكون للملك
اعوان وظهراء وان الشفعاء عنده لا يشفعون الا لمن ارتضى فنفى
بذلك وجوه الشرك وذلك ان من يُدعى من دونه اما ان يكون مالكا
واما ان لا يكون مالكا واذا لم يكن مالكا فاما ان يكون شريكا واما ان لا
يكون شريكا واذا لم يكن شريكا فاما ان يكون معاونا واما ان يكون
سائلا طالبا والله سبحانه وتعالى اعلم فالاقسام الثلاثة الاول منتفية
واما الرابع فلا يكون الا من بعد اذنه كما قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه وكما قال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وكما قال تعالى ام اتخذوا
من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض وكما قال تعالى هو

الذي خلق

خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وقال تعالى وانذر به الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون
وقال تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون فبين سبحانه ان
من اتخذ الملائكة والنبيين اربابا كان كافرا فكيف من اتخذ من دونهم
من المشايخ وغيرهم اربابا وتفصيل القول ان مطلوب العبد ان كان
من الامور التي لا يقدر عليها الا الله تعالى مثل ان يطلب شفاء مرضه
من الادميين والبهائم ووفاء دينه من غير جهة معينة او عافية اهله
وما به من بلاء الدنيا والاخرة وانتصاره على عدوه وهداية قلبه
وغفران ذنبه او دخول الجنة او نجاته من النار او ان يتعلم القران
والعلم وان يصلح قلبه ويحسن خلقه ويزكي نفسه وامثال ذلك
فهذه الامور لا يجوز ان تطلب الا من الله تعالى ولا يجوز ان
يقول لملك ولا نبي ولا شيخ سواء كان حيا او ميتا اغفر ذنبي ولا
انصرني على عدوي ولا اشف مريضي ولا عافني او عاف اهلي
ودوابي وما اشبه ذلك ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان
فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة
والانبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم ومن جنس دعاء
النصارى المسيح وامه قال الله واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقال تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون

وأما ما يقدر عليه العبد فيجوز ان يطلب منه في بعض الاحوال دون بعض
فان مسئلة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهيا عنها وقال تعالى
فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب واوصى النبي صلى الله عليه وسلم
طائفة من اصحابه لا يسئلون الناس شيئا فكان احدهم يسقط سوطه
من يده فلا يقول لاحد ناولني اياه وثبت في الصحيحين انه قال صلى الله
عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب وهم الذين
لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والاسترقا
طلب الرقية وهو من نوع الدعا ومع هذا فقد ثبت عنه في الصحيحين
انه قال ما من رجل يدعو لاخيه بظهر الغيب دعوة الا وكل الله بها ملكا
كلما دعى لاخيه بدعوة قال الملك الموكل ولك بمثل ذلك
ومن اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب ولهذا امرنا النبي
صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له واخبرنا بما لنا
بذلك من الاجر اذا دعونا بذلك فقال في الحديث اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول ثم صلوا علي فان من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم اسئلوا الله
لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عبيد الله
وارجو ان اكون انا ذلك العبد فمن سئل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي
يوم القيمة ويشرع للمسلم ان يطلب الدعا ممن فوقه وممن هو دونه
فقد روي طلب الدعا من الاعلى للادنى لان النبي صلى الله عليه وسلم ودع عمر
رضي الله عنه الى العمرة فقال لا تنسانا من دعائك يا اخي لكن النبي صلى الله
عليه وسلم لما امرنا بالصلاة عليه وطلب الوسيلة حلت لنا شفاعته يوم
القيمة وكان طلبه منا لمنفعتنا في ذلك وفرق بين من يطلب لغيره
شيئا لمنفعة المطلوب منه ومن سئل غيره لحاجته اليه فقط وثبت
عنه في الصحيح انه ذكر اويس القرني وقال لعمر ان استطعت ان يستغفر لك
فافعل وفي الصحيحين انه كان بين ابي بكر وعمر شيء فقال ابو بكر
استغفر لي لكن في الحديث ان ابا بكر حنق على عمر وثبت ان اقواما

كانوا يسترقون

كانوا يسترقون وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرقيهم وثبت في الصحيحين
ان الناس لما اجدبوا سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يستسقي لهم فدعا الله
سبحانه حتى سقوا وفي الصحيح ايضا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان يقول اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا
وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وفي السنن ان اعرابيا
قال للنبي صلى الله عليه وسلم جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال
فادع الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه فقال
ويحك ان الله لا يستشفع به على احد من خلقه شان الله اعظم من
ذلك فاقره على قوله انا نستشفع بك على الله وانكر عليه قوله نستشفع
بالله عليك لان الشافع يسئل المشفوع اليه والعبد يسئل ربه
ويستشفع اليه والرب تعالى لا يسئل العبد ولا يستشفع عليه والله سبحانه اعلم
وأما زيارة القبور المشروعة فهي ان يسلم على الميت ويدعو له
بمنزلة الصلاة على جنازته كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم
اصحابه اذا زاروا القبور ان يقول قائلهم سلام عليكم دار قوم مؤمنين
وانا ان شا الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم
والمستاخرين نسئل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا اجرهم
ولا تفتنا بعدهم وروي انه ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في
الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام والله تعالى
يثيب الحي اذا دعا للميت المؤمن كما يثيبه اذا صلى على جنازته
ولهذا نهى نبيه ان يفعل ذلك بالمنافقين لقوله تعالى ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره فليس في الزيارة الشرعية
حاجة الحي الى الميت ولا مسئلته له ولا توسله به بل فيها منفعة
الحي للميت كالصلاة عليه والله يرحم هذا ويثيبه على عمله

ويرحم هذا بدعاء هذا واحسانه اليه فانه قد ثبت في الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث
صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له

فصل

واما من يأتي الى قبر نبي او رجل صالح او من يعتقد فيه انه قبر نبي او رجل صالح
وليس كذلك ويسأله ويستنجد به فهذا على ثلاث درجات احدها ان
يسأله حاجته مثل ان يسأله ان يزيل مرضه او مرض دوابه او يقضي دينه
او ينتقم له من عدوه او يعافي نفسه واهله ودوابه ونحو ذلك مما لا يقدر عليه
الا الله تعالى فهذا شرك صريح يجب ان يستتاب منه صاحبه فان تاب
والا قتل وان قال انا اسأله لانه اقرب الى الله مني ليشفع لي في هذه الامور
لاني اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه فهذا
من افعال المشركين والنصارى فانهم يزعمون انهم يتخذون احبارهم
ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم وكذلك اخبر الله
عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد
قال سبحانه ام اتخذوا من دون الله شفعاء الى قوله يرجعون وقال
تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وقال تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فبين الفرق بينه وبين خلقه فان
من عادة الناس ان يستشفعوا الى الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه
فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته اما رغبة واما رهبة واما حياء
واما مودة واما غير ذلك فالله سبحانه لا يشفع عنده احد حتى يأذن
هو للشافع فلا يفعل الا ما يشاء وشفاعة الشافع من اذنه والامر
كله له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقول احدكم اللهم اغفر لي
ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله
لا مكره له فبين ان الرب لا يفعل الا ما يشاء ولا يكرهه احد

على ما يختاره

على ما يختاره كما قد يكره الشافع المشفوع اليه وكما يكره السائل المسؤول
اذا الح عليه بالمسألة واذاه فالرغبة يجب ان تكون اليه كما قال تعالى
فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب والرهبة تكون منه قال واياي
فارهبون وقال فلا تخشوا الناس واخشوني وقد امرنا ان نصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء وجعل ذلك من اسباب اجابة
دعائنا وقول كثير من الضلال هذا اقرب الى الله مني وانا بعيد من الله
لا يمكن ان ادعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك هو من اقوال المشركين فان الله
تعالى يقول واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا
دعاني وقد روي ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله ربنا قريب
فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله الاية وفي الصحيح انهم كانوا في
سفر وكانوا يرفعون اصواتهم بالتكبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون
سميعا قريبا ان الذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته وقد
امر الله العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وامر كلا منهم ان يقول اياك
نعبد واياك نستعين وقد اخبر عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى ثم يقال لهذا المشرك انت اذا دعوت هذا
فان كنت تظن انه اعلم بحالك او اقدر على سؤالك او ارحم بك من ربك
فهذا جهل وضلال وكفر وان كنت تعلم ان الله اعلم واقدر وارحم فلماذا
عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره الا تسمع ما اخرجه البخاري وغيره عن جابر
رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة
من القرآن يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم
ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك
من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام
الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي

وعاقبة امري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا
الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري فاصرفه عني واصرفني عنه
واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به وان كنت تعلم انه اقرب الى الله منك
واعلا منزلة عند الله منك فهذه كلمة حق اريد بها باطل فانه اذا
كان اقرب منك واعلا درجة منك فان معناه ان يثيبه ويعطيه
ليس معناه انك اذا دعوته كان الله يقضي حاجتك اعظم مما يقضيها
اذا دعوته انت فانك ان كنت مستحقا للعقاب ورد الدعا مثلا لما فيه
من العدوان فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله ولا يسعى فيما
يبغضه الله وان لم يكن كذلك فالله اولى بالرحمة والقبول منه وان قلت
هذا اذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيب اذا دعوته انا فهذا هو
القسم الثاني وهو ان لا يطلب الفعل ولا يدعوه ولكن يطلب ان يدعوا
له كما يقول للحي ادع لي وكان الصحابة يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم
الدعا فهذا مشروع في الحي كما تقدم واما الميت من الانبيا والصالحين
وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول ادع لنا ولا اسئل لنا ربك ولا نحو ذلك
ولم يفعل هذا احد من الصحابة والتابعين ولا امر به احد منهم ولا عمل به ولا اورد
في ذلك حديث بل الذي ثبت في الصحيح انهم لما اجدبوا في زمن عمر رضي الله عنه
استسقى عمر بالعباس رضي الله عنهما فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل
اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ولم
يجيئوا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم قائلين يا رسول الله ادع لنا واستسق
لنا ونحن نشكو اليك ما اصابنا ونحو هذا لم يفعل احد من الصحابة
قط بل هو بدعة ما انزل الله بها من سلطان بل كانوا اذا جاوا عند قبر
النبي صلى الله عليه وسلم يسلمون عليه ثم اذا ارادوا الدعا له لم يدعوا الله
مستقبلي القبر بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده
لا شريك له كما يدعونه في سائر البقاع وذلك انه في الموطا وغيره
عن النبي صلى الله عليه

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي السنن ايضا انه قال
لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وفي الصحيح انه قال
في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد يحذر ما صنعوا قالت عائشة رضي الله عنها ولولا ذلك لابرز قبره
لكن كره ان يتخذ مسجدا وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس ان من كان
قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني
انهاكم عن ذلك وفي سنن ابي داود عنه انه قال لعن الله زوارات القبور
والمتخذين عليها المساجد والسرج ولهذا قال علماؤنا لا يجوز
بناء المسجد على القبور وقالوا انه لا يجوز ان ينذر للقبر ولا للمجاورين عند
القبر شيئا من الاشيا لا من الدراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك
بل كله نذر معصية وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من نذر
ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه واختلف العلماء
هل على الناذر كفارة يمين على قولين ولهذا لم يقل احد من ائمة المسلمين ان
الصلوة عند القبور وفي مشاهد القبور مستحبة او فيها فضيلة ولا ان
الصلاة هناك والدعا افضل من الصلاة في غير تلك البقعة بل اتفقوا كلهم
على ان الصلاة في المساجد والبيوت افضل من الصلوة عند قبر لا
قبر نبي ولا صالح سواء سميت مشاهد او لم تسم وقد شرع الله ورسوله
في المساجد دون المشاهد اشيا فقال تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله
ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ولم يقل في المشاهد وقال تعالى
وانتم عاكفون في المساجد ولم يقل في المشاهد وقال تعالى قل امر ربي
بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وقال تعالى انما يعمر مساجد الله
من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكوة ولم يخش الا الله
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وقال تعالى وان المساجد لله فلا

تدعوا مع الله احدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في المسجد تفضل على
صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم من بنى
لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة واما القبور فقد ورد نهيه عن اتخاذها
مساجد ولعن من يفعل ذلك وقد ذكره غير واحد من الصحابة والتابعين
وما ذكره البخاري في صحيحه والطبري وغيره في تفاسيرهم وذكره وثيمة وغيره
وغيره في قصص الانبيا في قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قالوا هذه الاسماء قوم صالحين كانوا
في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامد فاتخذوا تماثيلهم
اصناما فكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها
وفيها ونحو ذلك هو اصل الشرك وعبادة الاوثان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ولهذا اتفق العلماء على ان من زار قبر
النبي صلى الله عليه وسلم او قبر غيره من الانبياء والصالحين من الصحابة واهل
البيت وغيرهم فانه لا يتمسح به ولا يقبله بل ليس في الدين ما شرع تقبيله
الا الحجر الاسود وقد ثبت في الصحيحين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله
يقبلك ما قبلتك ولهذا لا يسن باتفاق الائمة ان يقبل الرجل
ويستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر ولا جدران البيت
ولا مقام ابراهيم ولا صخرة بيت المقدس ولا قبر احد من الانبياء والصالحين
حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبره صلى الله عليه وسلم لما كان
موجودا فكرهه مالك رحمه الله وغيره لانه بدعة وذكر مالك انه لما
راى عطا فعل ذلك لم ياخذ عنه اهل العلم ورخص فيه احمد وغيره
لان ابن عمر فعله واما التمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيله
فكلهم كره ذلك ونهى عنه وذلك انهم علموا ما قصده النبي صلى الله عليه وسلم
من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد واخلاص الدين لله رب
العالمين

العالمين وهذا مما يظهر به الفرق بين سؤال النبي صلى الله عليه وسلم والرجل الصالح
في حياته وبين سؤاله بعد موته وفي مغيبه وذلك انه في حياته لا يعبد
في حضوره واذا كان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والصالحون
لا يتركون احدا يشرك بهم بحضورهم بل ينهونهم عن ذلك ويعاقبونهم
عليه ولهذا قال المسيح عليه السلام ما قلت لهم الا ما امرتني به ان
اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لمن قال له ما شاء الله وشئت اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله
وحده وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء
محمد ولما قالت الجويرية وفينا رسول الله يعلم ما في غد قال دعي هذا وقولي
ما كنت تقولين وقال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد
فقولوا عبد الله ورسوله ولما صلوا خلفه قياما قال لا تعظموني كما تعظم
الاعاجم بعضها بعضهم قال انس رضي الله عنه لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله
فكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ولما سجد له
معاذ نهاه وقال انه لا يصلح السجود الا لله تعالى ولو كنت آمرا احدا ان
يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولما
اتي علي بالزنادقة الذين غلوا فيه واعتقدوا فيه الالهية امر
بتحريقهم بالنار فهذا شان انبياء الله واوليائه وانما يقر
على الغلو فيه وتعظيمه بغير حق من يريد علوا في الارض وفسادا
كفرعون ونحوه ومشايخ الضلالة الذين غرضهم العلو في الارض والفساد
والفتنة بالانبياء والصالحين واتخاذهم اربابا والاشراك بهم مما يحصل
في مغيبهم ومماتهم كما اشرك بالمسيح وعزير فهذا مما يبين الفرق
بين السؤال للنبي والصالح في حياته بحضوره وبين سؤاله في مماته
ومغيبه ولهذا لم يكن احد من سلف الامة لا في عصر الصحابة
ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتحرون الصلاة والدعاء عند

قبور الانبياء والصالحين ولا يسألونهم ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم
ولا عند قبورهم وكذلك العكوف ومن اعظم الشرك ان يستغيث
الرجل برجل ميت او غائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب
يا سيدي فلان يطلب منه ازالة ضره او جلب نفعه وهذا حال النصارى
في المسيح وامه واحبارهم ورهبانهم ومعلوم ان خير الخلق واكرمهم
على الله محمد صلى الله عليه وسلم واعلم الناس بقدره وحقه اصحابه ولم يكونوا
يفعلون شيئا من ذلك لا في مغيبه ولا بعد مماته صلى الله عليه وسلم
وهؤلاء المشركون يضمون الى الشرك الكذب فان الكذب مقرون بالشرك
قال تعالى واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به وقال النبي صلى الله عليه وسلم
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله مرتين او ثلاثا وقال تعالى ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك
نجزي المفترين وقال الخليل عليه السلام أئفكا آلهة دون الله تريدون
فما ظنكم برب العالمين فمن كذبهم ان احدهم يقول عن شيخه ان المريد
اذا كان بالمغرب وشيخه بالمشرق وانكشف غطاؤه رده عليه وانه
اي شيخ لم يكن كذلك لم يكن شيخا وقد تغويهم الشياطين كما تغوي
عباد الاصنام كما جرى للعرب في اصنامهم ولعباد الكواكب و
طلاسمها من اهل الشرك والسحر كما يجري للترك والهند والسوداء
وغيرهم من اصناف المشركين من اغواء الشياطين لهم ومخاطبتهم ونحو ذلك
فكثير من هؤلاء من يجري له نوع من ذلك سيما عند سماع المكاء والتصدية
فان الشياطين قد تتنزل عليهم فتصيب احدهم كما يصيب المصروع من الارعاد
والازباد والصياح المنكر ويكلمهم بما لا يعقل هو والحاضرون واشباه
ذلك مما يمكن وقوعه في هؤلاء الضالين واما القسم الثالث
وهو ان يقول اللهم بجاه فلان عندك او بركة فلان
عبدك او بحرمة فلان عندك افعل لي كذا وكذا فهذا يفعله
كثير من الناس لكن لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين X
وسلف الامة

وسلف الامة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء لم يبلغني عن احد من
العلماء في ذلك ما احكيه الا ما رأيته في فتاوى الفقيه ابي محمد بن عبد السلام فانه
افتى بانه لا يجوز لاحد ان يفعل ذلك الا بالنبي صلى الله عليه وسلم ان صح الحديث
في النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا الاستثناء انه قد روى النسائي والترمذي وغيرهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم علم بعض اصحابه ان يدعوا فيقول اللهم اني اسألك واتوجه
اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا رسول الله اني اتوسل بك الى ربي في حاجتي
ليقضيها لي اللهم فشفعه في فان هذا الحديث قد استدل به
طائفة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته قالوا وليس في
التوسل به دعاء للمخلوق ولا استغاثة بالمخلوق وانما هو دعاء واستغاثة
به ولكن فيه سؤال بجاهه كما في سنن ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر
في دعاء الخارج الى الصلاة انه يقول اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك
وبحق ممشاي هذا فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء
سخطك وابتغاء مرضاتك اسألك ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي
فانه لا يغفر الذنوب الا انت قالوا ففي هذا الحديث انه سأل بحق السائلين
عليه وبحق ممشاه الى الصلاة والله تعالى قد جعل على نفسه حقا قال تعالى
وكان حقا علينا نصر المؤمنين ونحو قوله كان على ربك وعدا مسؤولا وفي الصحيحين
عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدري ما حق الله على العباد
قال الله ورسوله اعلم قال ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا اتدري ما حق العباد
على الله اذا فعلوا ذلك فان حقهم عليه ان لا يعذبهم وقد جاء في غير حديث
كان حقا على الله كذا وكذا كقوله من شرب الخمر لم يقبل له صلاة اربعين
يوما فان تاب تاب الله عليه فان عاد وشربها في الثالثة او الرابعة كان
حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل يا رسول الله وما طينة الخبال
قال عصارة اهل النار وامثال ذلك كثير وقالت طائفة
ليس في هذا الحديث جواز التوسل به في مماته وبعد مغيبه بل انما

فلم التوسل به في حياته بحضوره كما في صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب رضي
استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا
وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فقد بين عمر رضي الله عنه انهم
كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون وذلك التوسل انهم كانوا يسألونه ان يدعو الله
لهم فيدعو لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه كما في الصحيحين
عن انس بن مالك ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قائما ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله سبحانه
ان يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم اغثنا
قال انس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع
من بيت ولا دار اذ طلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما
توسطت السماء انتشرت ثم امطرت فلا والله ما رأينا الشمس سبتا قال ثم
دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يخطب
فاستقبله فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله
ان يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال حوالينا
ولا علينا على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر قال فاقلعت
وخرجنا نمشي في الشمس ففي هذا الحديث انه قال ادع الله ان يمسكها
عنا وفي الصحيح ان عبد الله بن عمر قال اني لاذكر قول ابي طالب فيه عليه السلام
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل فهذا كان توسلهم به
في الاستسقاء ونحوه ولما مات توسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون به ولم
يتوسلوا به ويستسقوا به بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره وكذلك
معاوية ابن ابي سفيان استسقى بيزيد بن الاسود الجرشي وقال اللهم
انا نستشفع اليك بخيارنا يا يزيد ارفع يديك الى الله فرفع يديه
ودعا ودعوا فسقوا ولذلك قال العلماء يستحب ان يستسقى باهل الصلاح
والخير فاذا كانوا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احسن
ولم يذكر

ولم يذكر احد من العلماء انه شرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح بعد
موته ولا في مغيبه ولا استحبوا ذلك لا في الاستسقاء ولا في غيره من
الادعية والدعاء مخ العبادة والعبادة مبناها على السنة والاتباع لعله الامر
وانما يعبد الله بما شرع لا يعبد بالاهواء والبدع قال الله ام لهم شركاء شرعوا
لهم من الدين ما لم ياذن به الله وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب
المعتدين وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سيكون في هذه الامة اقوام يعتدون
في الدعاء والطهور واما الرجل اذا اصابته نائبة او خاف شيئا فاستغاث
بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع فهذا من الشرك وهو من جنس
دين النصارى فان الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضر قال الله سبحانه
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
وقال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها الآية وقال تعالى
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا
الآية فبين ان ما يدعوا من دون الله من الملائكة والانبياء وغيرهم
لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا واذا قال القائل ادع اي شيخ ليكون
لي شفيعا فهو من جنس دعاء النصارى لمريم والاحبار والرهبان
والمؤمن يرجو ربه ويدعوه مخلصا له الدين وحق شيخه ان يدعو له
ويترحم عليه فان اعظم الخلق قدرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
اعلم الناس بامره وقدره واطوع الناس له ولم يكن يامر احدا منهم
عند الخوف والفزع ان يقول يا سيدي يا رسول الله ولم يكونوا يفعلون
ذلك لا في محياه ولا في مماته بل كان يامرهم بذكر الله ودعائه والصلاة
والسلام عليه قال تعالى الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا الى قوله عظيم وفي صحيح البخاري عن ابن عباس ان
هذه الكلمة قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه حين قالوا لهم ان الناس قد جمعوا لكم وفي الصحيح عن

النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم
لا اله الا الله رب العرش الكريم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض رب العرش
العظيم وقد روي انه علم هذا الدعا بعض اهل بيته وفي السنن ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث
وروي انه علم ابنته فاطمة عليها السلام ان تقول يا حي يا قيوم يا بديع
السموات والارض لا اله الا انت برحمتك استغيث اصلح لي شاني كله
ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى احد من خلقك وفي مسند احمد وصحيح
ابي حاتم وابن حبان عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اصاب
عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي
بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك بكل اسم هو لك سميت
به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به
في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم ربيع قلبي ونور صدري
وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا اذهب الله همه وغمه وابدله مكانه
فرحا قالوا يا رسول الله افلا نتعلمهن قال ينبغي لمن سمعهن ان يتعلمهن
وقال لامته ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فاذا
رايتم ذلك فافزعوا الى الصلاة وذكر الله والدعا والاستغفار فامرهم
عند الكسوف بالصلاة والدعاء والذكر والعتق والصدقة ولم يامرهم
ان يدعوا مخلوقا ولا ملكا ولا نبيا ولا غيرهم ومثل هذا كثير في سنته
ولم يشرع للمسلمين عند الخوف الا ما امر الله به من دعائه وذكره والاستغفار
والصلاة والصدقة ونحو ذلك فكيف يعدل المؤمن بالله ورسوله عما
شرع الله ورسوله الى بدعة ما انزل الله بها من سلطان تضاهي دين المشركين
والنصارى فان زعم احد ان حاجته قضيت بمثل ذلك فان مثله
شيخه ونحو ذلك فعباد الكواكب ونحوهم من اهل الشرك يجري لهم نحو
هذا كما قد تواتر عمن مضى من المشركين وعن المشركين في هذا الزمان
ولولا ذلك ما عبدت الاصنام ونحوها

قال الخليل

قال الخليل عليه السلام واجنبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا
من الناس ويقال ان اول ما ظهر الشرك في ارض مكة بعد ابراهيم الخليل
من جهة عمرو بن لحي الخزاعي الذي راه النبي صلى الله عليه وسلم يجر امعاءه
في النار وهو اول من سيب السوايب وغير دين ابراهيم قالوا انه ورد
الشام فوجد فيها اصناما يزعمون انهم ينتفعون بها في جلب منافعهم
ودفع مضارهم فنقلها الى مكة وسن للعرب الشرك وعبادة الاصنام
والامور التي حرمها الله ورسوله من الشرك والسحر والقتل والزنا وشهادة
الزور وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات قد يكون للنفس فيها حظ
مما تعده منفعة او دفع مضرة ولولا ذلك ما اقدمت النفس على المحرمات
التي لا خير فيها بحال وانما يوقع النفوس في المحرمات الجهل او الحاجة
فاما العالم بقبح الشي والنهي عنه فكيف يفعله والذين يفعلون هذه
الامور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيها من الفساد وقد يكون
لهم حاجة اليها مثل الشهوة اليها وقد يكون فيها من الضرر اعظم مما فيها
من اللذة ولا يعلمون ذلك لجهلهم او تغلب اهواؤهم حتى يفعلونها
والهوى الغالب يجعل صاحبه كانه لا يعلم من الحق شيئا فان حبك الشي
يعمي ويصم ولهذا كان العالم من يخشى الله وقال ابو العالية سالت
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل
الموت فقد تاب من قريب وليس هذا من مواضع البسط لبيان ما في المنهيات
من المفاسد الغالبة وما في المامورات من المصالح الغالبة بل على المؤمن
ان يعلم ان ما امر الله به فهو مصلحة محضة او غالبة وما نهى عنه فهو
مفسدة محضة او غالبة وان الله لا يامر العباد بما امرهم به لحاجته
اليهم ولا نهاهم بخلا به عليهم بل امرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه

فسادهم ولهذا وصف نبيه بانه يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **واما** التمسح بالقبر اي قبر كان بلغ
وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق ائمة المسلمين ولو كان ذلك تمريغ
من قبور الانبياء ولم يفعله احد من السلف والائمة بل هذا من الشرك قال الله
وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية وقد تقدم ان هؤلاء
كانوا في قوم نوح وانهم عكفوا على قبورهم مدة ثم طال عليهم الامد فصوروا
تماثيلهم لا سيما اذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به وقد
تقدم ذكره وما فيه من شرك وبينا الفرق بين الزيارة البدعية
والشرعية التي يشبه اهلها بالنصارى والمشركين واما وضع الراس عند
الكبراء من الشيوخ وغيرهم او تقبيل الارض ونحو ذلك فهذا مما لا نزاع
الائمة بين العلماء في النهي عن ذلك وفي المسند وغيره عن معاذ بن جبل انه لما
رجع من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا معاذ فقال
يا رسول الله رايتهم يسجدون لاساقفتهم ويذكرون ذلك عن انبيائهم
فقال كذبوا يا معاذ لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة
ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها يا معاذ ارايت اذا مررت
بقبري اكنت ساجدا قال لا قال فلا تفعل او كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل قد ثبت في الصحيح في حديث جابر رضي الله عنه انه صلى
باصحابه قاعدا لمرض كان فيه فصلوا قياما فامرهم بالجلوس وقال
لا تعظموني كما تعظم الاعاجم بعضها بعضا وقال من سره ان يتمثل له
الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار فاذا كان قد نهاهم مع قعوده
وان كانوا قاموا في الصلاة حتى لا يتشبهوا بمن يقومون لعظمائهم وبين
ان من سره القيام له كان من اهل النار فكيف بما فيه من السجود
له ومن وضع الراس وتقبيل الايادي ونحو ذلك وقد كان عمر بن عبد العزيز
وهو خليفة على الارض كلها قد وكل اعوانا يمنعون الداخل من
تقبيل الارض ويؤدبهم اذا قبل احد الارض وبالجملة فالقيام والركوع
والسجود

والسجود حق للواحد المعبود خالق السموات والارض وما كان حقا
خالصا لله لم يكن لغيره فيه نصيب مثل الحلف بغير الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت متفق عليه
وقال ايضا من حلف بغير الله فقد اشرك فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الاية وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم واخلاص
الدين لله هو اصل العبادة ونبينا صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرك دقه وجله
وجليه وخفيه وكبيره وصغيره حتى انه قد تواتر عنه النهي عن الصلاة
وقت طلوع الشمس ووقت غروبها بالفاظ متنوعة تارة يقول لا تحروا
بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها وتارة ينهى بعد الفجر حتى تطلع الشمس
وبعد العصر حتى تغرب الشمس وتارة يذكر ان الشمس اذا طلعت طلعت بين
قرني شيطان فحينئذ يسجد لها الكفار واذا غربت غربت بين قرني شيطان
وحينئذ يسجد لها الكفار فنهى عن الصلاة حينئذ فاذا كان قد نهى عن
الصلاة لما فيه من التشبه بالمشركين في كونهم يسجدون للشمس في هذا الوقت
وان الشيطان يقارن الشمس حينئذ ليكون السجود له فكيف بما هو
اظهر شركا ومشابهة للمشركين من هذا وقد قال الله فيما امره ان يخاطب اهل
الكتاب قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله
مسلمون وذلك لما في ذلك من مشابهة اهل الكتاب من اتخاذ
بعضهم بعضا اربابا من دون الله ونحن منهيون عن مثل هذا
ومن عدل عن هدي نبيه صلى الله عليه وسلم وهدي اصحابه والتابعين
لهم باحسان الى ما هو من جنس هدي النصارى فقد ترك ما امر الله به
ورسوله **واما** قول القائل انقضت حاجتي ببركة الله وبركتك
فمنكر من القول فانه لا يقرن بالله في مثل ذلك غيره حتى ان قائلا قال
للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا

قل ما شاء الله وحده وقال لاصحابه لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن
قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد وفي الحديث ان بعض المسلمين رأى قائلا
يقول نعم القوم انتم لولا انكم تنددون اي تجعلون لله ندا يعني تقولون
ما شاء الله وشاء محمد فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وفي الصحيحين
عن زيد بن خالد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر بالحديبية
في اثر سماء من الليل فقال اتدرون ماذا قال ربكم الليلة قلنا الله ورسوله
اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك
كافر بي مؤمن بالكوكب والاسباب التي جعلها الله اسبابا
لا تجعل مع الله شركاء وانداد واعوانا واما قول القائل ببركة
الشيخ قد يعني بها دعاءه واسرع الدعاء اجابة دعوة غايب لغايب
وقد يعني بها بركة ما امره به وعلمه من الخير وقد يعني بركة اتباعه له
على الحق ومحبته له من الله وطاعته له من طاعة الله وقد يعني بها
بركة معاونته على الحق وموالاته في الدين ونحو ذلك وهذه كلها
معان صحيحة وقد يعني بها دعاءه الميت والغايب اذ استقلال
الشيخ بذلك التاثير او فعله لما هو عاجز عنه او غير قادر عليه او
غير قاصد له متابعته ومطاوعته على ذلك من البدع والمنكرات
ونحو هذه المعاني الباطلة والذي لا ريب فيه ان العمل بطاعة الله
ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض ونحو ذلك هو نافع في الدنيا والآخرة
وذلك بفضل الله ورحمته واما سؤال السائل عن القطب
الغوث الفرد الجامع فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه
بامور باطلة في دين الاسلام مثل تفسير بعضهم ان الغوث الذي
يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم حتى قد يقولوا
ان مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته فهذا من جنس قول *
النصارى

النصارى في المسيح والغالية في علي رضي الله عنه وهذا كفر صريح يستتاب منه
صاحبه فان تاب والا قتل فانه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون
امداد الخلائق بواسطته ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في العشرة
الذين قد يزعمون انها الملائكة وما يقوله النصارى في المسيح ونحو ذلك
كفر صريح باتفاق المسلمين وكذلك ان عني بالغوث ما يقوله بعضهم
ان في الارض ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا وقد يسميهم النجباء فينتقى منهم
سبعون هم النقباء ومنهم اربعون هم الابدال ومنهم سبعة هم الاقطاب
ومنهم اربعة هم الاوتاد ومنهم واحد هو الغوث وانه مقيم بمكة
وان اهل الارض اذا نابتهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا الى الثلاثمائة
والبضعة عشر رجلا واولئك يفزعون الى السبعين والسبعون الى الاربعين
والاربعون الى السبعة والسبعة الى الاربعة والاربعة الى الواحد
وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الاعداد والاسماء والمراتب فان
لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم انه ينزل من السماء
على الكعبة خضر باسم غوث الوقت واسم عصره على قول من يقول منهم
ان الخضر هو مرتبة وان لكل زمان خضرا فان لهم في ذلك قولين وهذا
كله باطل لا اصل له لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا قاله احد من
سلف الامة ولا ائمتها ولا من الشيوخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون
للاقتداء بهم ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان
وعليا كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة وقد روى
بعضهم حديثا في هلال غلام المغيرة بن شعبة وانه احد السبعة والحديث
كذب باتفاق اهل المعرفة وان كان قد روى بعض هذه الاحاديث
ابو نعيم في حلية الاولياء والشيخ ابو عبد الرحمن السلمي في بعض مصنفاته

فلا تغتر بذلك فانه يروي الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والكذب
ولا خلاف بين العلماء في انه كذب موضوع وتارة يروونه على عادة اهل الحديث
الذين يروون ما سمعوه ولا يميزون بين صحيحه من باطله وكان اهل
الحديث لا يروون مثل هذه الاحاديث لما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين
وبالجملة فقد علم المسلمون كلهم ان ما ينزل بالمسلمين من النوازل
الرغبة والرهبة مثل دعائهم عند الكسوف والاستسقاء لنزول الرزق
ودعائهم عند الكسوف والاعتداد لدفع البلاء وامثال ذلك انما يدعون في
مثل ذلك الله وحده لا شريك له لا يشركون به شيئا لم يكن للمسلمين
ان يرجعوا بحوائجهم الى غير الله بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة
فيجيبهم الله افتراه بعد التوحيد والاسلام لا يجيب دعائهم الا بهذه الواسطة
التي ما انزل الله بها من سلطان قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه
الاية وقال اذا مسكم الضر في البحر الاية وقال تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله
الاية وقال تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك الى قوله ما كانوا يعملون و
النبي صلى الله عليه وسلم استسقى لاصحابه بصلاة الاستسقا وبغير صلاة
وصلى بهم للاستسقا صلاة الكسوف وكان يقنت في صلاته فيستنصر
على المشركين كذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك ائمة الدين
ومشايخ المسلمين ما زالوا على هذه الطريقة ولهذا ثلاثة اشياء ما لها
من اصل باب النصارى ومنتظر الرافضة وغوث الجهال فان النصارى
تدعي في الباب الذي لهم انه هو من هذا الجنس وانه الذي يقيم العالم
فذاك شخصه موجود لكن دعوى النصارى فيه باطلة واما
محمد بن الحسن المنتظر والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فانه باطل ليس
له اصل في الوجود ولا وجود وكذلك ما يزعمه بعضهم من ان القطب
الغوث الجامع يمد اولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا فهذا
باطل

باطل فابو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع اولياء الله واعدادهم فكيف هولاء
لعله باعيانهم
الضالين المفترين الكذابين ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم انما عرف
الذين لم يكن يراهم بسيما الوضوء وهو الغرة والتحجيل ومن هولاء من اولياء الله
من لا يحصيه الا الله وانبياء الله الذي هو امامهم وخطيبهم لم يكن يعرف اكثرهم
بل قال الله له ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
نقصص عليك وموسى لم يكن يعرف الخضر والخضر لم يكن يعرف موسى بل لما
سلم عليه موسى قال الخضر واني بارضك السلام فقال له انا موسى قال موسى
بني اسرائيل قال نعم فكان قد بلغه اسمه خبره ولم يكن يعرفه عينه ومن
قال انه نقيب الاولياء وانه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل والصواب الذي عليه
المحققون انه ميت وانه لم يدرك الاسلام ولو كان موجودا في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم لوجب عليه ان يؤمن به ويجاهد معه كما اوجب الله
ذلك عليه وعلى غيره ولكان يكون بمكة والمدينة ولكان يكون حضوره مع
الصحابة رضي الله عنهم للجهاد معهم واعانتهم على الدين اولى له من حضوره
عند قوم كفار ليرقع سفينتهم ولم يكن عن خير امته اخر حتى للناس
مختفيا وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم ثم ليس للمسلمين به
وبامثاله حاجة لا في دينهم ولا دنياهم فان دينهم اخذوه عن
الرسول صلى الله عليه وسلم النبي الامي الذي علمهم الكتاب والحكمة وقال
لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني
لضللتم وعيسى بن مريم اذا نزل من السما انما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة
نبيهم فاي حاجة لهم مع هذا الى الخضر او غيره والنبي صلى الله عليه وسلم
قد اخبرهم بنزول عيسى من السماء وحضوره مع المسلمين وقال كيف
تهلك امة انا في اولها وعيسى في آخرها فاذا كان هذان النبيان
الكريمان اللذان هما مع ابراهيم وموسى ونوح افضل الرسل



ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الامة لا عوامهم
ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم واذا كان الخضر حيا دائما
فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قط ولا اخبر به امته ولا
خلفائه الراشدين وقول القائل انه نقيب الاولياء فيقال من ولاه النقابة
وافضل الاولياء اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وليس فيهم الخضر وعامة ما
يحكى في هذا الباب من حكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن
رجال مثل شخص رأى رجلا ظن انه الخضر او قال انه الخضر كما ان الرافضة
ترى شخصا تظن انه الامام المنتظر المعصوم او تدعي ذلك وروي عن
الامام احمد انه قال وقد ذكر له الخضر من احالك على غائب فما انصفك
وما القى هذا على السن الناس الا الشيطان وقد بسطنا الكلام على هذا في غير
هذا الموضع اما اذا قصد القائل بقوله القطب الغوث الفرد الجامع
انه رجل يكون افضل اهل زمانه فهذا ممكن لكن من الممكن ان يكون
في الزمان اثنان متساويان في الفضل وثلاثة واربعة ولا يجزم
بان لا يكون في كل زمان افضل الناس الا واحد وقد يكون جماعة
بعضهم افضل من بعض بوجه وفي وجه وبعضهم افضل من بعض
وتلك الوجوه اما متقاربة واما متساوية ثم اذا كان في الزمان
رجل هو افضل اهل الزمان فتسميته الغوث الفرد الجامع بدعة ما
انزل الله بها من سلطان ولا تكلم بها احد من سلف الامة وائمتها وما زال
السلف يظنون في بعض انه افضل او من افضل زمانه ولا يطلقون عليه
هذه الاسماء التي ما انزل الله بها من سلطان لا سيما من المنتحلين لهذا
الاسم من يدعي ان اول هؤلاء الاقطاب هو الحسن بن علي بن ابي طالب
عليهما السلام ثم يتسلسل الامر الى ما دونه الى بعض المشايخ المتاخرين
وهذا لا على مذهب اهل السنة ولا على مذهب الرافضة فاين ابو بكر وعمر
وعثمان وعلي والسابقون من المهاجرين والانصار والحسن عند
وفاة النبي

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قد كان قارب سن الاحتلام وقد حكي عن
بعض الاكابر من شيوخ المنتحلين لهذا الاسم ان القطب الفرد الجامع الغوث
ينطبق علمه على علم الله وقدرته على قدرة الله فيعلم ما يعلمه ويقدر
على ما يقدر عليه الله وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك
وان هذا انتقل منه الى الحسن فيتسلسل الى شيخه فبينت له ان هذا
كفر صريح وجهل قبيح وان دعوى هذا في رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفر دع من سواه وقد قال تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا
اعلم الغيب ولا اقول اني ملك وقال تعالى قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
الا ما شاء الله الاية وقال تعالى يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا
ههنا وقال تعالى قل ان الامر كله لله وقال تعالى ليقطع طرفا من الذين
كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين والاية بعدها وقال تعالى انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والله تعالى قد امرنا
ان نطيع رسوله وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وامرنا ان
نتبعه قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وامرنا ان نعزره ونوقره وننصره وجعل له من الحقوق ما بينته
في كتابه وسنة رسوله حتى وجب علينا ان يكون احب الينا من
انفسنا واهلنا فقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وقال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله الفاسقين وقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من ولده ووالده والناس اجمعين وقال له عمر رضي الله عنه يا رسول الله
والله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال يا عمر حتى اكون احب
اليك من نفسك فقال فانت احب الي من نفسي قال الان يا عمر وقال
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه

ما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله وفي كان يكره ان يرجع
في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار وقد بين
في كتابه الحقوق التي لا تصلح الا لله وحقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض كما بسطنا ذلك في غير هذا الموضع
وذلك مثل قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون فالطاعة لله والرسول والخشية لله والتقوى لله وحده
وقوله تعالى ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله
سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فالايتاء
لله وللرسول كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
لان الحلال ما حلله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله واما
الحسب فهو لله وحده كما قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يقولوا
حسبنا الله ورسوله قال تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين اي يكفيك ويكفي من اتبعك من المؤمنين وهذا
هو المقطوع به في معنى هذه الآية ولهذا كلمة ابراهيم ومحمد صلى الله
عليهم اجمعين حسبنا الله ونعم الوكيل

تمت من نسخة سقيمة جدا قلم ١٢١٤

فائدة من شيخي المكرم اسحاق بن عبد الرحمن
دلالة كلمة الاخلاص على التوحيد دلالة مطابقة
ودلالتها على نفي الشريك دلالة تضمن
ودلالتها على توحيد الرسالة دلالة التزام

صح اول عشر محرم ١٣١٣

الذي في الدائرة لا يكتب لانه ليس من الاصل انتهى

مسئلة

مسئلة بسم الله الرحمن الرحيم سوال ابي القاسم المغربي يتفضل الامام بقية السلف قدوة
الخلف اعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب احمد بن تيمية بان يوصيني بما فيه
صلاح ديني ودنياي ويرشدني الى كتاب يكون عليه اعتمادي وينبهني على
افضل الاعمال بعد الواجبات ويبين لي ارجح المكاسب على قصد الايجاز
والاختصار فاجاب الحمد لله رب العالمين اما الوصية فلا اعلم وصية انفع
من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها قال الله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ووصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا لما بعثه الى اليمن فقال
يا معاذ اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
وكان معاذ من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة عالية فانه قال له يا معاذ والله اني لاحبك
وكان يردفه وراءه وروي عنه انه اعلم الامة بالحلال والحرام وانه يحشر امام العلماء
برتوة اي بخطوة ومن فضله انه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عنه ومفقها
ومفتيا وحاكما الى اهل اليمن وكان يشبهونه بابراهيم صلى الله عليه وسلم وابراهيم
امام الناس فكان ابن مسعود يقول ان معاذا كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك
من المشركين تشبيها له بابراهيم ثم انه وصاه بهذه الوصية فعلم انها جامعة وهي
كذلك لمن عقلها مع انها تفسير الوصية القرآنية اما بيان جمعها فلان العبد عليه
حقان حق لله وحق لعباده ثم الحق الذي عليه لا بد ان يخل ببعضه احيانا اما بترك مامور به
او فعل منهي عنه فقال النبي اتق الله حيثما كنت وهذه كلمة جامعة وفي قوله حيثما كنت
تحقيق لحاجته الى التقوى في السر والعلانية ثم قال واتبع السيئة الحسنة تمحها فان
الطبيب متى تناول المريض شيئا مضرا امره بما يصلحه والذنب للعبد كانه حتم فالكيس
هو الذي لا يزال ياتي من الحسنات بما يمحو السيئات وانما قدم في لفظ الحديث السيئة
وان كانت مفعولا له لان المقصود هنا محوها لا فعل الحسنة فصار كقوله صبوا على
بوله ذنوبا من ماء وينبغي ان الحسنات من جنس السيئات فانه ابلغ في المحو والذنوب
يزول موجبها باشياء احدها التوبة والثاني الاستغفار من غير توبة فان الله قد
يغفر له اجابة لدعائه وان لم يتب فان اجتمع التوبة والاستغفار فهو الكمال الثالث
الاعمال الصالحة المكفرة اما الكفارات المقدرة كالمجامع في رمضان والمظاهر والمرتكب
لبعض محظورات الحج واما الكفارات المطلقة كما قال حذيفة لعمر فتنة الرجل في

اهله وماله وولده تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقد دل على ذلك القران والاحاديث الصحاح في التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام
والحج وسائر الاعمال التي يقال فيها من قال كذا او عمل كذا غفر له او غفر له ما تقدم من ذنبه
وهي كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصا ما صنف في فضائل الاعمال واعلم ان العناية
بهذا من اشد ما بالانسان الحاجة اليه فان الانسان من حين يبلغ خصوصا في هذه
الازمنة ونحوها من ازمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فان الانسان
الذي ينشأ بين اهل علم ودين قد يتلطخ من امور الجاهلية بعدة اشياء فكيف
بغير هذا ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي سعيد لتتبعن سنن
من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله
اليهود والنصارى قال فمن وهذا خبر تصديقه في قوله فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ولهذا شواهد في الصحاح والحسان
وهذا امر قد سرى في المنتسبين الى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم
ابن عيينة فان كثيرا من احوال اليهود قد ابتلي بها بعض المنتسبين الى العلم وكثير
من احوال النصارى قد ابتلي به بعض المنتسبين الى الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الاسلام
الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ثم نزله على احوال الناس فاذا كان الامر كذلك
فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكان ميتا فاحياه الله وجعل
له نورا يمشي به في الناس لا بد ان يلاحظ احوال الجاهلية وطريق الامتين
المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى ان قد ابتلي ببعض ذلك
فانفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو
اتباع السيئات الحسنات والحسنات ما ندب اليه على لسان خاتم النبيين
من الاعمال والاخلاق والصفات ومما يزيل موجب الذنوب المصائب المكفرة وهي كل
ما يؤلم من هم او حزن او اذى في مال او عرض او جسد او غير ذلك لكن ليس هذا من فعل
العبد فلما قضى بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح واصلاح الفاسد قال
وخالق الناس بخلق حسن وهو حق الناس وجماع الخلق الحسن ان تصل من
قطعك بالسلام والاكرام والدعاء والاستغفار والثناء عليه والزيارة له
وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عمن ظلمك في دم
او مال او عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب واما الخلق العظيم
الذي وصف الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ما امر الله به
مطلقا

مطلقا كذا قال مجاهد وغيره وهو تأويله القران كما قالت عائشة كان خلقه
القران وحقيقته المبادرة الى امتثال ما يحبه الله بطيب نفس وانشراح صدر
واما بيان ان هذا كله من بيان وصية الله فهو ان اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما امر الله به
ايجابا واستحبابا وما نهى الله عنه تحريما او تنزيها وهذا يجمع حقوق الله وحقوق
العباد لكن لما كان تارة يعني بالتقوى خشية العذاب المقتضي للانكفاف
عن المحارم جاء مفسرا في حديث معاذ وكذلك في حديث ابي هريرة الذي صححه
الترمذي قيل يا رسول الله ما اكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن
الخلق قيل وما اكثر ما يدخل الناس النار قال الاجوفان الفرج والفم وفي
الصحيح عن ابن عمر مرفوعا اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا فجعل
كمال الايمان في كمال حسن الخلق ومعلوم ان الايمان كله تقوى الله وتفصيل
اصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع فانها الدين كله لكن
ينبوع الخير واصله اخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في قوله اياك
واياك نستعين وفي قوله فاعبده وتوكل عليه وفي قوله فابتغوا عند الله
الرزق واعبدوه بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعا بهم
او عملا لاجلهم ويجعل همته ربه وذلك بملازمة الدعاء في كل مطلوب من
فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك والعمل له بكل محبوب ومن احكم
هذا فلا يمكن ان يوصف ما يعقبه ذلك واما ما سئلت عنه من افضل
الاعمال بعد الفرائض فانه يختلف باختلاف الناس فلا يمكن فيه جواب
جامع مفصل لكل احد لكن مما هو كالاجماع بين العلماء بالله وامره ان
ملازمة ذكر الله دائما هو افضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة
وعلى ذلك دل حديث ابي هريرة الذي رواه مسلم سبق المفردون قالوا يا رسول الله
وما المفردون قال الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفيما رواه ابو داود عن
ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها
عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق
ومن ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله
قال ذكر الله والدلائل القرانية خبرا وبصرا على ذلك كثيرة واقل ذلك ان يلازم

باختلاف

الاوراد المأثورة عن معلم الخير وامام المتقين صلى الله عليه وسلم الاذكار الموقتة
في اول النهار واخره وعند اخذ المضاجع والاستيقاظ وادبار الصلوات
والاذكار المقيدة مثل ما يقال عند الاكل والشرب واللباس والجماع ودخول
المسجد والمنزل والخلاء والخروج من ذلك وعند الرعد والمطر الى غير ذلك
وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل اليوم والليلة ثم ملازمة الذكر مطلقا
وافضله لا اله الا الله وقد تعرض احوال الا بقية الذكر مثل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله افضل منه ثم يعلم ان كل ما تكلم
به اللسان وتصوره القلب مما يقرب الى الله من تعلم علم وتعليمه وامر بمعروف
ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد اداء الفرائض
او جلس مجلسا يتفقه او يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهو
ايضا من افضل ذكر الله وعلى ذلك اذا تدبرت لم تجد بين الاولين في افضل
الاعمال كبير اختلاف وليكثر من ذلك ومن الدعاء فانه مفتاح كل خير
ولا يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وليتحر الاوقات الفاضلة كاخر الليل
وادبار الصلوات وعند الاذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك واما
ارجح المكاسب فالتوكل على الله والثقة بكفايته وحسن الظن به وذلك
انه ينبغي للمهتم بامر الرزق ان يلجأ الى الله ويدعوه كما قال سبحانه فيما يأثره
عنه نبيه يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم
يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم وفيما رواه الترمذي
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأل احدكم ربه حاجته كلها
حتى شسع نعله اذا انقطع فانه ان لم ييسره لم يتيسر وقال سبحانه وتعالى
واسألوا الله من فضله وقال سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله وهذا وان كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات ولهذا
والله اعلم امر النبي صلى الله عليه وسلم الذي يدخل المسجد ان يقول افتح لي ابواب رحمتك
واذا خرج قال اللهم اني اسألك من فضلك العظيم وقد قال الخليل فابتغوا عند الله
الرزق واعبدوه واشكروا له وهذا امر والامر يقتضي الايجاب فالاستعانة بالله
واللجأ اليه في امر الرزق وغيره اصل عظيم ثم ينبغي له ان ياخذ المال بسخاوة نفس
ليبارك له فيه

وما اشتبه امره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة فما ندم من استخار الله تعالى صح نسخة

ليبارك له فيه ولا ياخذه باشراف وهلع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي
يحتاج اليه من غير ان يكون له في القلب مكانة والسعي فيه كاصلاح الخلاء وفي الحديث
المرفوع رواه الترمذي وغيره من اصبح والدنيا اكبر همه شتت الله عليه شمله وفرق الله
عليه ضيعته ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح والاخرة اكبر همه جمع الله
عليه شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال بعضهم انت
محتاج الى دنياك وانت الى نصيبك من الاخرة احوج فان بدأت بنصيبك من الاخرة
مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق
الاية فاما تعيين مكسب على مكسب من صناعة او تجارة او حراثة او غير ذلك
فهذا يختلف باختلاف الناس ولا اعلم فيه شيئا عاما لكن اذا عن للانسان
جهة فليستخر الله فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فان
فيها من البركة ما لا يحاط به ثم ما تيسر له فلا يتكلف غيره الا ان تكون فيه
كراهة شرعية واما ما يعتمد عليه من الكتب فهذا باب واسع يختلف
باختلاف نشأ الانسان في البلاد لكن جماع الخير ان يستعين بالله سبحانه في
تلقي الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم فانه الذي يستحق ان يسمى علما
وما سواه اما ان يكون علما فلا يكون نافعا واما ان لا يكون علما وان سمي به
وان كان علما نافعا فلا بد ان يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغني
عنه مما هو مثله وخير منه ولتكن همته فهم مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم
في امره ونهيه وسائر كلامه فان اطمأن قلبه الى ان هذا هو مراد الرسول فلا
يعدل عنه فيما بينه وبين الله تعالى ولا مع الناس اذا امكنه ذلك وليجتهد
ان يعتصم في كل باب من ابواب العلم باصل ماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم
واذا اشتبه عليه مما اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في
صحيحه عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام
يصلي من الليل اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه

حديث هذا انتظم

يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط
مستقيم فان الله تعالى قال فيما رواه عنه النبي صلى الله عليه وسلم يا عبادي كلكم ضال
الا من هديته فاستهدوني اهدكم **واما** وصف الكتب والمصنفين فقد
سمع منا في اثناء المذاكرة ما يسره الله سبحانه وما في كتب المصنفة النبوية كتاب انفع
من صحيح محمد بن اسمعيل البخاري ولكن هو وحده لا يقوم باصول العلم ولا يقوم
بتمام المقصود للمتبحر في ابواب العلم اذ لا بد من معرفة احاديث اخر وكلام
اهل العلم في الامور التي يختص بعلمها بعض العلما فمن نور الله قلبه هداه
بما يبلغه من ذلك ومن اعماه لم تزده الكتب الكثيرة الا حيرة وضلالا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي لبيد الانصاري اوليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا
تغني عنهم فنسئل الله العظيم ان يرزقنا الهدى والسداد ويلهمنا رشدنا
ويقينا شر انفسنا ولا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة
انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين **مسئلة** فيمن اراد
ان يعمل على قبره قربة وان يعمل قراءة سبع ويكون هديته للنبي صلى الله عليه وسلم
واراد ايضا ان يخص نفسه بقارئين يقرءون القران ويكون ثوابه له فما الحكم
عن ذلك **الجواب** بناء المساجد على القبور منهي عنه بالنصوص
الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وباتفاق المسلمين وقد صرح الائمة بان
ذلك محرم لما روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول ان من كان قبلكم
كانوا يتخذون قبورهم مساجد فاني انهاكم عن ذلك وذكر احاديث
كثيرة بمعناه ثم قال واما اتخاذها فذلك عام في قبور الانبيا والصالحين
وغيرهم لكن خص قبور الانبيا والصالحين لانها هي التي يقصد اكرام الناس
اتخاذها مساجد وذلك من اسباب الشرك كما في قوله تعالى ولا تذرن
الهتكم الاية وانما كانوا يعلمون القبر بصخرة او يرفعونه بقدر شبر او نحو
ذلك ليعرف وروى ابو داود في سننه عن القسم بن محمد قال دخلت على عائشة
رض فقلت لها يا اماه اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه
فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء
العرصة الحمراء فلو بني على القبر قبة لنهي عن ذلك باتفاق العلما لما روى مسلم

تمام الحديث

او قبر

صح

في صحيحه وسائر اهل السنن عن جابر بن عبد الله رض قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يجصص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه ولفظ الترمذي وصححه
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجصص القبور وان يكتب عليها وان يبنى
عليها وفي لفظ النسائي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى على القبور
وان يزاد عليها او يجصص او يكتب عليها **وهذا** كله مما لا اعلم فيه
خلافا بين الائمة وانما تنازعوا في تطيين القبر فرخص فيه الشافعي
والامام احمد لانه في معنى رش الماء عليه وكرهه ابو حنيفة كالتجصيص
ولهذا كان السلف كالملوك والمشايخ والعلماء والامراء لا يبنون مثل هذه
المساجد والابنية على القبور وانما ذلك محدث في الاسلام وقد تنازع
العلماء فيمن اهدى للميت عبادة بدنية كالصلاة والصيام والقراءة فمذهب
ابي حنيفة واحمد وغيرهما انه يصل اليه والمشهور في مذهب الشافعي ومالك
لا يصل اليه واتفقوا على وصول ثواب العبادات المالية كالصدقة والعتق
والوقوف على الاعمال الصالحة مثل الوقوف على من يتعلم القران ويعلمه او يتعلم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمه ونحو ذلك واما القراءة عند القبر نفسه
فالمنصوص عن ابي حنيفة ومالك كراهة ذلك وهو احدى الروايتين عن
احمد والرواية الاخرى وهو قول بعض الحنفية انه لا باس بذلك وليس للشافعي
نفسه نص في هذه المسئلة ولا عن قدماء اصحابه وانما زعم بعض المتاخرين
منهم انه ينتفع بسماع القران ولم يقل احد من العلماء المعتبرين ان القراءة
عند القبر افضل من القراءة في البيت ولا قال احد منهم ان من وقف على من
يقرا ويهدي الى الميت افضل ممن وقف على مشتغل بمن يتعلم القران
ويعلمه ودراسته بل هم متفقون على الوقف على من يشتغل بتعلم القران
وتعليمه ودراسته افضل ممن يقف على من يقرا او يهدي الى ميت سواء
ان كانت الهدية الى النبي صلى الله عليه وسلم والى غيره والاعانة على ذلك اعظم
اجر للواقف وهو اعظم في درجة النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال صلى الله عليه وسلم
من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه من غير ان ينقص من
اجورهم شيئا فكلما كثر في الناس من يعمل بما امر به النبي صلى الله عليه وسلم

ثم تعلم العلم الذي بعث به صلى الله عليه وسلم وتعليمه والامر بما امر به النبي
صلى الله عليه وسلم وطاعة الله التي كان يامر بها والجهاد في سبيل الله بالقلب
(٤٢١) واليد واللسان كان له مثل اجر هولاء كلهم لانه الذي دعى الى هذا كله
والمعين على ذلك بماله فله اجر الفاعل من غير ان ينقص من اجر الفاعل
شيئا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من جهز غازيا فقد غزا
ومن خلفه في اهله بخير فقد غزا رواه البخاري ومسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من فطر صائما فله مثل اجره رواه ابن ماجه والنسائي والترمذي وقال
حديث صحيح وامثال ذلك كثير فاذا وقف الواقف وقفا على من يشتغل بكتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كان ذلك افضل من هذا المذكور باتفاق
العلماء وكان داخلا في قوله صلى الله عليه وسلم من احيا سنة من سنتي قد اميتت
كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من اجرهم شيء
لان ذلك سعي في احياء سنته وشريعته وما بعثه الله به من الكتاب
والحكمة والله اعلم **مسئلة** فيمن وصى زوجته ان تدفنه في تربة
اهلها لاجل كلام وقع بينه وبين والدته حيث قال ثم بعد ذلك رأته والدته
في النوم وهو يسألها ان ترضى عنه وان تنقله الى تربة ابيه فرضيت عنه
هل يجوز نقله املا **الجواب** نعم يجوز ان ينقل الى التربة التي فيها
اقاربه اذا لم يكن في ذلك مثلة به فان دفن الرجل بين اقاربه افضل
ويجوز نقل الميت لمقصود شرعي اذا لم يكن في ذلك مثلة وقد جرى مثل هذه
الوصية لبعض الصحابة رضي فانه رأى بعض الصحابة في المنام وهو يقول
انقلوني من هذا المكان لسبب ذكره فنقلوه منه ولما جاوز معاوية عمل
الى العين التي عند الشهداء شهداء احد التي تسمى عيون حمزة امر الذي
مر عليهم العين ان ينقلوهم من ذلك المكان ولم يكونوا قد بلوا بل اصابت
المسحاة رجل واحد منهم فانبجس الدم والعمل بالرؤيا فيما لا يخالف
الشريعة جائز وقد نقل موسى عليه السلام يوسف من ارض مصر
ليدفنه عند ابيه بالارض المقدسة وشرع من قبلنا شرع لنا الا
ما لم يرد شرعنا بخلافه في المشهور في مذهب الائمة والله اعلم

البخاري ومسلم

وقد سئل شيخ الاسلام عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل
فاجاب فيها بالتفصيل الشافي **فمنها** انه سئل عن تفضيل الغني الشاكر
على الفقير الصابر فاجاب بما يشفي الصدر فقال افضلهما اتقاهما لله
فان استويا في التقوى استويا في الدرجة **ومنها** انه سئل عن
عشر ذي الحجة والعشر الاواخر من رمضان فقال ايام العشر افضل من
ايام عشر رمضان وليالي العشر الاواخر من رمضان افضل من ليالي عشر ذي الحجة
واذا تامل اللبيب الفاضل هذا الجواب وجده شافيا كافيا فانه ليس من ايام
العمل فيها احب الى الله من ايام عشر ذي الحجة وفيها يوم عرفة ويوم النحر
ويوم التروية واما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الاحيا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحييها كلها وفيها ليلة القدر خير من الف شهر ومن اجاب بغير هذا التفصيل لم يمكنه
ان يدلي بحجة صحيحة **ومنها** انه سئل عن ليلة القدر وليلة الاسرى
ايهما افضل فاجاب بان ليلة الاسرى افضل في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وليلة القدر افضل بالنسبة الى الامة فحظ النبي صلى الله عليه وسلم الذي اختص به
ليلة المعراج منها اكمل من حظه من ليلة القدر وحظ الامة من ليلة القدر
اكمل من حظهم من ليلة المعراج وان كان لهم فيها اعظم حظ لكن الفضل
والشرف والرتبة العليا انما حصلت فيها لمن اسري به صلى الله عليه وسلم
ومنها انه سئل عن يوم الجمعة ويوم النحر فقال يوم الجمعة افضل
ايام الاسبوع ويوم النحر افضل ايام العام وغير هذا الجواب لا يسلم
صاحبه من الاعتراض الذي لا حيلة له في دفعه **ومنها** انه سئل
عن خديجة وعائشة رضي الله عنهما ايهما افضل فاجاب بان سبق خديجة
وتاثيرها في اول الاسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشركها
فيه عائشة ولا غيرها من امهات المومنين وتاثير عائشة في اخر
الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها العلم ما لم
تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها من امهات
المومنين فتامل هذا الجواب الذي لو اجبت بغيره من التفضيل مطلقا لم تتخلص

قال ابن القيم رحمه الله في البدائع

ومنها انه سئل عن صالحي بني آدم والملائكة ايهما
افضل فاجاب بان صالحي البشر افضل باعتبار كمال النهاية والملائكة
افضل باعتبار البداية فان الملائكة الآن في الرفيق الاعلى منزهون ٤٢٣
عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب ان هذه
الاحوال الآن اكمل من احوال البشر واما يوم القيمة بعد دخول الجنة فيصير
صالحي البشر اكمل من حال الملائكة فعلى المتكلم في هذا الباب ان يعرف
اسباب الفضل ثم درجاتها ونسبة بعضها الى بعض والموازنة بينها
ثانيا ثم نسبتها الى من قامت به ثالثا كثرة وقوة ثم باعتبار تفاوتها
بتفاوت محلها رابعا فرب صفة هي كمال لشخص وليست كمالا لغيره
بل كمال غيره سواها فكمال خالد ابن الوليد لشجاعته وحروبه وكمال ابن عباس
لفقهه وعلمه وكمال ابي ذر زهده وتجرده عن الدنيا وهذه اربع مقامات
يضطر اليها المتكلم في درجات التفضيل وتفضيل الانواع على الانواع
اسهل من تفضيل الاشخاص على الاشخاص وابعد من الهوى والغرض
انتهى كلام ابن القيم رحمه الله قال ابن القيم في بدائع الفوائد الخلاف في
كون عائشة افضل من فاطمة او فاطمة افضل اذا حرر محل التفضيل لا
يستقيم فان اريد بالفضل كثرة الثواب عند الله فذلك امر لا يطلع عليه
الا بالنص لانه بحسب تفاضل اعمال القلوب لا بمجرد اعمال الجوارح وكم من
عاملين احدهما اكثر عملا بجوارحه والآخر ارفع درجة منه في الجنة وان
اريد بالتفضيل التفضيل بالعلم فلا ريب ان عائشة اعلم وانفع للامة
وادت للامة من العلم ما لم تؤد غيرها واحتاج اليها خاصة الامة وعامتها
اريد ٧ وان اريد بالتفضيل شرف الاصل وجلالة النسب فلا ريب ان فاطمة افضل
فانها بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير
اخوتها وان اريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الامة واذا ثبتت
وجوه التفضيل وموارد الفضل واسبابه صار الكلام بعلم وعدل
واكثر الناس اذا تكلم في التفضيل لم يفصل جهات الفضل ولم يوازن بينها
فيبخس الحق وان انضاف الى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضله تكلم بالجهل
والظلم انتهى وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين ٥

فصل نقل من سؤال قوم من بلاد كيلان في مسئلة القرآن
في سنة اربع وسبعمائة من جهة سلطان تلك البلاد وعلى يد قاضيها لاجل معرفة
الحق من الباطل عندما كثر عندهم من الاختلاف والاضطراب ورغب كل من الفر
يقين في قبول كلام شيخ الاسلام ابي العباس احمد ابن تيمية في هذا الباب فاملاه
شيخ الاسلام في المجلس وكتبه احمد ابن محمد ابن مري الشافعي بخط جيد قوي ثم ان
كاتب هذه الاوراق اطلع على هذه الفتوى يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر سنة
احدى وعشرين وثمان مائة فاخترت لنفسي منها مواضع نقلتها في هذه الا
وراق اذ الجواب جواب طويل جدا صورة السؤال ما يقول
السادة العلماء ائمة الدين رضي الله عنهم في قوم يقولون كلام الناس وغيرهم
قديم سواء كان الكلام صدقا او كذبا فحشا او غير فحش نظما ونثرا ولا فرق
بين كلام الله عز وجل وكلامهم في القدم الا من جهة الثواب وقال قوم منهم بل
اكثرهم اصوات الحمير والكلاب كذلك ولما قرئ عليهم نقل عن الامام احمد ردا على
قولهم تأولوا ذلك القول وقالوا ان احمد انما قال ذلك خوفا من الناس فهل هؤلاء
مصيبون او مخطئون فاذا كانوا مخطئين فهل على ولي الامر وفقه الله ردعهم وز
جرهم عن ذلك ام لا واذا وجب زجرهم هل يكفرون ان اصروا ام لا وهل
الذي نقل عن الامام احمد حق او هو كما يزعمون افتونا ماجورين
اجاب شيخ الاسلام ابو العباس احمد ابن تيمية الحمد لله
بل هؤلاء مخطئون في ذلك خطأ محرما فاحشا باجماع المسلمين وقد قالوا منكرا
من القول وزورا بل كفرا وضلالا ويجب نهيهم عن هذا القول الشنيع
الفاحش ويجب على ولاة الامور عقوبة من لم ينته منهم عن ذلك جزاء بما
كسبا نكالا من الله فان هذا القول مخالف للعقل والنقل والدين مناقض

للكتاب والسنة واجماع المؤمنين وهي بدعة شنيعة لم يقلها قط احد من علما
المسلمين لا من علما السنة ولا من علما البدعة ولا يقولها عاقل يفهم ما يقول
ولا يحتاج في مثل هذا الكلام الذي فساده معلوم ببديهة العقل ان يحتج لرد
بنقل عن امام من الايمة لا من جهة ان رده وانكاره منقول عن الايمة وان
قايله مخالف للايمة مبتدع في الدين ولتزول بذلك شبهة من يتوهم ان قولهم من
لوازم قول احد من السلف وليعلم انهم مخالفون للايمة المقتدى بهم بل قول الايمة
مناقض لقولهم فان الايمة كلهم نصوا على ان كلام الادميين مخلوق بل نص الامام
احمد على ان افعال العباد مخلوقة عموما وعلى كلام الادمي خصوصا لم يمنعوا عن
هذا الاطلاق لاجل الشبهة التي عرضت لمثل هؤلاء المبتدعة ثم ساق الشيخ
كلاما طويلا الى ان قال ومن المشهور في كتاب صريح السنة لمحمد ابن
جرير الطبري وهو متواتر عنه لما ذكر الكلام في ابواب السنة قال واما القول
في الفاظ العباد بالقران فلا اثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ولا عن تابعي قفا
الا عمن في قوله الشفا والغنا وفي اتباعه الرشد والهدى ومن قام مقام الايمة
الاولى ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل فان ابا اسمعيل الترمذي حدثني
قال سمعت ابا عبد الله احمد بن محمد بن حنبل يقول اللفظية جهمية قال ابن
جرير سمعت جماعة من اصحابنا لا احفظ اسماهم يحكون عنه انه كان يقول
من قال لفظي بالقران مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع قال
ابن جرير ولا قول في ذلك عندنا يجوز ان يقول احد غير قوله اذ لم يكن لنا
امام نايتم به سواه وفيه كفاية لمن هو متبع وقناعة لكل مقتنع وهو الامام
المتبع وقال صالح ابن الامام احمد بلغ ابي ان ابا طالب يحكي عن ابي انه قال
لفظي بالقران غير مخلوق فقال ابعث الى ابي طالب فوجهت اليه فجاء فقال له ابي
انا قلت لك لفظي بالقران غير مخلوق وغضب ابي وجعل يرتعد فقال له قرات

عليك

عليك قل هو الله احد فقلت لي هذا ليس بمخلوق فقال له فلم حكيت عني اني
قلت لفظي بالقران غير مخلوق وبلغني انك وضعت ذلك في كتابك وكتبت به
الى قوم فان كان في كتابك فامحه اشد المحو واكتب الى القوم الذين كتبت اليهم اني لم
اقل هذا وغضب وقال له تحكي عني ما لم اقل فجعل فوران يعتذر له وانصرف من
عنده وهو مرعوب فعاد ابو طالب فذكر له انه حك ذلك من كتابه وكتب الى
اوليك القوم يخبرهم انه وهم على ابي عبد الله في الحكاية عنه وقال ابو عبد الله القران
حيث يصرف غير مخلوق وقال عبد الوهاب الوراق من قال لفظي بالقران غير
مخلوق فانه يهجر ولا يكلم ويحذر منه وذكر الخلال في كتاب القراة عن اسحق ابن
ابراهيم قال قال ابو عبد الله يعني احمد ابن حنبل يوما وكنت سالته عن قوله
من لم يتغن بالقران قال هو الرجل يرفع صوته به فهذا معناه اذا رفع صوته به
فقد تغنى به وعن منصور وصالح انه قال لابيه يرفع صوته بالقران في الليل
قال نعم ان شاء رفع ثم ذكر حديث ام هاني كنت اسمع قراة النبي صلى الله عليه
وسلم وانا على عريشي من الليل وقال الاثرم سالت ابا عبد الله عن القراة
بالالحان فقال كل شي محدث فانه لا يعجبني الا ان يكون صوت رجل لا يتكلفه
قال واما قول القايل ان احمد قال ذلك خوفا من الناس فبطلان
هذا القول يعلمه كل عاقل بلغه شي من اخبار احمد وقايل هذا هو الى العقوبة
البليغة احوج منه الى الاجوبة لافترايه على الايمة فان الامام احمد صار مثلا
سايرا يضرب به المثل في المحنة والصبر على الحق فانه لم يكن ياخذه في الله لومة
لايم حتى صارت الامامة مقرونة باسمه في لسان كل احد فيقال قال الامام
احمد وهذا مذهب الامام احمد لقوله تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا
لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون فانه اعطي من الصبر واليقين ما نال به الامامة
في الدين وقد تداوله ثلاثة خلفا يسلطون عليه من شرق الارض الى مغربها ومعهم

من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والسعاة والامراء والولاة ما لا
يحصيه الا الله فبعضهم تسلط عليه بالحبس وبعضهم بالتهديد الشديد وبعضهم
يعده بالقتل وبغيره من الرعب وبعضهم بالترغيب في الرياسة والمال وبعضهم
بالنفي والتشريد من وطنه وقد خذله في ذلك اهل الارض حتى اصحابه
العلماء والصالحون وهو مع ذلك لا يجيبهم الى كلمة واحدة مما طلبوا منه
ولا رجع عما جاء به الكتاب والسنة ولا كتم العلم ولا استعمل التقية بل
قد اظهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واثاره ما دفع به البدع المخا
لفة لذلك مما لم يأت به مثله العالم من نظرائه ولهذا قال علماء الشام لم يظهر
احد مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما اظهره احمد بن حنبل فكيف
يظن به انه كان يخاف هذه الكلمة التي لا قدر لها وايضا فمن اصوله انه لا يقول
في الدين قولا مبتدعا فكيف بكلمة ما قالها احد قال فالمنتسبون الى
السنة والحديث وان كانوا اصلح من غيرهم وفيهم من الخير ما لا يوجد في غيرهم
فان السنة في الاسلام كالاسلام في الملل فكما انه يوجد في المنتسبين
الى الاسلام ما لا يوجد في غيرهم من الخير فكل خير فهو في المسلمين اكثر وكل
شر في المسلمين فهو في غيرهم اكثر فكذلك المنتسبة الى السنة قد يوجد
فيهم من الخير ما لا يوجد في غيرهم وان كان في غيرهم خير فهو فيهم اكثر وكل شر
فيهم فهو في غيرهم اكثر قال ويجب القطع بان كلام الادميين مخلوق
ويطلق القول بذلك اطلاقا ولا يحتاج الى تفصيل بان يقال نظمه او
تاليفه وغير ذلك وذلك لان كلام المتكلم هو عبارة عن الفاظه ومعانيه
وعامة ما يوجد في كتاب الله وسنة رسوله وكلام السلف وسائر الامم عربهم
وعجمهم فيقال عن كلام الله وهو القران وهذا كلام الله وهذا كلام فلان فانه
عند الاطلاق يتناول اللفظ والمعنى جميعا لشموله لهما قال واما الامة الوسط
الباقون

الباقون على الفطرة فيقولون لما بلغه المبلغ عن غيره واداه هذا كلام ذاك لا كلامك
وانما بلغته بقولك قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما خرج على قريش فقرأ الم
غلبت الروم الاية فقالوا هذا كلامك او كلام صاحبك فقال ليس هذا بكلامي
ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله وفي سنن ابي داود من حديث جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول الا رجل يحملني
الى قومه لابلغ كلام ربي فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي عز وجل فبين ان
ما يبلغه ويتلوه هو كلام الله لا كلامه وان كان يبلغه بافعاله وصوته والامم
متفقون على هذا اذا سمعوا من يروي قصيدة او كلاما او قران مسيلمة قالوا هذا
كلام فلان وقوله فانه هو الذي اتصف به دون الغير وانشاه قال وكذلك
من اتبع اباه الذين سلفوا من غير اعتصام بالكتاب والسنة فانه مما ذمه الله في
كتابه مثل قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا وفي قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا الاية وكذلك من اتبع الظنون
والاهواء معتقدا انها عقليات وذوقيات فهو ممن قال الله تعالى فيه ان يتبعون
الا الظن وما تهوى الانفس وانما يفصل بين الناس فيما تنازعوا فيه الكتاب
المنزل من السماء والرسول قال الله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى فان تنا
زعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الاية قال وقوله بلى من اسلم و
جهه الى الله وهو محسن فله اجره عند ربه الاية وقال ان الذين امنوا والذين
هادوا الاية فاخبر سبحانه عمن مضى ممن كان متمسكا بدين حق من اليهود و
النصارى والصابئين وعن المومنين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جميع
الامم ان من تلبس بهذه الخصال من سائر الامم وهي جماع الصلاح وهي الايمان
بالله والبعث والمعاد وعمل صالحا وهو اداء المامورات وترك المحظورات بان له

اجره عند ربه ولا خوف عليه مما امامه ولا يحزن على ما وراءه والاسلام الوجه
هو اخلاص الدين لله وهو عبادته وحده لا شريك له وهو حقيقة قوله
اياك نعبد واياك نستعين وهو محسن فالاول وهو اسلام الوجه
هو النية والثاني وهو الاحسان وهو العمل الصالح وهو الذي ذكره الله في
هاتين الايتين وهو الايمان العام والاسلام العام الذي اوجبه الله على
جميع عباده من الاولين والاخرين وهو دين الله العام الذي بعث به جميع الرو
سل وانزل به جميع الكتب فكان اول بدعة حدثت في هذه الامة بدعة الخوارج
المكفرة بالذنب فانهم تكلموا في الفاسق الملي فزعمت الخوارج والمعتزلة ان
الذنوب الكبيرة ومنهم من قال والصغيرة لا تجامع الايمان ابدا بل تنا
فيه وتفسده كما يفسد الاكل والشرب الصيام قال والايمان هو فعل الما
مور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات فيكون العا
صي كافرا لانه ليس الا مومن او كافر وقالت المعتزلة ننزله منزلة بين المنزلتين
لا نخرجه من الايمان ولا ندخله في الكفر وقابلتهم المرجئة والجهمية ومن
اتبعهم من الاشعرية والكرامية فقالوا ليس من الايمان فعل الاعمال الوا
جبة ولا ترك المحظورات البدنية فان الايمان لا يقبل الزيادة ولا النقصا
ن بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المومنين من الملائكة والمقربين والمقتصد
ين والظالمين واما السلف والائمة فاتفقوا على ان الايمان قول وعمل
فيدخل في القول قول القلب واللسان وفي العمل عمل القلب والار
كان قال المنتصرون لمذهبهم ان للايمان اصولا وفروعا وهو مشتمل
على اركان وواجبات ومستحبات بمنزلة اسم الحج والصلاة فان اسم الحج شا
مل كلما يشرع فيه وترك مثل محظوراته والوقوف بعرفة
ومزدلفة ومنى والطواف والسعي ثم الحج مع هذا مشتمل على اركان متى تركت
لم يصح

اي الايمان

لم يصح الحج كالوقوف بعرفة وعلى ترك محظور متى فعله فسد حجه وهو الوطي
ومشتمل على واجبات من فعل وترك يأثم بتركها عمدا ويجب لتركها لعذر وغيره
الجبران بدم كالاحرام من المواقيت والجمع بين الليل والنهار بعرفة وكرمي الجمار
ونحو ذلك ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها ولا يأثم بتركها ولا
توجب دما مثل رفع الصوت بالاهلال والاكثار منه وسوق الهدي وذكر الله
في تلك المواضع وقلة الكلام الا في امر ونهي فمن فعل ذلك الواجب وترك
المحظور فقد تم حجه وعمرته لله وهو مقتصد من اصحاب اليمين في هذا العمل لكن
من اتى بالمستحب فهو اكمل عند واتم حجا وعملا وهو سابق مقرب ومن ترك المامور
وفعل المحظور لكنه اتى باركانه وترك مفسداته فهو حج ناقص يثاب على ما فعله من
الحج ويعاقب على ما تركه وقد سقط عنه اصل الفرض بذلك مع عقوبته على ما
تركه ومن اخل بركن او فعل مفسدا فحجه فاسد لا يسقط به فرضه بل عليه
اعادته مع انه قد تنازعوا في اثابته على ما فعله وان لم يسقط به الفرض
والاشبه انه يثاب عليه فصار الحج ثلاثة اقسام كاملا بالمستحبات وتاما
بالواجبات فقط وناقصا عن الواجب والفقهاء يقسمون الوضوء الى كامل و
مجزي ويريدون بالكامل ما اتى بفروضه ومسنونه وبالمجزي ما اقتصر
على واجبه فهذا في الاعمال المشروعة وكذلك في الاعيان المشهودة
فان الشجرة مثلا اسم لمجموع الجذع والاغصان وهي بعد ذهاب الورق شجرة
وبعد ذهاب الاغصان شجرة لكن كاملة وناقصة فليكن مثل ذلك في
مسمى الايمان والدين قالوا الايمان ثلاث درجات ايمان السابقين المقربين
وهو ما اتى فيه بالواجبات والمستحبات من فعل وترك وايمان المقتصدين اصحاب
اليمين وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وايمان الظالمين
لانفسهم وهو ما ترك صاحبه فيه بعض الواجبات او فعل فيه بعض

وقد يفعل بعض المكروهات ويترك بعض المستحبات صح

المحضورات ولهذا قال علماء السنة لا يكفر احد بذنب اشارة الى بدعة الخوارج
الذين يكفرون بالذنب وايمان الظالمين لانفسهم وهو من اقر باصل الا
يمان وهو الاقرار بما جاءت به الرسل عن الله وهو شهادة ان لا اله الا الله ولم يفعل
المامورات ويجتنب المحضورات فان اصل الايمان التصديق والانقياد فهذا
اصل الايمان الذي من لم يات به فليس بمؤمن وقد تواتر في الاحاديث اخرجوا
من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان او مثقال حبة من خير
او مثقال ذرة من خير والايمان بضع وستون او بضع وسبعون شعبة
اعلاها لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من
الايمان فعلم ان الايمان يقبل التبعيض والتجزئة وان قليله يخرج به صا
حبه من النار وان دخلها وليس كما يقوله الخارجون عن مقالة اهل السنة
انه لا يقبل التبعيض والتجزئة بل هو شيء واحد اما ان يحصل كله واما انه
لا يحصل منه واعلم ان عامة السور المكية التي انزلها الله بمكة هي في هذا
الايمان العام المشترك بين الانبيا جميعهم وبين المومنين جميعهم وهذا هو
القدر المشترك هو في بعض الملل اعظم قدرا ووصفا فان ما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم من صفات الله واسمائه وذكر اليوم الاخر اكمل مما جاءت
به سائر الانبيا ومنه ما تختلف فيه الشرايع والمناهج كالقبلة والنسك ومقا
دير العبادات واوقاتها وصفاتها والسنن والاحكام وغير ذلك فمسمى
الايمان والدين في اول الاسلام ليس هو مسماه في اخر زمان النبوة بل
مسماه في الاخر اكمل من مسماه في اول البعثة واوسطها كما قال تعالى في اخر
الامر اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم وقال بعدها
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين ولهذا قال
الامام احمد كان الايمان في اول الاسلام ناقصا فجعل يتم وهكذا مسمى الايمان

والدين

والدين قد يتنوع بحسب الاشخاص بحسب امر الله كلا منهم وبحسب ما يفعله مما
امر به وبحسب اقباله وحضوره واخلاصه فان المومنين من الاولين والاخرين
مشتركون في الايمان بالله واليوم الاخر والعمل الصالح ولكن بينهم تفاوت ما في
القلوب اذا ذكر الله وما في اليوم الاخر ما تفاوت به الايمان فعند ذكر الجنة
و[illegible] النجاة من النار وذم من ترك بعضه ونحو ذلك يزداد به الايمان الواجب
لقوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وقوله تعالى انما
المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية وقوله تعالى انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا الاية وقوله تعالى
في الجنة اعدت للذين امنوا بالله ورسله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزا
ني حين يزني وهو مومن الحديث نفى الايمان الواجب عنه الذي يستحق به
الجنة ولا يستلزم ذلك نفي اصل الايمان وساير اجزايه وشعبه وهذا معنى
قولهم نفي كمال الايمان وحقيقة ذلك ان الكمال الواجب ليس هو الكمال المستحب
المذكور في قول الفقها الغسل كامل ومجزي ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
من غشنا فليس منا ليس المراد به انه كافر كما تاوله الخوارج ولا انه ليس من
خيارنا كما تاوله المرجئة ولكن المضمر يطابق المظهر والمظهر هو المومنون
المستحقون للثواب السالمون من العذاب والغاش ليس منا لانه متعرض
لعذاب الله وسخطه اذا تبين هذا فمن ترك بعض الايمان الواجب في الجملة لعجزه
عنه اما لعدم تمكنه من العلم واما لعدم تمكنه من العمل لم يكن مامورا بما يعجز عنه
ولم يكن ذلك من الايمان والدين الواجب في حقه وان كان من الدين والايمان
في الاصل بمنزلة صلاة المريض والخايف وساير اهل الاعذار الذين يعجزون
عن اتمام الصلاة فان صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا عليه وبه امروا وان
كانت صلاة القادر على الاتمام اكمل وافضل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن

القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير رواه مسلم وفي
حديث حسن السياق ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس ولو امكنه
العلم به دون العمل لوجب الايمان به علما واعتقادا وان لم يعمل به قال
الله قد بينا بنصوص معروفة ان الحسنات يذهبن السيئات وانه من يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان مصايب الدنيا تكفر الذنوب
وانه يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في اهل الكباير وانه يغفر الذنوب جميعا
ويغفر ما دون الشرك وان الصدقة يبطلها المن والاذى وان الريا يبطل العمل
ونحو ذلك فيجعل للسيئات ما يوجب رفع عاقبتها كما جعل للحسنات ما قد
يبطل ثوابها لكن ليس شي يبطل جميع السيئات الا التوبة كما انه ليس شي يبطل
جميع الحسنات الا الردة وبهذا يتبين انا نشهد بان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا على الاطلاق والعموم ولا نشهد لمعين انه في النار
لانا لا نعلم لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفا موانع ونحن لا نعلم
ثبوت الشرط وانتفا الموانع في حقه وفايدة هذا الوعيد بيان ان هذا الذنب
سبب مقتضي لهذا العذاب والسبب قد يقف تاثيره على وجود شرطه وانتفا
موانعه يبين هذا انه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن الخمر وعاصرها
ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها
واكل ثمنها وثبت عنه في الصحيح ان رجلا كان يكثر شرب الخمر فلعنه رجل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فنهى عن لعن هذا المعين
وهو مدمن الخمر لانه يحب الله ورسوله وقد لعن اولا شارب الخمر على العموم
فصل مسئلة تكفير اهل الاهوا والبدع متفرعة على هذا الاصل فنبدا
بذكر مذاهب الايمة في ذلك قبل التنبيه على الحجة فنقول المشهور من مذ
هب احمد وعامة ايمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن فان قولهم

صح

صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل وحقيقة قولهم جحود الصانع
وجحود ما اخبر به عن نفسه وعلى لسان رسوله بل وجميع الرسل ولهذا قال
عبد الله بن المبارك انا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع ان نحكي كلام
الجهمية وقال غير واحد من الايمة انهم اكفر من اليهود والنصارى وبهذا كفروا من
يقول ان القران مخلوق وان الله لا يرى في الاخرة وان الله ليس على العرش وانه ليس
له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ونحو ذلك من صفاته واما المرجئة فلا
تختلف نصوصه انه لا يكفرهم فان بدعتهم من جنس اختلاف الفقها في الفروع وكذلك
الذين يفضلون عليا على ابي بكر لا تختلف نصوصه انه لا يكفرهم وذلك قول طا
يفة من الفقها ولكن يبدعون قال وعنه في تكفير من لم يكفر الجهمية روا
يتان اصحهما لا يكفر والجهمية عند كثير من السلف مثل ابن المبارك ويوسف
ابن اسباط وطايفة من اصحاب احمد ليسوا من الثلاث والسبعين فرقة التي افتر
قت عليها هذه الامة بل اصول هذه الفرق هم الخوارج والشيعة والمرجئة
والقدرية قال فان الدعا الى المقالة اعظم من قولها واثابة قايلها وعقوبة
تاركها اعظم من مجرد الدعا اليها قال في الادلة الشرعية ما يوجب ان الله لا
يعذب احدا من هذه الامة مخطئا على خطايه وان عذب المخطي من غير هذه الامة
فقد ثبت في الصحيح من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في
البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات
الرجل فعلوا به كما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت
هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له وهذا الحديث متواتر عن
النبي صلى الله عليه وسلم من طرق رواه اصحاب الصحيح والمسانيد من حديث ابي سعيد
وحذيفة وعقبة بن عامر وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة ويعلم

اهل الحديث انها تفيد العلم اليقيني وان لم يحصل ذلك لغيرهم وهذا الرجل
كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على اعادة من تصل الى الحالة
التي امر اهله ان يفعلوها به وان من احرق وذري لا يقدر الله ان يعيده ويحشره
واذا فعل به ذلك وانه ظن ذلك ظنا ولم يجزم به وهذان اصلان عظيمان
احدهما متعلق بالله وهو الايمان بانه على كل شيء قدير والثاني متعلق با
ليوم الاخر وهو الايمان بان الله يعيد هذا الميت ولو صار الى تقدير صيرورته
اليه مهما كان فلا بد ان الله يحييه ويجزيه باعماله فهذا الرجل لما كان مؤمنا
بالله في الجملة ومؤمنا باليوم الاخر في الجملة وان الله يثيب ويعاقب بعد الموت
فهذا عمل صالح وهو خوفه من الله ان يعاقبه على تفريطه فغفر له بما كان معه من الايمان
بالله واليوم الاخر وانما اخطا من شدة خوفه كما ان الذي وجد راحلته بعد اياسه
منها اخطا من شدة فرحه وقد وقع الخطا الكثير الخلق من هذه الامة واتفقوا
على عدم تكفير من اخطا مثل ما انكر بعض الصحابة ان يكون الميت يسمع نداء الحي وانكر
بعضهم ان يكون المعراج يقظة ولبعضهم في الخلافة والتفضيل كلام وكذلك
لبعضهم في قتال بعض وتكفير بعض اقوال معروفة وكان القاضي شريح ينكر
قراءة من قرا بل عجبت ويقول ان الله لا يعجب فبلغ ذلك ابراهيم النخعي فقال انما
شريح شاعر يعجبه علمه كان عبد الله افقه منه وكان يقرا بل عجبت فهذا قد
انكر قراءة ثابتة وانكر صفة لله دل عليها الكتاب والسنة واتفقت الامة على
ان شريحا اماما من الائمة وكذلك بعض العلماء انكر حروفا من القرآن كما انكر بعضهم
اولم ييأس الذين امنوا فقال انما هي اولم يتبين الذين امنوا واخر انكر وقضى
ربك ان لا تعبدوا الا اياه فقال انما هي ووصى ربك وبعضهم كان حذف المعو
ذتين واخر يكتب سورة القنوت وهذا الخطا معفو عنه بالاجماع وكذلك الخطا
في الفروع العملية فان المخطي فيها لا يكفر ولا يفسق بل ولا ياثم وان كان بعض المتكلمة

والمتفقهة

والمتفقهة يجعل المخطي فيها اثم وبعض المتفقهة يعتقد كل مجتهد فيها مصيب فهذان
القولان شاذان ولم يقل احد بتكفير المخطي فقد اخطا بعض السلف فيها مثل خطا
بعضهم في بعض انواع الربا واستحلال اخرين الخمر واستحلال اخرين القتال في الفتنة
وقد قال تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله ففهمناها سليمان الاية وفي
الصحيح اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطا فله اجر والسنة والا
جماع منعقد على ان من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يومن فهو كافر لا يقبل
منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور ادلة الرسالة واعلام النبوة والنصوص انما اوجبت
رفع المواخذة بالخطا لهذه الامة واذا كان كذلك فالمخطي في بعض المسايل اما ان
يلحق بالكفار من المشركين واهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة اصول الايمان فان الايمان
بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو من اعظم
اصول الايمان وقواعد الدين والجاحد لها كافر بالاتفاق واذا كان لا بد من الحاقه باحد
الصنفين فالحاقه بالمومنين المخطئين اشد شبها من الحاقه بالمشركين واهل الكتاب
مع العلم بان كثيرا من اهل البدع منافقين النفاق الاكبر فما اكثر ما يوجد في الرافضة
والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون واوليك في الدرك الاسفل من النار بل اصل
هذه البدع من المنافقين الزنادقة ممن يكون اصل زندقته ماخوذ من الصابئين
والمشركين واصل هولاء الاعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة وابتغاء
الهدى وغير ذلك فمن كان هذا اصله فهو بعيد الرسالة انما هي للعامة دون الخاصة
كما يقوله قوم من المتفلسفة والمتكلمة والمتصوفة فنفي الصفات كفر والتكذيب
بان الله لا يرى في الاخرة كفر وانكار ان يكون الله على العرش كفر وكذلك ما كان في
معنى ذلك كانكار تكليم الله لموسى واتخاذ الله ابراهيم خليلا قال فان الجزا
في الحقيقة انما هو في الدار الاخرة التي هي دار الثواب والعقاب واما الدنيا فانما
يشرع فيها ما شرع من العقوبات دفعا للظلم والعدوان وكسرا للنفوس العاتية

ودفع الشر الجبار الطاغي واذا كان الامر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الاخرة ولا بالعكس ولهذا اكثر السلف على قتل الداعي الى البدعة لما يجري على يديه من الفساد في الدين سواء قالوا هو كافر او ليس بكافر واذا عرف هذا فتكفير المعين من هولاء الجهال وامثالهم بحيث يحكم عليه بانه مع الكفار لا يجوز الا قدام عليه الا بعد ان يقوم على احدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها لهم انهم مخالفون للرسول وان كانت مقالتهم هذه لا ريب انها كفر وهكذا الكلام في جميع تكفير المعينين مع ان بعض هذه البدع اشد من بعض وبعض المبتدعة يكون فيه من الايمان والعمل الصالح ما ليس في بعض والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم

وقال ابو العباس بعد كلام له سبق على ائمة المتكلمين وهذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال انه فيها مخطئ ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوايف منهم في الامور الظاهرة التي يعلم العامة والخاصة من المسلمين انها من دين الاسلام بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون ان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر مخالفها مثل امره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة احد سوى الله من الملائكة والنبيين والشمس والقمر والكواكب والاصنام وغير ذلك فان هذا اظهر شعاير الاسلام ومثل امره بالصلوات الخمس وايجابه لها وتعظيم شانها ومثل معاداته اليهود والنصارى والمشركين والصابئين والمجوس ومثل تحريم الفواحش والربا والميسر ونحو ذلك ثم تجد كثيرا من رؤسهم وقعوا في هذه الانواع فكانوا مرتدين وان كانوا قد يتوبون من ذلك او يعودون الى الاسلام مثل ما حكي عن الجهم ابن صفوان انه ترك الصلاة اربعين يوما لا يرى وجوبها عليه وكرؤس العشاير مثل الاقرع ابن حابس وعيينة ابن حصن ونحوهم ممن ارتد عن الاسلام

ثم دخل

ثم دخل فيه ففيهم من كان يتهم بالنفاق ومرض القلب وفيهم من لم يكن كذلك او يقال هم لما فيهم من العلم يشبهون بعبد الله ابن سعد ابن ابي سرح الذي كان كاتب الوحي فارتد ولحق بالمشركين فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه عام الفتح ثم اتى به عثمان اليه فبايعه على الاسلام فمن صنف في مذهب المشركين ونحوهم احسن احواله ان يكون اسلم فكثير من رؤس هولاء هكذا تجده تارة يرتد عن الاسلام ردة صريحة وتارة يعود اليه ولكن مع مرض في قلبه ونفاق وقد يكون له حال ثالثة يغلب الايمان فيها النفاق ولكن قل ان يسلموا من نوع نفاق والحكايات عنهم بذلك صحيحة مشهورة وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفا في اول مختلف الحديث وقد حكى اهل المقالات بعضهم عن بعض من ذلك طرفا كما يذكره ابو عيسى الوراق والنوبختي وابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر ابن الباقلاني وابو عبد الله الشهرستاني وغيرهم ممن يذكر مقالات اهل الكلام وابلغ من ذلك ان منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام كما صنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب والاصنام واقام الادلة على حسن ذلك ومنفعته ورغب فيه وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين وان كان قد يكون عاد الى الاسلام ه انتهى والله اعلم ه

احد الحنابلة ايضا

لا يكتب هذا لانه ليس من الاصل بل من كتاب

لابن دقيق العيد ادخله الكاتب في هذه الصفحه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن دقيق العيد في كلامه على الدين النصيحة الحديث ليس لتميم الداري رضي الله عنه غير هذا الحديث والنصيحة كلمة جامعة معناها ارادة جملة الخير حيازة الحظ المنصوح له وهي من وجيز الاسماء ومختصر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة كما قالوا في الفلاح ليس في كلام العرب كلمة اجمع لخير الدنيا والاخرة منها ومعنى قوله الدين النصيحة اي عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله الحج عرفة اي عماده ومعظمه

واما تفسير النصيحة وانواعها فقال الخطابي وغيره من العلماء النصيحة لله تعالى معناها
منصرف الى الايمان به ونفي الشرك عنه وترك الالحاد في صفاته ووصفه بصفات
الكمال والجلال كلها وتنزيهه عن جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب
معصيته والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمته والشكر عليها
والاخلاص في جميع الامور والدعا الى جميع الاوصاف المذكورة والحث عليها
والتلطف بالناس قال الخطابي وحقيقة هذه الاوصاف راجعة الى العبد في نصيحته
نفسه فان الله سبحانه وتعالى غني عن نصح الناصح واما النصيحة لكتابه سبحانه
وتعالى فالايمان بانه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الناس ولا يقدر
على مثله احد من الخلق ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها واقامة
حروفه في التلاوة والذب عنه لتاويل المحرفين والتصديق بما فيه والوقوف مع احكامه وتفهم
علومه وامثاله والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن
عمومه والدعا اليه والى ما ذكرنا من نصيحته واما النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصديقه على
الرسالة والايمان بجميع ما جا به وطاعته في امره ونهيه ونصرته حيا وميتا ومعاداة من عاداه وموالاة
من والاه واعظام حقه وتوقيره واحياء طريقته وسنته واجابة دعوته ونشر سنته ونفي التهمة
عنها واستثارة علومها والتفقه في معانيها والدعا اليها والتلطف في تعليمها واعظامها واجلالها
والتادب عند قراءتها والامساك عن الكلام فيها بغير علم واجلال اهلها لانتسابهم اليها والتخلق باخلاقه والتادب بادابه ومحبة اهل بيته واصحابه ومجانبة من ابتدع في
سنته او تعرض لاحد من اصحابه ونحو ذلك واما النصيحة لائمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم وامرهم به
وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف واعلامهم بما غفلوا عنه وتبليغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم بالسيف وتاليف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم وان يدعو لهم بالصلاح واما نصيحة عامة
المسلمين وهم من عدا ولاة الامر فارشادهم لمصالحهم في اخرتهم ودنياهم واعانتهم عليه وستر عوراتهم
وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق واخلاص في
الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالمواعظ الحسنة وترك غشهم وحسدهم وان يحب لهم ما
يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه والذب عن اموالهم واعراضهم وغير ذلك
من احوالهم بالقول والفعل وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من انواع النصيحة والله اعلم والنصيحة فرض
كفاية اذا قام بها من يكفي سقط عن غيره وهي لازمة على قدر الطاقة والنصيحة في اللغة الاخلاص يقال نصحت
العسل اذا صفيته وقيل غير ذلك والله اعلم ٥ بمه

الى هنا

مسئلة ما قول العلما رح في افضل الايام وهل التهنئة في العيد وما
يجري على السنة الناس عيد مبارك وما اشبهه هل له اصل في الشريعة
املا واذا كان له اصل في الشريعة فما الذي يقال الجواب الحمد لله ٥
افضل ايام الاسبوع يوم الجمعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها وافضل ايام
العام يوم النحر كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم افضل الايام عند الله يوم النحر ثم
يوم عرفه واما التهنئة يوم العيد يقول بعضهم لبعض اذا لقيه بعد
الصلاة تقبل الله منا ومنكم او احاله الله عليك ونحو ذلك فهذا قد روي
عن طائفة من الصحابة انهم كانوا يفعلونه ورخص فيه بعض الائمة كاحمد
وغيره لكن قال احمد انا لا ابتدي احدا فان ابتداني احد اجبته
وذلك لان جواب التحية واجب واما الابتداء بالتهنئة فليس سنة
مامورا بها ولا هو ايضا مما نهي عنه فمن فعله فله قدوة ومن تركه فله
قدوة والله اعلم مسئلة في المسكنة وفي قوله صلى الله عليه وسلم اللهم
احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين الجواب
الحمد لله هذا الحديث قد رواه الترمذي وقد ذكره ابو الفرج بن الجوزي
في الموضوعات وبالجملة ان صح لفظه او لم يصح المسكين المحمود هو
المتواضع الخاشع لله ليس المراد بالمسكنة عدم المال بل قد يكون الرجل
فقيرا وهو جبار كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلاثة لا يكلمهم الله
ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولهم عذاب اليم ملك كذاب وفقير مختال
وشيخ زان وكان صلى الله عليه وسلم يقول انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس
كما يجلس العبد فالمسكنة خلق في النفس وهو التواضع والخشوع
واللين ضد التكبر كما قال عيسى عليه السلام وبرا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا ومنه قول الشاعر مساكين اهل الحب حتى قبورهم عليها تراب
الذل بين المقابر اي اذلا فالحب يعطي الذل وعبادة الله تجمع ٥
كمال الذل له وكمال الحب له فمن كان محبا لشيء ولم يكن ذليلا له لم يكن
عابدا ومن كان ذليلا له وهو مبغض له لم يكن عابدا والحب

درجات اعلاها التتيم وهو التعبد وتيم الله عبد الله وقد قال تعالى
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما الايات وشواهد هذا الاصل كثيرة والله سبحانه اعلم

مسئلة ما قولكم ادام الله فضلكم في الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل وما اقسام التقوى والصبر الذي عليه الناس الجواب

الحمد لله اما بعد فان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالهجر الجميل والصفح الجميل
والصبر الجميل فالهجر الجميل هجر بلا اذى والصفح الجميل صفح بلا عتاب
والصبر الجميل صبر بلا شكوى قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني
الى الله مع قوله فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون فالشكوى
الى الله لا تنافي الصبر الجميل ويروى عن موسى عليه السلام انه كان يقول اللهم
لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان
وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي
وهواني على الناس وانت رب المستضعفين وانت ربي اللهم الى من
تكلني الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي
غضب فلا ابالي غير ان عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي
اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي سخطك
او يحل علي غضبك لك العتبى حتى ترضى وكان عمر رضه يقرا في صلاة
الفجر انما اشكو بثي وحزني الى الله ويبكي حتى يسمع نشيجه من اخر الصفوف
بخلاف الشكوى الى المخلوق وقرئ على الامام احمد في مرض موته ان طاوسا
كره انين المريض وقال انه شكوى فما ان حتى مات وذلك ان المشتكي
طالب بلسان الحال اما ازالة ما يضره او حصول ما ينفعه والعبد
مامور ان يسئل ربه دون خلقه كما قال تعالى فاذا فرغت فانصب
والى ربك فارغب وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سئلت فاسئل الله
واذا استعنت فاستعن بالله ولا بد للانسان من شيئين طاعته
بفعل المامور وترك المحظور والصبر على ما يصيبه من القضاء المقدور
فالاول اثنان فالاول هو التقوى والثاني هو الصبر قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الى قوله وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم

لا يضركم كيدهم شيئا وقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا
الاية وقال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال يوسف انه من
يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ولهذا كان الشيخ عبد القادر رحمه الله
ونحوه من المشايخ المستقيمين يوصون في عامة كلامهم بهذين الاصلين ٥ ٣٤٧
المسارعة الى فعل المامور والتقاعد عن فعل المحظور والصبر والرضى بالامر
المقدور وذلك ان هذا الموضع غلط فيه كثير من العامة ومن السالكين فمنهم من
يشهد المقدور فقط ويشهد الحقيقة الكونية دون الدينية فيرون ان الله
خالق كل شي وربه ومليكه ولا يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما يسخطه
ويبغضه وان قدره وقضاه ولا يميز بين توحيد الالهية وبين توحيد
الربوبية فيشهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات سعيدها وشقيها
مشهد الجمع الذي يشترك فيه المومن والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق
والمتنبي الكاذب واهل الجنة واهل النار والملائكة المقربين والمردة الشياطين
فان هولاء كلهم يشتركون في هذا الجمع وهذه الحقيقة الكونية وهو ان الله
ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره ولا يشهد الفرق الذي فرق الله فيه بين
اولياءه واعداءه وبين اهل الجنة واهل النار وهو توحيد الالهية وهو عبادة
الله وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله وفعل ما يحبه ويرضاه وهو ما
امر الله ورسوله امر ايجاب او امر استحباب وترك ما نهى الله عنه ورسوله وموالات
اولياءه ومعادات اعداءه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار
والمنافقين بالقلب واليد واللسان فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية
الفارقة بين هولاء وهولاء ويكون مع اهل الحقيقة الدينية والا فهو من
جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى فان المشركين يقرون بالحقيقة
الكونية اذ هم يقرون بان الله رب كل شي كما قال تعالى ولئن سئلتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم
تعلمون سيقولون لله الايات ولهذا قال سبحانه وما يومن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون قال بعض السلف تسئلهم من خلق السموات والارض فيقولون الله
ومع هذا يعبدون غيره فمن اقر بالقضاء والقدر دون الامر والنهي الشرعيين
فهو اكفر من اليهود والنصارى فان اولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاؤا
بالامر والنهي لكن امنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى ان الذين يكفرون

بالله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون
حقا واما الذي يشهد الحقيقة الكونية وتوحيد الربوبية الشامل للخليقة
ويقر ان العباد كلهم تحت القضا والقدر ويسلك هذه الحقيقة فلا يفرق بين
المؤمنين وبين الفجار الكافرين فهولاء اكفر من اليهود والنصارى لكن من الناس
من قد يخطو الفرق في بعض الامور دون بعض بحيث يفرق بين المؤمن والكافر
ولا يفرق بين البر والفاجر او يفرق بين بعض الابرار وبين بعض الفجار ولا
يفرق في اخرين اتباعا لظنه وما يهواه فيكون ناقص الايمان بحسب ما سوى
بين الابرار والفجار ويكون معه من الايمان بدين الله تعالى الفارق
بحسب ما فرق بين اوليايه واعدائه ومن اقر بالامر والنهي الدينيين
دون القضا والقدر كان من القدرية كالمعتزلة ونحوهم الذين هم مجوس هذه
الامة فهولاء يشبهون المجوس واولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس
ومن اقر بهما وجعل الرب متناقضا فهو من اتباع ابليس الذي اعترض على
الرب سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه فهذا التقسيم في القول والاعتقاد
وكذلك هم في الاحوال والافعال فالصواب منها حالة المومن الذي يتقي الله
فيفعل المامور ويترك المحظور ويصبر على ما يصيبه من المقدور فهو عند
الامر والنهي والدين والشريعة يستعين الله على ذلك كما قال تعالى اياك نعبد
واياك نستعين واذا اذنب استغفر وتاب ولا يحتج بالقدر على ما يفعله من
السيئات ولا يرى للمخلوق على رب الكائنات بل يومن بالقدر ولا يحتج به كما في
الحديث الصحيح سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت
خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك
من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت فيقر بنعمة الله عليه في الحسنات ويعلم انه هو هداه ويسره
لليسرى ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها كما قال بعضهم اطعتك
بفضلك والمنة لك وعصيتك بعلمك والحجة لك فاسلك بوجوب
حجتك علي وانقطاع حجتي الا غفرت لي وفي الحديث الصحيح الالهي يا عبادي
انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن
وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا
الموضع واخرون قد يشهدون الامر فقط فيكون عندهم فيجدهم
يجتهدون

ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله صح

يجتهدون في الطاعة بحسب الاستطاعة ولكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ما
يوجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر واخرون يشهدون القدر
فقط فيكون عندهم من الاستعانة والصبر والتوكل ما ليس عند اولئك لكنهم لا
يلتزمون امر الله ورسوله واتباع شريعته وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة
فهولاء يستعينون الله ولا يعبدونه والذين من قبلهم يريدون ان يعبدوه
ولا يستعينوه والمومن يعبده ويستعينه والقسم الرابع شر الاقسام
وهو من لا يعبده ولا يستعينه فلا هو مع الشريعة الامرية ولا مع القدر الكوني
وانقسامهم الى هذه الاقسام فيما يكون قبل المقدور من التوكل والاستعانة
ونحو ذلك وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك فهم في التقوى وهي طاعة
الامر الديني والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني اربعة اقسام احدها
اهل التقوى والصبر وهم الذين انعم الله عليهم اهل السعادة في الدنيا والاخرة
الثاني الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر مثل الذين يمتثلون ما عليهم من الصلاة
ونحوها ويتركون المحرمات ولكن اذا اصيب احدهم في بدنه بمرض ونحوه
او في ماله او في عرضه او ابتلي بعدو عظم جزعه وظهر هلعه والثالث
قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى كالفجار الذين يصبرون على ما اصابهم في مثل
اهوائهم كاللصوص الذين يصبرون على الالام في مثل ما يطلبونه من الغصب
واخذ الحرام واهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الاموال
بالخيانة وغيرها وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون في ذلك
على انواع من الاذى التي لا يصبر عليها اكثر الناس وكذلك اهل المحبة للصور
المحرمة من اهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات
على انواع من الاذى وهولاء هم الذين يريدون علوا في الارض وفسادا
من طلاب الرياسة ومن طلاب الاموال بالبغي والعدوان يصبرون ولكن
على انواع من المكروهات ليس لهم تقوى لما تركوه من المامورات وفعلوه
من المحظورات وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب
كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى اذا قدر واما القسم
الرابع فهم شر الاقسام لا يتقون اذا قدروا ولا يصبرون اذا ابتلوا

ولكن

بل هم كما قال الله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا
مسه الخير منوعا فهولاء تجدهم من اظلم الناس واجبرهم اذا قدروا ومن
اذل الناس واجزعهم اذا قهروا وان قهرتهم ذلوا لك ونافقوك وحابوك
ودخلوا فيما يدفعون به عن انفسهم من انواع الكذب والذل وتعظيم
المسئول وان قهروك كانوا من اظلم الناس واقساهم قلبا واقلهم رحمة واحسانا
وعفوا كما جربه المسلمون في كل من كان عن حقائق الايمان ابعد مثل التتار
الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم في كثير من امورهم وان كان متظاهرا
بلباس جند المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم وصناعهم فالاعتبار
بالحقائق فان الله لا ينظر الى صوركم والى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم
فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار واعمالهم كان شبيها بهم من
هذا الوجه وكان ما معه من الاسلام وما يظهره منه بمنزلة ما معهم
من الاسلام وما يظهرونه منه بل يوجد في غير التتار المقاتلين من المظاهرين
للاسلام من هو اعظم ردة واولى باخلاق الجاهلية وابعد عن
الاخلاق الاسلامية من التتار وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
يقول في خطبته خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة واذا كان خير الكلام كلام الله
وخير الهدي هدي محمد فكل من كان الى ذلك اقرب فهو به اشبه كان
الى الكمال اقرب وبه احق ومن كان عن ذلك ابعد وشبهه به اضعف
كان عن الكمال ابعد وبالباطل احق والكامل هو من كان لله
اطوع وعلى ما يصيبه اصبر فكلما كان اتبع لما يامر الله به ورسوله
واعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه وصبر على ما قدره وقضاه
كان اكمل وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك
وقد ذكر الله التقوى والصبر جميعا في غير موضع من كتابه وبين
انه به ينتصر العبد على عدوه من الكفار المحاربين المعاهدين
والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين والصحابة لتكون العاقبة له
قال الله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم

ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقال تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا الى قوله وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وقال يوسف عليه السلام انه من يتق ويصبر
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد قرن الصبر بالاعمال الصالحة عموما
وخصوصا فقال واتبع ما يوحى اليك من ربك واصبر حتى يحكم الله وهو
خير الحاكمين وفي اتباع ما اوحي اليه التقوى كلها تصديقا لخبر الله وطاعة
لامره وقال تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله تعالى
واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال تعالى فاصبر ان وعد الله حق
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار وقال تعالى فاصبر
على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقال تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فهذه مواضع
قرن فيها بين الصلاة والصبر وقرن بين الصبر والرحمة في قوله وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة
وغيرها فان القسمة ايضا رباعية اذ من الناس من يصبر ولا يرحم
كاهل القوة والقسوة ومنهم من يرحم ولا يصبر كاهل الضعف
واللين مثل كثير من النساء ومن يشبههن ومنهم من لا يصبر ولا يرحم
كاهل القسوة والهلع والمحمود هو الذي يصبر ويرحم كما قال الفقهاء
في صفة المتولي ينبغي ان يكون قويا من غير عنف لينا من غير ضعف
فبصبره يقوى وبلينه يرحم وبالصبر ينصر العبد فان النصر مع
الصبر وبالرحمة يرحمه الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انما يرحم الله من عباده
الرحماء وقال من لا يرحم لا يرحم وقال لا تنزع الرحمة الا من شقي الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء والله سبحانه

مسئلة ما صورته عن ابي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
يرويه عن الله تبارك وتعالى انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي الخ
يا عبادي كلكم ضال الا من هديته الخ يا عبادي كلكم جائع الا الخ يا عبادي
كلكم عار الا الخ يا عبادي انكم تخطئون بالليل الخ يا عبادي انكم لن
تبلغوا ضري الخ يا عبادي لو ان اولكم وآخركم الخ يا عبادي لو ان اولكم
وآخركم الخ يا عبادي لو ان اولكم وآخركم الخ يا عبادي انما هي اعمالكم
احصيها لكم ثم اوفيكم اياها الخ المأمول منكم ان تتكلم على هذا الحديث
وتوضح شرحه لنا اثابكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجواب الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم **اما** قوله يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي ففيه مسئلتان
كبيرتان كل منهما ذات شعب وفروع احداهما في الظلم الذي حرمه الله على نفسه
ونفاه عن نفسه بقوله وما ظلمناهم وقوله ولا يظلم ربك احدا وقوله
وما انا بظلام للعبيد وقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها وقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون
فتيلا ونفى ارادته بقوله وما الله يريد ظلما للعباد وقوله وما الله يريد
ظلما للعالمين ونفى خوف العباد له بقوله ومن يعمل من الصالحات وهو
مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما فان الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم
تنازعا صاروا فيه بين طرفين متباعدين ووسط بينهما وخيار الامور
اوسطها وذلك بسبب البحث ومجامعته للشرع اذ الخوض في ذلك
بغير علم تام اوجب ضلال الامم ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه عن عامته
التنازع فيه فذهب المكذبون بالقدر القائلون بان الله لم يخلق
افعال العباد ولم يرد ان يكون الا ما امر بان يكون وغلاتهم المكذبون
بتقدم علم الله وكتابته بما سيكون من افعال العباد من المعتزلة وغيرهم
الى ان الظلم منه هو نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض وشبهوه
ومثلوه في الافعال بافعال عباده حتى كانوا هم ممثلة الافعال
وضربوا لله الامثال ولم يجعلوا له المثل الاعلى بل اوجبوا عليه وحرموا
ما رأوا انه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد واثبات الحكم

في الاصل بالرأي وقالوا اذا امر العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه
الاعانة كان ظالما له فالتزموا انه لا يقدر على ان يهدي ضالا كما قالوا انه لا يقدر
ان يضل مهتديا وقالوا اذا امر اثنين بامر واحد وخص احدهما
على اعانته بفعل المأمور كان ظالما الى امثال ذلك من الامور التي هي من باب الفضل
والاحسان جعلوا تركه لها ظلما وكذلك ظنوا ان التعذيب لمن كان فعله مقدرا
ظلم له ولم يفرقوا بين التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك ومن لم يقم وان كان
ذلك الاستحقاق قد خلق لحكمة اخرى عامة او خاصة وهذا الموضع زلت فيه
اقدام وضلت فيه افهام فعارض هؤلاء آخرون من اهل الكلام المثبتين
للقدر فقالوا ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها بل هو من الامور الممتنعة
لذاتها فلا يجوز ان يكون مقدورا ولا ان يقال انه تارك له باختياره ومشيئته
وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم
محدثا والمحدث قديما والا فمهما قدر في الذهن وكان وجوده ممكنا والله
قادر عليه فليس بظلم سواء فعله او لم يفعله وتلقى هذا القول عن هؤلاء طوائف
من اهل الاثبات من الفقهاء واهل الحديث من اصحاب مالك والشافعي واحمد وغيرهم
ومن شراح الحديث ونحوهم وفسروا هذا الحديث بما ينبني على هذا القول وربما تعلقوا
بظاهر من اقوال مأثورة كما روينا عن اياس بن معاوية انه قال ما ناظرت بعقلي
كله احدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك او ان تتصرف
فيما ليس لك قلت فلله كل شيء وليس هذا من ايا من الايمان ان التصرفات
الواقعة هي في ملكه فلا يكون ظلما بعجيج حدهم وهذا لا نزاع فيه بين اهل الاثبات
فيه فانهم متفقون مع الايمان بالقدر على ان كلما فعله الله فهو عدل وفي حديث
الكرب الذي رواه الامام احمد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اصاب احدا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك ابن امتك
الى آخر الدعا الا اذهب الله همه وغمه وابدله مكانه فرحا قالوا يا رسول الله
افلا نتعلمهن فقد بين ان كل قضاء في عبده عدل ولهذا يقال كل نعمة
منه فضل وكل نقمة منه عدل ويقال اطعتك بفضلك والمنة لك
وعصيتك بعلمك او بعدلك الحجة لك فاسألك بوجوب حجتك

علي دوام انقطاع حجتي الا ما غفر لي وهذه المناظرة من اياس كما قال ربيعة ابن
عبد الرحمن لغيلان حين قال له غيلان ناشدتك الله اترى الله يحب ان يعصى فقال
ناشدتك الله اترى الله يعصى قسرا فكانما القمه حجرا فان قوله يحب ان يعصى لفظ
فيه اجمال وقد لا يتاتى في المناظرة تفسير المجملات خوفا من لدد الخصم فيوتى
بالواضحات فقال له اترى يعصى قسرا فان هذا الزام له بالعجز الذي هو لازم القدرية
ولمعهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم فكذلك اياس رأى ان هذا الجواب
المطابق لحكمهم خاصم لهم ولم يدخل معهم في التفصيل الذي يطول وبالجملة فقوله
تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما قال اهل التفسير
من السلف لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم فينقص من حسناته
ولا يجوز ان يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدور عليه فيكون التقدير
لا يخاف مما هو ممتنع لذاته خارج عن الممكنات والمقدورات فان مثل هذا
الذي لم يكن وجوده ممكنا حتى يقولوا انه غير مقدور ولو اراده كخلق المثل فكيف
يعقل وجوده فضلا عن ان يكون متصور خوفه حتى ينفي خوفه ثم اي
فائدة في نفي خوف هذا وقد علم بسياق الكلام ان المقصود بيان ان
هذا العامل المحسن يجزى على حسناته بلا ظلم ولا هضم فعلم ان الظلم
المنفي يتعلق بالجزاء كما ذكره اهل التفسير وان الله لا يجزيه الا بعمله
ولهذا كان الصواب الذي دلت عليه النصوص ان الله لا يعذب احدا في
الاخرة الا بذنب كما قال تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
فلو دخلها احد من غير اتباعه لم تمتل منهم ولهذا ثبت في الصحيحين
في حديث تحاج الجنة والنار من حديث ابي هريرة وانس ان النار تمتلي حتى
كلما القي فيها حتى يزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعد قولها
هل من مزيد واما الجنة فيبقى فيها فضل عمن يدخلها من اهل الدنيا فينشئ
الله لها خلقا اخر ولهذا كان الصواب الذي عليه الائمة فيمن لم يكلف
في الدنيا من اطفال المشركين ونحوهم ما صح به الحديث وهو ان الله اعلم بما
كانوا عاملين فلم يحكم لكل منهم بالجنة ولا لكل منهم بالنار بل هم منقسمون
بحسب ما يظهر من العلم فيهم اذا كلفوا يوم القيمة في العرصات كما جاءت
بذلك الاثار وكذلك قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
وما ربك بظلام للعبيد يدل الكلام على انه لا يظلم محسنا فينقصه من

من حسناته او يجعلها لغيره ولا يظلم مسيئا فيجعل عليه سيئات غيره بل لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت وهذا كقوله ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى
الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى فاخبر انه ليس على احد
من وزر غيره شيء وانه لا يستحق الا ما سعاه وكلا القولين حق على ظاهره
وان ظن بعض الناس ان تعذيب الميت ببكاء اهله عليه ينافي الاول
فليس كذلك اذ ذاك النائح يعذب بنوحه لا يحمل الميت وزره ولكن الميت
يتألم من فعل هذا كما يتألم الانسان من امور خارجة عن كسبه وان لم يكن
جزاء على الكسب والعذاب اعم من العقاب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم السفر قطعة
من العذاب وكذلك ظن قوم ان انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحي
ينافي قوله وان ليس للانسان الا ما سعى وليس الامر كذلك فان انتفاع
الميت بالعبادات البدنية من الحي بالنسبة الى الاية كانتفاعه بالعبادات
المالية ومن ادعى ان الاية تخالف احداهما دون الاخرى فقوله ظاهر الفساد
بل ذلك بالنسبة الى الاية كانتفاعه بالدعاء والاستغفار والشفاعة وقد
بينا في غير هذا الموضع نحوا من ثلاثين دليلا شرعيا تبين انتفاع الانسان
بسعي غيره اذ الاية انما نفت استحقاق السعي وملكه وليس كلما لا يستحقه
الانسان ولا يملكه لا يجوز ان يحسن اليه مالكه ومستحقه بما ينتفع به منه
فهذا نوع وهذا نوع وكذلك ليس كلما لا يملكه الانسان لا يحصل له من
جهته منفعة فان هذا كذب في الامور الدينية والدنيوية فهذه
النصوص النافية للظلم تثبت العدل في الجزاء وانه لا يبخس عاملا عمله وكذلك
قوله فيمن عاقبهم وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم
الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء وقوله وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين يبين ان عقاب المجرمين كان عدلا لذنوبهم لا لانا ظلمناهم
فعاقبناهم بغير ذنب وهذا يبين ان من الظلم المنفي عقوبة من لم يذنب
والحديث الذي في السنن لو عذب الله اهل سمواته وارضه لعذبهم وهو
غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا لهم من اعمالهم يبين ان التعذيب
لو وقع لكان لاستحقاقهم ذلك لا لكونه بغير ذنب وكذلك قوله تعالى
وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الى قوله وما الله

يريد ظلما للعباد ويبين ان هذا العقاب لم يكن ظلما لاستحقاقهم ذلك وان الله
لا يريد الظلم والامر الذي لا يمكن القدرة عليه لا يصلح ان يمدح الممدوح بعدم
ارادته وانما يكون المدح بترك الافعال اذا كان الممدوح قادرا عليها فعلم ان الله قادر
على ما نزه نفسه عنه من الظلم وانه لا يفعله وبذلك يصح قوله اني حرمت الظلم على نفسي
فان التحريم هو المنع وهذا لا يجوز ان يكون فيما هو ممتنع لذاته فلا يصلح ان يقال
حرمت على نفسي او منعت نفسي من خلق مثلي او جعل المخلوقات خالقة ونحو ذلك
من المحالات واكثر ما يقال في ذلك ما يكون معناه اني اخبرت عن نفسي بان ما لا يكون
مقدورا لا يكون مني وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن انه ليس مراد الرب وانه
يجب تنزيه الله ورسوله عن ارادة مثل هذا المعنى الذي لا يليق الخطاب بمثله
اذ هو مع كونه شبه التكرير وايضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا ما يستفيد
المستمع فعلم ان الذي حرمه على نفسه هو امر مقدور عليه لكنه لا يفعله لانه حرمه
على نفسه وهو سبحانه منزه عن فعله مقدس عنه يبين ذلك ان ما قاله
الناس في حدود الظلم يتناول هذا دون ذلك كقول بعضهم الظلم وضع الشيء
في غير موضعه كقولهم من اشبه اباه فما ظلم اي فما وضع الشبه في غير موضعه
ومعلوم ان الله سبحانه حكم عدل لا يضع الاشياء الا مواضعها ووضعها
في غير مواضعها ليس ممتنعا لذاته بل هو ممكن لكنه لا يفعله لانه لا يريده
بل يكرهه ويبغضه اذ قد حرمه على نفسه وكذلك من قال الظلم اضرار
غير مستحق فان الله لا يعاقب احدا بغير حق وكذلك من قال هو نقص حق ذكر
ان اصله النقص كقوله كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما من قال
الظلم التصرف في ملك الغير فهذا ليس بمطرد ولا منعكس فقد يتصرف الانسان
في ملك غيره بحق فلا يكون ظالما وقد يتصرف في ملكه بغير حق فيكون ظالما
وظلم العبد نفسه كثير في القرآن وكذلك من قال فعل المأمور خلاف ما امر
ونحو ذلك ان سلم صحة مثل هذا الكلام فان الله سبحانه قد كتب على نفسه الرحمة
وحرم على نفسه الظلم فهو لا يفعل خلاف ما كتب ولا يفعل ما حرم وليس
هذا الجواب موضع بسط هذه الامور التي نبهنا عليها فيه وانما ننبه على
النكت وبهذا يتبين القول المتوسط وهو ان الظلم الذي حرمه الله على نفسه
مثل ان يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ويعاقب البريء على ما لم يفعل
من السيئات ويعاقب هذا بذنب غيره او يحكم بين الناس بغير القسط
ونحو ذلك من الافعال التي ينزه الرب عنها لقسطه وعدله وهو قادر

عليها

عليها وانما استحق الحمد والثناء لانه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه وكما ان الله منزه
عن صفات النقص والعيب فهو ايضا منزه عن افعال النقص والعيب وعلى قول الفريق
الثاني ما ثم فعل يجب تنزيه الله عنه اصلا والكتاب والسنة واجماع سلف الامة
وائمتها تدل على خلاف ذلك ولكن متكلمو الاثبات لما ناظروا متكلمة النفي الزموهم
لوازم لم ينفصلوا عنها الا بمقابلة الباطل بالباطل وهذا مما عابه الائمة وذموه كما
عاب الاوزاعي والزبيدي والثوري واحمد بن حنبل وغيرهم مقابلة القدرية بالغلو
في الاثبات وامروا بالاعتصام بالكتاب والسنة وكما عابوا ايضا على من
قابل الجهمية نفاة الصفات بالغلو في الاثبات حتى دخل في التمثيل الخالق بالمخلوق
وقد بسطنا الكلام في هذا وهذا وذكرنا كلام السلف والائمة في هذا في غير هذا
الموضع ولو قال قائل هذا مبني على مسئلة تحسين العقل وتقبيحه فمن قال
العقل يعلم به حسن الافعال وقبحها فانه ينزه الرب عن بعض الافعال ومن قال
لا يعلم ذلك الا بالسمع فانه يجوز جميع الافعال عليه لعدم النهي في حقه قيل له
ليس بناء هذه على تلك بلازم وبتقدير لزومها ففي تلك تفصيل وتحقيق
قد بسطناه في موضعه وذلك انا اذا فرضنا انا نعلم بالعقل حسن بعض الافعال
وقبحها لكن العقل لا يقول ان الخالق كالمخلوق حتى يكون ما جعله حسنا
لهذا وقبيحا له جعله حسنا للآخر وقبيحا له كما يفعل مثل ذلك القدرية لما بين
الرب والعبد من الفروق الكثيرة وان فرضنا ان حسن الافعال وقبحها
لا يعلم الا بالشرع فالشرع قد دل على ان الله قد نزه نفسه عن افعال واحكام
فلا يجوز ان يفعلها تارة بخبره مثنيا على نفسه بانه لا يفعلها وتارة بخبره
انه حرمها على نفسه وهذا يتبين بالمسئلة الثانية فنقول الناس لهم في
افعال الله باعتبار ما يصلح منه وما يجوز منه وما لا يجوز منه ثلاثة اقوال
طرفان ووسط فالطرف الواحد طرف القدرية وهم الذين حجروا عليه
ان يفعل الا ما ظنوه بعقلهم انه الجائز له حتى وضعوا له شريعة
التعديل والتجويز فاوجبوا عليه بعقلهم امورا كثيرة وحرموا عليه
بعقلهم امورا كثيرة لا بمعنى ان العقل آمر له وناه فان هذا لا يقوله عاقل
بل ان تلك الافعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن ادخلوا
في ذلك من المنكرات ما بنوه على بدعتهم في التكذيب بالقدر وتوابع
ذلك والطرف الثاني طرف الغلاة في الرد عليهم وهم الذين قالوا لا ينزه

الرب عن فعل من الافعال ولا يعلم وجه امتناع الفعل منه الا من جهة خبره
انه لا يفعل المطابق لعلمه بانه لا يفعل وهولاء منعوا حقيقة ما اخبر به من انه
كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون
باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتابا فهو موضوع عنده
فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي ولم يعلم هولاء ان الخبر المجرد المطابق
للعلم لا يبين وجه فعله وتركه اذ العلم يطابق المعلوم فعلمه بانه يفعل هذا
او انه لا يفعل هذا ليس فيه تعرض لانه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على
نفسه كما لو اخبر عن كائن من كان انه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم يكن في هذا
بيان لكونه محمودا ممدوحا على فعل هذا وترك هذا ولا في ذلك ما يبين
قيام المقتضي لهذا والمانع من هذا فان الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه ليس فيه
بيان ما يدعو الى الفعل ولا الى الترك بخلاف قوله كتب على نفسه الرحمة وحرم
على نفسه الظلم فان التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية الى
الفعل وهذا بين واضح اذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته انه يفعل وهو كتابة
التقدير كما ثبت في الصحيح انه قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فانه قال كتب على نفسه الرحمة ولو اريد
كتابة التقدير لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة اذ كان
المراد مجرد الخبر عما سيكون ولكان قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الاحسان
كما حرم الظلم ولكان الفرق ثابتا في حقنا بين قوله كتب عليكم القصاص
في القتلى وبين قوله وكل شيء فعلوه في الزبر وقوله ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وقوله فيبعث الملك فيؤمر باربع
كلمات فيقال له اكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد فهكذا الفرق ايضا ثابت
في حق الله تعالى ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم قوله تعالى وكان
حقا علينا نصر المؤمنين وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يا معاذ
اتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا اتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله
اعلم قال فان حقهم عليه ان لا يعذبهم ومنه قوله في غير حديث الا كان حقا على
الله ان يفعل به كذا وكذا فهذا الحق الذي عليه هو احقه على نفسه بقوله
ونظير تحريمه على نفسه وايجابه على نفسه ما اخبر به من قسمه ليفعلن

وكلمته

وكلمته السابقة لقوله ولولا كلمة سبقت من ربك وقوله لاملان جهنم ولنهلكن الظالمين
فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن
عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار فلنسألن الذين ارسل اليهم
ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الايجاب والمنع بخلاف القسم المتضمن للخبر
المحض ولهذا قال الفقهاء اليمين اما ان توجب ايجابا او منعا او تصديقا
او تكذيبا واذا كان معقولا في الانسان انه يكون امرا مامورا كقوله ان النفس
لامارة بالسوء وقوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى مع ان العبد
له امر وناه فوقه فالرب الذي ليس فوقه احد لا يتصور ان يكون هو الامر الكاتب
على نفسه الرحمة والناهي المحرم على نفسه الظلم ولكن امره وكتابته على نفسه ذلك
يستلزم ارادته لذلك ومحبته ورضاه به وتحريمه الظلم على نفسه يستلزم بغضه
لذلك وكراهته له وارادته ومحبته للفعل توجب وقوعه منه وبغضه له وكراهته
لان يفعله يمنع وقوعه منه فاما ما يحبه ويبغضه من افعال عباده فذلك نوع
اخر ففرق بين فعله هو وبين ما هو مفعول مخلوق له وليس في مخلوقه ما هو ظلم منه
وان كان بالنسبة الى فاعله الذي هو الانسان هو ظلم كما ان افعال الانسان
هي بالنسبة اليه تكون سرقة وزنا وصلاة وصوما والله تعالى خالقها بمشيئته
وليس بالنسبة اليه كذلك اذ هذه الاحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل
كما ان الصفات هي صفات للموصوف الذي قامت به لا للخالق الذي خلقها وجعلها
صفات والله تعالى خالق كل صانع وصنعته كما جاء ذلك في الحديث وهو خالق
كل موصوف وصفته ثم صفات المخلوقات ليست صفات له كالالوان والطعوم
والروائح لعدم قيام ذلك به وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ولا
افعالا له بهذا الاعتبار لكونها مفعولات هو خلقها وبهذا الفرق تزول شبه
كثيرة والامر الذي كتب على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن
ترك هذا الذي لو ترك لكان تركه نقصا وكذلك الامر الذي حرمه على نفسه
يستحق الحمد والثناء على تركه وهو مقدس عن فعله الذي لو كان لاوجب
نقصا وهذا كله بين ولله الحمد عند الذين اوتوا العلم والايمان وهو ايضا
مستقر في عموم المؤمنين ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم فقابلهم
من قابلهم بنوع من الباطل كالكلام الذي كان السلف والائمة يذمونه
وذلك ان المعتزلة قالوا قد حصل الاتفاق على ان الله ليس بظالم كما دل
عليه الكتاب والسنة والظالم من فعل الظلم كما ان العادل من فعل

من فعل العدل هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعا وعقلا قالوا
ولو كان الله خالقا لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظالما فعارضهم هؤلاء
بأن قالوا ليس الظالم من فعل الظلم بل الظالم من قام به الظلم وقال بعضهم الظالم من
اكتسب الظلم وكان منهيا عنه وقال بعضهم الظالم من فعل محرما عليه أو ما نهي عنه
ومنهم من قال من فعل الظلم لنفسه وهؤلاء لا يعنون أن يكون الآمر له والمحرم عليه غيره
الذي تجب عليه طاعته ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعا عندهم لذاته كامتناع
أن يكون فوقه آمر له ومساو ويمتنع عند الطائفتين أن يعود إلى الرب من أفعاله
حكم لنفسه وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك في أن العادل من فعل العدل
بل سلموا ذلك لهم وإن نازعهم بعض الناس منازعة عنادية والذي يكشف تلبيس
المعتزلة أن يقال لهم الظالم والعادل الذي يعرفه الناس وإن كان فاعل الظلم
والعدل فذلك قائم به أيضا ولا يعرف الناس من يسمى ظالما ولم يقم به الفعل الذي
به صار ظالما بل لا يعرفون ظالما إلا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظالما
وإن كان فعله متعلقا بغيره وله مفعول منفصل عنه لكن لا يعرفون الظالم
إلا أن يكون قد قام به ذلك فكونكم أخذتم في حد الظالم أنه من فعل الظلم
وعنيتم بذلك من فعله في غيره فهذا تلبيس وإفساد للشرع والعقل واللغة
كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم هو من فعل الكلام ولو في غيره وجعلتم
من أحدث كلاما منفصلا عنه قائما بغيره متكلما وإن لم يقم به هو كلام أصلا
وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والسفسطة ولهذا ألزموهم السلف أن
يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه وكذلك أيضا ما خلقه في الحيوانات
ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق وإنما قالت الجلود أنطقنا الله الذي
أنطق كل شيء ولم تقل نطق الله ولذلك ولهذا قال من قال من السلف
كسليمان بن داود الهاشمي وغيره ما معناه أنه على هذا يكون الكلام الذي
خلقه في فرعون حتى قال أنا ربكم الأعلى كالكلام الذي خلقه في الشجرة
حتى قالت إنني أنا الله لا إله إلا أنا فإما أن يكون فرعون محقا وإما أن
تكون الشجرة كفرعون وإلى هذا المعنى ينحو الاتحادية من الجهمية وينشدون

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

فصل قوله وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ينبغي أن يعرف
هذا الحديث شريف القدر عظيم المنزلة ولهذا كان الإمام أحمد يقول هو
أشرف حديث لأهل الإسلام وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدث به
جثى على ركبتيه وراويه أبو ذر الذي ما أظلت الخضراء ولا أقلت
الغبراء

الغبراء أصدق لهجة منه وهو من الأحاديث الإلهية التي رواها الرسول عن ربه تعالى وأخبر أنها
من كلام الله وإن لم يكن قرآنا وقد جمع في هذا الحديث زاهر الشحامي وأبو عبد الله المقدسي
وغيرهما وهذا الحديث قد تضمن قواعد من قواعد الدين العظيمة في العلوم والأعمال
الأصول والفروع فإن تلك الجملة الأولى وهي قوله حرمت الظلم على نفسي تتضمن جل
مسائل الصفات والقدر إذا أعطيت حقها من التفسير وإن ما ذكرناه فيها إنما هو بحسب
التنبيه عليه من أوائل الكتب لجامعه وأما الجملة الثانية وهي قوله وجعلته بينكم
محرما فلا تظالموا فإنها تجمع الدين كله فإن كل ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم وكل ما
أمر الله به راجع إلى العدل ولهذا قال تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا
معهم الكتاب والميزان إلى قوله إن الله قوي عزيز فأخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب
والميزان لأجل قيام الناس بالقسط وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق
فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا ولهذا كان قوام الناس
بأهل الكتاب وأهل الحديد كما قال من قال من السلف صنفان إذا صلحوا صلح
الناس العلماء والأمراء وقالوا في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم أقوالا تجمع العلماء والأمراء ولهذا نص الإمام أحمد وغيره على دخول الصنفين
في هذه الآية إذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حياته كعلي ومعاذ وأبي موسى وعتاب بن أسيد وعثمان بن أبي العاص
وأشباههم يجمعون بين الصنفين وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي
ونوابهم ولهذا كانت السنة أن الذي يصلي بالناس صاحب الكتاب هو الذي يقوم
بالجهاد وصاحب الحديد إلى أن تفرق الأمر بعد ذلك فإذا تفرق صار كل من
قام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يطاع فيما يأمر به
من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ أخباره وأوامره
وبيانها يجب أن يصدق ويطاع فيما يخبر به من الصدق في ذلك وفيما يأمر به
من طاعة الله في ذلك والمقصود هنا أن المقصود بهذا كله هو أن يقوم الناس
بالقسط ولهذا لما كان المشركون يحرمون أشياء ما أنزل الله بها من سلطان
ويأمرون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان أنزل الله في سورة الأنعام والأعراف
وغيرهما ينعى عليهم ذلك وذكر ما هو أمر به وما حرمه هو فقال تعالى قل أمر ربي
بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين
وقال قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن إلى قوله وأن تقولوا

على الله ما لا تعلمون وهذه الآية تجمع انواع المحرمات كما قد بيناه في غير هذا الموضع وتلك
الآية تجمع انواع الواجبات كما بيناه ايضا وقوله قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم
عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين امر مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة
الله وحده لا شريك له وهذا اصل الدين وضده هو الذنب الذي لا يغفر قال تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو الدين الذي ارسل الله به
جميع الرسل وارسل به الى جميع الامم قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون وقال تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من
دون الرحمن الهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا
اليك الى قوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه وقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون
وروي عن عائشة مرفوعا الظلم ثلاثة دواوين فديوان لا يغفر الله منه شيئا فهو الشرك فان الله
لا يغفر ان يشرك به واما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فهو ظلم العباد بعضهم
بعضا فان الله لا بد ان ينصف للمظلوم من الظالم واما الديوان الذي لا يعبأ الله
فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه اي مغفرة هذا الضرب من الذنوب ممكنة
بدون رضا الخلق وقد بسطنا الكلام في هذه الابواب الشريفة والاصول
الجامعة في القواعد وبينا كيف كان الشرك اعظم انواع الظلم ولهذا قال تعالى
ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم الآية الى ان
ختم السورة بقوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن
في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا وقال تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقالت
الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاصل الصلاح التوحيد
والايمان واصل الفساد الشرك والكفر كما قال تعالى عن المنافقين واذا قيل لهم لا
تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
ولهذا سمي قطاع الطريق مفسدين وكان عقوبتهم حقا لله لاجتماع
الوصفين والذي يريد العلو على غيره من ابناء جنسه هو ظالم باغ اذ ليس
كونك عاليا عليه باولى من كونه عاليا عليك ولهذا قال تعالى قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله الى اخر الآية ولهذا
كان

[illegible]

كان تخصيصه بالذكر من مثل قوله قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد
وادعوه مخلصين له الدين لا يمنع ان يكون داخلا في القسط كما ان ذكر العمل الصالح
بعد الايمان لا يمنع ان يكون داخلا في الايمان وقال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وقال تعالى
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وقد دل
على هذا قوله في هذا الحديث يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم
محرما فلا تظالموا فان هذا خطاب لجميع العباد ان لا يظلم احد احدا ولهذا كان القصاص
مشروعا اذا امكن استيفاؤه من غير حيف كالاقتصاص في الجروح التي تنتهي الى عظم
وفي الاعضاء التي تنتهي الى مفصل فاذا كان الحيف واقعا في الاستيفاء عدل الى
بدله لانه اشبه بالعدل من اتلاف زيادة في المقتص منه وهذه حجة من رأى من
الفقهاء انه لا قود الا بالسيف في العنق قالوا لان القتل بغير السيف وفي غير العنق
لا نعلم فيه المماثلة بل قد يكون التحريق والتغريق والتوسيط ونحو ذلك اشد
ايلاما لكن المنازعون قالوا يفعل به مثل ما فعل واما اذا قطع يديه ورجليه
ثم وسطه فقوبل ذلك بضرب عنقه بالسيف او رضخ راسه بين حجرين فضرب
بالسيف فهنا قد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة وكنا نحن قد فعلنا ما
تيقنا انتفاء المماثلة فيه وانه يتعذر معه وجودها بخلاف الاول فان
المماثلة فيه قد تقع اذ التفاوت فيه غير متيقن وكذلك القصاص في
الضربة واللطمة ونحو ذلك عدل طائفة من الفقهاء الى التعزير لعدم امكان
المماثلة فيه والذي عليه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهو منصوص
احمد ما جاءت به سنة النبي صلى الله عليه وسلم من ثبوت القصاص به لان ذلك اقرب
الى العدل والمماثلة كما قال سبحانه تعالى يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي
وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ولما كان العدل لا بد ان يتقدمه علم اذ من لا
يعلم لا يدري ما العدل والانسان ظالم جاهل الا من تاب الله عليه فصار
عالما عادلا صار الناس من القضاة وغيرهم ثلاثة اصناف العالم العادل
والجاهل والظالم فهذان من اهل النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة
ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة
ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه
فهو في النار فهذان القسمان كما قال من قال في القران برايه فاصاب

وفي قال في القران برايه فليتبوأ* وكل من حكم بين اثنين فهو قاض سواء كان صاحب حرب او متولي ديوان او منتصبا للاحتساب بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط فان الصحابة كانوا يعدونه من الحكام

فصل واما قوله يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم وكلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم فيقتضي اصلين عظيمين احدهما وجوب التوكل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع المضرة كاللباس وانه لا يقدر غير الله على الاطعام والكسوة قدرة مطلقة وانما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض اسباب ذلك ولهذا قال وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقال ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقال واطعموا القانع والمعتر وقال فكلوا منها واطعموا البائس الفقير وقال واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه فذم من ترك المامور به اكتفاء بما يجري به القدر ومن هنا يعرف ان السبب المامور به او المباح لا ينافي وجوب التوكل على الله في وجود المسبب بل الحاجة والفقر الى الله ثابتة مع فعل السبب اذ ليس في المخلوقات ما هو وحده سبب تام لحصول المطلوب ولهذا لا يجب ان تقترن الحوادث بما قد يجعل سببا الا بمشيئة الله فانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن فمن ظن ان الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما اوجب الله عليه من التوكل وبهذا تجد امثال هؤلاء اذا اعتمدوا على الاسباب كمن رجا رزقا او نصرا من غير الله خذله الله كما قال علي رضي لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه وقد قال تعالى ما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم وقال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ه يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم وطائفة تظن ان التوكل انما هو من مقامات الخاصة المتقربين الى الله بالنوافل وكذلك قولهم في اعمال القلوب وتوابعها كالحب والرجاء والخوف والشكر ونحو ذلك وهذا ضلال مبين بل جميع هذه الامور فرض على الاعيان باتفاق اهل الايمان ومن تركها بالكلية فهو اما كافر واما منافق لكن الناس هم فيها كما هم في الاعمال الظاهرة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ونصوص الكتاب والسنة طافحة بذلك فليس هؤلاء

المعرضون

* مفقود في الاصل

النظر

المعرضون عن هذه الامور علما وعملا باقل لوما من التاركين لما امروا به من اعمال ظاهرة مع تلبسهم ببعض هذه الاعمال بل استحقاق الذم والعقاب يتوجه الى من ترك المامور من الامور الباطنة والظاهرة وان كانت الامور الباطنة مبدا الامور الظاهرة واصولها والامور الظاهرة كمالها وفروعها التي لا تتم الا بها

فصل واما قوله يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا وفي لفظ وانا اغفر الذنوب جميعا ولا ابالي فاستغفروني اغفر لكم فالمغفرة العامة لجميع الذنوب نوعان احدهما المغفرة لمن تاب كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فهذا السياق مع سبب نزول الاية يبين ان المعنى انه لا ييأس مذنب من مغفرة الله ولو كانت ذنوبه ما كانت فان الله سبحانه لا يتعاظمه ذنب ان يغفره لعبده التائب وقد دخل في هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب فان الله يغفر ذلك كله لمن تاب منه قال تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين وقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وهذا القول الجامع بالمغفرة لكل ذنب للتائب منه كما دل عليه القران والحديث هو الصواب عند جماهير اهل العلم وان كان من الناس من يستثني بعض الذنوب كقول بعضهم ان توبة الداعية الى البدع لا تقبل باطنا للاثر الاسرائيلي الذي فيه فكيف بمن اضللت وهذا غلط فان الله قد بين في كتابه وسنة رسوله انه يتوب على ائمة الكفر الذين هم اعظم من ائمة البدع وقد قال تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق قال الحسن البصري انظروا الى هذا الكرم عذبوا اولياءه وفتنوهم ثم هو يدعوهم الى التوبة وكذلك توبة القاتل ونحوه كحديث ابي سعيد المتفق عليه في الذي قتل تسعة وتسعين نفسا يدل على قبول توبته وليس في الكتاب والسنة ما ينافي ذلك ولا نصوص الوعيد فيه وفي غيره من الكبائر بناسخة لما فيه نصوص قبول التوبة فليست اية الفرقان بمنسوخة باية النساء اذ لا منافاة بينهما فانه قد علم يقينا ان كل ذنب فيه وعيد فان لحوق الوعيد مشروط بعدم التوبة اذ نصوص التوبة مبينة لتلك النصوص كالوعيد في الشرك واكل الربا واكل مال اليتيم والسحر ه

٤٦١

وغير ذلك من الذنوب ومن قال من العلماء توبته غير مقبولة فحقيقة قوله التي تلايم
اصول الشرع ان يراد به ان التوبة المجردة تسقط حق الله من العقاب
واما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة وهذا حق ولا فرق في ذلك بين ٣٦٢
القاتل وسائر الظالمين فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم لكن من
تمام توبته ان يعوضه بمظلمته وان لم يعوضه في الدنيا فلا بد له من العوض
في الاخرة فينبغي للظالم التائب ان يستكثر من الحسنات حتى اذا استوفى منه
المظلومون حقوقهم لم يبق مفلسا ومع هذا فاذا شاء الله ان يعوض
المظلوم من عنده فلا راد لفضله كما اذا شاء ان يغفر ما دون الشرك لمن يشاء
ولهذا في حديث القصاص الذي ركب فيه جابر بن عبد الله الى عبد الله بن انيس
شهرا حتى شافهه به وقد رواه احمد وغيره واستشهد به البخاري في
صحيحه ورواه في كتاب الادب من تاليف مستقل وهو من جنس حديث
الترمذي صحاح او حسان قال فيه اذا كان يوم القيمة فان الله يجمع الخلائق
في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ثم يناديهم بصوت
يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد
من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار قبله مظلمة حتى اقتصه منه فبين
في الحديث العدل والقصاص بين اهل الجنة واهل النار وفي صحيح مسلم من
حديث ابي سعيد ان اهل الجنة اذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين
الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا
فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة وقد قال سبحانه لما قال
ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله
ان الله تواب رحيم فقد نبههم على التوبة من الاغتياب وهو من الظلم
وفي الحديث الصحيح من كانت عنده مظلمة لاخيه في دم او مال او عرض
فليتحلله منه قبل ان ياتي يوم ليس فيه درهم ولا دينار الا الحسنات
والسيئات فان كان له حسنات اخذ من حسناته بقدر مظلمته والا
اخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم طرح في النار **فصل**
واما قوله يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا
نفعي فتنفعوني فانه بين بذلك انه ليس هو فيما يحسن به اليهم
من اجابة الدعوات وغفران الزلات بالمستعيض بذلك منهم جلب
منفعة او دفع مضرة كما هي عادة المخلوق الذي يعطي غيره نفعا
ليكافيه بنفع او يدفع عنه ضررا ليتقي بذلك ضرره فقال
انكم

فقال انكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني فلست اذا
اجبتكم بهداية المستهدي وكفاية المستكفي المستطعم والمستكسي بالذي اطلب
ان تنفعوني ولا انا اذا غفرت خطاياكم بالليل والنهار اتقي بذلك ان تضروني
فانكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني اذ هم عاجزون
عن ذلك وانا الله سبحانه متقدس عن ذلك فبين تنزهه عن لحوق نفعهم وضرهم
في احسانه اليهم بما يكون من افعاله بهم وامره لهم قال قتادة ان الله لم يامر
العباد بما امرهم به لحاجته اليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم
ولكن امرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم ولهذا ذكر هذين
٣٦٣ فذكر ان برهم وفجورهم الذي هو طاعتهم ومعصيتهم لا يزيد في ملكه ولا
ينقص وان اعطاءه اياهم غاية ما يسالونه نسبته اليه ما عنده ادنى
نسبة وهذا بخلاف الملوك وغيرهم ممن يزداد ملكه بطاعة الرعية
وينقص ملكه بالمعصية واذا اعطى الناس ما يسالونه انفد ما عنده
ولم يغنهم وهم في ذلك يبلغون مضرته ومنفعته وهو يفعل ما
يفعل من احسانه وعفوه وامره ونهيه لرجاء المنفعة وخوف المضرة
فقال يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب
رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا
اذ ملكه هو قدرته على التصرف على انه لا يزداد بطاعتهم ولا ينقص
بمعصيتهم **فصل** ثم ذكر حالهم في النوعين سؤاله وطاعته
امر اللذين ذكرهما في الحديث حيث ذكر الاستهداء والاستطعام
والاستكساء وذكر الغفران والبر والفجور فقال لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت
كل انسان منهم مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص
المخيط اذا دخل البحر والخياط والمخيط ما يخاط به
اذ الفعال والمفعل والمفعال من صيغ الالات التي يفعل بها
كالمسعط والحلاب والمنشار فبين ان جميع الخلائق اذا سالوا
وهم في مكان واحد وزمان واحد فاعطى كل انسان منهم

مسئلته لم ينقص ذلك مما عنده الا كما ينقص الخياط وهي الابرة اذا
غمس في البحر ولهذا قال علي رض العلم يزكوا على العمل او قال على التعليم ٥
والمال تنقصه النفقة وعلى هذا فيقال في حديث ابي ذر رضه ان قوله
ما عندي وقوله من ملكي هو من هذا الباب وحينئذ فله وجهان
احدهما ان يكون ما اعطاهم خارجا عن مسمى ملكه وسمى ما عنده
كما ان علم الله لا يدخل فيه نفس علم موسى والخضر والثاني
ان يقال بل لفظ الملك وما عنده يتناول كل شي وما اعطاهم فهو ٤٦٤
جزء من ملكه وما عنده ولكن نسبته الى الجملة هذه النسبة الحقيرة
ومما يحقق هذا القول الثاني ان الترمذي روى هذا الحديث من
طريق عبد الرحمن بن غنم عن ابي ذر مرفوعا وفيه لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم ورطبكم ويابسكم سألوني حتى تنتهي مسئلة كل
واحد فاعطيتهم ما سألوني ما نقص ذلك مما عندي كغرزة
لو غمسها احدكم في البحر وذلك اني جواد ماجد واحد عطائي
كلام وعذابي كلام انما امري لشيء اذا اردته ان اقول له كن
فيكون فذكر سبحانه ان عطاءه كلام وعذابه كلام يدل على
انه اراد بقوله من ملكي ومما عندي اي من مقدوري ٥
فيكون هذا في القدرة كحديث الخضر في العلم والله سبحانه اعلم

فصل ثم ختمه بتحقيق ما بينه فيه من عدله واحسانه
فقال يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها
فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا
نفسه فبين انه محسن الى عباده في الجزاء على اعمالهم الصالحة
احسانا يستحق به الحمد لانه هو المنعم بالامر بها والارشاد اليها
والاعانة عليها ثم احصائها ثم توفية جزائها فكل ذلك فضل
منه واحسان اذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل
وهو وان كان قد كتب على نفسه الرحمة وكان حقا عليه
نصر المؤمنين كما تقدم بيانه فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق
الناس بعضهم على بعض التي تكون عدلا لا فضلا لان ذلك
انما

انما يكون لكون بعض الناس احسن الى بعض فاستحق المعاوضة
وكل احسانه اليه بقدرة المحسن دون المحسن اليه فلهذا لم يكن
المتعاوضان ليختص احدهما بالتفضل على الاخر لتكافيهما
وهو قد بين في الحديث ان العباد لن يبلغوا ضره فيضروه
ولن يبلغوا نفعه فينفعوه فامتنع حينئذ ان يكون لاحد
من جهة نفسه عليه حق بل هو الذي احق الحق على نفسه بكلماته
٤٦٤ فهو المحسن بالاحسان وباحقاقه وكتابته على نفسه فهو
في كتابه كتب الرحمة على نفسه واحقاقه نصر عباده المؤمنين
وهذا باب واسع لشرحه موضع غير هذا وانما نبهنا على ما في
الحقائق من الجوامع والفوارق التي تفصل بين الحق والباطل في
هذه المضايق بحسب ما احتملته اوراق المسائل والحمد لله رب العالمين
اللهم علمنا ما ينفعنا وزدنا علما انك انت الوهاب ٥

صادف الفراغ من تحرير هذه الاجوبة الاصوليه
لشيخ الاسلام وعلم الاعلام الشيخ احمد بن عبد الحليم رحمه
بقلم الفقير الى الله والراجي لغفران الذنوب محمد
بن حسن بن احمد بن حسن المرزوقي
نسبا والحنبلي مذهبا وذلك
ليلة الاربعا سبعة عشر
جماد الثاني سنة ١٣١٣
وصلى الله
على محمد
واله



وقد جمعت هذه الاجوبة
واوراق كاتبها مستقيمه وعلى الناظر في
الكتاب ان يستر ما وجد ويصلح كتابته
وان يعيب على الكاتب اللهم اغفر
ولوالديه ولمن اجتمع يا كريم يا وهاب

هنا يكتب ما قولكم دام فضلكم في تعريف العبادة وتعريف توحيد العبادة في صحيفه ٣٠٢ الى ٣١٠

وايضا قوله وقد سئل شيخ الاسلام عن مسائل عديدة في صحيفه ٤٢٢ الى ٤٢٤

وايضا قوله قال ابن دقيق العيد صحيفه ٤٣٩ الى ٤٤١

عدد صحيفه